

حَدِيثُ الْإِسْقَاطِ

فِي تَرْجُومَةِ الْبِلاَغَةِ

الجزء الثاني

لِلْعَلَّامِ فَطْبِ الدِّينِ الْكَبِيرِ الْبَاهِغِيِّ

مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ السَّادِسِ

مُخَفَّفُونَ

السَّيِّدِ نَزَّادِ الْعَطَّارِ



www.haydarya.com





حياة الفيلسوف

في شمع هج البلاغة

الجزء الثاني

للعلامة فطيم الدين الكيخسروي البهبهني
من أعلام القرن السادس

محقق

الشيخ ميرزا عبد العطاء الله





نشر عطار د

مؤسسة نهج البلاغة

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة المجلد الثاني
للشيخ أبي محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي (قطب الدين الكيذري)
تحقيق و تصحيح: الشيخ عزيز الله العطاردي

المطبعة : اعتماد - قم

الطبعة الاولى: ذوالحجّة: ١٤١٦ ق - اردبيهشت ١٣٧٥ ش

الكمية : ١٠٠٠ عدد

جميع الحقوق محفوظة و مسجلة

طهران: شارع كريم خان - شارع نجات اللّهي - شارع افشين - الرقم ٨

الهاتف: ٠٨٩٥٦٧ - ٨٩٩٨٦٢ - ٠٢١ - ص. ب: ٦٣٥ - ١١٣٦٥

قم: شارع حجّت - الهاتف: ٠٢٥١ - ٧٤٢٥٩٤

١٥٨ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو^(١) بِحِلْمٍ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدْدُهُ، وَلَا يَفْنِي مَدْدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارَ، وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَأَنْتَ هَتَّ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتِ سُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ^(٢) خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ

١ - في ن وف : ويغفر بحلم .

٢ - في ب : عرشك وذرات خلقك .

الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ ظَرْفُهُ حَسِيرًا، وَعَقْلُهُ مَهُورًا، وَسَمِعُهُ وَإِلَيْهَا
وَفِكْرُهُ حَائِرًا.

منها: يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالَهُ
لَا يَتَّبِعُنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ ^(١) رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي
عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَدْخُوكٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا
خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُوكٌ: يَرْجُوا اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُوا الْعِبَادَ فِي
الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ، جَلَّ
ثَنَاؤُهُ، يُقَصِّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِعِبَادِهِ ^(٢)؟! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي
رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لِاتِّرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا، وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ
خَافَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ
خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا، وَوَعْدًا،
وَكَذَلِكَ مَنْ عَظَمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَثُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ^(٣)،
آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا.

وَلَقَدْ كَانَ ^(٤) فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ
فِي الْأَشْوَةِ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا
وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَظْرَافُهَا، وَوُطِّتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا،
وَقُطِمَ مِنْ رِضَاعِهَا ^(٥)، وَزُويَ عَنْ ^(٦) زَخَارِفِهَا، وَإِنْ شِئْتَ تَنَيْتُ
بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِذْ يَقُولُ ^(٧): (رَبِّ إِنِّي لِمَا

١- في حاشية ش: وكل رجاء الارحاء الله.

٥- في ض وح وب: فطم عن رضاعها.

٢- في ض وب: يضع لعباده وفي ح: يضع به لعباده.

٦- في ك: وقبض عن زخارفها.

٣- في ن وب: موقعها في قلبه.

٧- في ض وح: حيث يقول

٤- في ب: وقد كان.

أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ) وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بِقَلَّةِ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لَهْزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ، وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِيِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟! وَيَأْكُلُ فُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْحَشْنَ، (وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ^(١)) وَكَانَ إِدَامَةُ الْجُوعِ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ^(٢) الْأَظْهَرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعِزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَضُّ لِأَثَرِهِ: قَضَمَ^(٣) الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كُشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ، وَصَغَّرَ

١ - ساقطة من م ون وب ول وش .

٢ - في ش : الاطهر الاطيب .

٣ - في م وك : قضم الدنيا .

شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ (١)
 وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ لِكْفِي بِهِ شِقَاقاً لِّلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ،
 وَلَقَدْ كَانَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ
 جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ،
 وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السَّيْرُ عَلَى بَابِ
 بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانَهُ - لِأَحَدِي أَزْوَاجِهِ -
 غَيْبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا،
 فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ
 تَغِيبَ زِينَتُهَا (٢) عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا
 يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ،
 وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيْبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ
 أَبْغَضَ (٣) شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
 مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ جَاعَ مَعَ خَاصَّتِيهِ، وَزُوِيَتْ
 عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِيهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِيهِ الْأَكْرَمِ
 اللَّهُ (٤) مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ
 (وَأَتَى بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ) (٥) وَإِنْ قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ

١ - في ض وح وب : ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغرا الله ورسوله .

٢ - في ش : من عينه .

٣ - في ب : وكذا من ابغض الله شيئا ابغض من ينظر اليه وفي ل : ولذلك من ابغض شيئا .

٤ - في ض وح وب وش : اكرم الله .

٥ - ساقطة من ش ول ون وف وفي م فقد كذب العظيم وفي ح : فقد كذب والله العظيم فالافك العظيم وفي

الله^(١) قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ
 مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بْنِبِيِّهِ، وَأَقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا
 فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ، عَلَمًا لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنذِرًا بِالْعُقُوبَةِ: خَرَجَ
 مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ
 حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ^(٢)، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ
 عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفَانَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ، وَاللَّهُ
 لَقَدْ رَفَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ
 لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: أَغْرُبُ^(٣) عَنِّي «فَعِندَ
 الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ».

ب : فقد كذب واتى بالالفك العظيم .

١ - في ب : ان الله اهان .

٢ - في ف ون : حتى مضى واجاب .

٣ - في ح وم وب ول : اعزب عني .

الشرح

قوله عليه السلام: امره قضاء وحكمة الى آخره .

ع - لسنا نعلم كنه عظمتك .

قال الوبري أي لانعلم كنه ملكك ومنتهى سلطانك، بل نعلمك حيا
قيوما لا تأخذك سنة ولا نوم .

ع - قد يتعجب بعض الناس من ^(١) أنه كيف يكون موجود لا كيفية له
ولا نظير له، ولا كمية له، ولهذا في الوجود شواهد مثل (الغضب والمحبة)،
فمن طلب كفيتهما لم يعرفها إلا بآثارهما، سوى كفياتهما، لأن ليس
للغضب والمحبة شكل ولون ولا كمية لهما ولا كيفية والخيال هو الذي يطلب
الكيفية والكمية بواسطة الحواس، والمعقول المحض منزه عن أن يكون
متخيلا .

ليعلم كيف أقمت عرشك : العرش السرير والسقف وقوام الشيء : قيل :
والعرش والكرسي الفلك الأقصى والفلك الثابت، وقال بعض العارفين :
العرش مثال مجلس الملك الذي يحضر هناك وزيره، وحول هذه الحجرة
رواق له أبواب، وعلى كل باب نائب من نواب الوزير .

فالأبواب هي البروج ونواب الوزير الثوابت ووراء الباب نقباؤهم
الكواكب المتحيرة، وبين أيدي النقباء، خدم و غلمان، فالخدم والغلمان

ينتظرون ما يرد عليهم من الأوامر والنواهي بوسائط الوزير والنواب والنقباء فيقربون أقوماً ويطردون أقوماً^(١).

فانظر في دار الدنيا حتى تعين سقوفاً بلا عمد، مثل السموات وفرشا مثل الأرض، وخزائن مثل الجبال، وأواني مثل أنواع النبات، وسراجاً مثل القمر، ومشعلة مثل الشمس، وقناديل مثل النجوم، ولكن مثلك مثل نملة لها في قصر الملك قرية ومسكن، فلا يحيط علمها إلا بذخائر قوتها، ومسكنها؛ ولم يحط علمه، بجلال الملك وكماله، وغلماؤه، وخدمه ووزرائه.

قال الله تعالى: وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون^(٢).

الحي: الدائم الذي لا يفنى، ولا يزول، والقيوم، القائم الدائم الذي لا يزول؛ وهو فيقول عن أبي عبيد أي هو القائم على العباد بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، أقمت: بالشيء: إذا وليته.

كيف مددت على مور الماء أرضك: المور، الموج، والمور: الطريق؛ وقد حبس الله تعالى في الأرض تحت الصخور الصم مياهاً ينفجر منها بالتدريج فانها لو لم يكن محبوسة تحت الصخور لسالت وجرت دفعة، وأهلكت الزرع والضرع^(٣) لذلك قال عليه السلام: كيف مددت على مور الماء أي موجة انتهت عقولنا دونه.

العقل يدرك معنى القليل والكثير، وأنها وصفان إضافيان للعدد؛ وله طريق إلى أن يدرك القليل الذي لأقل منه في الأعداد، وليس له طريق إلى

١- في ض: مقربون أقوماً ويطردون أقوماً.

٢- الانبياء: ٣٢.

٣- لزرع: طرح البذر، وقيل: الزرع نبات كل شيء يحرث والزرع الانبات يقال: زرع الله أي أنبت والضرع لكل ذات ظلف وخف أو للشاة والبقر وفي اللسان ضرع الشاة والناقة مدر لبنها والضرع للبهائم كالثدي للمرأة.

إدراك الكثير^(١) المطلق الذي لا أكثر منه فنسبة الكثير المطلق في الإدراك إلى العلم الأزلي كنسبة القليل المطلق، فلا فرق في علم الله تعالى بين القليل المطلق، والكثير المطلق.

والعقل لا يمكنه أن يدرك كيفية إحاطة علم الأزل بذلك بل إدراكها موقوف على المذوق وعلى نور بصر البصيرة. ويختص بهما العارفون ونسبة العقل إلى الذوق كنسبة الشعاع إلى الشمس وانتهاء العقول دون ما ذكره أمير المؤمنين، يضاهي انتهاء الوهم، عند إدراك المدركات العقلية ولذلك قال .

رجع عقله ميهوراً: أي مغلوباً .

وسمعه والهال وفكره حائراً فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاؤه الله فانه مدخول وكل خوف محقق إلا خوف الله فانه معلول .

الدخل: العيب والريبة، يقال دخل فلان، فهو مدخول أي في عقله دخل، ونحلة مدخول أي جوفها عفن .

قال بعض المحققين: الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المرء إلى سرادق النجاة، وقيل إن الخوف مثل السوط، والرجاء مثل الزمام، ويتولد من الرجاء المحبة، ولا مقام وراء المحبة كما قال يحيهم ويحبونه^(٢)، وقال: الذين آمنوا أشد حبا لله^(٣)، وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه، أوحى الله تعالى إلى يعقوب وقال كنت تخاف الذنب وتخاف عصيان أولادك فقاسيت ما قاسيت، ولورجوتني وتوكلت على حفطي وكلائي لكان الأمر بخلاف ذلك ولكن قد جرى القلم .

١- في ض: ادراك الكبير المطلق .

٢- المائة: ٥٤ .

٣- البقرة: ١٥٤ .

فرق بين الرجاء والغرور. فان من ألقى البذر النقي في الأرض الطيبة منتظرا رحمة الله، فهو الراجي فله الرجاء، ومن ألقى البذر الفاسد في السباخ^(١) وينتظر نباته فهو صاحب الغرور، ومن ألقى البذر النقي في الارض الطيبة وما سقاها منتظرا لصيب^(٢) من السماء فهو المتمني والمتشهي، وقال النبي صلى الله عليه وآله ليس الدين بالتمني ولا بالتشهي، والاعراض عن سقي الزرع مع التمكن، وهو العمل الصالح من باب القنوط لا من باب الرجاء.

قال الله تعالى: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفرلنا^(٣).

والخوف: حالة من حالات القلب وله سبب وثمره، فسببه التوحيد والمعرفة، والاطلاع على الخطر، وثمرته تنغيص نيل الشهوات عنده كما أن من وقع في مخالاب الليث لا يخطر بباله ما يشتهي من الأموال والنساء وثمرته في الظاهر الاجتناب عن المعاصي فمن منعه الخوف عن الحرام، فهو ورع ومن منعه الخوف عن الشهوات فهو عفيف.

من منعه الخوف من الشبهات وعن الرخص المؤدية الى الحرام فهو المتقي، ومن منعه الخوف عمالا يعنيه وعمما سوا منجياته، فهو الصديق فأعلى درجات الخائفين، الصديق، ثم التقوى، ثم العفة ثم الورع فهذه علامات الرجاء والخوف.

الضمائر: ما لا يرجي من الدين والوعد: وكل ما لا يكن منه على ثقة

قال الراعي:

١- السباخ: جمع سبخة وهي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر.
٢- في حديث الاستسقاء: اللهم اسقنا غيثا صيبا أي منهرا متدفقا، اصله من صاب يصوب اذا نزل.
٣- الاعراف: ١٩٦.

حمدن مزاره فاصبن منه * عطاً لم يكن عدة ضمارة
والاسوة: القدوة .

كان ادامة الجوع: أي لا يأكل الخبز حتى يشتد جوعه وحينئذ لا يشتهي
الادام فان الادام مطلوب عند الجوع المتوسط لا الغالب .

وريحانه ما تنبت الارض للبهائم: هي البقول الماكولة فتأس بنبيك:
أي الزم سنته وعادته وتقربه .

اهضم أهل الدنيا كشحا: يقال كشح مهضم^(١) ومزمار مهضم لأنه فيما
يقال اكسار يضم بعضها إلى بعض قال الشاعر:

بركت على جنب الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم^(٢)
خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما .

كانت عائشة تقول في تأبين^(٣) المصطفى صلى الله عليه وآله يا من لم
ينم على الحصير، ولم يلبس الحرير، ولم يشبع قط من خبر الشعير.
عند الصباح يحمد القوم السرى .

هذا مثل للعرب وأول من قاله خالد بن الوليد حين أمره (صاحب رسول
الله صلى الله عليه وآله في الغار^(٤)) ابوبكر بأن يسير من اليمامة إلى العراق
مع جيشه، فقال له رافع^(٥) الطائي تلك مفازة سلكتها في الجاهلية، وهي

١ - الكشح: الباطن والكاشح: العدو الذي يضم عداوته ويطوي عليها كشحة اي باطنه والهضم التحريك
انضمام الجنسين، والمزمار: الآلة التي يزمربها وفي الحديث لقد اعطيت زممارا من زممير آل داود شبه حسن
صوته وحلاوة نغمته بصوت الزمار والهضم التي يزمربها .

٢ - الشعر لعنترة كما في تاج العروس (هضم) .

٣ - ابنه: مدحه واثنى عليه، والتابن: الثناء على المرء بعد موته .

٤ - بين الهلالين ساقط في ض .

٥ - رافع بن عميرة ويقال: رافع بن ابي رافع الطائي، يكنى ابا الحسن وهو كان دليل خالد بن الوليد
لما سار من العراق الى الشام فسلك به البر فقطعه في خمسة ايام، وهو الذي كلمه الذئب وكان لصا في
الجاهلية فدعاه الذئب الى اللحوق برسول الله صلى الله عليه وآله مات سنة ٢٣ .

خمس للابل^(١)، فاشترى خالد مائة شارف^(٢) فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كعم أفواهاها وحمل من الماء ما قدر على حمله وسلك المفازة^(٣).

فلما خاف هلاكه وهلاك جنده من العطش في الليلة الرابعة، نحر الابل واستئزف ما في بطونها من الماء وسقي الجند فقال له رافع: إن سرى تلك الليلة ربما يوصلنا الى الماء فأطاعه خالد وأذرع^(٤) الليل وسرى فلما انفلق الصبح قال رافع انظروا هل ترون من بعيد سدرا عظاما، فنظروا فأوا السدر فكبر رافع وكبر خالد ووصلوا الى الماء، فقال خالد:

لله درا رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى^(٥)
خمسا إذا ساربه الجيش بكى * ما سارها من قبله إنس يرى
عند الصباح يحمد القوم السرى * وينجلي عنهم غيابات الكرى
يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة وقد عبر الشاعر عن معناه
حيث قال:

كأنك لم تبعث من الدهر ليلة * اذا أنت أدركت التي كنت تطلب
والسرى والأسرى سير الليل خاصة؛ وهما لازمان وتعديتهما بالياء، قال
الله تعالى أسرى بعبد، وقال فأسر بأهلك .

ج — أمر الله قضاء: أي كل ما يأمر به شرعا؛ فهو ايجاب والزام^(٦)

١ — اي خمس مراحل .

٢ — الشارف : الناقة الجيسة .

٣ — المفازة : البرية القفر والجمع المفاوز سميت بذلك لانها مهلكة من فوز اذا مات وقيل : سميت تفاؤلا من الفوز : النجاة .

٤ — وفي صفة صلى الله عليه وآله كان زريع المشى : اي سريع المشى واسع الخطو وأذرع الليل : اسرع في المشى .

٥ — قراقر بضم اوله وبعد الالف قاف اخرى مكسورة وراء وهو واد لكلب بالسماءة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصد الشام والسوى بضم اوله والقصر اسم ماه لبهراء من ناحية السماءة وعليه مر خالد بن الوليد ومعه دليله رافع الطائي .

٦ — في ض : والزام يتضمن مصلحة يطابق الحكمة .

وإنما حمده تعالى على ما أخذ وابتلى لأنه تعالى إذا علم أن صلاح العبد في دينه الفقر أو المرض وإن ترك ذلك مفسدة في دينه ففعله نعمة إذ المصالح الدينية من أعظم النعم حمداً .

يبلغ ما أردت: مراده تعالى من المكلف أن يعبدَه ليستحق بعبادته الثواب .

حمداً لا يحجب عنك: بأن يكون صادراً عن يقين وإخلاص وإنما يحجب الحمد وغيره من الله تعالى إذا صدر عن رياء أو فقد إيمان (وايقان^(١)) .

لا يقصر دونك: أي لا يحبس .

(وما في الذي نرى: استفهامية وفي ما تغيب: موصولة^(٢)) .

لسنا نعلم كنه عظمتك: أي معلوماتك ومقدوراتك، وما غاب عنا من عجائب صنعك، وقد روي أن الأرضين السبع والسموات السبع وما فيهن بالإضافة إلى العرش كحلقة ملقاة في مفازة عظيمة .

الحسير: التعب والواله: المتحير والجائر: العادل .

تدعي بزعمه أنه يرجو الله أي يزعم أنه راج لله وخائف منه، ولا يظهر لذلك علامة إذ لا يطلب رضاه تعالى، بل ينقطع إلى الدنيا وأن رجا غيره تعالى أو خافه بالغ في ذلك .

عنى بالكبير الثواب وبالصغير عرض الدنيا .

والزخرف: الزينة وروي قبض والشفيف: الرقيق ستشف ما وراه .

وشذب الشجر: قطع ما تفرق من أغصانه وجذع مشذب مقشر وتشذب مطاوعته .

١ - ساقط من ض .

٢ - ساقط من ض .

وسفيف الخوص نسيجه والخوص ورق النخل جمع خوصة .
ولفته عن رأيه صرفه .

والقضم : الأكل بأطراف الأسنان وروي قضم الدنيا أي كسرها وكسر
شهواتها .

والخميص : الضامر البطن وكذا الأهضم لقلة الأكل .

والمدرعة : القميص اعزب : أي ابعده ، والمؤمن إذا ورد عرصة القيامة
سالما آمنا حمد تبعه وكلفته في الدنيا كما أن سائر الليل يحمد سيره إذا
أصبح وقد بلغ المنزل .

١٥٩ - ومن خطبة له عليه السلام

إِبْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ^(١) ، وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ ، وَالْمُنْهَاجَ
الْبَادِي ، وَالكِتَابَ الْهَادِيَ : أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ
شَجَرَةٍ : أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدَلَةٌ ^(٢) مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ ،
وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلَابِهَا ذِكْرُهُ ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ ، أَرْسَلَهُ
بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ ، أَظْهَرَ بِهِ
الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَّ بِهِ
الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ ^(٣) غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ
شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمَ كَبْوَتُهُ ، وَيَكُنْ ^(٤) مَابَهُ إِلَى
الْحُزْنِ الطَّوِيلِ ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ .

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدِّيَّةَ
إِلَى جَنَّتِهِ ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ . أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ
بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا ، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا ، رَهَّبَ
فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا
وَأَنْتِقَالَهَا ، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ ^(٥) فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ

١ - في ب ون : بعثه بالنور .

٤ - في ب : ويكون مآبه .

٢ - في م : وثمارها متبدلة في الهامش مهدلة .

٥ - في م وحاشية ف : يعجبكم منها .

٣ - في نسخة فمن يتبع .

مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ (١) !
فَغَضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيَقَنْتُمْ (٢) بِهِ
مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالِهَا، فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ،
وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ
قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ
وَأَسْمَاعُهُمْ (٣)، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَأَنْقَطَعَ سُورُهُمْ
وَنَعِيمُهُمْ، فَبَدَّلُوا (٤) بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ
مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتَفَاخِرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا
يَتَحَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ
لِشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ (٥)؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ،
وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

١- في م : من رضوان فغضوا .

٢- في ض وح وب : لما ايقنتم .

٣- في م وف ون ول : زالت اسماعهم وأبصارهم .

٤- في م : فتبدلوا بقرب الاولاد .

٥- في ش : الناطق بعقله .

الشرح

قوله عليه السلام : بعثه بالنور المضي إلى آخره .

ج - المنهاج البادي : أي الطريق الواضح الظاهر عني به الاسلام أو القرآن ؛ وأكده بذكر الكتاب بعده .

وأسرة الرجل : رهطه معتدلة : أي مستقيمة والاعتدال المطلق ، والاستقامة العامة لا يوجد الا في المتحلين بحلية العصمة .

متهدلة : أي متدلّية أي خيراتهم للخلائق مرسلة .

وطيبة : إسم للمدينة ، وكانت قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله إياها موضع الحميات فأذهب الله منها ذلك بدعائه .

البدع المدخولة : أي المعينة .

الأحكام المفصولة : أي الشرايع المقطوعة المتروكة ؛ من ملة إبراهيم .

والعذاب الوبيل : الثقل الشديد ومرتع وبيل أي وخيم لا يستمر عاقبته .

السبيل القاصد : القريب الهين السير لا تعب فيه ولا بطأ .

المنجاة : بمعنى النجاة^(١) أو موضع النجاة أي تقوى الله نجاة ، وطاعته

موضع نجاة والدنيا أقرب دار من سخط الله ، من قول النبي صلى الله عليه وآله

١ - في ض هنا زيادة وهي : اوصيكم بتقوى الله وطاعته فانه النجاة غدا والمنجاة ابدا اي تقوى الله وطاعته سبب النجاة في الآخرة بل هي الوسيطة والوسيلة الى النجاة على الاطلاق دنيا وآخرة واولى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا .

حب الدنيا رأس كل خطيئة .

فغضوا عنكم غمومها : أي كفوها وادفعوها .

والأوصال : الأعضاء والتحاور : المناظرة وبالجميم المجاورة .

والجدد : الأرض الصلبة يسهل فيها المشي .

وقصد : أي مستقيم .

(ع : أظهر به الشرائع المجهولة .

أي أظهر بالنبي صلى الله عليه وآله ما لو يكن للعقل فيه مجال، وكان

مجهولا من طريق العقل .

والمنجاة أبدا : أي التقوى منجاة في الدنيا والآخرة^(١)

فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها (لا شك أن زينة

الحياة الدنيا غدارة خلافة^(٢) ولكن لا يصحب الانسان منها) إلا ما قدمه لنفسه

«يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا^(٣)» وأيضاً فإن الدنيا مزرعة

الآخرة ولا يصحب الانسان منها إلا قليل، وهو مأكولة وملبوسة، ويجب أن

يكون إشتغاله بأسباب المعاد، ولا يشتغل بأسباب المعاش، إلا لطلب أسباب

المعاد .

السييل قصد : أي بين الاسراف والتقتير^(٤)، والقصد العدل .

* * *

١ — بين الملّالين ساقط في ض .

٢ — الخلافة : الخداعة وكان من الخلافة وهي الخداع بالقول اللطيف .

٣ — آل عمران : ٣٠ .

٤ — الافتار : التضيق على الانسان في الرزق، يقال : اقتر الله رزقه : أي ضيقه وقلله .

١٦٠ - ومن كلام له عليه السلام

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم

أحق به؟ فقال:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ؛ إِنَّكَ لِقَلْقُ الْوَضِيِّنِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ
سَدَدٍ! وَلَكَ بَعْدُ^(١) ذِمَامَةُ الصَّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ
أَسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَنَحْنُ
الْأَغْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،
نَوْطًا - فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ
عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَدَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ * وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ
أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ ابْتِكَائِهِ، وَلَا غَرَوَ وَاللَّهِ
فِيَالَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوْدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ
إِظْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِضْبَاجِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ. وَجَدَحُوا
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبَيْئًا. فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَجِنُّ
الْبَلَوَى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى

(فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ؛ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

الشرح

قوله عليه السلام: إنك لقلق الوضين الى آخره.

ع — الوضين: الهودج بمنزلة البطان للقتب، والتصدير للرحل والجمع
وضن قال أبو عبيدة وضين بمعنى موضون، مثل قتيل بمعنى مقتول، فلان قلق
الوضين اذا كان مترددا غير متمكن كان ذلك السائل من أقارب ليلى بنت
مسعود بن^(١) خالد ولىلى كانت امرأة أمير المؤمنين ولها من أمير المؤمنين
عبدالله وابوبكر ولذلك قال عليه لسلام:

لك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة.

السداد: بالفتح الاستقامة والصواب، وكذلك السدد مقصود منه.

والنوط: التعليق والأثرة: والاثارة البقية.

فدع عنك نهبا صيح في حجرته * ولكن حديث ما حديث الرواحل

وهو لامرء القيس^(٢) والنهب: الغارة، وصيح: في أي سيق.

والحجرة: الناحية: وقصة البيت أن امرء القيس هرب من ملك العرب

فاستجار رجلا من طي فاغير على ماله؛ وخرج جاره على رواحله في طلب

١ — مسعود بن خالد النشلهي او الدارمي ولم نجد له ترجمة وقال في البحار ج ٤٢ ص ٩٨ نكح علي عليه السلام ليلى بنت مسعود النشلهي قالت: ما زلت احب ان يكون بيني وبينه سبب منذ رأته فاقام مقاما من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ — امرؤ القيس بن حجر الكندي هو حامل لواء الشعر في الجاهلية كان من فحول الشعراء وله المعلقة المشهورة وينتهي نسبة الى قحطان ولد بديار بني اسد، واجاد وصف النساء والظباء وكان كثير التشيب بالنساء في شعره فكان ابوه يكرهه لذلك وله اخبار كثيرة.

الابل وذهب فكان أسفه على الثاني أكثر^(١).

الاود: العوج والميل حدجوا: أي خلطوا ولتتوا.

قال الامام الوبري أثره: من الاثيار أي كانوا مختارين؛ اختارهم الخلق

للامامة؛ وسمي عقد الامامة بالاختيار اثره، لا تباع بعضهم رأي بعض.

وقوله شحت عليها نفوس قوم.

أي اختاروا الامامة واحبوها، ولما رأوا إصلاحه وسخت عنها نفوس

الآخرين؛ أي عرضوا عن الانتصاف للامامة لما لم يروا إصلاحه في ذلك

الوقت.

ج - استأثر فلان بالشيء: استبد به؛ والاسم الأثرة (وقصة البيت أن

هذا الشاعر جاور حيا من أحياء العرب فغزاهم عدوهم ورجالهم غيب فساقوا

إبل القبيلة، وبعض جمالات الشاعر، فلما انصرف رجال الحي قالوا للشاعر:

أعطنا جمالاتك الباقية لنركبها ونسترد الجمالات التي ساقوها، فذهبوا بالباقية

واهلكوها فلما رجعوا قالوا تطيبيا لقلب الشاعر نحن نفعل كذا وكذا.

فقال الشاعر لرئيسهم ذلك البيت أي عد عن ذكر الجمال التي ساقتها

الأعداء وصاحت في نواحيها؛ ولكن الشأن حديث التي ركبتموها وخرجتم

بها في أثرهم فما حالها، وحديثها^(٢).

هلم: أي هات، ويكون لازما بمعنى تعال.

قال الأصمعي أصله لم من لم الله شعثه أي جمعه؛ وها للتنبيه كأنه أراد

لم نفسك الينا أي أقرب وحذف ألفها لكثرة الاستعمال.

١ - في ض زيادة وهي: اراد علي عليه السلام ان المتقدمين علي في مقامي والمتغلبين علي سلطاني مع سابقتي وقرايتي وعلو مكاني انما استمرا ذلك لهم لاختلاف الناس علي وتأخرهم عني وميلهم الي غيري مع انه انساني جميع ذلك ما عراني من امر معاوية ومنازعتة اياي مع انه المائل عن الطريق.

٢ - بين الهالين ساقط في ض.

لاغرو: أي لا عجب وفارت القدر: جاشت ومنه الفوارة .
 ووييت الأرض: فهي موبوءة: إذا كثر مرضها ووبئ الشراب فهو وبئ
 إذا صار سبب الأمراض أي^(١) خلطوا بيني وبينهم أمرا يكثر فساده .

* * *

١ - في ض: إذا صار سبب الامراض وان لم يكن الاخرى اي ان يقع الخصلة وهي استمرار المحن وعدم
 انجلائها فلا تهلكن نفسك حسرة واسفا على ذلك فان الله عليهم باحوالهم وهو يجازيهم على سوء فعالهم .

١٦١ - ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِعِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ،
وَمُخْصِبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ،
هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ
الشَّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ ^(١) مِنْ شَبَهَاتِهَا،
لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ
لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ
«مِمَّا»، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ «فِيمَا»، لَا شَبَحٌ فَيَتَّقِضِي، وَلَا
مَحْجُوبٌ فَيُخَوِي. لَمْ يَقْرُبْ مِنْ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ
عَنْهَا بِافْتِرَاقِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لَحْظَةٌ، وَلَا
كُرُورٌ لَفْظَةٌ، وَلَا أَزْدِلَافٌ رَبْوَةٌ ^(٢)، وَلَا انْبِسَاطٌ خَطْوَةٌ فِي لَيْلٍ
دَاجٍ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ
الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْكُرُورِ ^(٣)، وَتَقَلِّبُ الْأَزْمَنَةَ
وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْتِبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ

١- في ف ور: ابانة لها .

٢- في ك ور: رتوة .

٣- في ف وم ون ول وش : في الكرور وتقليب الازمنة .

غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلَّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَتَحَلَّهُ الْمُحَدِّثُونَ
 مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنَهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ،
 وَتَمَكِّنِ الْأَمَاكِينِ: فَالْحَدُّ لَخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ
 مَنَسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقْ الْأَشْيَاءَ، مِنْ أَصُولِ أَزَلِّيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ
 أَبَدِيَّةٍ^(١)؛ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ،
 فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ
 انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ
 وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ^(٢)
 السُّفْلَى.

منها: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي
 ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ
 طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ،
 تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا: لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ
 أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ
 مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمَّكَ؟ وَعَرَّفَكَ
 عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجَزُ
 عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ؛
 وَمَنْ تَنَاقَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

١- في ب: ولا اوائل ابدية.

٢- في ب الارض السفلى.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله خالق العباد إلى آخره .

ع— أصل الخلق؛ التقدر قال زهير:

ولانت تفري ما خلقت * وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
والله تعالى خالق لأنه قدر الأشياء كلها ثم أمضاها؛ وهو الخالق في
ابتدائه الخلق والخلائق في تتميمه إياه إلى آخر الدهر بعلم وحكمة وصلاح .
والخالق: المقدر بعلم كامل؛ ولا يقال للانسان الخالق لأن العاملة
الحقيقية لله تعالى لا للعباد؛ لذلك قال تعالى: هل من خالق غير الله^(١) .
الوهدة: المكان المطمئن؛ والجمع وهدو وهاد^(١) .
وهو تعالى أول: لأنه لم يزل قبل كل شيء فاحدث الأشياء بعد أن لم
يكن .

حد الأشياء عند خلقه إبانة لها من شبهها .

يعني ميز بين الأشياء بالفصول الذاتية والخاصية ليبين النوع من النوع
وبالعوارض ليبين الصنف بعضه من بعض .

لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والأدوات .

١— في ض هنا اضافة وهي: اي يجرى السيول في الغدر والغيطان والاولدية وتثبت العشب في التلال واعالى
الامكنة والنجد اجمع نجد ويجمع على نجود وهو ما ارتفع من الارض ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء لانه
الواجب الذات بالذات المتعالى عن عوارض التغيير والواجب مطلقا المتعالى عن مسارقة الزمان لا يتصور له اول
ولا آخر.

أي لا يقدر الأوهام بالحدود المكانية والزمانية .

لا يقال له متى : لأن الأوقات محدثة، فلا يصحب إلا الحوادث، وإذا كان الله قديما فلا تعلق بينه وبين الاوقات، ولا يجوز أن يقال : متى كان الله لأنه لفظ لوقت معين فلا مدخل له في صفات الله تعالى .

كذلك حتى : لفظ لوقت مستقبل الظاهر، لا يقال : مما لأنه ظهر من كذا إذا كان ذلك ^(١) ظرفا لما ظهر إما ظرف مكان أو ظرف زمان أو صدر من جهة فاعل تعالى الله عن جميع ذلك علوا كبيرا .

والباطن لا يقال فيما : لأنه إنما يخفى الشيء في غيره فيكون باطنا فيه إما بالمجاورة ^(٢) ثم يظهر منه، فكما لا يقال ظهر من كذا لا يقال بطن في كذا لأن أحدهما يتبع الآخر في الجواز والامتناع .

لاشبح فينقضي : أي ليس بجسم فينتهي قواه، وقد تقرر في الأصول أنه ما من جسم إلا وينتهي قواه ويفنى .

ولا إزدلاف ربوة، الربوة: المكان المرتفع ^(٣) وروي رتوا بالتاء أي خطوة .

من صفات الأقدار: أي من المقادير .

والتأثيل، التأصيل يقال مجد موثل وأثيل (قال امرئ القيس ^(٤))

١- في ض : إذا كان ذلك الشيء ظرفا .

٢- في ض : اما بالمجاورة او الحلول .

٣- في ض هنا زيادة وهي : الربو النفس العالي و بالتاء الخطوة تفيا ينقلب بعقبة تنوبه و روي تعقبه اي تاني بعده .

٤- ابن الملاين ساقط في ض و بعده زيادة على سائر النسخ وهي : لم يخل الأشياء من اصول ازية ولا من اوائل ابدية هذا بيان صحيح ورد صريح على اصحاب الهيولي والعناصر من الملاحدة وعل المتقفين لآثارهم اللافظين سقاطة الفاظهم الداخليين في غمار جهالاتهم وغيابة عما ياتهم من مثبتي الذات ازلا متميزات وبصفات اجناسها متصفات

ولكنما أسعى لمجد موثل * وقد يدرك المجد الموثل امثالي
لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية: في العدم اذ
بعض الشيء لا يخالف بعضه في صفة ذاته وأن كانت الفروع محدثة، فلا بد
من محدث لها فان كان محدثها، هو الله تعالى فاضافتها اليه تعالى أولى من
اضافتها إلى الأصول لأن تعلق الفعل بفاعله أحق بمن تعلقه بغيره وإن كان
محدثها هي الأصول .

فان كانت مختارة فهي الفاعل، وإن كانت موجبة فالفروع مع الأصول
قديمة لأن الموجب لا ينفك عن الموجب .

لاتحير دعاء: أي لاتجيب إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة
والأدوات، فهو عن صفات خالقه أعجز، في الاعتراف بالعجز عن إدراك هذه
المعاني تفاوت عظيم، ولعل النفس الانسانية اذا استغرقها العجز عن إدراك
كمال العجز، فقد صارت مدركة للعجز من طريق المعرفة لامن طريق
المقدمات .

قيل العجز عن درك الادراك ادراك ، وقيل من عرف الله كلّ لسانه،
والله تعالى محيط بالعقل، وفوق العقل، فكيف يتصور أن يحيط العقل به،
وبصفاته وإحاطة الجزء بالكل في غاية البعد، و من قصر فهمه عن إدراك هذا
العجز فهو لقلّة استعداده لادراك عجزه وليس لقصوره مستند الا غروره وعجبه .
ج — سطح الأرض: أي بسطها، والمهاد: الفراش وعني به الأرض هنا

→
ياعيانها ثابته وفي ثبوتها واتصافها بصفاتهما عن المؤثراتيات وعن تعلق اقتدار القادر القديم بحقائقها نفيًا
وإثباتًا وتحقيقًا وإبطالًا ممتنع حتى عدوا في زمرة اولئك الاوائل المتقدمين بتلك الأعاليل والأضاليل والجهاليل
استاصل الله شاقة الزنادقة المتفقهين وأخيب جرائيم الضالين المضلين

وقت في اعضاء المنحرفين المماذقين العابثين غنت الذين اجمعين وقد استقصيت في ابطال شبههم وبالغت في
تلخيص الادلة في رسالتي الموسومة بالبراهين الجلية في ابطال الذوات الازلية فمن احاط بذلك علما فاز بالقدح
المعلّى حقًا .

لسهولتها تحت الناس .

الأوهام: الظنون ويكون الوهم بمعنى الشك ويكون ظنا لا يكون مطنونه عليه .

وشخص لحظة: أي ارتفاعها وشخص بصره شخصا إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف

والازدلاف: التقدم .

يتفياً: أي يتقلب تعقبه: أي تنوبه وروي يعقبه أي تأتي بعده .

والقطر: الجانب وتأثل مالا: أي عقده للانتفاع به .

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية .

إشارة إلى بطلان القول بالهوى ، وإنما قال :

بدئت من صلالة من طين :

لأن أصل الناس من التراب ، وهو آدم عليه السلام ولأن النطفة التي

خلق منها كل انسان اصلها من التراب لأن غذاه الذي هو الحبوب منها .

* * *

١٦٢ - ومن خطبة له عليه السلام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا مما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال :-

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَلَا أَذُكُّكَ عَلَى^(١) أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبْلِغُكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْتَنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا صَحِبْنَا، وَمَا أَبْنُ أَبِي فُحَاقَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ^(٢) الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَيْجَةَ^(٣) رَجِمَ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا، فَاللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ، وَاللَّهُ، مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمِي، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِي وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ^(٤) لَنَيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ،

١ - في ب : على شيء لا تعرفه .

٣ - في حاشية ش : وشيخة قرابة .

٢ - في ح ول : بعمل الخير .

٤ - في م : وان السنن لكثيرة .

وَإِنَّ الْبِدْعَ لَظَاهِرَةٌ لَهُ أَغْلَامٌ. وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ
 ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُودَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَثْرُوكَةً، وَإِنِّي
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُوتَى يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ، يُلْقَى فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى: ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا،
 وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهُ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ
 يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَتُثَبَّتُ الْفِتْنُ فِيهَا،
 فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمْوِجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرَجُونَ
 فِيهَا، مَرَجًا، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ
 جَلَالِ السَّنِّ، وَتَقْضِي الْعُمْرَ!!

فقال له عثمان رضي الله عنه: كلم الناس في أن يؤجلوني حتى
 أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:
 مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ
 إِلَيْهِ.

الشرح

قوله استسفروني: أي جعلوني سفيرا ورسولا.
 ما أعرف شيئا تجهله: أي شاهدت ما شاهدته، من سيرة النبي صلى
 الله عليه وآله وعدل، ومعايشه مع الأمة، وأنه كان يقسم بالسوية^(١) ويقوم

١ - في ض: فلا استحقاق ولم يرد عليه السلام بذلك التسوية في العلوم لتحقق انه مبرا من المين.

المسلمين بلا استحقاق ولم يرد عليه السلام بذلك التسوية في العلوم لتحقق انه كان مبدأ من الميز والمين . وقد يطلق اللفظ ويراد به المخصوص بقريئة الحال والقال .

بالحق في الرعية غير كلف بأقاربه ولا يفضل إياهم على غيرهم من المسلمين ، وقد يطلق اللفظ ويراد به المخصوص بقريئة الحال والقال .
الوشيجة : عرق الشجرة .

يمرجون : أي يخلطون سيقة : أي مسوقة .

قوله عليه السلام في خلقه الطاوس .

ع — الطوس : القمر وطاس يطوس طوسا حسن وجهه ، والطاوس في كلام أهل الشام الجميل من الرجال وسمي هذا الطائر طاووسا لحسنه .
والعبالة : الضخامة أراد مثل النعام والطيور الكثيفة ودفيف الطائر : مره فويق الارض والمطل : المشرف قال الشاعر :

أنا البازي المطل على تمير^(١)

القلع : الشراع^(٢) الداري مهموز الذي يطراً عليك^(٣) من مكان ، والبعير الذي بحلقه وصدرة خراج ، والداري : الدافع عن نفسه الشيء الداري بتشديد الياء منسوب الى دارين فرضة^(٤) بالبحرين وفيها سوق يحمل اليها المسك والثياب المصبوغة من بلاد الهند أراد شراع داري .

* * *

١ — الشعر لجرير كما في تاج العروس (طلل) وقامه :

انا البازي الطل على نير تحت من السماء لها انصبابا

٢ — شراع السفينة بالكسر : ما يرفع فوقها من ثوب لتدخل فيه الريح فتجريها .

٣ — طراً : ورد وأقبل يقال طراً يطراً مهموزا اذا جاء مفاجأة .

٤ — دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند والنسبة إليها دراوي .

١٦٣ - ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَيَّ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَيَّ وَخَدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فَجَاجِهَا وَرَاسِيِ أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَوَاتِ^(١) أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتِ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفَرَفَةٍ، بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُفْسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ، كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ مُخْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ خَلَقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي^(٢) الْهَوَاءِ خُفُوفًا، وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيفًا، وَنَسَقَهَا عَلَيَّ اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبٍ، لَوْنٌ لِأَيْشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَاغْمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ

١ - في ض وح وب : من ذات اجنحة .

٢ - في ف ون وم : في السماء .

طَوَّقَ بِخِلَافٍ مَا صَبَغَ بِهِ .

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ،
وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحِ أَشْرَجِ قَصَبِهِ ، وَذَنَبِ
أَطَالَ مَسْحَبَهُ ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيْهِ ، وَسَمَّا بِهِ
مُظَلًّا عَلَى رَأْسِهِ ، كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيَهُ يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ ،
وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ ، يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدَّيْكَةِ ، وَيَوْرُ بِمَلَأَقِحَةٍ (أَرَّ
الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضَّرَابِ^(١)) أَحْيَلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى
مُعَايِنَتِهِ ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ
مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَنْسِجُهَا مَدَامِعُهُ^(٢) ، فَتَقِفُ فِي
صِفَّتِي جُفُونِهِ ، وَإِنَّ أَنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاجِ
فَحَلِي سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبِجِسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ
الْغُرَابِ تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أَنْبَتَ عَلَيْهِ مِنْ
عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعِيقِيَانِ وَفِلْدِ الزَّبْرَجْدِ ؛ فَإِنَّ
شَبْهَتَهُ بِمَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ قُلْتُ : جَنَى جُنَى مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ
رَبِيعٍ ؛ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ ، فَهُوَ كَمَوْشَى الْحُلَلِ ، أَوْ
مُونِقٍ^(٣) عَضِبِ السِّمَنِ ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَقُصُوصِ ذَاتِ
الْوَانَ قَدْ نُظِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِيِّ ، يَمْشِي مَشَى الْمَرْجِ
الْمُخْتَالِ ، وَيَتَصَفَّحُ^(٤) ذَنَبَهُ وَجَنَاحِيهِ فَيُقَهِّقُهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ

١ - ساقطة من ف ون وش وفي ب : المغتلمة في الضراب .

٢ - في ض وم ون وح : تسفحها مدامعه وفي ك : وبخط الرضى : تنسجها وفي ل : تنسجها .

٣ - في ض وح : كمونق .

٤ - في م : يتصفخ .

سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغٍ وَشَاحِيهِ .

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوَلًا (بِصَوْتِ^(١)) يَكَادُ
يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ . وَيَشْهَدُ بِصَادِقٍ تَوَجُّعِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ
حُمُشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ
سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مُوشَاءُ،
وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ
الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةِ مِرَاءَةٍ ذَاتِ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ
مُتَلِفَعٌ^(٢) بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ^(٣) وَشِدَّةِ
بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ مَوْعَعٌ فَتَقِي سَمْعِهِ خَطٌّ
كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحَوَانِ، أَبْيَضٌ يَقْقُ، فَهُوَ
بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ وَقَلٌّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ
بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيْقِهِ وَبِصَيْصِ دِيْبَاجِهِ
وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيْعٍ، وَلَا
شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَتَحَسِرُ^(٤) مِنْ رِيْشِهِ، وَيَعْرِى مِنْ لِبَاسِهِ
فَيَسْقُطُ تَشْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ أَنْجِثَاتُ
أُورَاقِ الْأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلَاحِقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ
سُقُوطِهِ؛ لَا يُخَالِفُ سَالِفُ السَالِفِ الْوَانِيهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ
مَكَانِهِ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتِكَ حُمْرَةً
وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً، وَأَخْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، وَكَيْفَ

١ - ساقط من ب .

٣ - في ف لكثرة ما به

٤ - في ك و ح : قد ينحسر

٢ - في ف و م ع متلفع

تَصِلُ^(١) إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطْنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَأَفْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَلْسِنَةُ أَنْ تَصِفَهُ؟! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ، عَنِ وَصْفِ خَلْقِ جَلَاءَةِ الْعُيُونِ فَأَذْرَكَهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمَوْلَافاً مُلَوَّناً؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنِ تَلْخِصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنِ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْفَيْلَةِ^(٢)؛ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبْحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْجِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها في صفة الجنة:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ^(٣) نَفْسُكَ مِنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ عُيْبَتِ عُرُوقِهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا؛ وَفِي تَغْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّوْلُو الرِّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَظُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا، تُحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ، فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَيُظَافُ عَلَى نُزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا بِالْأَغْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ

١ - في ض وب وح ول وش : فكيف تصل . ٣ - في ض وب : لغرت وفي ب : لغرت من بدائع .

٢ - في ش : والافيلة

الْكَرَامَةُ تَتَمَادِي بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ
الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِيعُ بِالْوُضُوءِ إِلَى مَا
يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِيرِ الْمُوْنِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا
إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَلْتْ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوِرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ
أَسْتَعْجَالًا بِهَا، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ
الْأَبْرَارِ بِرِخْمَتِهِ.

الشرح

العنج: ضرب من رياضة البعير يجذب الراكب خطامة فيرده على
رجليه، وقد عنجت البعير أعنجه: بالضم والاسم منه العنج بالتحريك، وفي
المثل عود تعلم العنج.

والنوتي: الملاح وزاف البعير يزيف: أي تبخر في مشيته: وكذلك
الحمام عند الحمامة إذا جرّ الذنابي ودفع مقدمه ومؤخره واستدار عليها وناقة
زيافة أي مختالة قال الشاعر:

زيافة مثل الفتيق المكدم.

وأفضى الرجل إلى المرأة: باشرها والأتر: الجماع.

مطاعمة الغراب: سفاده على وجه يشبه المطاعمة كما ذكر في كتاب

الحيوان.

المداري: شيء كالمسلة^(١) تصلح به الماشطة قرون النساء.

الفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال، الجمع فلذ.

وأحمش الساقين: دقيقهما.

وأخلس النبات: اختلط رطبه ويابسه وأخلس رأسه أي خالط سواده
البياض ومن ذلك الخلاسية^(١).

والوسمة بكسر السين العظم، الذي تختضب به .
والبصيص: البريق، وأربت السحابة أي دامت، وربّ الصنيفة أي
أصلحها وأتمها .

ودمج الشيء دموجا: اذا أدخل في الشيء واستحكم فيه، وأدمجت
الشيء لففته في ثوب والشيء المدمج المدرج مع ملابسة .
والوأي الوعد .

يضطرب شبح مما اولج فيه الروح: أي له حركات إرادية نفسانية .
عزفت نفسي عن الشيء عزوفا أي زهدت فيه، وانصرفت عنه، وعزفت
نفسك زهدت .

الكباسة: بالكسر العذق^(٢) وهو من التمر بمزلة العنقود من العنب .
العسلج والعسلوج، بالضم مالان واخضر من قضبان الشجر والكرم أول ما
ينبت .

ج — خلفا: مصدر من غير لفظ الفعل المتقدم او نصب على التمييز/ أراد
بالعقول: العقلاء .

نعقت: صاحت، والأخدود شق في الأرض مستطيل .
الفجاج: الطرق الواسعة بين الجبلين .
ورفرف الطائر: حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .
والعبالة: الغلظة والخفوف النهوض .

والتنضيد: مبالغة النضد وهو وضع المتاع بعضه على بعض .

١— صبي خلاسي: اذا كان بين ابيض واسود .

٢— العذق بالفتح: النخلة .

والقصب: أنابيب من جوهر وثياب كتان دقاقا أيضا .
 ودرج: أي مشى واشرجت العيبة: (١) اذا دخلت بين أشراجها .
 وتسفحها: تصبها وبخط الرضي تنسجها، وروي تنشجها، والنشج
 الشرب دون الري .

الدمع المنبجس والمتبجس الذي يجيء قليلا قليلا والدارة: في الأصل
 الهالة (٢) واستعمالها هنا مجاز .

والعقبان: الذهب ضاهيته: شبهته .

والعصب: نوع من الثياب واللجين: الفضة .

والنطاق: شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها، ثم ترسل الاعلى على
 الأسفل إلى الركبة والأسفل ينجر على الارض، ونطقت أي شدت عليها
 ذلك .

المدرى: القرن والمكلل الذي أدبر عليه بما يرفعه من الاكليل وروضة
 مكلفة أي حفت بالنور .

ويتصفح ذنبه: أي ينظر اليه زقا: صوت معولا: باكيا مع حزن .

الديك الخلاسي: الذي بين الأهلي والهندي، ويقال ذلك لكثير من
 الحيوانات قاله أبوعثمان (٣) الجاحظ .

ونجمت: اي طلعت وصيصية الديك: الشوكة التي في رجله
 والقنزعة: الشعر حوالي الرأس .

١ — الشرجة: مسيل الماء من الحرة الى السهل، والعيبة زبيل من ادم محرمة ينقل فيه الزرع المحصود الى الجرن
 في لغة همدان .

٢ — الهالة: دائرة القمر كالظفاوة لدائرة الشمس .

٣ — ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثى البصرى اللغوي النحوي كان من غلمان النظام: طال
 عمره واصابه الفألج في آخر عمره، وله كتب وآثار منها البيان والتبيين والرسائل والحيوان، مات سنة ٢٥٥
 وكان موته لوقوع مجلدات من الكتب عليه .

والوسمة: بكسر السين النبت الذي يصبغ به يقال له بالفارسية نيل وتسكنها لغة ولا يضم الواو^(١).

والمتلفع: المتلحف وروي متقنع بمعجر، وهي ما تشد المرأة على رأسها.

الأسحم: الأسود ومستدق القلم بكسر الدال القلم الدقيق وهو إضافة الصفة إلى الموصوف وبفتحتها حيث يدق من القلم، وهو سنانه.

والاقحوان: البابونج ووزنه افعلان والجمع اقاح وابيض يقق شديد البياض خالصة، وبعض النحويين يجعل يقق غير متصرف لوزن الفعل والصفة.

يأتلق: يلمع يربها أي بجمعها والقيظ شدة الحر.

وينحسر من ريشه ينكشف لسقوطه روي يتحسر، وجرى الطير تحسيرا سقط ريشها، وتحسر وبر البعير سقط.

وتتري: ينون ولا ينون مثل علق، فمن لم يصرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنيث وهو أجود وأصلها وتري من الوتر، يقال تواترت الكتب أي جاء بعضها في اثربعض، ومن نونها جعلها ألف اللاحق.

وتنحت: يتساقط والعسجد: الذهب والعمايق: الأشياء البعيدة القعر.
والقريحة: خاطر والذهن وبهر: أي غلب وجلاه: بالتخفيف أي صقله وبالتشديد للتكثير، والأظهر أنه من جلوت العروس الى زوجها ولزوجها.
والهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها.

وتصفيق الشراب: تحويله من أناء إلى أناء للتصفية.

وروقت الشراب: صفيته وهجم عليه فاجأه، المؤنقة المعجبة، وزهقت
نفسه: هلكت.

* * *

١٦٤ - ومن كلام له عليه السلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلِيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ
بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ
يَتَفَقَّهُونَ^(١)، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَغْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ:
يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا؛ وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا!!

ومنه: أَفْتَرَقُوا بَعْدَ أَلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَضْلِيهِمْ: فَمِنْهُمْ
أَخَذُ بِيْغُضِنِ أَيْنَمَا مَالٍ مَالٍ مَعَهُ؛ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ
لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَّيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ^(٢) رُكَّامًا كَرُكَّامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ^(٣)
لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ
تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّتُهُ رَصُّ
ظُودٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ، يُذْعِدُهُمْ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَّتِهِ، ثُمَّ
يَسْلُكُهُمْ يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ،
وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ؛ وَأَيْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ
بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالْتِمَكِينِ^(٤)، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

٣- في ض وح وب : ثم يفتح الله لهم .

٤- في حاشية ن : بعد التمكن .

١- في ع : لا يتفقهون في الدين .

٢- في ح : ثم يجمعهم ركاما .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخَذُوا^(١) عَنِ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا
عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَظْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ
يَقْوَ مَنْ قَوَى عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ!!
وَلَعَمْرِي^(٢) لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ الثِّيَةَ مِنْ بَعْدِي أَوْضَعًا بِمَا خَلَّفْتُمْ
الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمْ الْأَذْنَى، وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ!!
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ
الرَّسُولِ، وَكُفَيْتُمْ مَوْوَنَةَ الْإِعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَاحِجَ عَنِ
الْأَعْنَاقِ

الشرح

قوله عليه السلام: ليتأس صغيركم بكبيركم.

ع: ولا عن الله يعقلون:

أي لا يعقلون معنى أمره ونهيه، وذلك لأن الغرض المقصود من العقل
تمييز الحق من الباطل، فمن لم يميز بينهما فهو كمن لا يعقل، وهذا كما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ليس العاقل من عقل ديناره ودرهمه، إنما
العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، ولذلك سمى الله الكفار والجهال صما
وبكما وعميا. ونفى عنهم العقل في وصفه لهم بأنهم لا يعقلون في كثير من
المواضع^(٣).

كقيض بيض في أذاح: قيل: هذا تشبيه بتقويم الجاهل، فان الجاهل
الجانبي عن الحق المعاند أو المتعنت الذي لا يرجي له ارعواء مثله كالبيض

٣- في ض: في مواضع كثيرة.

١- في ب: ايها الناس لم تتخذوا.

٢- في ش: فلعمرى.

في أذاحي اذا سلمت من الكسر والفساد أخرجت حيوانا مضرا مفسدا وإن كسرت إتقاء لما يعقب من الشركان كسرهما إثما فكذلك إذا قوم الجاهل، واعد الى العلم .

أخلاق العقلاء في الاهتداء والاستقامة لم يكن كذلك ولم يجر عليه اختيارا فلا وجه إلا أن ينفى عن الأرض بالقتل والاهلاك ، ولا يخلو ذلك عن الاثم والتعدي، والظلم، فيصعب في مثل ذلك مراعاة الحدود، وإن ترك على حاله أدى ذلك الى فساد عظيم إما من جهته أو ذريته أو من حوله ومن أتباعه .

قد نبه الله تعالى على ذلك حيث قال: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ^(١) - ورد الآية في قطاع الطريق، نبهت على حكم الجناة الذين كانوا دونهم على حسب جناياهم .

القرع: قطع من السحاب رقيقة الواحدة قرعة، قال الشاعر:
كان رعاله قرع الجهام ^(٢) .

والرص: الدق الجريش ^(٣) والحداب: جمع الحدب وهو ما ارتفع من الأرض قال الله تعالى: «وهم من كل حدب ينسلون» ^(٤) .
وزعزت الشيء فتزعزع: أي فرقته فتفرق .

وأيم الله ليدوبن ما في أيديهم بعد العلو التمكين كما تذوب الألية على

النار.

١ - المائة: ٢٣ .

٢ - في تاج العروس (قرع) قال ذو الرمة يصف ماء في فلاة:

ترى عصب القطاهلا عليه كان رعاله قرع الجهام

٣ - الجرش: صوت يحصل من اكل الشيء الخشن، والدق: بمعنى الدقيق وهو الطحين .

٤ - الانبياء: ٩٦ .

هذا إخبار عن انقراض دولة بني مروان^(١) وفناء رجالهم وأموالهم كما حكى أنه لما صفا الأمر لعبد الله أبي العباس السفاح^(٢) الملقب بابن الحارثية مضى إليه سديف بن ميمون^(٣) الشاعر وكان من موالي بني عباس، فلما سلم عليه بالخلافة وسمع الجواب قال سديف: قلت كثيرا اللهم قد استحصد زرع الباطل واستوثق طريده فأتيج^(٤) له يد الحق تهشم سوقه^(٥) وتستأصل شأفته وعروقه، والآن استجاب وله الحمد، وهو أرحم الراحمين .

ثم نظر ووجد بني أمية جلوسا بين يدي السفاح وأبو الغمر عمرو بن هشام بن عبد الملك معه على السرير فاستأذن في الانشاء فاذن له فانشأ قصيدة سنية منها:

ولقد سأعني وساء سؤالي * قربهم من منابر وكراسي

١ — بنو مروان اولاد مروان بن الحكم الذين اخذوا الخلافة بعد يزيد بن معاوية ، واولهم مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان مروان اول من أخذها بالسيف كرها بغير رضا من عصبة من الناس وكان اول من بايعه أهل الأردن وتمت بيعته

هلك مروان في سنة ٦٥ وبويع لابنه عبد الملك ثم ولى ابناه واحدا بعد واحد ، وكان آخرهم مروان بن محمد بن مروان بويع له في سنة ١٢٧ ، وقتل ببوصير من قرى الفيوم بمصر ، وكان مدة خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر ، وبقتله انقضت دولة بني امية .

٢ — ابو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس بويع له بالخلافة في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار في مدينته التي بناها في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦ .

٣ — سديف بن اسماعيل بن ميمون كان شاعرا مقلقا ، اديبا بارعا خطيبا مصقعا وكان مطبوع الشعر ، وزعم المدائني انه مولى بني العباس وشاعرهم ، ولما تناهت ايام بني امية وافضت الخلافة إلى بني العباس اتصل الخبير بسديف وذهب إلى السفاح وهناه بالخلافة وصار عنده مقربا .

٤ — اتاحه : هبأه وقدره يقال : اتاح الله له الشر : أي قدره .

٥ — تهشم الشيء : تكسر من يسهه والهشم : الكسر ، والسوق بفتح السين والواو طول الساق .

فاذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيل بجانب المهراس (١)
والقتيل الذي بحرّان أضحي * ثاويا رهن غربة وتناس
ذها أظهر التودد منها * وبها منكم كحرّ المواس
انزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس.

فعملت كلمته في السفاح جدا فقال الحاضرون من بني أمية: إنه
أعرابي (٢) جلف ما يدري ما يخرج من فيه، فقال السفاح: انصرفوا واحضروا
غدا بأهلكم أجمعين حتى يميزكم أمير المؤمنين فاجتمعوا اليوم الثاني، وقدامهم أبو
الغمر عمرو بن هشام وكان رئيسهم فدخلوا وكان فيهم رجل كلبّي من أخوانهم
منعه حاجب السفاح عن الدخول.

فصاح الرجل وقال: يا أبا الغمر قد منعت من الدخول فانصرف أبو الغمر
ليدخله معه، فقال الحاجب للكلابي: لا تدخل يا مسكين فلم يقبل ودخل،
فلما استقرّ بهم المجلس، وجلس أبو الغمر مع السفاح على السرير قام سديف
فانشأ قصيدة أولها:

عمنا العدل فاستنار مضيا * اذا رأينا الخليفة المهديا
فلما انتهى إلى قوله:

لايغرنك ما ترى من رجال * إن بين الضلوع داء دويا
فخذ السيف واترك السوط حتى * لا يرى فوق ظهرها أمويا
فاغتاظ السفاح وقال أبو الغمر: اسكت يابن الزانية فازداد حنق

١ - المهراس بكسر اوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة موضعان احدهما موضع باليمامة والثاني ماء بجبل احد
وروى ان النبي صلى الله عليه وآله عطش يوم احد فجااء علي عليه السلام وفي درقته ماء من المهراس فعافه
وغسل به الدم عن وجهه والمقصود من قتل المهراس حمزة بن عبد المطلب الشهيد في وقعة احد عند ماء المهراس
المذكور.

السفاح فقال سديف: تمنيت بطن الشن^(١) الذريس، فنظر السفاح الى رجال خراسان وهم وقوف بالأعمدة بين يديه فقال لهم بالفارسية دهيد^(٢) فضربوهم بها حتى قتلوهم.

فلما انتهت النوبة الى الكلبي الفضولي، قال لست منهم فقيل كذبت تشبهت بهم فقتل أيضا وأخذت أرجلهم، وجرت وأبوالغمر مع السفاح على السرير، فالتفت السفاح الى أبي الغمر وقال: ما أحسبك تستلذ العيش بعدهم، فقال: نعم، فأوماً بأن يضرب ولحق بالقوم ففعل ذلك وجر برجله أيضا وأمر بالانطاع فبسطت عليهم، ودعا بالطعام وجلس على الأنطاع وأكل وكان فيهم من يأنّ ومن القوم من تحرك رجله وهو يأكل فوقهم.

ثم أمر بصلبهم في البستان^(٣)، فلما كان بعد يوم أو يومين صارتن جيفهم يؤذي من في المجلس، فقيل له: يا أمير المؤمنين لو أمرت بدفنهم أو تحويلهم لكان خيرا، فقال: هذه الرائحة أركى في خياشيمي من المسك الاذفر^(٤) الآن سكن به غليلي^(٥) وأطفأ نايرة المروانية حتى لم يبق منهم إلا شردمة بناحية المغرب بكورة قرطبة^(٦) ونواحي الاندلس، وقتل مروان بن محمد وجز رأسه ووضع بين يدي السفاح في طشت فجاءت هرة وأقلعت عن فمه لسانه وأكلته.

١ - الشنة: القرية الخلق الصغيرة.

٢ - دهيد: كلمة فارسية يعني اضربوهم واقتلوهم.

٣ - البستان: فارسية ومعناها الحديقة والروضة.

٤ - مسك اذفر: أي طيب الريح والذفر بالتحريك: يقع على الطيب والكريه.

٥ - الغليل: العطشان عطشا شديدا.

٦ - قرطبة بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء والباء الموحدة كلمة رومية وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا للمكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ومعادن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام.

تعجب الناس من ذلك : فقالوا هذا لسان كانت الأوامر والنواهي في مشارق الأرض ومغاربها صادرة عن هذا اللسان والآن هذا اللسان في فم هرة تمضغه فاعتبروا يا أولي الأبصار وهذا معنى قول أمير المؤمنين كما تذوب الألية على النار.

قتل مروان بن محمد في نواحي مصر ومعه خمس مائة ألف فارس وراجل رجل كوفي كان يبيع الخبز على رأسه فعرف ذلك الخباز مروان بن محمد في ليل داج وهو يعبر جيوشه فأخذ لحيته وجزّ رأسه وحمله الى علي بن عبدالله بن العباس، ثم إلى أبي العباس السفاح .

قوله تهتم متاه بني إسرائيل :

بنو إسرائيل تحيروا في تيههم أربعين سنة، لأنهم قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون، قال : فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون^(١).

ليضعفن لكم التيه من بعدى أضعافا .

أراد به ملك بني أمية فان مدة ملكهم كانت مائة وعشرين سنة (وتلك المدة اضعاف الأربعين لأن ضعف الأربعين هو ثمانون واضعافه مائة وعشرون) .

إن اتبعتم الداعي لكم : عني به نفسه ومن يقوم مقامه .

العسف والاعتساف والتعسف : الأخذ على غير الطريق .

وفدحه أمر : أي غاله وبهظه .

ج - ليتأسّ صغيركم : أي ليقتمد من ترى صغر منزلته في العلم والعمل

بن له مثابة عالية فيها دنيا وليرحم كل من له جاه و منزلة في الدنيا بالأموال

والقوة كل من دونه .

والقيض : ما تفلق^(١) من قشر البيض الأعلى .

الأدحى : النعامة الموضع الذي تفرخ فيه أفعول من دحرت أي بسطت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش والتقديرهم كقيض أو أنتم كذلك .

وحضن الطائر بيضته يحضنه : أي ضمه إلى نفسه تحت جناحيه .

الوزر : الاثم والثقل المتراكم : المتراكب المجتمع والقارة : الاكمه السنن : الطريقة .

ورصصت الشيء ؛ ألصقت بعضه ببعض ، ومنه مرصوص .

واستثار الشيء ؛ أزعجه وأنهضه ، والمستثار الموضع والمصدر والتهيه : التحير .

قال الخليل^(٢) : التضعيف : أن يزداد على أصل الشيء فيجعل المثلين أو أكثر ، وكذلك الاضعاف والمضاعفة .

سيجمعهم : الضمير للذين اجتمعوا مع أبي مسلم في هلاك بني أمية من مستثارهم : أي أوطاتهم التي أزعجهم بنو أمية إليها .

كسيل الجنتين : هو سيل العرم المذكور في القرآن وقال تعالى : جنتان عن يمين وشمال ، وقصة ذلك مستقصى في التفاسير .

* * *

١ - الفلق : الشق .

٢ - الخليل بن احمد الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمان صاحب العربية والعروض قال السيرافي : كان الغاية في استخراج مسائل النحو وهو اول من استخراج العروض وحصر اشعار العرب وعمل كتاب العين المعروف في اللغة وكان من الزهاد والمنقطعين الى الله توفي سنة ١٧٥ .

١٦٥ - ومن خطبة له عليه السلام

في أول خلافته

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(١) أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَأَصْدِقُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ! أَدُوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ (وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ)^(٢) وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا؛ وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ، بِادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ^(٣) أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفُّوا تَلْحَقُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ^(٤) وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا^(٥) اللَّهَ وَلَا

١ - في ب : ان الله تعالى انزل وفي ح : ان الله سبحانه وتعالى انزل .

٢ - ساقطة من ن وف ول وش .

٣ - في ك : فان لباس امامكم .

٤ - في ع : مسؤولون عن البقاع .

٥ - في ش : اطيعوا الله .

تَعَصُّوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: واصدقوا عن سمت الشر تقصدوا.

ج: أي ميلوا واعرضوا عن طريق الشر تعدلوا.

الفرائض: أي الزموا الفرائض^(١).

إن الناس أمامكم: أي ماتوا أمامكم، وهم كالمنتظرين لكم وروي فإن البأس، والبأس العذاب والشدة.

ع— فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.

التصرف في البقاع من طريق الرياء والسمعة حرام، كما ذكره النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع وفي البهائم على خلاف ما جوزه الشرع حرام، لا يلام الأنعام والبهائم أعواض^(٢) كما ذكر في الكتب الأصولية لذلك قال مسؤولون عن البهائم.

* * *

١— في ض: الزموا الفرائض وادوا الفرائض حذف الفعل لان ما بعده يفسره.

٢— في ض: اعراض.

١٦٦ - ومن كلام له عليه السلام

بعد ما بويح بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما ممن

أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام

يَا إِخْوَتَاهُ؛ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي
بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكِيهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا
نَمْلِكُهُمْ؟ وَهَاهُمْ هَوْلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُيْبَانُكُمْ، وَالتَّفَّتْ
إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا، وَهَلْ
تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ
جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنَّ لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا
حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ،
وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا هَذَا^(١) فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ
الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤَخَذَ الْحُقُوقُ مُسِيحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي،
وَأَنْظُرْ مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعِّضُ قُوَّةً
وَتُسْقِطُ مَنَّةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً، وَسَأْمِسُكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ،
وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

١ - في ض وب: لا ترى هذا اولاذك وفي ل وش: لا هذا ولا هذا.

الشرح

قوله عليه السلام: إني لست أجهل ما تعلمون الى آخره .

ع — ثارت: أي ظهرت وخرجت، وأراد بالعبدان: انصارهم وخطاءهم من الأعراب الذين كانوا في حدود المدينة^(١).
إن هذا الأمر أمر جاهلية .

قال أبو حاتم الرازي^(٢) في كتاب الزينة: الجاهلية جاهليتان، جاهلية كفر وهي التي كان عليها أهل الجاهلية قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، لجهلهم بأمر الاسلام، وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله فهذه هي الجاهلية الجهلاء، والجاهلية الأخرى وهي التي عليها أصحاب الأهواء والضلالات ممن هو في جملة المسلمين لا يستوجبون اسم الكفر بسبب إقرارهم برسول الله وقبولهم الشريعة ويستوجبون اسم الجهل لأنهم ضلوا عن حقائق السنن .

١ — في ض: هذا على رواية من روى اعرابكم والمشهور اغراركم جمع الغر وهو الغمر الجاهل المغفل والحلال الوسط يسومونكم يكلفونكم .

٢ — محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم الرازي الحافظ الكبير، أحد الأئمة، رُوِيَ عن محمد بن عبد الله الأنصاري وعثمان بن الهيثم وعفان ابن مسلم وغيرهم، ورُوِيَ عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه

قال الخطيب: كان أحد الأئمة الحفاظ الاثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل قال ابن ابي حاتم: سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث اقامت سنين احسب ومثيت على قدمي زيادة على الف فرسخ مات في شعبان سنة ٢٧٧ .

قال الله تعالى : تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، فلما جعلها أولى دل على أن هناك جاهلية أخرى وقيل الجاهلية الاخرى التي اخبر عنها أميرالمؤمنين هي جاهلية ضلال لا جاهلية كفر والجاهلية نعت للخصلة والغفلة التي اجتمعت عليها امة من الناس كما قالوا المجوسية واليهودية، والنصرانية والفرق بين الجاهلية والجهل أن الجاهلية يكون بأمة من الناس يقال لهم اهل الجاهلية والجهل تنفرد به الجاهل عنى بالجاهلية الذين لايعرفون امام زمانهم وما اختص هو به من العلم وإن كانوا مقرين بساير السنن .

قال الجوهرى المادة: الزيادة المتصلة عنى به أن لهؤلاء أقارب يعينونهم، ويذهبون مذاهبهم فرقة يرى ما يرون يعنى من عقوبة. قتلة عثمان وفرقة يرى ما لا ترون، من تصويب قتلة عثمان وهم الخوارج، وفرقة يرى لا هذا ولا هذا أي لا يذم قتله عثمان ولا يمدحهم، فاصبروا حتى تتفق الناس على أمر واحد.

آخر الدواء الكي^(١) : مثل والعرب تعالج بالكي وكذا الترك ، والكي ، وإن كان علاجاً فهو داء ولكن لا داء بعده، والأصل في المثل قولهم آخر الدواء الكي لأنه إنما يقدم المعالج، بعد أن لاينفع كل دواء قاله لقمان بن عاد، وكان سايرا وأصابه عطش فاستسقى امرأة فقالت : تبتغي اللبن أو الماء .

فقال أيهما كان، فقالت ؛ الماء أمامك واللبن خلفك فرأى صبيا يبكي ويستسقى ، ولايسقى ورأى شابا معها، فقال : من هذا؟ فقالت المرأة : هو أخي^(٢) فنظر لقمان إلى فتل^(٣) الشعر في أطناب الخيمة فعلم أن زوجها

١ - كوى فلانا : احرق جلده بحديدة ونحوها والكية موضع الكي .

٢ - في ض : فقالت المرأة : هو أخي فقال : رب اخ لا تلده امك .

٣ - فتل الشعرلواه .

أعسر^(١)، فعرضت المرأة عليه الطعام فأبى لقمان، ومضى فرأى رجلاً يسوق إبله^(٢)، فقال له لقمان: يا هاتي. فقال لبيك يا لقمان، فقال: يا ذا النجاد الحلكة، والزوجة المستركة عش رويدا ابلكه لست من ليس لكه، فقال: هاتي نور نور.

فقال لقمان عليّ التنوير وعليك التغيير اني مررت بها تغازل رجلاً زعمت أنه لها أخ ولو كان أخاها لخلي عنها وكفاها الكلام، فقال كيف علمت أن المنزل منزلي فقال عفاثق هذا النور في البناء وهذه الحلبة في الفنا وسقب هذه البار وأثر يدك في الاطئاب.

قال: فما الرأي، قال، أن تقلب البطن ظهراً والظهر بطناً حتى يستبين لك الأمر أمراً قال أفلا أعالجها بكية توردها المنية، فقال لقمان: آخر الدواء الكي.

(ج — شوكة الانسان: شدته، والعبدان: جمع العبد، والخلال: الوسط. يسومونكم: يكلفونكم^(٣)).

مسمحة: بكسر الميم من أسمحت قرونته أي ذلت نفسه، وتابعت وبفتحتها من أسمحت أي ساهلت.

فأهدأوا: أي اسكنوا، ويضعضع: أي يضعف.

والمنة: القوة، وروي آخر الدواء الكي وهذا أصح.

* * *

١ — في ض: فقال: ثكلت الاعيسه (كذا) امه لو علم العلم لطل عمره فعرضت المرأة.

٢ — في ض: ومضى فرأى رجلاً يسوق ابله ويقول:

اميلة فيهم بخير عرس
لا يثتهى اليوم له بامس

روحى الى الحى فان نفسى
حيانة القلة ذات انس

٣ — بين الهلالين ساقط في ض.

١٦٧ - ومن خطبة له عليه السلام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ؛
لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدِعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ
الْمُهْلِكَاتُ، إِلَّا مَا حَفِظَ^(١) اللَّهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ
عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ^(٢) فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا
مُسْتَكْرَهٍ^(٣) بِهَا. وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ^(٤) اللَّهُ عَنْكُمْ
سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى
غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هَوْلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخِطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ
أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ،
أَنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا ظَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ
أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا^(٥) رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَذْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا

١ - في ش : الا ما عصم الله .

٢ - في ش : عصمة لربكم .

٣ - في حاشية ن : غير متلومين ولا مستكرهين .

٤ - في ب : لينقلن عنكم .

٥ - في حاشية ن : وارادوا .

الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيْرَةَ رَسُوْلِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشَ لِسُنَّتِهِ .

١٦٨ - ومن كلامٍ له عليه السلام

كَلَّمْ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرَّبَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ
مِنْ نَفُوسِهِمْ فَيَبَيِّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ . ثُمَّ
قَالَ لَهُ : بَايِعْ . فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أَحْدَثُ حَدَثًا دُونَهُمْ حَتَّى أَرْجِعَ
إِلَيْهِمْ . كَذَا فِي أَكْثَرِ النُّسخِ لَكِنْ فِي آخِرِ بَعْضِهَا بَعْدَ قَوْلِ الرَّجُلِ «فَبَايَعْتَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامِ» . وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ بِكَلِيبِ الْجَرْمِيِّ .

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِظَ
الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ^(١) عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا
إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتُ صَانِعًا ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكُهُمْ
وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فَأَمْدُدْ إِذَا يَدَكَ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتَنِعَ عِنْدَ

قِيَامِ الْحِجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الشرح

قوله عليه السلام: ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وأمر قائم .
ع — قائم: أي دائم لا يهلك عنه إلا هالك^(١) :

قال الامام الوبري: معناه من استحق العقاب واستوجب العذاب، فانه يدخل النار بعد ورود الآيات، وقيام الحجج والبيئات، فهو الذي كان يهلك في معلوم الله وإن ازدادت الحجج والبراهين والألطف كما كان يهلك، فان لم يبعث الرسول، فلا خير فيه على كل حال، وهو الذي أبان عنه تبارك وتعالى في سورة والصفات، «فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين، إلا من هو صال الجحيم^(٢)» .

معناه أنكم لا تضلون، ولا تفتنون أحدا عن الدين إلا من كان هالكا في معلوم الله تعالى: سواء دعوتموه أو تركتموه على حاله .
قوله وإن المبتدعات المشتبهات هن المهلكات .

البدع ابتداء إحداث شيء لم يكن له ذكر، ولا حدث به سنة، يقال: أبدع الشر^(٣) إذا أحدثه، من غير مثال تقدم فيه: ومنه: بديع السموات والأرض أي مبتدعهما وقوله: ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم^(٤) أي لم

١ — في ض: الا لك أي محكوم عليه بالهلاك من استحق العقاب .

٢ — والصفات: ١٦٢ .

٣ — في ض: ابدع الشيء إذا أحدثه من غير مثال تقدم فيه .

٤ — الحديد: ٢٧ وفي ض اي لم تجر لها سنة من الله .

تجد بها سنة من الله، بل ابتدعوها من عند أنفسهم، والبدعة فعلة، بوزن الركبة والجلسة، وهي الجهة التي منها يبدع الشيء كما أن الركبة الجهة التي منها يركب.

فمن ابتدع في الدين أمراً من غير مثال فقد ضاد الله عزوجل وناواه المهلكات أخلاق وعادات بها يهلك الإنسان كما قال النبي صلى الله عليه وآله: أما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرأ بنفسه.

السلطان: الحجة والقهر وسلطان كل شيء حدته يارز الأمر: أي يضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

قال ابن السكيت: تمالوا على الأمر: أي اجتمعوا وتعاونوا. ومنه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله.

فيالة الرأي: ضعفه ورجل فيل الرأي وقال أي ضعيف الرأي أراد أن أصروا على الخطأ والضلالة، ولم يرد به وهي الرأي، وضعفه عندهم، فإن الجاهل في جهالته قد يرمي على الحق، وإن كان مذهبه وعقيدته في نفسه أوهى وأوهن من نسج العنكبوت.

أقاءها الله: أي جعلها فيأله والفئي الخراج (والغنيمة).

الكلاء المرعى، والمجادب: مواضع القحط^(١).

* * *

١٦٩ - ومن خطبة له عليه السلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي
 جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ،
 وَمُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً^(١) مِنْ
 مَلَائِكَتِكَ، لَا يَسْأُمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي
 جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنْامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا
 يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ
 أُوتَاداً وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً - إِنَّ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ،
 وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَأَعِصْمْنَا
 مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمَانِعِ لِلدَّمَارِ، وَالْغَائِرِ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ
 الْحِفَاظِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

الشرح

قوله عليه السلام: اللهم رب السقف المرفوع الى سبط من ملائكتك .

ع - أراد بالسبط هنا الفرقة^(١) لا ولد الولد .

الشمس: في الأصل الارتفاع يقال شمس ارتفع والشموس الهضبة المرتفعة قال الشاعر^(٢) .

كأن الشموس بها بيت * يطوف حوالبه أو عالها
وسميت الشمس شمسا لارتفاعها وإنما أنثوها بسبب وضعها الأصلي
وهي الهضبة المرتفعة .

والقمر لا يقال له قمر حتى يمتلي ويقابل الشمس وسمي قمرا لأن نوره
لا يزال يزيد وينقص بمنزلة القمر الذي يزيد ماله مرة وينقص مرة .

والنجوم: هي السيارات مثل زحل والمشتري والمريخ، والزهرة وعطارد؛
والشمس والقمر .

والكواكب: هي الثوابت: كالشعرين والنسرين والسماكين، والجناحين
والقليين، ويقال للسيارة كواكب بالاستعارة والتوسع، والكوكب، نور مجتمع،
وكوكب الشيء معظمه، والثابت أعظم من السيارات .

والشهادة: الحضور وسمي المقتول في سبيل الله شهيداً لأنه حضر وجاد

١ - في ض : أراد بالسبط هنا الفرقة او الامة .

٢ - في ض : كان الشموس بها بيته * لطيف حوالبه او عانها .

بروحه؛ فصار ذلك شهادة ذلك شهادة عليه في نفسه أنه صدق البأس^(١) وكان شاهدا حاضرا لا كمن ولي الدبر، وغاب أو لأن الملائكة تشهد له بالجنة أو لأنه حضر دار الثواب كما قال الله تعالى: يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله^(٢).

والفتنة: الاثم قال أبو عبيدة: في قوله تعالى: الا في الفتنة سقطوا^(٣) أي في الاثم والفتنة احراق والفتنة في أصل اللغة أن تصرف صاحبك عن الحق إلى الباطل. قال تعالى: وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك^(٤).

والذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ويتذمر له^(٥) ويغضب وكذلك الحقيقة لأنه يحق على صاحبها الدفع عنها والجمع الحقائق، وأكثر ما يطلق الحقيقة على النساء، ويقال فلان.

ذو حفاظ، وذو محافظة: إذا كانت له انفة.

العار وراءكم: أي إن فررتم أدرككم العار وإن أقدمتم وصلتكم إلى الجنة.

ج - المغيض: الموضع الذي يغيض فيه الماء أي ينضب^(٦) ويقل: وجعل السماء أو الفلك مغيضا لليل والنهار، مجازا أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى، وان زاد في الآخرة وذلك بحسب جريان الشمس.

والسبط: الأمة، والمدرج: المدخل والهامة: لا يقال إلا للخوف من

١ - اليأس: الخوف ولا يكون الا مع الشدة.

٢ - آل عمران: ١٧٠.

٣ - التوبة: ٤٩.

٤ - النساء: ١٦٣.

٥ - في الحديث خرج يتذمر: أي يعاتب نفسه ويلومها.

٦ - في ش: ينض ويقال نضيب لثاته دما: أي قطرت ونض الماء من العين اذا نبع.

أحناش الأرض .

والانعام : يقع على الابل والبقر والغنم والغاير : من الغيرة .

ش - الجو المكفوف : كأنه أراد الهواء المحدود (الذي ينتهي حده إلى

السماء) ، والجوما بين السماء والأرض كأنه كف أي منع من تجاوز حديه .

قال أبو عمرو^(١) : الجوما اتسع من الأودية وكل مستدير فهو كفة بالكسر

كأنه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير لأن داخل الفلك الكرى الشكل

أو اراد بالجو الفلك العريض الواسع وبالمكفوف كان عليه كفة من المجرة

والنيرات .

فيكون الكفة من كفة الثوب أو كفف الوشم وهي داراته وأراد

بالمكفوف الفلك المحكم في الخلق الشديد المبرئ عن الخلل والفتور، من

قولهم عيبة مكفوفة أي مشرحة مشدودة .

* * *

١ - يعني به ابا عمرو الزاهد الأبيوردي غلام ثعلب الاديب اللغوي المعروف .

١٧٠ - ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَاتُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .
 منها: وَقَالَ قَائِلٌ^(١): إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا أَبْنَأَبِي
 طَالِبٍ^(٢) لَحَرِيصٌ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَخْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا
 أَخْصُّ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي
 وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ
 الْحَاضِرِينَ بُهتَ^(٣) لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ^(٤) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ
 قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنَزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي
 أَمْرًا هُوَ لِي بِئْسَ قَالُوا: أَلَا إِنَّ^(٥) فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ
 أَنْ تَشْرُكَهُ .

١ - في ض : وقد قال لي قائل وفي ح وب ول : وقد قال قائل .

٢ - في ش : يابن ابي طالب على هذا الامر .

٣ - في ض وح وش : في الملأ الحاضرين هب كانه بهت لا يدري وفي ب : كانه لا يدري ما يجيبني وفي ن : لا يدري مما يجيبني به وفي ل : هب لا يدري .

٤ - في ب : اللهم استعينك على قريش .

٥ - في ب : الا ان الحق ان تاخذه .

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَجَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا تُجَرُّ
الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا؛ مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا
فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطَانِي
الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَيَّ
عَامِلِي بِهَا وَخَزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا:
فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا! فَوَاللَّهِ لَوْ يُصِيبُوا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ؛
لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا،
وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ^(١) وَلَا يَدٍ. دَعَّ مَا أَنْتَهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء.

ع- العرب تسمي كل ما علا وارتفع سماء وكل ما سفل أرضاً يعني أنه تعالى لا يرى بآلة وليس بجسم، فيحتاج إلى آلة بل يدرك كل مدرك لكونه حياً لا آفة به^(١) والسواتر والحجب إنما تعترض دون الاجسام فلذلك قال لا يحجب عنه سماء سماء. وقيل أراد أن علمه تعالى ليس بمتغير زمني فيصرفه معلوم، ولا قدرته على وجه، يشغله مقدور عن مقدور^(٢) ثم قال:

ألا إن في الحق أن تاخذه وفي الحق أن تتركه.

قال الامام الوبري: أي انهم غلطوا في هذا القول لأن الحقوق لا يقاس بعضها على بعض في الأعضاء والايفاء لأن منها ما يجب ايفاؤه ومنها ما لا يجب، ومنها ما يندب الى استيفائه ومنها ما يندب الى تركه فالامامة ليست من النوع الذي يحسن تركه وإعفاؤه (وانما هو^(٣) على من يستحقه ويصلح له، وليس بحق له دون حق البشر^(٤)) وحقوق المسلمين والحق اذا كان على الانسان فحكمه بجانب للحق اذا كان له، فحق المال اذا كان له، على غيره واحتاج اليه ليس له تركه واعفاؤه) بل يجب استيفائه.

فحق الامامة اذا كان عليه أن ينتصب لها ويدعيها وإذا عقدت له حرم

١- في ض: حياً لا اقل به.

٣- في ص: وانما هو حق.

٢- في ض: ولا يشغله مقدور ثم.

٤- في ض: وليس له دون حق الشرع.

عليه ردها فكيف يجوز أن يتركها مع مضاعفة اللزوم، والوجوب عليه من هذه الوجوه^(١) وغيرها، هذا إذا كان في عصره من تكون مستحقا لها من أضرابه غير أن الصلاح تعين في واحد فالوجوب^(٢)، وأما إذا انفرد بالاستحقاق دون سائر أهل زمانه فالوجوب فيه أظهر على وجه التعين والتضييق، فلذلك كان هذا القول منهم فاسدا.

قال غيره الامامة تبع النبوة فليس للنبي أن يسقط حق نبوته، فكذلك الامام، وقيل الامامة حقوق مشتركة بعضها للرعايا على الامام وبعضها للامام على الرعية فليس للامام أن يسقط تلك الحقوق^(٣).

قوله عليه السلام: فخرجوا يجرون حرمة رسول الله.

يعني زوجته عائشة وكذلك حبيس رسول الله؛ والضمير في حبسا لطلحة والزبير.

فقدموا على عاملي.

قيل هو عثمان بن حنيف^(٤) الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه

١ - في ض : من هذه الوجوب .

٢ - في ض : فالوجوب يتعين عليه .

٣ - في ض هنا زيادة وهي : اقول ان كلامه صلوات الله عليه كلام متين وبيانه بيان مبين وله ظاهر واضح انيق وباطن غامض عميق وفيه تلويح بل تصريح بفرض طاعته وجوب امامته لما اجتمع فيه من شرائط الاستحقاق على الاطلاق وعرى عنه غيره من اهل الافاق

انهم يحرصون على ذلك مع بعدهم عن استحقاقه وعرائهم عن حلال شرائطه وانه المختص بذلك دونهم وله فرط القرية به ساهم وانه الطالب بحقه الذي جعله الله ورسوله له بحكم استحقاقه واستيها له لذلك وهم يحملونه بين ذلك وبينه

يمنعونه سلطانه ويخاصمونهم وينازعونهم ويقطعون رحمه ويصغرون عظم منزلته ثم يقولون تحمرا وانكارا الحق ان ناخذنه نحن وتتركه انت بهتا صراحا وجرأة على الله تعالى وعليه مجازاة العباد وهو لهم بالمرصاد .

٤ - عثمان بن حنيف الانصاري الاوسي يكنى ابا عمرو شهد احدا والمشاهد كلها واستعمله عمر بن الخطاب على مساحة سواد العراق ، فمسحه عامره وغامره ، واستعمله علي بن ابي طالب عليه السلام على البصرة

وآله أخذه أصحاب الجمل بعد محاربة جرت بينهما^(١) وخلوا سبيله، فلما ورد على أمير المؤمنين عليه السلام قال له: فارقتنا شيخا ورجعت إلينا غلاما، وفي الصحاح قتل فلان صبراً: اذا حبس على القتل حتى تقتل.

قوله عليه السلام لحل لي قتل ذلك الجيش كله:

دليل على صحة قول من يقول إن الجماعة تقتل بالواحدة، مثل العدة التي دخلوا بها عليهم؛ قيل إن أهل البصرة افترقوا^(٢)، ونصفهم أعانوا عثمان بن حنيف، قالوا هؤلاء يطلبون الأمانة بعدما بايعوا عليا، ونصفهم بايعوا طلحة والزبير وقالوا هما يطلبون قتلة عثمان بن عفان واقتتلوا (بباض يومهم هذا فلما غربت الشمس انصرفوا وقتل عسكر طلحة والزبير من عسكر عثمان^(٣)) بن حنيف أعداد ما كان معهما من الجيوش حين دخلا البصرة.

* * *

فبقى عليها إلى قدمها طلحة والزبير مع عائشة في وقعة الجمل، فاخرجوه منها، ثم قدم علي إليها فكانت وقعة الجمل، فلما ظفر بهم علي، سكن عثمان بن حنيف الكوفة، روى عنه ابن أخيه أبو امامة وابنه عبد الرحمن.

١- في ض: بينهما بالمربد واتفوا لحيته وخلوا سبيله.

٢- في ش: وبعضهم اعانوا.

٣- بين اللالين ساقط في ض.

١٧١ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمِينٌ وَوَحِيهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ .
 أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ؛
 وَأَعْلَمُهُمْ ^(١) بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ؛ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ أَسْتَعْتَبَ، فَإِنْ أَبِي
 قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَتَّعِقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا
 عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ^(٢) ذَلِكَ سَبِيلٌ؛ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى
 مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ
 يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا أَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ وَآخَرَ مَنَعَ
 الَّذِي عَلَيْهِ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ^(٣) بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِمَّا تَوَاصَى
 الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا ^(٤) الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ
 الْبَصْرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ ^(٥) الْحَقِّ، فَاْمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ

٤ - في ر: ولا يحملن هذا العلم .

٥ - في ض وح وب: والصبر بمواقف الحق .

١ - في ش: واعملهم .

٢ - ي ن وف: مالى الى ذلك .

٣ - في ش: اوصيكم بتقوى الله .

بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا؛
فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ غَيْرًا^(١).

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَضْبَحْتُمْ تَتَمَثَّلُهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا،
وَأَضْبَحْتُمْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنَزِلِكُمْ
الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ
لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ
حَدَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِظْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا،
وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْصِرُوا بِقُلُوبِكُمْ
عَنْهَا وَلَا يَخْتَنَّ أَحَدُكُمْ خَيْنًا^(٢) الْأُمَّةَ عَلَى مَا زَوِيَ عَنْهُ مِنْهَا،
وَأَسْتَتِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُحَافَظَةَ
عَلَى مَا أَسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ
شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ
لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ
دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَمَّتَا وَإِيَّاكُمْ
الصَّبْرَ.

١- في حاشية ش: عبدا.

٢- في م وب وك ور: الحنين بالحاء المهملة.

الشرح

قوله عليه السلام: لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس فما الى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

استدل عليه السلام على القوم بالطريقة التي كانوا يعتقدونها في ثبوت الامامة من الاختيار، وذلك لا يدل على أن طريق ثبوت الامام هو لا غير. وقد نبه عليه السلام في صدر هذا الكلام على معظم شرائط الامامة من الشجاعة، والعلم، حيث قال .

ان أحق الناس هذا الأمر أقواهم عليه واعلمهم بأمر الله فيه .

ولا يلتبس على عاقل منصف أن هاتين الخصلتين مما برز به أمير المؤمنين عليه السلام، على سائر الصحابة وفاقهم باجمعهم وإن كان في سائر خصال الكمال بهذه^(١) المثابة .

والخنين بالخاء المعجمة: البكاء بالأنف وروي بالخاء غير المعجمة المظنة موضع الظن والتهمة .

* * *

١٧٢ - ومن خطبة له عليه السلام

في طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا (١) وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهُ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَّجِرِدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْنُتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ (٢) مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبَسَ (٣) الْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشُّكُّ! وَوَاللَّهُ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَيْسَ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، أَوْ يُنَابِذَ (٤) نَاصِرِيهِ، وَلَيْسَ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَهَنِّهِينَ عَنَّهُ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ، وَلَيْسَ كَانَ فِي شَكِّ مِنَ الْخُصَلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا، وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يُعْرِفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

١ - في ب وض : ما قد وعدني .

٣ - في ح وحاشية ش : ليلبس الامر .

٢ - في ش : احرص منه عليه .

٤ - في ض وح ول وش : وان ينابذ وفي ب : اوان ينابذ .

١٧٣ - وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ^(١) غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ
وَالْمَأْخُودَ^(٢) مِنْهُمْ، مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ
رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمُ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرَعَى وَبِي، وَمَشْرَبٌ
دَوِي^(٣)!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا:
إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا؛ وَاللَّهُ لَوُ
شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ
شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ^(٤) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ
يُؤْمِنُ^(٥) ذَلِكَ مِنْهُ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَأَضْطَفَاهُ عَلَى
الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ،
وَبِمَهْلِكِكَ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو؛ وَمَا لِي هَذَا الْأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئًا
يَمُرُّ عَلَيَّ رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغْتُهُ فِي أَدْنِي وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ .
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهُ مَا أُحْثِكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا أَشْبِكُكُمْ
إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَتْنَاهِيَ قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

٤ - في هامش ن ور : انى مفض .

٥ - في م ون : ممن يؤمن .

١ - في ح : ايها الناس غير المغفول .

٢ - في ض وب : والتاركون الماخوذ منهم .

٣ - في هامش ن : وشرب روى .

الشرح

أجلبه أعانه يوازر^(١) : اي يعاون .
 ونهنت : البيع : إذا صحت به لتكفه .
 المعذر: من يأتي بالعذر وروي بالتشديد وأصله معذر، فادغم التافي
 الذال والمتعذر^(٢) المقصر .
 ويركد: أي يسكن .
 التاركون : أي تركوا ما يجب عليهم أخذه .
 والدوى : الممرض والوبى : الذي يأتي بالوباء وهو مرض عام .
 أن تكفروا فيّ : أي^(٣) في تضييع حقي الثابت عليكم برسول الله صلى الله
 عليه وآله .
 وأفرغه : أي صبه ، وأفضيت : إليه بسرى : أفشيت^(٤) .

* * *

١ - في ض : اجلب جمع واحلب بالحاء : اعان .

٢ - في ض : المعذر : المقصر .

٣ - في ض : اخاف ان يكفروا بي برسول الله صلى الله عليه وآله اي في قولي وروايتي عنه ما لم تحيطوا به علما
 او في ما يتعلق بي وبحقوقى الواجبة عليكم وكشفى القناع عن بيان الرسول صلى الله عليه وآله ذلك ثم
 انكاركم والاعراض عن قبوله .

٤ - في ض : افضى اليه بسراقشاه

١٧٤ - وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ. فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «خُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(١) وَخُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ؛ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُنْسِي وَلَا يُضْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيدًا لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا نَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَظَوِّوْهَا ظِيَّ الْمَنَازِلِ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي

لَا يَكْذِبُ^(١)، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ
 نُقْصَانٍ: زِيَادَةٌ فِي هُدَى، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمَى. وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ
 عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى،
 فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَأَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لُؤَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ
 شِفَاءً مِنْ أَكْبَرَ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّفَاقُ وَالْغِيُّ وَالضَّلَالُ.
 فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ
 مَاتَوْجَّةَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ^(٢)،
 وَقَائِلٌ وَمُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ
 فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي
 مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ
 عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَأَسْتَدِلُّوهُ
 عَلَى رَبِّكُمْ، وَأَسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَتَّهِمُوا عَلَيْهِ
 آرَاءَكُمْ، وَأَسْتَغِيثُوا^(٣) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلِ الْعَمَلِ، ثُمَّ
 التَّهَيَّاتِ التَّهَيَّاتِ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ
 الْوَرَعَ، إِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهَائِيَّتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَمًا
 فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ،
 وَأَخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ مِنْ
 وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ^(٤) لَكُمْ وَحَجِيحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

١- في ش: ولا يكذب من باب التفعيل.

٢- في ف ون وش: شافع مشفع وفي ف ون: ماحل مصدق وفي ش: قائل مصدق.

٣- في ر ول وش: واغثشوا وفي ر: وروى استغشوها.

٤- في ن وب: انا شهيد لكم.

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ،
وَأِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَّةِ اللَّهِ وَحُجَّتِيهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنَّ لَا تَخَافُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا
اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِثْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ
الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا
تُخَالِفُوا عَنْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفِهَا، وَأَجْعَلُوا اللِّسَانَ
وَاحِدًا، وَلِيَخْتَزِنَ^(١) الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ
بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ^(٢)
لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُتَافِقِ مِنْ
وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي
نَفْسِهِ: فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُتَافِقَ
يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ: لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ؛ وَمَاذَا عَلَيْهِ!!
وَقَدْ^(٣) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا
يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ
نَقِيٌّ الرَّاحَةَ مِنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمٌ اللِّسَانَ مِنْ
أَغْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

٣- في ض وح وب؛ لقد قال.

١- في ن وب وح وض ول؛ ليخزن.

٢- في ض وب؛ يخرن لسانه.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ؛ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَجِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ
 عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وَإِنَّ مَا أَخَذَتْ النَّاسُ
 لَا يُجِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ
 اللَّهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمْ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا،
 وَوَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضَرَبْتَ^(١) الْأَمْثَالَ لَكُمْ وَدُعَيْتُمْ
 إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَغْمَى عَنْهُ
 إِلَّا أَغْمَى^(٢) !! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ
 يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ^(٣) مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى
 يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُشْكِرَ مَا عَرَفَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ
 شِرْعَةٍ، وَمُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ^(٤) بُرْهَانٌ سُنَّةً، وَلَا
 ضِيَاءٌ حُجَّةً، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ،
 فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَيْعُ الْقَلْبِ،
 وَيَتَابِعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ
 الْمُتَدَكَّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ^(٥). فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا
 فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَأَذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «يَا أَبْنَ آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ
 الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

(أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُشْرَكُ،

١- في ح وض وب : وضربت لكم الامثال .
 ٢- في ب : ولا يعمى عن ذلك الا .
 ٣- في ض وش وحاشية م : اتاه التقصير .
 ٤- في ش : من الله سبحانه برهان .
 ٥- في ض وب وح : الناسون او المتناسون .

وَزُطِمَ مَغْفُورٌ لَا يُظَلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكَ بِاللهِ،
 قَالَ اللهُ: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ
 فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا
 يُشْرَكَ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً^(١) (الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ!
 لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْباً بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا
 يُسْتَضَعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ. فَأَيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً
 فِيمَا تَكَرَّهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ،
 وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُغِطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا: مِمَّنْ مَضَى وَلَا
 مِمَّنْ بَقِيَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ،
 وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوَّتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ^(٢) رَبِّهِ،
 وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي
 رَاحَةٍ!

١ - فيما بين الهلالين تقديم وتأخير في النسخ .

٢ - في ش : واشتغل بطاعته .

الشرح

قوله عليه السلام: إنتفعوا ببيان الله إلى آخره .
 إن الجنة حفت^(١) بالمكاره: أي سترت فلا يكشف الا بتحمل المشاق
 والمكاره .

ما من طاعة الله شيء إلا ويأتي في كرهه وما من معصية الله شيء إلا
 ويأتي في شهوة .

الطاعة قهر الهوى ونصرة العقل، فلذلك يكون في كرهه من القوى
 الشهوانية والغضبية والمعصية قهر العقل ونصرة القوى البدنية، فلذلك يأتي في
 شهوة^(٢) .

إن هذه النفس أبعد شيء منزعا، وأنها لا تزال إلى معصية في هوى .
 يعني إن في باطن الانسان ما يجري مجرى الكلب وهو الغضب وما
 يجري مجرى الخنزير وهو الشره، والحرص^(٣) وما يجري مجرى الشيطان،
 وهذا الشيطان يوسس دائما، ويهيج هذا الخنزير والكلب، فاذا دحرت^(٤)
 الشيطان وقهرت القوة الغضبية والشهوانية، واطعت داعي العقل وحصل لك

١ - في ض : ان الله اعذر اليكم بالجلية أي ببيان الطريقة الواضحة لتبتغوا هذه أي محابة من الأعمال وروى
 لتبغوا اي تطلبوا أو تجتنبوه هذه أي مكارهها .

٢ - في ض : قمع هوى نفسه : قهره وكسر سوره .

٣ - شره إلى الطعام : اشتد ميله اليه وهو شره .

٤ - الدحرت : الدفع بعنف على سبيل الاهانة والاذلال .

من الأخلاق العلم والحكمة والصلاح، والعفة وحسن الخلق وتلك الأخلاق هي الباقيات الصالحات.

فالإنسان واقع بين أمرين أمر الشهوة وأمر العقل، فبمقتضى الشهوة والغضب يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والنكاح، والتغالب وسائر اللذات العاجلة، وبقوة العقل يحرص على اكتساب العلوم والأفعال الجميلة وإلى هذين الأمرين أشار الله تعالى بقوله: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»^(١) ومن حيلة الإنسان أن يتحرى^(٢) ما فيه اللذة.

واللذات على قسمين محسوسة كالمبصرات والمسموعات والمذوقات وغيرها ومعقولة، والمحسوسة في الإنسان غالية، لذلك قال تعالى: «كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» ويحتاج^(٣) أن يقاد في ابتداء أمره إلى مصالحة، بضرب من القهر، كما قال النبي عليه السلام: يا عجا لقوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، ونفي الأمور الشهوانية والغضبية عن الإنسان أمر بعيد لأن تلك القوى مخلوقة مع بدن الإنسان والشرع ما أمر بنفيها بل بتأديبها وكونها منقادة للشرع والعقل، ومدح الله قوما بكظم الغيظ وقال: والكاظمين الغيظ، وما مدح من ليس له غيظ وغضب.

الظنون: السيء^(٤) الظن واعلم أن الله تعالى خلق الحيوانات العجم للدنيا وخلق الملائكة لملاً الأعلى، وخلق الإنسان للدارين والإنسان واسطة بين وضع ورفيع فالمؤمن غير معجب بل هو سيئ الظن بنفسه، وهو ينظر إلى

١ - الإنسان : ٣ .

٢ - التحرى : القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول .

٣ - في ض : ويحتاج الإنسان .

٤ - في ض : الظنون الرجل السيء الظن .

الرفيع الذي فوقه .

فلا يزال زاريا على نفسه ومستزيدا لها : اقتداء بأبي البشر آدم حيث قال : ربنا ظلمنا أنفسنا .

قوضوا من الدنيا : يقال قوّضت البيت اذا نزعت أعوده وأطنابه أي فارقوا الدنيا على وجه لا يلتفتون اليها كما لا يلتفت المسافر الى المنزل .

ومحل به الى السلطان : سعي به .

واتهموا عليه آراءكم : أي لا تفسروه بآرائكم ، فان النبي صلى الله عليه وآله قال : من فسر القرآن برأيه فليتبوأ^(١) مقعده من النار .

العمل العمل ثم النهاية النهاية^(٢) : هذا حث على إقامة حدود الله ومحافظة الأعمال الشرعية أن يوقف عند حدودها فلا يزداد على مقدارها في العدد والصفة ، وفي العقلية أن يجري على ما تقضيه الأداء من غير زيادة ونقصان .

إن لكم نهاية فانتهاوا الى نهايتكم .

قيل معناه ما قال تعالى : «إن إلى ربك الرجعى»^١ والنهاية الغاية ، وقيل غاية الانسان أن يصير من الأبدال وهم الذين يبدلون أخلاقهم وأفعالهم الذميمة أخلاقا وأفعالا حميدة ، تستبدل بالجهل العلم ، وبالشح الجود ، وبالشره العفة ، وبالظلم العدالة ، وبالطيش^(٣) التؤدة وهذا معنى قول الله تعالى «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات^(٤)» .

فالانسان إذا صار من الأبدال فقد ارتقى درجة الأحاب المعنيين لقوله

١ - بواه الله منزل : أي اسكنه اياه .

٢ - في ض : النهاية النهاية : أي الزموا العمل ثم اطلبوا النهاية فيما امرتم ودلتم عليه .

٣ - الطيش : الخفة والتؤدة : الثاني .

٤ - الفرقان : ٧٠ .

تعالى : «يحبهم ويحبونه»^(١) وتتبع ذلك قوله تعالى : «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»^(٢) ، وقول النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وصار من الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، والملائكة يدخولون عليهم من كل باب سلام عليكم فحينئذ انتهوا الى نهاياتهم .

إن للسلام غاية فانتهاها إلى غايته : مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وآله في شعب الايمان : أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة^(٣) الأذى عن الطريق^(٤) دالا بالمنجيات والاعراض عن المهلكات .

والحجيج : المتكلم بالحجة والحج الغلبة بالحجة قال ابن العباس : القدر : هو تقدير الله الأشياء أول مرة ثم قضاه ففصلها ، ولذلك قال رسول الله النبي صلى الله عليه وآله : أفر من قضاء الله إلى قدره ، أي أفر من الشيء قبل أن يقع فيصير قضاء فصلا أي ما قدره ، ولم يفصل ، فان الله تعالى يزيه عني وهو قادر على ذلك .

قال جعفر الصادق عليه السلام : إن الله إذا أراد شيئا قدره وإذا قدره قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، فالقضاء هو التفصيل ، والقطع ومنه قضى بينهم القاضي ، أي فصل الحكم ، ويقال : قضيت الأمر ، أي فرغت منه وأمضيته ، وقوله : فاقض ما أنت قاض أي إصنع ما أنت صانع ، وقوله : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي أمر ، ويقال للميت قضى نجه : أي فرغ من الدنيا وفصل منها قال الحارث بن حلزة :

بأيديهم رماح صدورهن القضاء .

أي الموت والقضاء الماضي تورّد : أي حدث المقضي به قليلا مرتبا

٣- اماط : ننحى وابتعد .

١- المائة : ٥٤ .

٤- في ض : عن الطريق والاشتغال بالمنجيات .

٢- السجدة : ١٧ .

متسقا قال الجوهري : توردت الخيل البلدة أي دخلها قليلا قليلا .
وتهزيع الأخلاق : التهزيع : التكسير والاسراع وأراد بالأخلاق الفضائل
ادون الرذائل .

لسان المؤمن من وراء قلبه : أي لا يتكلم إلا بما يقتضيه قلبه ، ويظهره
قلبه أولا بالأفعال ثم يتبعه لسانه .

وقلب المنافق وراء لسانه : يعني المنافق يتكلم ما لا يعتقد ولا يرضي
ويخالف قلبه فيه لسانه ، فلسان المؤمن يتبع قلبه في الموالاتة^(١) ولسان
المنافق لا يتبع قلبه وفسر عليه السلام ذلك بأن المؤمن يتفكر ثم يتكلم
والمنافق يتكلم ثم يتفكر ويجب أن يكون التفكير أولا .

سليم اللسان من أعراضهم : إشارة إلى أن مظالم الغيبة أمثال مظالم
الأموال ومظالم الدماء فان الغيبة جناية على قلب المؤمن ، وصفاته وأخلاقه
فيتأذى به قلبه والقتل جناية على بدنه .

ما احدث الناس : أي ما ابتدعوه من غير دلالة ولا رواية .

والتضريس : التجربة والاحكام وقال أبو عمر : المضرس الذي جرب
الأمور .

المثل : كلام يعارض به الانسان صاحبه فيبلغ به ما يحاول^(٢) من
حاجته بلا تصريح ويفهم عنه صاحبه مراده ، مثل قول النبي صلى الله
عليه وآله : لا ترفع عصاك عن أهلك لم يرد به ضرب وإنما أراد به الموعظة .
من لم ينفعه الله في البلاء : أي النعمة كما في قوله تعالى : «وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم^(٣)» على ما فسره أبو عبيد .

قوله حتى يعرف ما أنكروا ينكر ما عرف : هذا نقصان لان معرفة ما أنكروا

٣- الاعراف : ١٤١ .

١- في ض : الموالاتة والمعادة .

٢- المحاولة : طلب الشيء بحيلة .

إنما تكون كمالاتها إذا انضمت إلى ما عرفه من قبل، فأما إذا أنكر ما عرفه من قبل وذلك نقصان كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، ومن استوى يومه فهو مغبون.

قالا الامام الوبري: ظلم العباد بعضهم بعضا لأن الله تعالى يقيم العدل بين الظالم والمظلوم باستيفاء العوض، وقال غيره يكافيه الله في دار الدنيا زجر الظالمين ثم يعاقبه على ذلك يوم القيامة، كما فعل بفرعون ونمرود وقارون وغيرهم، وقال تعالى: «لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر»^(١).

عند بعض الهنات: أي القبايح، يقال في فلان هنات أي خصلات شر، (لا يقال ذلك في الخير والمدح والهن الشيء في الأصل).

لم يعط أحدا بفرقة خيرا: من قول النبي صلى الله عليه وآله: الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

فكان من نفسه في شغل: أي يعالج بالآداب الشرعية أمراض الجسد والغضب والشه والشه والكبر وحب المال وغير ذلك من المهلكات.

ج: قمع: قهر، الظنون: بمعنى الظان كالشكور والشاكر، ويكون بمعنى المظنون أي المتهم والظنون الرجل السييء الخلق.
والنزع: الاشتياق واللاواء: الشدة.

العمل العمل والنهية النهاية: أي الزموا العمل واقصدوا النهاية التي هي الموت، واعملوا له والغاية التي وراء هذا هو الجنة.

وعني بالعلم: الامام القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وهو ولم يرد

به الشريعة لأن ذلك مستفاد من قوله.

وان للاسلام غاية: فينبغي ان تكون لهذا فائدة زائدة .
وتهزيع الأخلاق: تغييرها عن محاسنها إلى مساوئها وهزعت الشيء
كسرته، والتهزيع الاضطراب والسرعة .
والمؤمن يستحل العام ما استحل عاما أول: لانه لا يحكم بحرمة الشيء
وحله الا بدليل قاطع إما إجماع أو نص كتاب أو خبر متواتر به أو أقول لمن يوثق
بصدقه وما علم بأحد هذه الطرق، فلا مجال للشك فيه، لا كمن يتبع الظن
أو الامارات فيحكم على الشيء اليوم بخلاف ما حكم عليه أمس .
ليس لنا متابعة الظن في الشرعيات إلا في مواضع مخصوصة ورد الاذن
بذلك فيها على ما هو مذكور في مظانه .
والقرآن جلاء القلوب: لانه يصقل به عنه^(١) صدأ الشك والحزن .
وهن: أي شيء، ولا يقال في الخير وأصله هنو .
وطوبى: فعلى من الطيب أي طاب له العيش على سبيل الدعاء، وقيل:
هو من أسماء الجنة، وقيل: شجرة يظلل الجنان كلها .

* * *

١ - في الحديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، هو ان يركبها الرين بمباشرة المعاصي والاثام فيذهب بجلائها، والصدأ هنا الرين .

١٧٥ - ومن كلامٍ له عليه السلام

في معنى الحكيمين

فَأَجْمَعَ رَأْيِي مَلَيْكُكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا
عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ
الْسِّنْتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكََا الْحَقَّ
وَهُمَا يُبْصِرَانِيهِ، وَكَانَ الْجَوْرَ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوَابَ رَأْيُهُمَا، وَقَدْ
سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ
سُوءَ رَأْيُهُمَا، وَجَوْرَ حُكْمِيهِمَا! وَالثَّقَّةُ^(١) فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا،
حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكَوسِ
الْحُكْمِ.

الشرح

قوله عليه السلام: فاجمع رأي ملتكم إلى آخره.

ج- الملاء: أشرف القوم، الجعجاع: الموضع الضيق الخشن

والجعجة الحبس، وجعجع بهم: أناخ بهم.

أن يجعجها عند القرآن: الجعجة التضييق على الغريم في المطالبة

وكتب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد^(١) في واقعة كربلاء إذا أتاك

كتابي هذا فجعجع بالحسين عليه السلام أي ضيق عليه واحبسه.

فتاها عنه: فتاه في الارض أي ذهب متحيرا عني عمرو بن العاص وأبا

موسى الاشعري، وعني بمعكوس الحكم أنهما ذهبا ليحكما بين علي

عليه السلام ومعاوية فغدر عمر وأباموسى وقال تخلع أنت عليا وبايعت

١ - عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو حفص المدني سكن الكوفة وروى عن أبيه وأبي سعيد الخدري

وعنه ابنه ابراهيم وأبو اسحاق السبيعي وقتادة والزهري وغيرهم وهو الذي أمر بقتل الحسين واول من رمى إلى خيامه عليه السلام وأخاف قلوب أهل البيت سلام الله عليهم.

قال العجلي: وكان يروى عن أبيه أحاديث وروى الناس عنه وهو تابعي ثقة؟! وهو الذي قتل الحسين

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين كيف يكون من قتل الحسين ثقة، قال عمرو بن علي سمعت يحيى بن سعيد

يقول حدثنا اسماعيل وقال: حدثنا العيزار عن عمر بن سعد، فقال له موسى رجل من بني ضيعة يا أبا سعيد هذا

قاتل الحسين فسكت، فقال له قائل عن قاتل الحسين تحدثنا.

نقل الحميدي عن سالم قال: قال عمر بن سعد للحسين: ان قوما من السفهاء يزعمون اني اقتلك، فقال

الحسين: ليسوا سفهاء، ثم قال: والله انك لا تأكل برالعراق بعدي إلا قليلا، فلما غلب المختار على الكوفة

قتل عمر بن سعد وابنه حفصا.

عبدالرحمن بن عوف^(١) وكان عبدالرحمن غائبا ونزل، وصعد عمرو بن العاص المنبر، وقال خلعت عليا وبايعت معاوية فعكسا الحكم لانهما عينا ليحكما ابين علي ومعاوية بموجب الكتاب والسنة لا بموجب أهوائهما .

* * *

١ — عبد الرحمان بن عوف القرشي الزهري يكنى أبا محمد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة ولد بعد الغيل بعشر سنين وأسلم قبل ان يدخل رسول الله دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة المدينة وشهد بدرًا واحداً والمشاهد كلها .

هو الذي عينه عمر بن الخطاب وجعله من أعضاء الشورى لانتخاب الخليفة ، ولما اجتمعوا للشورى سألم ان يخرج نفسه منها على أن يختار منهم رجلا ففعلوا ذلك فاقام ثلاثة أيام وخلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال : لنا الله عليك ان وليت هذا الأمر ان تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر .

فقال : اسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فخلا بعثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، فقال عثمان لكم ان اسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، فصفق على يده فخرج عثمان والناس يهنونه أقصار عثمان خليفة بمساعدة عبد الرحمان بن عوف وانتصاره له .

قال المسعودي : ابتنى عبد الرحمان بن عوف داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربع وثمانين ألفا ، مات سنة ٣٦ .

١٧٦ - ومن خطبة له عليه السلام

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَخْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا
يُصِفُهُ لِسَانٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ،
وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ التَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا
مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ، وَخَفِيَّ
ظُرْفِ الْأَخْدَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا
مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةً مَنْ
صَدَقَتْ نَيْتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ،
وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَرُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ،
وَالْمُضْطَفَى لِكَرَامِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى،
وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرْبِيبُ الْعَمَى .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا
تَنْفُسُ^(١) بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا
كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ
أَجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِعَبِيدِهِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ - حِينَ

تَنْزِلُ بِهِمُ التَّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ التَّعَمُّ - فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ
 مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدِّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ
 لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لِأَخْشَى ^(١) عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ،
 وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُكُمْ فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ
 مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا
 الْجُهْدُ! وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

الشرح

قوله لا يشغله شأن: أي ليس بجسم ذي آلة فلا يجوز الاشتغال عليه، ويشتغل الفاعل إذا صار محلاً فيصير كله، أو بعضه مشغولاً بفعل فلا يتأتى منه غيره في ذلك الوقت، فاما القادر إذا لم يكن مخللاً الفعل من الأفعال فحاله في إيجاد الأفعال كحالة قبلها فكما لم يكن مشغولاً حين لم يفعل فليس بمشغوله إذا فعل .

ولا يغيره زمان: التغيير عبارة عن زيادة في شيء أو نقصان منه والزيادة إما بزيادة الأجزاء أو بحول الأعراض، وهما لا يجوزان إلا على الأجسام وكذلك النقصان، وتتغير الشيء بتغير الزمان كالنبات يبدو في فصل الربيع، وتجف في فصل الخريف والشتاء، والجسم أو العرض يعني بضده أو يكون واجب القدم في الحالة الثانية؛ والله تعالى خالق الزمان منزه عن الجسمية والعرضية، وحلول الحوادث في ذاته؛ فلا يغيره الزمان؛ ولو كان جسماً لغيره الزمان كسائر الاجسام .

ولا يصفه لسان قال بعض العارفين: العبارات والكلمات محدودة متناهية وعظمة الله غير محدودة، وقال الوبري: الواصفون لا يبلغون تفاصيل أفعال الله لانهم لا يعرفون عددها فذكر الله تعالى والمراد أفعاله كأنه قال لا يصف مبلغ أفعاله لسان، وقال ويحتمل مبلغ ما يقدر عليه وما يعلمه، ويحتمل أن يكون المراد، لا يصفه لسان كما يصف الأمور الضرورية .

قال بعض العارفين: ينزهه تعالى كل عارف، عن كمال يمكن إدراكه للخلق، كما ينزهه كل عامي عن النقصان^(١).

سوافي الريح: السفي التراب وسفت الريح التراب تسفية وسفيا إذا اذرتة. الهواء في كلام العرب الخلاء، والكبيس الممتلي. بالهوا ضد الكبيس عندهم، ويقال لما ليس بجرم كثيف الهواء فكأنه لا شيء فيه، قال الله تعالى: وأفئدتهم هواء^(٢)، أي خالية لا تعي شيئاً، ولا عقول فيها وقيل: الهواء في اللغة السعة ويقال لما بين السماء والأرض هواء لا تساعه.

هذه الكلمات لأمير المؤمنين عليه السلام مأخوذة من قوله تعالى: فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين^(٣). ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء^(٤). فكل شيء حاضر له، خلافاً لمن يقول من الجاهلين الضالين إن الله عالم بالكليات دون الجزئيات، بل وسع كل شيء علماً وأحاط بكل شيء علماً، وليس العلم الأزلي موقوفاً على وجود شيء (بل وجود كل شيء^(٥)) موقوف على ذلك العلم المشفوع بالاختيار والحكمة والمشية والقدرة.

فاذا كان الزمان جزءاً من الموجودات، فكيف يجوز أن يقال يلزم من تغير بعض الموجودات تغير علمه، وإنما كان يصح ذلك أن لو كان علمه متوقفاً على وجود الموجودات، مثل البشر فاذا لم يكن علمه كذلك لم يلزم من تغير الجزئيات تغير العلم المحيط بها تعالى عما يقول الظالمون الجاهلون علواً كبيراً.

١ - في ض: وعندني ان المراد بقوله يصفه لسان اي لا يعبر عند كما يعبر عن الامور المدركة المحاط بها لاستحالة الادراك عليه وامتناع الاحاطة به والتصور لماهية.

٢ - الاعراف: ٧.

٣ - ابراهيم: ٤٣.

٤ - ساقط في ض.

٥ - يونس: ٦١.

اعتماد الرجل : إذا أخذ العيمة وهي خيار المال .
 قوله ما كان قوم قط في غض نعمة فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها .
 جعل سبب زوال النعمة الذنوب لأن مرجع الذنوب الى استيلاء القوة
 الشهوانية والغضبية، ومن استولى عليه هاتان القوتان، فهو لا يقدر على إمساك
 النعمة فيزل عنه بسبب عجزه عن إمساكها، ويكون زوال نعمته في الدنيا
 مكافأة لذنوبه .

وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها غير محمودين .
 قال الوبري : كانت تلك الأمور صغائر هي مكفرة بشرط الاجتناب عن
 الكبائر ويجب الاستغفار لصاحبها، وقال غيره هي كبائر موبقة معنا .

قوله لو أشاء أن أقول لقلت : لا يقتضي أنه شاء قال : لأن قول القائل لو
 أردت أن أسافر لركبت الفرس يقتضي أن ركوب فرسه يقتضي إرادته السفر،
 ولا يقتضي أنه أراد وركب، وحصل منه الإرادة والركوب ولكن يقتضي تعلق
 كل واحد منهما بالآخر ومصداق ذلك قوله : ولو شاء ربك لآمن من في
 الأرض^(١)، ولا تقتضي هذه الآية انه تعالى شاء وآمنوا فكذا هاهنا، والكلام
 في الشرحين^(٢) طويل .

ج - العقائل : الكرائم^(٣) وأشراط الهدى : علاماته .
 والمخلد : المايل، ولا ينفسن، بكذا أي لا تفتن^(٤)، ونافس في الشيء
 رغب فيه وروي لا ينفس أي لا يفرج، والياء في موضع عن أو يكون التشديد

١ - يونس : ٩٩ .

٢ - يعني بالشرحين معارج نهج البلاغة للبيهقي ومنهاج البراعة للراوندي .

٣ - في حديث الزكاة واتق كرائم اموالهم : اي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالکها ويختصها لها حيث هي
 جامعة للكمال الممكن في حقها وواحدتها : كريمة .

٤ - في ض : لا ينفس لكذا اي لا يضر .

للتكثير على الوجه الأول .

عيش غض : أي طري ناضر واجترح : اكتسب .

والنقم : العقوبات وفزع إليه : أي هرب والتجا .

والوله : التحير والشارد : النافر .

والجهد : بالفتح المشقة : وبالضم الطاقة .

* * *

١٧٧ - وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد سألته ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةٍ^(١) الْعِيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مَبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بِالرُّوِيَّةِ، مُرِيدٌ بِالْبِهْمَةِ^(٢)، صَانِعٌ لِابْجَارِحَةٍ^(٣)، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ. تَعْنُو الْوُجُوهَ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام لذعلب:

الدَّعْلَبُ وَالدَّعْلَبَةُ: الناقة السريعة، ومنه سمي الرجل.

لا تراه العيون بمشاهدة العيان.

ع: أي بالمقابلة أو المجازاة، والأصل في ذلك أن الكيفية مما يتقاضاه

١ - في ن: لا تراه العيون.

٢ - في ض وب: متكلم لا بروية وفي ح: ومريد لابهمة.

٣ - في م ول: بلا جارحة وفي ر: ورؤي صانع بلا جارحة.

الخيال بواسطة الحاسة المبصرة، ثم يطلب الخيال من كل شيء يصيب الحاسة المبصرة من طريق الكيفية، وما يدركه الانسان بحاسة السمع. فليس للخيال أن يطلب منه الكيفية وكذلك المذوقات والمشمومات. فذلك ما يعرف بالعقل ويدرك بالبصر الذي بعد الموت مما وعده الله تعالى ليس للخيال أن يطلب منه الكيفية فان الكيفية والكمية من قبيل الأعراض، والله تعالى منزّه عن العرضية والجوهرية والجسمية.

قوله قريب من الأشياء غير ملامس:

تأثير الفاعل في الفعل لا يحتاج إلى الملامسة خصوصا ممن يفعل بلا آلة، نظيره أن الروح الانسانية متصرفة ومحركة ولا يقال إنها أقرب إلى عضو بل تصرفها في جميع الأعضاء على نسبة واحدة.

متكلم لا بروية: أي هو غني عن التفكير، والبحث واقتناص^(١) المجهول بالمعلوم.

مؤيد بلا همة: الهمة ما يهيم الانسان من قبل الحاجة، والله تعالى منزّه عن ذلك.

بصير لا يوصف بالحاسة: الباصرة كما في الشاهد.

رحيم لا يوصف بالرقّة: الرحمة من الله تعالى إنعام وإحسان وتفضل ومن الخلائق رقّة وتعطف.

* * *

١ - اقتنص الطير أو الضبي: اصطاده وفي حديثه للإمام علي عليه السلام: قنصت باحبلها: أي اصطادته.

١٧٨ - ومن كلام له عليه السلام

في ذم أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى
 أَبْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ
 لَمْ تُجِبْ، إِنَّ أُمِّهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنَّ حُورِيْتُمْ خُرْتُمْ^(١) ! وَإِنْ
 اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ^(٢)، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ
 نَكَضْتُمْ. لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْظُرُونَ بِتَضْرِكُمْ رَبِّكُمْ، وَالْجِهَادِ
 عَلَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتُ أَوْ الدَّلَالُ لَكُمْ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي
 -وَلِيَايَتِي- لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ^(٣)، وَبِكُمْ
 غَيْرُ كَثِيرٍ. اللَّهُ أَنْتُمْ!! أَمَا دِينَ يُجْمَعُكُمْ، وَلَا مَحْمِيَّةً^(٤)
 تَشْحَدُكُمْ؟ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّلَغَامَ،
 فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكُهُ
 الْإِسْلَامَ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ
 عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا

١ - في م وكور : ان حوربتم جرتم .

٢ - في حاشية م : على امام طغيتم .

٣ - في ب : وانا لكم قال .

٤ - في م وض وح : ولا حمية .

فَتَرَضُونَهُ، وَلَا سُخْطَ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِأَقِي
إِلَيَّ الْمَوْتُ. قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ،
وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَبْتُمْ، لَوْ كَانَ
الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ
بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدَّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ.

الشرح

قوله عليه السلام: أحمد الله على ما قضى وعلى ابتلائي بكم .
قال الوبري: الله تعالى كما يستحق الحمد بما يحدثه لعباده من السراء
فانه يستحق الحمد بما يحدثه من الضراء وفي التكليف إذا كلف سهلا يسيرا
فهو مشكور، وإذا كلف ما فيه بعض مشقة فهو مشكور أيضا، وكان أمير المؤمنين
مبتلي برعيته كما كان يعقوب مبتلي بفراق ابنه وأيوب مبتلي بمرضه وموسى
بأتمته الجاهلة .

وخار الرجل يخور خوورة: ضعف وانكسر.

وحميت عن كذا حمية بالتشديد ومحمية: إذا أنفت منه .

والتريكة: البيضة التي تتركها النعامة^(١) والروضة التي يخلفها^(٢)

الناس فلا يرعونها، والمرأة التي لم تتزوج بها أحد، وما تركه الميت من
التراث وأصلها من الترك، وهي بمعنى المتروكة كأنه قال: أنتم خليفة
الاسلام وما بقي منه .

١ — النعامة طائر يقال فيه انه مركب من خلقه الطير وخلقته الجمل اخذ عن الجمل العنق والوظيف والمنسم ،
ومن الطير الجناح والمنقار والريش ويقال لذكرها الظليم وللنعامة اريش جميل يستعمل للزينة .

٢ — في ش : يعلقها الناس .

والطائفة من الشيء القطعة منه، قال ابن عباس في قوله تعالى :
 وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، الواحد فما فوقه، وشكايات أميرالمؤمنين
 من رعاياه يتبع شكاية موسى من امته لأن موسى أول من دعا بني اسرائيل
 إلى الكتاب المنزل والأمر والنهي، فشق ذلك عليهم وأميرالمؤمنين أول من
 قاتل (أهل البغي، والخوارج فشق ذلك على رعاياه وعسكره لأنهم ما تعودوا
 قبل ذلك قتال^(١) أهل القبلة .

ابن النابغة عمرو بن العاص نسبة إلى أمه ولها قصة^(٢) .

ج — خرتم : بكسر الخاء أي ضعفتم وبالضم من الخوارة أي صحتم
 وروي بالجيم أي أعرضتم، وعدلتم .

نكصتم : أي رجعتم والنكوص الاحجام^(٣) .

والطغام : الاوغاد^(٤) والأرذال من الناس، يوصف به الواحد والجمع .



١ — بين المهملين ساقط في ش .

٢ — النابغة ام عمرو بن العاص قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة : ذكر الزمخشري في ربيع الابرار :
 كانت النابغة ام عمرو بن العاص امة لرجل من عنزة فيبعت فاشتراها عبد الله بن جدعان بمكة فكانت بغيا ثم
 اعتقها فوقع عليها أبو لهب وأميه بن خلف وهشام بن المغيرة وأبوسفيان والعاص بن وائل في طهر واحد .
 فولدت عمروا فادعاه كلهم فحكمت امه فيه فقالت : هو من العاص بن وائل وذلك لأن العاص بن وائل
 كان يتفق عليها كثيرا . قالوا : وكان اشبه بابي سفيان وفي ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب في
 عمرو بن العاص :

أبوك أبوسفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل

روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الانساب ان عمرا اختصم فيه يوم ولادته رجلان أبوسفيان بن

حرب والعاص بن وائل فقبل لنحكهم امه فقالت امه من العاص بن وائل ، فقال أبوسفيان : اما لاني لا اشك

اني وضعته في رحم امه فابت الا العاص — راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٨١ .

٣ — احجم : تاخر .

٤ — الاوغاد جمع الوغد : الضعيف العقل .

١٧٩ - ومن كلامٍ له عليه السلام

وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: آمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعْتَ الْأَسِنَّةُ
إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ^(١)! لَقَدْ نَدَمُوا عَلَى مَا
كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَقْلَلَهُمْ^(٢)، وَهُوَ غَدَا مُتَبَرِّئِي
مِنْهُمْ، وَمُتَّخِلٍ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى،
وَأَرْتَكَاسِهِمْ فِي الظَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ،
وَجَمَّاحِهِمْ فِي التَّيِّهِ.

١ - في ش: على هامهم.

٢ - في ح وب وض: قد استقلهم وفي ر: ورؤي استفرهم.

١٨٠ - ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جبينه ثفنة بعير. فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ،
 نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرُ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ
 وَأَمْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ
 مُقَرَّبًا، وَلِحَسَنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْتِعَانَةَ رَاجٍ
 لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَآتِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ،
 مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاءٍ مُوقِنًا،
 وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا،
 وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَاذَّ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا: لَمْ يُوَلِّدْ سُبْحَانَهُ
 فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُورِثًا هَالِكًا^(١)، وَلَمْ
 يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ

١ - في ض وب : فيكون مورثا هالكا .

لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُثَقَّنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ .

فَمِنْ (١) شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ مُوْطَدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ،
قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعَنَاتٍ، غَيْرَ
مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ
لَهُ بِالطَّوَاعِيَّةِ (٢) لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَنًا
لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَضْعَدًا لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ
خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَغْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ
فَجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا إِذْلِهَمَامُ سَجَفِ اللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتِطَاعَتْ (٣) جَلَابِيبُ الْحَنَادِيسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ
فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ، وَلَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ،
وَلَا فِي يَفَاعٍ (٤) الشُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ
فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ
وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهِيظَالُ السَّمَاءِ،
وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَّهَا، وَمَا
يَكْفِي الْبِعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ (٥) مِنْ انْثَى فِي بَطْنِهَا .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ
أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرِكُ بِوَهْمٍ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا

١- في ب : ومن شواهد .

٤- في م وف ون : بقاع .

٢- في م ون : بالطوعية وفي ش : واذعانهن بالطوعية .

٥- في ض وح : وما تحمل الانثى .

٣- في حاشية ن ولا استطاعت .

يَسْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلَا يُنْظَرُ^(١) بَعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحٍ وَلَا أَدْوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ، بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِيُوصِفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجِحِينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولَهُمْ أَنْ يَجِدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُووُ الْهَيْئَاتِ^(٢) وَالْأَدْوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ! فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِيُدْفِعَ الْمَوْتَ^(٣) سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ الثُّبُوءِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِيسِيُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَأَضْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْظَلَّةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لِعِبْرَةً! أَيِنَّ الْعَمَالِقَةَ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيِنَّ الْفَرَاعِنَةَ وَأَبْنَاءَ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيِنَّ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ.

١- في ف ون وم غ ولا يبصر بعين .

٣- في ض وب : او الى دفع الموت .

٢- في ش : ذواهيئة .

وَأَظْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأُخِيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ (١) ؟ أَيْنَ
الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا بِالْأَلُوفِ، وَعَشَكُرُوا الْعَسَاكِرَ،
وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ !؟

منها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا:
مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ
نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ
مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ
الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا جُجَّتِيهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ
أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ
الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَمُ؛ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ
بَعْدَهُمْ؛ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا؛ وَحَدَوْتُكُمْ
بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا!! لَهِ أَنْتُمْ، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَظُنُّ
بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ !؟

أَلَا إِنَّهُ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ
مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ (٢) التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ؛ وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ
الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ

١ - في م ون وف: سير الجبارين.

٢ - في ب: وازمعو الترحال.

سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِيفَيْنِ (١) أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّتْقَ؟! قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوْقَاهُمْ أَجُورَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيَّنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيَّنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيَّنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟ وَأَيَّنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيَّنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا (٢) عَلَى الْمَنِيَةِ، وَأَبْرَدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ؟!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته (الشريفة الكريمة (٣)) فأطال

البكاء، ثم قال عليه السلام:

أُوهُ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوْا الْقُرْآنَ (٤) فَأَحْكُمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْقَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَخِيَا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثم نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ!! أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ.

قال نوف: وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخرى، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان.

١ - في ح وش: سفكت دماؤهم بصيفين.

٢ - ساقطة من ف وم ون وش.

٣ - في ض وح وب: قرأوا القرآن.

٤ - في ك: تعاهدوا.

الشرح

قوله عليه السلام أمنوا فقطنوا .
 أي سكنوا ونزلوا وطمعنوا: أي سافروا .
 بعدا: هلاكا وأشرعت الرمح: قبله سدده .
 استفلهم: عدهم قليلا ارتكاسهم: أي رجوعهم .
 نوف البكالي: نسب إلى البكالة^(١) لانه كان يبيعها، والبكالة: البكيلة
 وقيل هو البكيلي وبكيل حيّ من همدان ومنه قول الكميت^(٢) .
 لقد شركت فيه بكيل وأرحب .
 جعدة بن هبيرة^(٣) المخزومي ابن اخت أميرالمؤمنين علي بن أبي
 طالب عليه السلام .

١ — نوف البكالي حاجب أمير المؤمنين عليه السلام ومن خواصه واصحابه ، وهو الذي حدث عن علي عليه السلام روايات منها انه قال بت ليلة عند أمير المؤمنين فكان يصلي لله كله ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر الى السماء ويتلوا القرآن قال فمر بي بعد هذا من الليل فقال يانوف ار اقدم راقم قلت بل راقم ارمقك ببصري يا أمير المؤمنين الى آخر الحديث .

٢ — في ض زيادة وهي : النوف في الاصل الارتفاع وناف الشيء أي طال وارتفع والبكالة والبكيلة الدقيق يخلط بالسويق ثم بلت بماء او سمن او زيت وقيل السويق التمريبلان باللبن وقيل الاقط المطحون يبل بالماء واصل البكل الخلط قيل نسب الى البكالة لانه كان يبيعها الخ .

٣ — جعدة بن هبيرة المخزومي ابن ام هاني اخت أمير المؤمنين عليه السلام : عامل أمير المؤمنين في خراسان وهو الذي افتتح نيسابور في المرة الثانية وله حروب كثيرة في بلاد خراسان وفيه يقول الشاعر:
 لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور .

الخنوع: الخضوع والذل .

لم يولد فيكون في العزم مشاركا .

لابد للمولود من والد فاذا قد شاركه الوالد في العز والقدرة والمملكة، لأن التقدم يربي على المشاركة في العز واذا جاز أن يتقدم عليه غيره فلا أن يجوز أن يشاركه غيره أولى .

ولم يلد فيكون موروثا هالكا .

(لأن من جاز عليه^(١) الموت في الفناء فيجوز حينئذ أن يرثه الولد، ويبقى بعده فيكون الوالد موروثا^(٢)) هالكا أبطل عليه السلام بالكلام الأول الشركة وبالثاني الفناء وقيل: من يولد فانما يولد، لأن نوعه يبقى بالتوالد. وما يبقى نوعه بالتوالد، لا بالأعيان فله جنس وفصل وشريك، فذلك، قال: يكون في العزم مشاركا، مثاله أن الانسان يتوالد لانه إن لم يتوالد لم يبق نوع الانسان، فيكون مع الانسان انواع مشتركة داخله تحت جنس .

وقوله لم يلد فيكون موروثا هالكا، كل من يتولد منه، فانما يتولد لان المولد لا يبقى ولو كان باقيا لما تولد مثله، ويبقى هو دائما ولهذا نظائر في النباتات والحيوانات، ولم يتقدمه وقت ولا زمان: لان الوقت حادث، وهو تعالى قديم، ومقارنة الحادث للقديم، محال فضلا عن تقدمه .

ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان: كما لغيره من الاحياء .

دعاهن فاجبن طائعات: من قوله تعالى: فقال لها وللأرض أئتياطوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين^(٣)، قال بعض العلماء: السماوات والارضون وجدت، ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد، حتى يقال لِمَ لم يوجد قبل ذلك، فان القبلية

١ - في ض: لان من جاز عليه، الولد جاز عليه الموت والفناء .

٢ - بين الهلالين ساقط في ش .

٣ - آل عمران: ٨٣ .

والبعدية عارضتان، من عوارض الزمان لا يوجد الا بعد وجود الاجسام، فكما لا يجوز أن يكون قبل وجود الاجسام فوق ولا تحت لانها عارضتان من عوارض المكان فكذلك لا يجوز أن يكون قبل وجود الاجسام قبل ولا بعد لان ذلك موقوف الوجود على وجود الزمان والزمان موقوف الوجود على الحركة والحركة موقوفة الوجود، على وجود الاجسام.

ولو لا اقرارهن بالربوبية: أي لو امتنع عليه خلق من خلقه، واستصعب على مراده فلم يقدر على إمضاء أمره^(١) فيه لما قدر أن يتصرف فيه على أي وجه كان بأن يجعله موضعا للعرش، ولا للملائكة فأراد بقوله.

لو لا إذعانهن: أي قبولهن لما يحدث الله فيهن من أنواع أفعاله، فاذا قدر على تصريف الخلق في وجهه، قدر على تصريفه في جميع الوجوه لأن القادر على شيء يحدثه على وجه قادر على أن يحدثه على أي وجه يصح أن يكون عليه بالفاعل، وقالت الفلاسفة: السماء حيوان مطيع لله تعالى.

جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيوان:

بين أن فائدة علم النجوم إنما هي الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر. لم يمنع ضوءها ادلهمام سجد الليل المظلم.

قال الامام الوبري: إنما لم يصح من الظلمة أن يمانع نور الكواكب لأن الله تعالى قادر على أن يزيد في قدر أنوارها على قدر أجزاء الظلمة وإنما يكون الشيء مانعا لكثرة أجزائه ففي أي جانب حصلت الكثرة صار الجانب الآخر مغلوبا.

السفع: آثار الدار والاثافي والجلجلة: صوت الرعد والجلجل السحاب الذي في صوت الرعد.

بعلاج : أي مزاوله .

بل إن كنت صادقا أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل .
قال الوبري : هذا تنبيه على الدلالة على وحدانية الله تعالى لأنه اذا قدر أن يتصرف في جنس واحد فيخالف بين أشكاله وهياته حتى يكون بعض الأجسام مرثيا مدركا بالتماسة وبعضها يتعذر فيه الادراك حتى نزل منزل ما ليس بمدرك في نفسه ، دل ذلك على أنه لا يكون مشبها للاشياء وقال بعض الحكماء : من عجز عن وصف الملائكة ، ومعرفة حقائقهم فهو عن معرفة كنه عظمة الله أعجز .

العمالقة : أولاد عملاق لوة بن سام بن نوح ، وأخوه جديس ، ولكن إسم العمالقة وقع على أولاد عاد وثمود وأولاد جديس وأولاد صحار وأولاد وبار فهؤلاء العرب العمالقة الذين انقضوا عن آخرهم ، وكان منزل (عاد اليمن ، ومنزل ثمود) ما بين الحجاز الى الشام ، ومنزل طسم نحو عمان والبحرين ، ومنزل جديس اليمامة . ومنزل صحار، تهامة والحجاز، ومنزل جاسم في حد سفوان^(١) ومنزل وبار رمل عالج^(٢) .

فرعون اسم حيوان مائي والفراعنة ألقاب ملوك القبط منهم سنان بن الأشد بن علوان بن العبيد بن عوج بن عمليق والرّيان بن الوليد بن لقب بن باران بن عمرو بن عمليق وهو فرعون يوسف عليه السلام ، والوليد بن مصعب ابن أبي أهون بن العلوان بن فاران بن عمرو بن عمليق وهو فرعون موسى

١ - سفوان بفتح اوله وثانيه وآخره نون ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافي وهو التراب وسفوان ايضا واد من ناحية بدر .

٢ - عالج باللام المكسورة والجيم رملة بالبادية مسماة هذا الاسم قال السكوني عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو يحتر من طيء وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها وهو مسير اربع ليال وفيه برك اذا سالت الاودية امتلأت وذهب بعضهم إلى ان رمل عالج هو متصل بوبار ، قال اعرابي :

فيا راشقات العين من رمل عالج متى منكم سرب الى الماء وارد

عليه السلام .

والنماردة: ألقاب ملوك السريانيين واحدهم نمرود منهم نمرود بن كنعان بن حام (بن نوح، وهو صاحب ابراهيم عليه السلام، ونمرود بن كوس بن كنعان بن حام: وهو) صاحب النور، ونمرود بن ماشي بن نوح، ونمرود بن ساروع بن لدغو، ونمرود بن كنعان بن المصاص بن نبطان بن عنيز بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وأصحاب الرّس قيل: إنهم كانوا سبعة آلاف رجل مع المواشي والبهائم، والانعام فوصلوا إلى مفازة هواؤها سجسج^(١) وفضاؤها أبلج^(٢) ولم يكن فيها ماء فحفروا حفرة فنبع منها الماء فشرب منه فكان ماء عذبا وكان في حوالي الحفرة رملة مرد^(٣) فدبر زعيمهم واستخرج الجصّ والجلود^(٤) وحفروا بواسطة الجلود بئرا ففارت البئر، وجرى الماء من شفا البئر واستسقى من هذا البئر سبعة آلاف رجل مع المواشي والحيوانات وامداد النز^(٥) متواترة .

فبنى زعيمهم على أكمة في تلك الوادي من الطابق والصاروج قصرا مشيدا وتحصن به وهو أول من تحصن بالقلع، والحصون والقصور فأرسل الله إليهم حيقوق النبي المذكور في دعاء الاستفتاح، وقيل حنظلة ابن صفوان: وأصحاب الرس كانوا يعبدون هذا البئر ويسجدون على شفير هذا البئر تعظيما للبئر، قطعوا في البلاد واكثروا في الفساد، فعصوا الرسول وزجروه وقتلوه فباتوا

١ - هواء سجسج : أي معتدل بين الحر والبرد .

٢ - الأبلج : الأبيض الحسن الواسع الوجه .

٣ - رملة مرد ، أي لا تنبت فيها شيء ، وهي الأرض الخالية من النبات .

٤ - الجلود : الأرض الصلبة .

٥ - النز : ما يتحلب من الأرض من الماء .

ليلة. فلما أصبحوا صار مأوهم غورا والبثر معطلة لاماء فيها إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: «وبثر معطلة^(١)»، وماتت مواشيهم بياض يومهم وأرسل الله جبريل حتى صاح وأهلكم بصيحة واحدة فماتوا بقضهم وقضيضهم^(٢) وقيل إنهم كانوا قبل نوح عليه السلام وقيل بعده - والله أعلم^(٣).

أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن.

عنى الفيشدادية^(٤) من ملوك الفرس والكيانية بلغة الفرس الجبابرة والأشكانية والأكاسرة، ومن ملوك اليمن السابعة والاذواء ومن ملوك اليمن اللخميون، ثم المالكية ابنا ملك بن فهم، ثم البطالسة ملوك الروم ويونان، ولقب كل واحد منهم بطلميوس.

١- الحج : ٤٥ .

٢- قولهم : جاؤا بقضهم وقضيضه : إذا جاؤا مجتمعين ينقض آخرهم على أولهم .

٣- روى الشيخ الصدوق في علل الشرايع الباب ٣٨ حديثا مفصلا بطريقة عن الحسين بن علي أبي طالب عليهما السلام قال اتى علي بن ابي طالب قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف بني تميم يقال له : عمرو فقال له يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ، ومن كان ملكهم وهل بعث الله عز وجل اليهم رسولا ام لا .

فقال علي عليه السلام : لقد سألت من حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به احد بعدي ، وكان من قصتهم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب ، كانت انبتت لنوح بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

كانت لهم اثنا عشر قرية على شاطيء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر اغرر ولا أعذب منه ، والحديث طويل ذكرنا منه موضع الحاجة وفي تفسير علي بن ابراهيم القمي الرس : نهر بآذر بيجان .

٤- الفيشدادية طبقة من ملوك ايران قبل الاسلام أولهم كيومرث وآخرهم نوزر حفيد منوچهر بن فريدون والكيانية ايضا طبقة من ملوك ايران أولهم كيفياد وآخرهم بهمن بن اسفنديار كما جاء في شاهنامه المنظومة المشهورة للحكيم أبي القاسم الفردوسي الطوسي .

عسيب الذئب: منبته من الجلد والعظم .
وجران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

الخليفة: من يتولي امضاء الأمر عن الآخر، وسمي خليفة لأنه يخلف
الذاهب أي يجيء بعده وفي الصحاح الخليفة: السلطان الأعظم والجمع
الخلايف ككريمة وكرائم، ويجمع على خلفاء على تقدير حذف الهاء
كظريف وظرفاء، وروي أن سلمان الفارسي^(١) قال لعمر بن الخطاب الخليفة
الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على
أهله ويقضي بكتاب الله عز وجل .

أين عمار: أراد عمار بن ياسر وأبن التيهان وهو أبو الهيثم بن التيهان
الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وذو الشهادتين خزيمة^(٢) بن
ثابت صاحب رسول الله الذي كانت شهادته مثل الشهادتين، عند رسول الله
صلى الله عليه وآله .

١ — سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مول رسول الله صلى الله عليه وآله اصله من فارس من
رامهرمز وقيل انه من جبي وهي مدينة اصفهان وكان ببلاد فارس بجوسيا سادن النار، ثم رحل من بلده إلى
الشام وسكنها مدة يطلب الدين الحنيف، ثم رحل إلى الموصل وأقام بها .

ثم رحل إلى الحجاز مع ركب من الاعراب فباعوه من رجل من اليهود في وادي القرى، ثم اشتراه رجل
وحمله إلى المدينة، فسمع نزول النبي صلى الله عليه وآله وجاء إليه وأسلم، فصار من خواص الرسول، حتى قال:
سلمان منا أهل البيت وله الفضائل المشهورة والمناقب المعروفة وسكن سلمان العراق ومات بالمدائن وقبره مشهور
بزيارة .

٢ — خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي ذو الشهادتين جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين
وكان هو وعمير بن عدي يكسران اصنام بني خنظمة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد كلها وكانت راية بني
خنظمة بيده يوم الفتح .

شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين ولم يقاتل بهما، فلما قتل عمار بن ياسر بصفين قال خديجة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتل عمارا الفئة الباغية ثم سل سيفه وقاتل حتى قتل؛ وكانت وقعة صفين
سنة سبع وثلاثين .

أبرد: أي أرسل مع البريد.

ج- بكال حيّ من همدان من اليمن، ويقال لهم بكيل أيضا وهذا أكثر^(١) وانشد بيت الكميت، ومن شدد الكاف فقد أخطأ، قال ثعلب البكالي بكسر الباء، وجعدة بن اخت أمير المؤمنين، وقد زوجه على ابنه وكان ابنه شجاعا فارسا وفيه يقول الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم * ولا خراسان حتى ينفخ الصور
والليف الخشن الغليظ، يكون بين جرائد النخل على رأس الجذع.

وثقنة البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه اذا استناخ، وغلظ كالركبتين، ومنه سمي علي بن الحسين عليهما السلام بذئ الثقات لأن السجود كان قد أثر في مساجده السبعة.

المصائر: جمع مصير، بمعنى المصدر، إنما جمع مع أن المصدر يقع على القليل والكثير لاختلاف وجوهه لأن الخلائف يرجعون إليه تعالى في أحوال شتى، عاجلا وآجلا، إختيار واضطرارا في جلب منفعة أو دفع مضرة قال تعالى: وتظنون بالله الظنونا.

نحمده على عظيم إحسانه يعني أصول نعمه التي هي الحياة، والقدرة والشهوة وغيرها مما لا يدخل تحت القدر من أجناس المقدورات.

ونير برهانه: يعني ما نصبه من الدلائل القاهرة على وحدانيته وما أبدع من خلقنا وتراكيبنا، وعقولنا وغيرها من عجائب العالم.

ونوامي فضله وامتنانه: يعني أرزاقه الدارة الهنيئة عاجلا وما وعد به: من عوايد فضله، وزائد نعمه آجلا ثم ذكر أن العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء قضى حق الله تعالى وأدى شكر نعمه الماضية، وتقرب من

١- في ض: أكثر ما نسب إليها.

استحقاق ثواب الله فاستحق المزيد من نعمائه .

والاذعان: الانقياد، والرجاء، والأمل: يقرب معناهما إلا أن في الرجاء تأخيراً لا يكون في التأمل، ولذلك خص الرجاء بالثواب الذي يكون في الآخرة والأمل بالنعم الدنياوية .

وتمجيد الله: أن ينسب تعالى إلى المجد وهو الكرم، وفلان شريف ماجد: أي له آباء متقدمون في الشرف والتمجيد في عرف الشرع قول لآل حول ولا قوة إلا بالله خاصة .

لم يولد: لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى قديم لا أول لوجوده، وليس بجسم .

ولم يلد: لأنه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحب، فيتوالد وإنما قدم قوله: لم يولد لأنه يدل على قدمه إذ لو كان مولوداً لكان حادثاً وقوله: لم يلد يدل على نفي حاجته لأن الإنسان يشتهي الولد بحاجته، وقدم الوصف الثبوتي على الوصف العدمي .

أما في سورة الأَخْلَاصِ فانما قدم لم يلد لأنها نزلت رداً على الذين اثبتوا لله تعالى ولداً كاليهود والنصارى والصابئة حيث قالوا عزيز بن الله، والمسيح بن الله والملائكة بنات الله .

والمبرم: المحكم والموطد: المثبت بغير عمد ترونها أي ليس لها عمداً ولها عمد لا ترونها وهي قدرة الله تعالى .

والسند: المعتمد والمتكأ .

وتلكا عن الأمر: تباطأ عنه؛ متلكيات، متأخرات .

فاجبن طابعات: ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة، ولا جواب وإنما خير الله تعالى عن اختراعه السموات والأرض وإنشائه من غير تعذر، ولا كلفة ومشقة بل كما يقال للمأمور المطيع: افعَلْ فيفعل، بلا توقف، وذلك مثل قوله

تعالى ، إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون^(١) وإنما قال طائعين ،
تغليبا لمن فيها من العقلاء ، وإقرار السموات بالربوبية دلالتها بما فيها من
الآيات الباهرة على الصانع الحكيم ، وهي من الصامة الناطقة وأمر تعالى
الملائكة باصعاد الأعمال الصالحة إلى السموات لأن المواضع العالية الرفيعة
أليق بالامور العلية الشريفة ، هو شرف العلويات من حيث أنها أعظم في باب
الدلالات .

والفج : الطريق في الجبل والقطر : الناحية والادلهمام : الظلمة .

والسجف : الستر والهندس : الظلمة وكذا الغسق .

والساجي : الساكن والداجي ، المظلم والتطاطؤ : التظامن^(٢) .

والسفعة : سواد يشرب حمرة والوان الجبال في الاغلب كذلك والسفعة في

الوجه السواد واليفاع ما ارتفع من الارض وتلاشي : ركب من لا شيء .

وتجلجلت قواعد البيت : تضعضعت والعواصف : الرياح الشديدة .

والأنواء : جمع النوء وهو سقوط النجم من المنازل في المغرب مع

الفجر ، وطلوع وقته من المشرق ويقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر

يوما ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما عدا الجبهة فان لها أربعة

عشر يوما .

قال أبو عبيد : ولم يسمع في النواء انه السقوط إلا في هذا الموضع وكانت

العرب يضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها في سلطانه :

وقال الاصمعي إلى الطالع منها ؛ فنقول مطرنا بنوء كذا .

والانهطال : الانصباب ، وحجرات القدس : منازل الملائك .

والارجحنان : الميل وارجحن الشيء : اهتز .

متولهة: أي متحيرة استوفى طعمته: كناية عن الموت.

العمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم أمم تفرقوا في البلاد.

فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء و^(١)مكر.

الرسّ اسم برّ لبقية من ثمود قوم صالح، وقيل الرس قرية بفلج اليمامة أهلها هؤلاء.

قال الصادق عليه السلام: أصحاب الرس كان نساؤهم ساحقات، وقيل أصحاب الرس هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء، وهو أعظم ما يكون من الطير لطول عنقها: وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فيح وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابته الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا.

والمدينة: من مدّن بالمكان أي اقام به وقيل هي مفعلة من الدين وهو الملك، فعلى هذا يهمز جمعها.

قوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام الى قوله خليفة من خلائف الأنبياء. إشارة الى حال المهدي عليه السلام، وغيبته، لما يدعو إلى ذلك من الخوف وداعي الحكمة.

والبعير: إذا أناخ وألصق الأرض بصدرة وضرب بأصل ذنبه فلا يكون تصرف به ومجيء وذهاب.

ولم تستوسقوا: أي لم تجتمعوا.

وأزعم الترحال: صمم عليه عزمه، قال الكسائي يقال ازعمت الامر ولا

يقال أزمعت عليه، وقال الخليل: ازمعت عليه، وقال الفراء أزمعته وأزمعت عليه بمعنى .

يسيفون: يتجرعون تعاهدوا على المنية: أي على ما يؤدي إليها من جهاد العدو.

أبرد برؤوسهم: أي بعث بها على يد البريد.

أوه: كلمة توجع ويتكلم بها عند الشكاية، وربما قلبوا الواو ألفا وربما شددوا الواو ومددوا والألف لتطويل الصوت بالشكاية .
الجهاد الجهاد: أي اقصدوه.



١٨١ - ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ
مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَأَسْتَعْبَدَ الْأَرْتَابَ بِعِزَّتِهِ،
وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ
إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِظَائِهَا،
وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا^(١)، وَلِيَهْجُمُوا
عَلَيْهِمْ بِمُغْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِحِهَا وَأَسْقَامِهَا، وَلِيُبْصِرُوهُمْ
غُيُوبَهَا وَحَلَالَهَا وَحَرَامَهَا^(٢)، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ
وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، جَعَلَ^(٣)
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا.

منها: في ذكر القرآن: فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ،
حُجَّةٌ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ: أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ^(٤)، وَأَرْتَهَنَ^(٥)

١ - في م : لهم عن امثالها .

٢ - في ب هنا تقديم وتأخير .

٣ - في ض وب : وجعل .

٤ - في ض وب وش : اخذ عليه ميثاقهم وفي ك : اخذ على المكلفين ميثاقه .

٥ - في م : وارتهن عليهم نفوسهم وفي ض وب وش وارتهن عليه انفسهم .

عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، أْتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ^(١)، وَقَبَضَ نَبِيَّهٗ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ،
 فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ
 شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ شَيْئاً رِضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ، إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ
 عِلْماً بَادِئاً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا
 بَقِيَ وَاحِداً، وَسُخْطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِداً.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ
 قَبْلَكُمْ؛ وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
 وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ
 الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى
 الشُّكْرِ، وَأَفْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى
 وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
 بِعَيْنِهِ؛ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ: إِنْ أُسْرَرْتُمْ
 عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ^(٢) بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً،
 لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلاً، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
 يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخْلِدَهُ فِيمَا
 أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنَزِلَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارِ
 أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا
 مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ، فَإِنَّ

٣- ف ب وض : منزلة الكرامة .

١- في ش : واكرم به دينه .

٢- في ض وب : قد وكل بكم حفظه .

النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِإِرْتِحَالِ، وَأَمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّيْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَشْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تَحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينِ شَيْطَانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِنُغْضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ!!؟؟

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْتَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ، حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَاللَّهُ اللَّهُ، مَعَشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ!! وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رَهَائِئُهَا: أَشْهَرُوا عُيُونَكُمْ. وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُدُّوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ^(١) وَتَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً

حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ؟)، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ
 دُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُثُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرِضَكُمْ وَلَهُ
 خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا^(١) أَرَادَ أَنْ
 يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ
 جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ؛ وَأَكْرَمَ
 أَسْمَاعَهُمْ^(٢) أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ
 تَلْقَى لَغُوبًا وَنَصَبًا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ دُو
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
 نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ. وَهُوَ حَسْبُنَا^(٣) وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

١ - في ب : و اراد ان يبلوكم .

٢ - في م : اسماعهم عن ان تسمع .

٣ - في ب : وهو حسبي .

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله المعروف من غير رؤية إلى آخره .
المنصبة: التعب .

ليكشفوا لهم من غطائها: أي لينبهم على معائب الدنيا ووخامة عواقبها .
وليضربوا لهم أمثالها: أي يدلوهم عن صفاتها بضرب المثل اللايق اشباهها بها،
وبيان^(١) اشتباهها، كما قال تعالى: إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من
السماء، إلى قوله فجعلناهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس^(٢)، وأمثال ذلك .
ليهجموا عليهم بمعتبر: أي ليأتوهم^(٣) من التذكير والتخويف والارشاد
بما فيه الاعتبار .

استحمد: أي فعل ما يحمد عليه^(٤) .

جعل لكل شيء قدرا: أي جعله مقدرا بفرض صحيح القرآن .
أمر وزاجر: أي فيه أمر وزجر، كما يقال ليله قائم ونهاره صائم .
وصامت ناطق: أي مع سكوته ينطق بالحكمة .
أخذ على المكلفين ميثاقه: بما نصب لهم من المعجزات الدالة على

١ - في ض: لبيان اشباهها .

٢ - يونس: ٢٤ .

٣ - في ش: ليشتوهم من التذكير .

٤ - في ض: ما يحمد عليه أي حمدة متقربا الى نفسه موجها للحمد إلى ذاته حمدا مثل الحمد لله الذي وجه
التكليف إلى خلقه واسند الامر به اليهم منه تعالى .

نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله الذي جاء بالقرآن المبين لما فيه من الأحكام بأوضح البيان، ولزم المكلفين بالانقياد له لقيام الأدلة على صحته كما يلزم الرهن لقبض المرتهن .

علما : أي علامة، والآية المحكمة: مالا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحدا، فمتى سمعها من عرف طريقة الخطاب، وعلم القرائن أمكنه أن يستدل في الحال على ما يدل عليه، والمتشابه ما يحتاج عند سماعه إلى فكر مبتدأ، ليحمل^(١) على الوجه المطابق للمحكم أو لدليل العقل .

لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم .

ما سخطه هو ما نهى عنه، ومارضى به، وهو ما أمر به، فكل من أتى بما نهاه الله عنه، فإنه لا يرضا به، وكل من أتى بما أمره به وجوبا، فإنه لا يسخط عليه، ويكون ذلك محمولا على ما كان مستمرا في سائر الأديان من أصول العبادات ومخصوصا بذلك دون ما يتغير ويختلف حسب اختلاف الأوقات والمكلفين ليغير المصالح .

في دار اصطنعها لنفسه .

ش— أي لخلص أوليائه، كما روي أن الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وآله: مرضت فلم تعدني يعني مرض بعض أوليائي المخلصين .

ونورها بهجته: أي بهجة العرش أو بهجة الله أي حسن ما أبدعه ثم^(٢) خلقه بيديه بلا واسطة .

يوشك: أي يقرب، يرهقهم: يغاشهم ويرهقهم يغشيهم، وروي بهما

١— في ض: ليتحمل .

٢— في ض: حسن بما أبدعه تم خلقه .

جميعا أي يرهقهم الأجل شدة وكلفة .

سأل إليه الرجعة من كان قبلكم : إشارة إلى ما حكى الله من قوله : رب ارجعون لعلي أعمل صالحا^(١) - الآية، وقوله : يا ليتنا نردّ^(٢) .

والرمضاء : الرملة الحارة، والطابق : الأجر الكبير فارسي معرب .

ضجيع حجر : من^(٣) قوله تعالى ؛ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة، وقيل انها حجارة الكبريت، ومالك هو خازن نار جهنم .

والغضب : منه تعالى إرادة الانتقام، والحطم : الكسر، واليفن : الشيخ

الكبير .

ولهزه القتير : أي خالطه الشيب ورجل ملهوز أي اشمط^(٤) ولهزه

بالرمح : طعنه في صدره، والقتير رؤوس المسامير في الدروع شبه الشيب^(٥)

به .

التحمت : أي التفت وانضمت والتصقت .

ونشبت الجوامع : أي علقت الأغلال، والجامعة الغلّ، لأنها تجمع

اليدين إلى العنق .

قبل أن تغلق رهائنها : أي قبل أن لم يقدروا على تخلص رقابكم وكان

من أفاعيل الجاهلية أن الراهن اذا لم ترد ما عليه في الوقت الموقت ملك

المرتهن الرهن، وسئل ابراهيم النخعي^(٦) عن غلق الرهن، فقال : إن يقول إن

١ - المؤمنون : ١٠٠ .

٢ - البقرة : ٢٤ .

٣ - في ض : قيل هو من قوله تعالى .

٤ - الشمط : الشيب، والشمطات : الشعرات البيض .

٥ - في ض : شبه الشيب برؤسها .

٦ - هكذا بدون ذكر الاب، وفي كتب الرجال ابراهيم النخعي اسم رجلين من المحدثين، احدهما ابراهيم بن سويد الكوفي النخعي الاعور، روى عن الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وعبد الرحمان بن يزيد وروى عنه

لم أفتكه إلى غد فهولك ، فقد أبطل الله رسم الجاهلية فيه ونحوه .
والقلّ : القلة ، وحسيس النار : صوتها .

واللغوب : التعب ، ساد العظماء بجوده لأن السيادة يكون بكفاية
المهمات والسيد هاهنا من يرجع إليه الناس في كفاية المهمات ، والجواد
عند العرب من يتفضل على من لا يستحقه ، ويعطي من (لايسأل^(١))
لا يخاف الفقر ويهب كثيرا بلا مقدار^(٢) .

والرجعة : الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، ضجيع حجر : عبارة عن
العذاب الجسداني .

وقرين الشيطان : عبارة عن العذاب الروحاني^(٣) ورجل ملهوز ثم هو
اشمط ثم أشيب .



→

الحسن بن عبد الله وزيد ابن الحارث وثقه النسائي والعجلي وابن حبان .

الشانبي ابراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ، روى عن خاليه الأسود وعبد الرحمن وشريح
القاضي وجماعة ، وروى عنه الأعمش ومنصور وابن عون وغيرهم ، كان مفتى أهل الكوفة وكان رجلا صالحا
فقيها ، مات وهو مختلف عن الحجاج .

١ - بين الملّالين ساقط في ش ، وفي ض : ولا يسأله .

٢ - في ض : ويهب كثيرا بلا تقدير ومنه مطر جود اي كثير بلا مقدار .

٣ - في ض : من العذاب الروحاني ومالك هو خازن نار جهنم .

١٨٢ - ومن كلامٍ له عليه السلام

قال للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه:

«لا حكم إلا لله»، وكان من الخوارج

أَسْكُتُ! قَبَّحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَآلَهُ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ
ضَيْبًا شُخْصُوكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتُ
نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

الشرح

(قوله عليه السلام: قبحك الله يا أثرم.

ع - الثرم بالتحريك سقوط الثنية، نعر الباطل: يقال نعر العرق ينعر بالفتح منها نعرا أي فار منه الدم ونعر فلان في الفتنة أي نهض فيها وفلان نعر في الفتن أي ساء فيها^(١)).

ج - قبحه الله بالتخفيف أي أبعده عن الخير، الأثرم: الذي سقط سنه وليس ذلك بعيب، ولعل المخاطب كان كذلك أو كان يلقب به .
والضئيل: النحيف، ونعر الباطل: أي صاح أهله، ونجمت: أي طلعت .

• • •

١٨٣ - ومن خطبة له عليه السلام

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام - يقال له: همام - كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم! فتناقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ (فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ - حِينَ خَلَقَهُمْ - غَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ، فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ^(١)، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَأَلْمَتُّونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ، وَمُشِيهِمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ^(٢) لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ

١ - في ب: معيشتهم.

٢ - في ض: كتب الله عليهم وفي ب: كتب عليهم.

شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ
فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا
مُنْتَعِمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ: قُلُوبُهُمْ
مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَجِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ
خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَغْقَبَتْهُمْ رَاحَةً
طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ
يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ
أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ ^(١) لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ: يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا ^(٢)، يُحْزِنُونَ
بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ ذَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا
تُشْوِقُ رَكَتُوا إِلَيْهَا طَعْمًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا،
وَوَظَّنُوا أَنَّهَا نُضِبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَضْغَوْا
إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَوَظَّنُوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي
أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَائُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ
وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلِبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي
فَكَائِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ
بَرَّاهُمُ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ
مَرَضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا: وَلَقَدْ
خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا
يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ

١- في ش: تالون لاجزاء القرآن.

٢- وفي ر: ويرتلونها.

مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ، خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا
أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي. اللَّهُمَّ
لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ
لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلْمَةٍ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي
لَيْنٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ،
وَقَضْداً فِي غِنَى، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَحَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً
فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ
ظَمْعٍ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهْمَهُ
الشُّكْرُ، وَيُضْبِحُ وَهْمَهُ الذُّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُضْبِحُ لِمَا فَرِحَ:
حَذِيراً حَذِراً مِنَ الْعَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ
أَسْتَضَعَبْتَ^(١) عَلَيْهِ نَفْسَهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا
تُحِبُّ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يُرْوَى، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمزُجُ
الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ،
خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنزُوراً أَكَلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً
دِينُهُ، مَيْتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُونٌ. وَالشَّرُّ
مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي
الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي
مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْناً قَوْلُهُ، غَائِباً
مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ

وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شُكُورٌ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ
يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ،
لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُتَابِرُ بِالْأَلْقَابِ،
وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ،
وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَجَّكَ
لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتَعَبَ
نَفْسَهُ لِأَخِرَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ
زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ
بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ^(١).

قال: فصق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين

عليه السلام:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا تَصْنَعُ
الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِالكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ،
فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا؛ فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!!

الشرح

الخطبة الهمامية واضحة المبني لايحة المعنى ، وإن كانت ثنيتها^(١) صعبة المرتقى لمن رام ان يتطلعها تقدم التقوى والله تعالى المأمول أن يوفقنا لاقتفاء من اتصف بتلك الصفات ، وسبق الأقران في تلك الحلبات^(٢) من الأئمة الهداة إنه ولي الاجابة وسامع الدعوات .

الهمام : البعيد الهمة وكان السائل كاسمه عزم عليه : أي أقسم عليه .

غضوا أبصارهم : أي أغمضوها عن محرمات الشرع فلم يطمحوا^(٣)

بأبصارهم نحوها .

نزلت أنفسهم منهم في البلاء : كالذي نزلت في الرخاء : لأنهم كسروا سورة الشهوة البهيمية ، وطيبوا عن أنفسهم نفسا ، ووقفوا أشباحهم وأرواحهم على مرضاة الله ، وحبسوها في سبيله ، فلا مطمح لهم إلى ما فيه نصيب أنفسهم ، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله ، من اعداد زاد المعاد ، والاقبال بكل الوجوه على عبادة رب العباد ، والتفاتهم إلى الأبدان يكون طريق التبّع كالتفات سالك البادية للحج الحقيقي إلى رعي الحمل ،

١ - الثنية في الجبل كالعقبة فيه ، وقيل هو الطريق العالي فيه وقيل اعلى المسيل في رأسه .

٢ - الحلبات جمع حلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة الخيل تجمع للسباق يقال : هويركض في كل حلبة من حلبات الجد اي في كل سباق للمجد .

٣ - طمح بصرى اليه : اي امتد وعلا .

وعلموا أن ما أصابهم من الكثرة في الطريق وإن كان عظيماً فإنه كلاً شيئاً في جنب ما يصلون به إليه من لقاء المحبوب ونيل المطلوب فالمحن عندهم كالمنح والبلية كالنعم .

وقوله كالذي: نظير قوله تعالى: وخضتم كالذي خاضوا وبيت الحماسة:

عسى الأيام أن يرجعن يوماً كالذي كانوا.

أي نزلت في البلاء كالنزول الذي نزلت في الرخاء أي كانت في كلنا الحالين سواء ودأبهم كدأب الذي نزلت في الرخاء .

فهم والجنة كمن قد رآها: أي حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري امجري الضرورية^(١) قال عليه السلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وروي والجنة بالنصب فيكون الواو بمعنى مع ويكون خبر المبتدأ الكاف في كمن قد رآها .

تجارة مربحة: انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق لأن مضمون قوله:

صبروا أياماً قصيرة أعقبهم راحة طويلة: يدل على أنهم اتجروا بذلك أو يكون منصوباً بفعل مضمير يفسره ما بعده أي يسّر لهم ربهم تجارة أو على المدح والتخصيص أي 'أغنى' تجارة أو أخصّ تجارة، وجعلها بدلاً من راحة على ما زعم صاحب المنهاج ليس بالقوى لأن التجارة المربحة ليست بنفس الراحة وإنما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة أرادتهم الدنيا ولم يردوها .

وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها: من مكاشفات أمير المؤمنين علي صلوات

الله عليه ما رواه الصادق عن آبائه عنه عليه السلام أنه قال إنني كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام إذا أنا بأمرأة قد هجمت عليّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها فلما نظرت إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها فشبهتها ببثينة بنت عامر^(١) الجحمي، وكانت من أجمل نساء قريش.

فقلت لي: يا ابن أبي طالب هل لك أن تزوجني فأغنيك عن هذا المسحات وادلك على خزائن الأرض ويكون لك الملك ما بقيت، فقلت لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ فقال: أنا الدنيا، فقلت لها: ارجعي فاطلبي زوجا غيري فلست من شأني وأقبلت عليّ مسحاتي وأنشأت أقول:

لقد خاب من غرته دنيا دنية * وما هي إن غرت قرونا بطائل
 اتتنا على زيّ العزيز بثنية * وزينتها في مثل تلك الشمائل
 فقلت لها غريّ سواي فاني * عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
 وما أنا والدنيا فان محمدا * رهين بقفربين تلك الجنادل
 وهبها اتتنا بالكنوز ودرّها * وأمّال قارون وملك القبائل
 أليس جميعا للنفاء مصيرها * ويطلب من خزائنها بالطوائل
 فغريّ سواي إنني غير راغب * لما فيك من عز وملك ونائل
 وقد قنعت نفسي بما قد رزقته * فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
 فاني أخاف الله يوم لقائه * وأخشى عتابا دائما غير زائل
 (قال عليه السلام:

دنيا تخاد عني * كأنني لست أعرف حالها
 مدت إليّ يمينها * فرددتها وشمالها

١ - في تاج العروس وبثينة العذرية كجهنية صاحبة جميل الشاعر معروفة وقد ذكرها في أشعاره: وكانا في زمن الصحابة، وهي زوجة نبينة بن الأسود العذري.

ورأيتها محتاجة * فوهبت جملتها لها^(١)
 فهذا معني قوله عليه السلام أرادتهم الدنيا ولم يريدوها وإذا تدبرت
 الخلال المذكورة في هذه وجدت أمير المؤمنين عليه السلام هو الموصوف بها
 كلها (وقد أوردت هذه الأبيات وأمثالها في أنوار العقول من أشعار وصي
 الرسول^(٢)) وما أسرها اياهم فلأن أرواح الأولياء قدسية ومقامها في
 العالم الجسداني على خلاف مقتضى طبيعتها، فهي غريبة في هذا العالم
 وصفوها^(٣) بالكلية أي عالما فهي أسيره هنا من حيث الغربة وعدم الملامة
 فدائما يستعد ويتهيأ للسفر الحقيقي ويزيل المشبطات^(٤) ويرفعها من البين
 فذلك فداؤها - والله أعلم .

يرتلون أجزاء القرآن: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن^(٥) الترتيل
 فقال: حفظ الوقوف واداء الحروف، وهذا يشتمل على جميع ما تعتبره
 القراء، والترتيل في اللغة التمهّل والتبين .

وتطلعت نفوسهم إليها: أي كادت تطلع شمس نفوسهم من أفق عوالم
 أبدانهم فتصعد إلى العالم العلوي شوقا إلى ما وعدوا به في تلك الآيات من
 اخائر الذخائر وعظام الكرائم وانتصاب، نصب أعينهم: على الظرف أي في
 موضع يقابل أعينهم ويجوز فيه الرفع .

فهم حانون على أوساطهم: أي منعطفون للركوع، مفترشون لجباههم: في
 السجود والحنى قد جاء متعديا ولازما وتعديته (أكثر فيكون تقديره حانون

١ - بين الملأين ساقط في ض .

٢ - ساقط في ض .

٣ - صغى اليه : مال بسمعه اليه .

٤ - التشييط : التعويق والشغل عن المراد .

٥ - ترتيل القراءة : الثاني فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات .

ظهورهم على أوساطهم .

أما النهار: انتصابه على الظرفية وتعلقه^(١) بما بعده من الصفات كحلماء وغيره، وحلماء خبر مبتداء محذوف أي هم حلماء في النهار ويجوز فيه الرفع على تقدير أما النهار فهم حلماء فيه، فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره وفيها ضمير مقدر يعود إليه .

قد براهم الخوف: أي أنصاهم^(٢) وانحفهم، خولطوا: أي خالط عقولهم جنون .

والتحرج: التأثم استصعبت نفسه أي صارت صعبة نافرة عن مشاق التكليف .

والسئول: الحاجة، منزورا أكله: أي قليلا فان البطننة، وكثرة الأكل كما قيل تذهب بالفطنة ويقسي القلب .

لايحيف: أي لايجور ولا يظلم، لاينابز بالألقاب: أي لا يدعو غيره بالألقاب الكريهة .

فصعق همام: أي غشي عليه ومات (وصاحب المعارج ما نبس في هذه الخطبة بحرف وصاحب المنهاج ما أتى بطائل والله الموفق^(٣)) .

* * *

١ - بين اللالين ساقط في ب .

٢ - في الحديث ان المؤمن لينفى شيطانه : أي يهزله والنضو: الدابة التي اهزلتها الاسفار .

٣ - ساقط في ض .

١٨٤ - ومن خطبة له عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ
 الْمَعْصِيَةِ، وَنَسَّأَلُهُ لِمَنْتِيهِ^(١) تَمَامًا، وَبِحَبْلِهِ أَعْتَصَمْنَا، وَنَشْهَدُ
 أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: خَاصَّ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ،
 وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَذْنَونَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ
 الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْيُنَهَا وَضَرَبَتْ^(٢) لِمُحَارَبَتِهِ
 بُطُونٌ رَوَّاحِلَهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُذُوانَهَا: مِنْ أْبْعَدِ الدَّارِ،
 وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ التَّفَاقُؤِ؛
 فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ؛ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ: يَتَلَوْنَ الْوَأَانَ،
 وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْضُدُونَكُمْ بِكُلِّ
 مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، وَيَمْسُونَ الْخَفَاءَ،
 وَيَدِبُونَ الضَّرَاءَ. وَصَفُّهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمْ الدَّاءُ
 الْعِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُوكِّدُو الْبَلَاءِ؛ وَمُتَقَنِّطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ

١ - في ف ون : لمنته .

٢ - في ب : وضربت بمحاربتيه .

بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٍ، وَآلِي كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٍ؛ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٍ،
يَتَقَارِضُونَ^(١) الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا الْحَفْوَا، وَإِنْ
عَدَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكُمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا،
وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ
لَيْلٍ مِضْبَاحًا، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الظَّمْعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَأَهُمْ،
وَيُنْفِقُوا بِهِ أَغْلَاقَهُمْ: يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُوَهِّمُونَ،
قَدْ هَيَّبُوا الطَّرِيقَ^(٢)، وَأَضَلُّوا الْمَضِيقَ؛ فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ،
وَحُمَةُ النَّيِّرَانِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ).

١- في ش : يتفارضون .

٢- في ض وح وب : هونوا الطريق .

الشرح

قوله عليه السلام نحمده على ما وفق له من الطاعة الى آخره .
له يتعلق بالطاعة^(١) . وما موصولة أو مصدرية .

تماما لمنة وروي لمننه^(٢) وخاض كل غمرة: أي سرع كل شدة .
وتلون الأذنون له: أي تغير الأقربا عليه وتالب عليه الأقصون: أي تجمع
على مخاصمته ومحاربتة الأبعدون .

وخلع أعنة الخيل وضرب بطن الراحلة: أبلغ عبارة عن المبالغة في
إعدادها^(٣) واسراعها وقد يختلف الألفاظ فيه، وهو مثل يضرب في السرعة،
فتارة يقال ضرب فلان لكذا آباط إبله وتارة أكباد إبله وتارة كما قاله عليه
السلام هاهنا ولجميع عبارة عن اتعاب المطايا في السير .

وساحة الدار: وباحتها عرصتها وامتسعا واسحق المزار بعده: ويفتنون:
أي يتنوعون في الأفعال والأقوال فيخالف بعضها بعضا وشر دواء أي فاسد
الجوف من داء والأنثى دوية، ومن شدد هاهنا فلازدواج نقية .

والصفحة: ظاهر الجسد اي ظواهرهم طاهرة وباطنهم خبيثة .

يمشون الخفاء أي يمشون لأجل الفساد، وتهيج نائرة الفتنة، مستخفين

فيكون الخفاني موضع الحال من باب قولهم أرسلها العراك ، أو يكون ظرفا أي

٣ - اعدى عليه : ظلمه .

١ - في ض : له قيل يتعلق .

٢ - في ض وروي بمننه .

يمشون بالشرف في الأماكن الشر^(١) لا يطلع عليها أو يكون مصدر بمعنى الفاعل فيكون صفة مصدر محذوف أي يمشون المشي الخافي . وجعله مصدرا أو مفعولا به على ما ذكر صاحب المنهاج غير مرضي عندي .

ويدبون الضراء : وهو ما يوازي من الشجر وهذا مثل يضرب لمن يسعى بالفساد، ويدب بالشر والنميمة ويختل صاحبه، أي هو في تهيج الشر خائفا يمشي تحت الشجر بحيث لا يرى، وهو لفظ بليغ مستعمل جدا قال بشر:
عطفنا لهم عطف الفروس من الملا * بشباء لا يمشي الضراء رقيبها^(٢)
قال الامام مسعود الصوابي :

وأنى يضر العلي حاسد * يدب الضراء ويمشي الخمر
وقال أيضا :

ما لابن اخباز يدب ضراوة * لي والسكوت عن الجواب جوابه
وقلت أنا في مدح بعض أجلة السادة بهيق .

عدوك في فنائك ليس يدري * لدهشته يمينا عن شمال
يراه سموه عزك إذراه * فصار لذلك أنحف من خلال
يدب لك الضراء بذى قواه * ويدأب كل يوم في احتيال
وهل موزي علا فوق الثريا * نحيث ثرى دبيب من نعال

ولي قصيدة في مدح إمام الدنيا أفضى قضاة الشرق والغرب ركن الدنيا
والدين غياث الاسلام والمسلمين، ذي الفضائل الجمّة والمعالي الدثرة^(٣)
أبي الفضل ابراهيم المغيشي متع الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه وأفاض

١- في ض : في الاماكن التي لا تطلع عليها .

٢- يمكن ان يكون هو بشر بن مروان الشاعر البيت في تاج العروس .

٣- الدثر : المال الكثير، الدثر : الخصب والنبات الكثير .

عليه سجال^(١) نعمائه قلت فيها تعريضا بانسان :

يدب لك الضراء بلا اقتدار * وأقدر منه غث غثيث
فما هواء اذ يعادي الصيد إلا * كرام حتفه عنه بحيث^(٢)
الداء العيا: ما يعي الأطباء، يعجزهم من الدواء .

يتقارضون الثناء: أي يمدح بعضهم بعضا، ليمدحه هو أيضا على طريق
المبادلة والقرض .

والالحاق: الاستقصاء وان عدلوا كشفوا: أي إن صدر من هؤلاء
المنافقين فعل له ظاهر حسن يشبه العدل أظهروا ذلك للناس ليخدعهم،
فيغترون بهم ويظنوا بهم خيرا .

يتوصلون إلى الطمع باليأس: أي يتزهدون وتتشفون ويظهرون من
أنفسهم أنهم من الدنيا وزخارفها معرضون، ويتلبسون بلباس اليأس حتى
ينخدع بتلبسهم أغمار^(٣) الناس أعاذنا الله من الدخول في غمارهم، والتلوث
بعرهم وعوارهم^(٤) .

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض من كان في ذلك
الميدان سابق الأقران ترك الدنيا للدنيا .

وينفقوا به أعلاقهم: العلق الشيء النفيس قال ذلك على طريق
التهكم^(٥) كما قال تعالى: ذق انك أنت العزيز الكريم^(٦)، أي ليجعلوا سلع

١ - السجال: الاحسان الى كل احد برا كان او فاجرا، المسجل: المال المبذول .

٢ - بين الهالين ساقط في ض .

٣ - غمار الناس: جمعهم المتكلف .

٤ - العوار: العيب .

٥ - التهكم: الاستهزاء والاستخفاف .

٦ - الدخان: ٤٩ .

نفاقهم النفيسة عندهم نافقه فيما بين الناس، وأصل التمويه من الماء لأن أصل ماء ماه^(١) فكان التمويه أن يجعل لظاهر الشيء ماء وطراوة وإن كان باطنه بخلافه ولا طائل تحته .

هيبوا الطريق: جعلوه مهيبة مخوفة وروي هيئوا أي أعدوا لانفسهم الطريق الى مرامهم .

واضلعوا المضيق: من الضلع وهو الاعوجاج أو الضلع وهو الجبيل المنفرد أي جعلوا مضيق الطريق وعرا^(٢) او ذا اعوجاج أو مائلا عن الاستقام من ضلع يضلح ضلعا أي مال وجنف^(٣) .

واللمة: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة .

وحمة الحرّ بالتشديد: سورته ومعظمه وحمة الفراق ما قدر وقضي، والحمة السواد والرماد، أيضا والحمة بالتخفيف سم العقرب .



١- في ض: بدلالة ان جمعه امواه تصغير مويه لكان ان يجعل .

٢- جبل وعر: اي غليظ يصعب الصعود اليه .

٣- الجنف: الميل والجور، جنف واجتف: اذا مال وجار، وقيل الجانف: يختص بالوصية والمجنف المائل عن الحق .

١٨٥ - ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِيهِ، وَجَلَّالِ كِبَرِيَّاتِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ^(١) قُدْرَتِهِ، وَرَدَّعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْقَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسُهُ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسُهُ، فَصَدَّعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ. وَأَخْصَى إِخْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ، وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ^(٢)، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أَغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ جَيْنٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ، إِنْسٍ وَجَانٍ، لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْجِبَاءُ^(٣)، وَلَا يَسْتَفِيدُهُ سَائِلٌ،

١ - في ر: وروى من آيات قدرته.

٢ - في ر: واستمنحوه.

٣ - في ب: ولا ينغصه.

وَلَا يَسْتَقْصِيهِ^(١) نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِمِيهِ صَوْتُ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْجُرُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُؤْلِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فِتْأَى، وَعَلَا قَدْنَا، وَظَهَرَ قَبْطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنَّ، لَمْ يَذَرَا الْخَلْقَ بِاِحْتِيَالٍ^(٢)، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكِلَالٍ.

أَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا؛ نَوْنٌ بِكُمْ إِلَى أَكْتَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ. وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ الْأَقْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا^(٣) قَرَقَاً، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقَاً، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ^(٤)، وَلَا حَمِيمٍ يَدْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةً تَنْفَعُ^(٥).

١ - في م : ولا يستقصيه نائل .

٢ - في ر : روى ولم يدر الخلق باحتيال .

٣ - في ر : روى سرايا رراقا .

٤ - في ب : شفيع ولا حميم .

٥ - في ش : ولا معذرة تدفع .

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته وردع خطرات همام النفوس من عرفان كنه صفته الى آخره صلوات الله على قائله .

المقلة: شحمة العين واستعارتها من البصر للبصيرة من أطف الأستعارات .

والردع: الزجر، المهمة: ترديد الصوت في الصدر وأرادها هنا ترديد الفكر.

والأعلام: الجبال والعلامات والمناهج: الطرق الواضحة .
طامسة: أي مطموسة ممحوة فصدع بالحق: أي أظهره وأخرجه من الغلاف .

والقصد: العدل هملا: أي مهملا بلا راع، استفتحوه: أسألوه الفتح والنصر، قال في ان تستفتحوا أي استنصروا واستنجحوه اطلبوا منا النجاح والظفر.

الحياء: العطاء لا يثلمه العطاء: أي لا يبدي خلا في ملكه .
ولا يستقصيه نائل: أي أنه وان أعطي كل ما يسأل وفوق ذلك بكثير فانه لا يبلغ أقصى ما في خزائن كرمه، لأنه قادر من الاحسان والانعام وغير ذلك على ما لانهاية له .

ولا يلويه: أي لا يلفته ولا يصرفه ولا يحجزه هبة عن سلب لأنه الحكيم

القادر على ما يشاء، منح^(١) من يشاء ويمنح من يشاء حسب ما يقتضيه المصلحة.

ولا توله: أي لا تحير ولا تجنه: أي لا تستره وحقيقته لا يكون جنينا في البطون؛ منتقلا عن الظهور أي الأصلاب.

ولا يقطعه الظهور عن البطون: بأن تبقى في الأصلاب، فلا ينتقل إلى الأرحام، أي ليس من قبيل من تضمنه الأصلاب والأرحام، أو يكون البطون بمعنى الخفاء والظهور بمعنى الجلاء، أي هو مع جلالة خفي ومع خفائه جلي، لا يمنع أحد الأمرين، كما قال تعالى: هو الظاهر والباطن وكما فسره بقوله.

وظهر فبطن وبطن فعلم: وذلك لأن ظهوره إنما هو بالدلائل والآثار وخفاؤه عن الاحساس والتوهم، وكذا القول في القرب والبعد لأنه قريب من كل شيء بالعلم والاحاطة، بعيد من أن يدرك ويحاط به..

ودان ولم يدن: أي قهر الموجودات بكمال قدرته، ولم يقدر أحد على قهره وسلب مملكته ويجازي كلا بحسب عمله ولا يقدر أحد على مجازاته. لم يدرأ الخلق باحتيال: أي لم يخلقهم بحيلة وكلفة، ومشقة، بل بفراط اقتدار، كما قال كز فيكون.

ولا استعان بهم لكلال: أي هو ممن يستحيل عليه التعب والاعياء فلا يمكن أن يقال إنما خلقهم ليعملوا لأجله، فيتخلص هو بعملهم عن كلفة العمل، فانها أي التقوى، والزماد والقوام: أي خشية الله زمام كل خير، وطاعته وقوامه، كما ورد في الخبر رأس الحكمة مخافة الله، وذلك لأن الخوف هو الداعي إلى النظر المنتج لجميع علوم الدين، ثم الخوف من المشيب والمعاقب هو الداعي إلى القيام بالواجبات والاجتناب من المقبحات.

قوله بكم إلى أكنان الدعة: أي تقربكم إلى مواطن الراحة، وتحلكم في فراديس، تكنكم وتظلكم عن حر نار العصيان، والاحتراق بغضب الرحمن والمعلل: الملجأ تشخص فيه الأبصار أي تحار فلا ترى.

والأقطار: الجوانب والصروم: والصرمة: جماعة من الأبل نحو الثلاثين. والعشار: جمع العشاء وهي الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى يضع ما في بطنها وبعد ما تضع أيضا وهو أغز أموال العرب وهذا مقتبس من قوله تعالى: وإذا العشار عطلت.

تزهق: أي يهلك، والمهجة: هنا الروح وتبكم كل لهجة: أي تخرس كل لسان.

والشم الشوامخ: الجبال العالية، والصم الرواسخ: الصلاب الثابت والصلد: الحجر الأملس.

والسراب: الال^(١) الذي يسري في المفاوز وقت المهاجرة^(٢) كماء يجري وليس به.

وماء رقراق: له لمعان وتلاؤ وهو مأخوذ من قوله تعالى: وسيرت الجبال فكانت سرابا، وحذف ألف رقراق للازدواج أو للتخفيف أو هولغة.

القاع: الأرض الخالية والسملق: المستوي من الأرض، والحميم: القريب.



١ — ال يثل بالكسر: برق قاله ابن دريد والليل الحربة: لماعها.

٢ — المهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار.

١٨٦ - ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٍ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ:
 أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحَدَرُكُمْ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ
 شُحُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ، تَمِيدُ
 بِأَهْلِهَا مَيِّدَانَ السَّفِينَةِ تَضْفِيقُهَا^(١) الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ
 الْبِحَارِ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِيقُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى مُتُونِ
 الْأَمْوَاجِ^(٢)، تَحْفِرُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا
 غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ !!

عِبَادَ اللَّهِ: آلَانَ فَاغْمَلُوا، وَالْأَلْسُنُ مُظْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ
 صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَيَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ
 عَرِيضٌ، قَبْلَ إِزْهَاقِ الْفَوْتِ، وَخُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ
 نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

١ - في ض وح وب : تقصفها .

٢ - في ض وح وب : بطون الامواج .

الشرح

قوله عليه السلام: بعثه حين لاعلم قائم .

إنما لم يقل لاعلم، فحسب بل وصفه بقوله: قائم ايذانا بأن الناس ما داموا مكلفين مرتفعي العصمة، لا بد أن يكون فيهم علم منصوب؛ وإمام منصوب معصوم، من قبل الله تعالى ليكون تصرفه فيما بينهم لطفًا لهم إن أمكنه وإن لم يمكنه كان العلم موجودًا، لكن لم يكن قائمًا متصرفًا، فيكون المكلفون قد أتوا من قبل نفوسهم في فوات لطفهم .

الشخص: الذهاب والظاعن: المسافر .

والقطن: المقيم أي الارتحال معقود بنواصي من عزم فيها على الإقامة .
ووبق يوبق ويبق أي هلك، والفاعل وبق ومنه قوله تعالى: وجعلنا

بينهم موبقا .

والحفز: الدفع يقال حفزه أي دفعه من خلفه قال الراجز:

تريح بعد النفوس المحفوز^(١) .

أي النفس الشديد المتتابع الذي كأنه يحفز أي يدفع .

فما نجا منهما فالى مهلك .

ع— أي لا يأمن الهلاك ما دام في البحر والهلاك له بالمرصاد،

كذلك من كان في الدنيا، وإن نجا من المرض والمخوف فالموت والفناء له

١— التصحيح من تاج العروس (حفز) .

بالمرصاد .

ج - عنى بالغريق : الكافر وبالناجي الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم^(١) .

والأعضاء لدنة : أي لينة فيها الحياة لم ترجع بعد جماداً .

وعنى بفسحه والمنقلب وعرض المجال : بقية عمر المرء التي لا قيمة

لها .

وارهاق الفوق : المرهق الذي أدرك ليقتل قال الشاعر :

ومرهق سال أمتاعا بأصدته * لم يستعن وحوامي الموت يغشاه^(٢)

كذا في الصحاح ، أي قبل ان يفوت العمر الذي هو رأس المال في

إعداد زاد المعاد ، يغشيان الموت وطريانه .

فحققوا عليكم نزوله ولا ينتظروا قدومه : أي احسبو الموت كأنه قد

حضر ، ولا تعدوه في عداد المنتظر ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وموتوا

قبل أن تماتوا ، وعدوا أنفسكم من أصحاب القبور تخلصوا من حباله^(٣) .

* * *

— التوبة : ١٠٢ .

— البيت في تاج العروس (رهق) وبعده .

فرجت عنه بصريعين لارملة

او بئس جاء معناه كمعناه

— في ض : من حباله الفرور .

١٨٧ - ومن خطبة له عليه السلام

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي لَمْ أَرُدُّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنَكَّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَلَائِكَةُ أَغْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ، مَلَأَ يَهِيْظُ وَمَلَأَ يَنْعَرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَاذْكُرُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ، وَلْتَضِدَّ نِيَّاتِكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الشرح

قوله عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله .

المستحفظون: الذين هم كانوا حفظ الشريعة والسنة: وقد شاهدها وعلموا بها أي حصل لهم العلم إما باخبار النبي صلى الله عليه وآله إياهم أو المشاهدتهم لأقواله وأفعاله بمشاهدتهم .
أني لم ارد على الله وعلى رسوله ساعة قط .

قولا ولا فعلا، وظاهر الكلام دليل قاطع على عصمة أمير المؤمنين وأنه لم يرتكب قطعا إثما صغيرا ولا كبيرا لأنه استشهد على ذلك بعلم علماء الصحابة، وما علم أحد رد عليه هذا القول، مع إطلاقه على أن الامة مجمعة سوى المارقين إن عليا ما كذب قط واذا لم يكذب، فكل ما قاله صدق وهذا مما قاله وهو دليل العصمة .

ولقد واسيته: وروي آسيته وهما بمعنى في المواطن التي ينكص فيها الأبطال .

مواطنه المشهورة، ومقاماته المذكورة أشهر من أن يشار اليها ببيان وأعظم من أن يوصف بلسان .

منها: مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، حين هم المشركون بقتله عليه السلام، سار النبي إلى الشعب مرة في حياة أبي طالب

عليه السلام، وإلى الغار أخرى بعد وفاته ووقايته إياه بنفسه في كلتا الحالتين، حتى أنزل الله تعالى في حقه: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية على ما تظاهر به النقل، وله عليه السلام في ذلك أشعار^(١).

منها: ثباته يوم أحد، حين انهزم الأصحاب كلهم، ولا يبقى في المعركة إلا هو، ثم لحقه واحد وإثنان وقد قيل له إذا نفر^(٢) قتل محمد وقال علي لم يقتل، ولئن قتل أو مات فإن رب محمد حي لا يموت، وجعل يقاتل القوم ويقتلهم، حتى كشف فرقة منهم عن مواقفهم فإذا هو بالنبى صلى الله عليه وآله جريحا مغشيا عليه، وقال جبرئيل للنبي إن هذه لهي المواساة فقال كيف لا يواسي وعلي مني وأنا منه، وصاح جبرئيل لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار، وقد نظمه بعض الشعراء قال:

جبرئيل نادى في الوغا * والنقع ليس بمنجلي
لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتى إلا علي

منها: يوم الخندق حين عبر الخندق وقتل عمرو بن عبدود، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة المتعبدين بعده إلى آخر الدهر.

منها يوم حنين^(٣) حين انهزم أكثر المسلمين وقتل علي ذي الخمار ولو ذهبنا نعد مقاماته لطال به الكتاب وخرجنا من الغرض المقصود.

١ - في ض: في ذلك اشعار اوردها في انوار العقول.

٢ - كذا في النسخ.

٣ - حنين تصغير الحنان وهو الرحمة وهو اليوم الذي ذكره عز وجل في كتابه الكريم، وهو قريب من مكة وقيل هو واد قبل الطائف قال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال: وغزوة حنين من الغزوات المعروفة وكانت في هذا الموضع.

ونجدة: مفعول له أي واسيته لشجاعة أعطانيها الله .
فضجت الدار والأفنية: أي لضجيج حاضرتها من الملائكة .
والهينمة: الصوت الخفي يعني تسبيح الملائكة وتهليلهم ، وصلواتهم
على النبي صلى الله عليه وآله .
حق واريناه في ضريحه: أي دفناه في قبره .
فمن ذا أحق به مني حيا وميتا: تصريح بمذهب الامامية .



١٨٨ - ومن خطبة له عليه السلام

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي
الْخَلَوَاتِ، وَأَخْتِلَافَ الثِّيَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاظِمَ
الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ
وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَوْصِيكُمْ ^(١) بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أِبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ،
وَالْيَهْ بِكَوْنِ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلَبَتِكُمْ، وَالْيَهْ مُنْتَهَى
رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَضُ سَبِيلِكُمْ، وَالْيَهْ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى
اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصْرُ عَمِي أَفِيدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ
أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَظُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ،
وَجِلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ ^(٢)، وَأَمْنُ فَرْعِ جَائِحِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ
ظُلْمَتِكُمْ، فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِئَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ
شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ،
وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرْدِكُمْ ^(٣)، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلَبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ
فَرْعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكناً لِيَطُولِ وَحْشَتِكُمْ،

٣- في ض وح وب : لحن ورودكم .

١- في ش : فاني اوصيكم .

٢- في ش ور : عشاء ابصاركم .

وَنَفْسًا لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ؛ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ
مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَافٍ مُتَوَقِّعَةٍ، وَأَوَارٍ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ
بِالتَّقْوَى عَزَّتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ ذُنُوبِهَا، وَأَخْلَوَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ
مَرَارَتِهَا، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاجُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ
الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ فُحُوطِهَا،
وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ
بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِزْدَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ،
وَأَمَّنَّ عَلَيْكُمْ بِبِنْعَمَتِهِ، فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَأَخْرَجُوا
إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ،
وَأَصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَضْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ
عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِغَزِهِ^(١)، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ^(٢)،
وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ، وَخَدَلَ مُحَادِّبِهِ بِنَضْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ
الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حَيَاضِهِ، وَأَتَأَقَّ الْحَيَاضَ
بِمَوَاجِهِ^(٣)، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا أَنْفِصَامَ لِعُزُوتِهِ، وَلَا فِكَ لِحَلَقَتِهِ، وَلَا
أَنْهَادَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا أَنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا
أَنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَدَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ
لِطُرُقِهِ، وَلَا وُغُوتَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِبُوضِحِهِ، وَلَا عِوَجَ

١- في ض وح وب : بعزته .

٣- في ب : لمواتحه .

٢- في ب : لرفعه .

لَا تَصَابِيهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا أَنْطَفَاءَ
لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخٍ فِي الْحَقِّ
أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أُسْسَهَا، وَيَتَابِعُ غَزْرَتَ عُيُونِهَا، وَمَصَابِيحُ
شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ أَقْتَدَى بِهَا سُفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا
فَجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوَى بِهَا وُرَادُهَا: جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى
رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ
الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيُّ التَّيْرَانِ، عَزِيزُ
السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِزُ الْمَثَارِ^(١)؛ فَشَرَّفُوهُ، وَاتَّبِعُوهُ،
وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ^(٢).

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ
حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاقُ؛
وَأظْلَمَتْ بَهَجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقِ،
وَخَشَنَ مِنْهَا مِهَادُ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادُ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتَيْهَا،
وَأَقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْفِصَامٍ مِنْ حَلَقَتَيْهَا،
وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا،
وَقِصْرٍ مِنْ طَوْلِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لَأُمَّتِهِ،
وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُنْطَفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا
لَا يَخْبُو تَوْقُودُهُ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمَنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ،

١ - في م : معوز المثال وفي ر : معوز المثال ومعون المثال .

٢ - في ب : مواضعه .

وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانُهُ، وَبُئْيَانًا^(١)
لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ،
وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَتَابِعُ
الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضِ الْعَدْلِ وَعُذْرَانُهُ، وَأَثَابِي الْإِسْلَامِ
وَبُئْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةِ الْحَقِّ وَغِيظَانُهُ. وَيَخْرُ لَا يَنْزِفُهُ
الْمُسْتَنْزِفُونَ^(٢)، وَعُؤُونَ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَتَاهِلُ
لَا يُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَتَازِلُ لَا يَتَّصِلُ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامُ
لَا يَغْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَأَكَامُ لَا يَجُوزُ^(٣) عَنْهَا الْقَاصِدُونَ؛
جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ
الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ،
وَحَبْلًا وَثِيْفًا عُزْوَتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ،
وَسَيْلًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ أَسْتَمَّ بِهِ، وَعُذْرًا لِمَنْ أَنْتَحَلَهُ،
وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَقَلْبًا^(٤)
لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيئَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً
لِمَنْ تَوَسَّمَهَا، وَجُنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَهَا، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا
لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى.

١- في م وح وض وب : تبيان لا تهدم .

٢- في ب : المنتزفون .

٣- في ن وف : وامام وفي ل : وآكام لا يجوز عنه .

٤- في ر : الفلج والفلح بالجيم والحاء كلاهما روي .

الشرح

قوله عليه السلام: يعلم عجيج الوحوش في القلوات إلى آخره .
العج: رفع الصوت وقد عج عجيجا، والنون: الحوت والجمع أنوان ونبنان
وما غامر وغمر أي كثير.

ودخيل الرجل: ما يختص به وقيل سره .
والشعار: ما ولي الجسد من الثياب تحت الدثار، ونفس الله كربته أي
فرجها وأنت في نفس من أمري أي سعة .

والمتالف: المهالك، المكتنفة: المحيطة، والأوار: حرارة النار .
واحلولت: صارت حلوة، والتراكم: التراكب وأسهل: صار سهلا .
وأنصب: صار ذا نصب وتعب، وهطل: أي سال .
والرذاذ: المطر الضعيف، وهو فوق القطقط، يقال: اردت السماء وأرض
مرذة، حكاها الكسائي وقال أبو عبيد: أرض مرذ عليها ولا يقال مرذوذة
ولا مرذة .

والتحذب، الشفقة والعطف .
وأمتن عليكم بنعمته: أي أنعم بها عليكم أو عددها اياكم لتذكروها
وتشكروه عليها .

فعبدوا أنفسكم: أي ذللوها لعبادته، والعبادة نهاية ما يقدر المرء عليه من
الخشوع والتذلل للمعبود .

وأخرجوا إليه من حق طاعته: أي أدوا طاعته التي هي حق واجب عليكم أو أخرجوا إلى يوم القيامة الذي هو يوم لقاء الله وأنتم مطيعون له .
 إن هذا الاسلام دين الله: كما قال تعالى: «إن الدين عند الله الاسلام» والاسلام الانقياد والتسليم، والدين الطاعة .

واصطنعه على عينه: استعارة مجازة إنه شرف هذا الدين، وخصصه بأنواع من التخصيص، وأضافه إلى نفسه، فعل الملك إذا كان عنايته مصروفة إلى أمر من الأمور، فإنه لا يأمر أن يوتي بذلك الأمر بمرثى ومسمع منه حتى يعاين ظاهره وباطنه، ولا تحلّ بشيء من شرائطه لفرط عنايته .
 وأصفاه^(١) خيرة خلقه: أي أخلصه واختاره لمحمد^(٢) وعترته .

والدعامة: العماد، والعادة: المخالفة والمعادة .

وأطاق الاناء: ملأه والماتح، المستقي، يقال متح الماء أي نزعه وربما يكنى بالماتح عن الدلو .

والعفا: الدروس، ولاجذ روي بالبدال والذال، وهما بمعنى القطع .
 والضنك: الضيق، والوعوثة: لين وسهولة في الأرض يشق المشي عليها، ومكان وعث أي سهل كثير الدهس^(٣) تغيب فيه الأقدام ومنه وعشاء السفر .
 والعصل: اعوجاج شديد يقال للرجل المعوج الساق أعصل وشجرة عصلة عوجا، وعود أعصل أعوج وقيل أصل العصلة التواني عسيب الذنب حتى يبدو وبعض باطنه الذي لا شعر عليه .

وساخت قوائمه في الأرض، أي دخلت فيها وغابت مثل ناخت .
 والسنخ: الأصل أي أثبت وأرسخ في الحق أصول تلك الدعائم .

١ - في ض : واصطفاه خيرة خلقه .

٢ - اختاره : بمحمد وعترته .

٣ - الدهس : ما سهل ولان من الأرض .

وغرزت: أي كثرت. وشبت: أي وقدت، والسفار: المسافرون، وذروة كل شيء: أعلاه.

وأعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

والمثار: من ثار الغبار أي سطم.

حين دنا من الآخرة الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع.

مأخوذ من قول النبي عليه السلام: بعثت والساعة كهاتين وأشار بسبابته

ووسطاه.

قامت بأهلها على ساق: أي على شدة والضمير للدنيا قال الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق.

والشرط: بالتحريك العلامة وأشراط الساعة علامتها أضافها إلى الدنيا

لأنها يكون فيها وإن كانت للآخرة.

بلاغاً لرسالته: الضمير للنبي صلى الله عليه وآله.

وبحبوحة الدار: وسطها، واثافي الإسلام: مستعار في أثافي القدر،

وتقدير اثفيه ائفولة^(١)، يقال بقيت من بين فلان اثفيه خشنا أي بقي منهم عدد

كثير، والأثافي كناية عن مقدمات الشيء يقال لسليمان وهوازن^(٢) ابنا

منصور بن عكرمة وغطفان^(٣) ومحارب^(٤) أثافي العرب.

والغائط: المطمئن من الأرض الواسع، والجمع غوط وغيطان.

١ - في ض: ائفولة: افعولة.

٢ - هوازن قبيلة من قيس وهو هوازن بن سعد بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قال الأزهري: لا ادري هم اشتقاقه والنسب اليه هوازنى.

٣ - غطفان محرقة حي من قيس وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان انشد الجوهري:

لولم تكن غطفان لا ذنوب لها الى لامت ذو وأحسابها عمرا

٤ - بنو محارب قبائل منهم محارب بن خصفة بن قيس عيلان ومحارب بن قهر، ومحارب بن عمرو بن وديعة بن

لكيز بن عبد القيس.

ونضب الماء: غار في الأرض وأنضبته أنا بغيضها أي بنقضها .
 والمحتاج جمع المحجة: وهي جادة الطريق والامام الذي يؤتم به ويقتدى
 بأقواله وأفعاله وهو القدوة والمثال والمأموم قال لبيد:
 ولكل قوم سنة وإمامها .
 قيل: هو من الأتم وهو القصد، فالامام هو المقصد .
 وانتحل: أي ادعى أي من ادعى ذلك فيه، وإن لم يكن محققا، فيقال
 إنه من أهل القرآن فيعذر .
 والفلج: الظفر، وحاج: أي غالب بالحجة، وتوسم: تفرس والاستلام
 لبس اللامة وهي الدرع .



١٨٩ - ومن خطبة له عليه السلام

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مُؤَقَّتًا، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ.) وَإِنَّهَا لَتَحُثُّ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرِقِ، وَتُظْلِفُهَا إِظْلَاقَ الرَّثِقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زَيْتَةٌ مَتَاعٍ، وَلَا فُرَّةٌ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَصِيبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَيُضْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ

أَعْظَاهَا، طَيَّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَانَّهَا تُجَعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً^(١) وَوَقَايَةً. فَلَا يُثَبِّعُهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَعْظَاهَا غَيْرَ طَيَّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُوتٌ الْأَجْرِ، ضَالٌّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ آدَاءَ الْأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُوعَةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطَوِيلٍ أَوْ عَرِضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَا مَا جَهَلْنَا مَنْ هُوَ أَوْضَعُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُفْتَرِقُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، لَطَفَ بِهِ خُبْرًا، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: تعاهدوا أمر الصلاة إلى آخره.

التعهد بالشيء المتحفظ به، وتجديد العهد به. يقال تعهدت ضيعتي وتعاهدتها، وقيل التعهد للضيعة أفصح، والتعاهد إنما يكن بين اثنين. والمحافظة: المراقبة والتيقظ وقله الغفلة، وقال النبي صلى الله عليه وآله: من صلى الصلوات الخمس حيث كان، وأين كان، له بكل يوم حافظ عليها كأجر ألف شهيد أو يكون من الحفاظ أي ينبغي أن يكون له حمية وانفة من تركها.

إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.

أي فرضا مكتوبا عليهم موقتا معينا يؤديونها بأوقاتها، وسئل الصادق^(١) عليه السلام ما بال الزاني لانسميه كافرا وتارك الصلاة نسميه كافرا، فقال: لأن الزاني ومن أشبهه، إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة، لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلا استخفافا بها.

قال النبي صلى الله عليه وآله: عليكم بالصلوة فإنها عمود دينكم وخدمة ربكم، وأن الصلوة أو ما يحاسب العبد عليها يوم القيامة، فإن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها، وليس مني من استخف بصلاته لا يرد على الحوض، وقال: لا يزال الشيطان ذعرا^(٢) فزعا من المؤمن، ما حافظ على

٢- الذعر: الفزع.

١- في ض: وسئل عليه السلام.

الصلاة الخمس ، فاذا ضيعهن تجراً عليه وأوقعه في العظام .
 سئل الصادق عليه السلام : عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ؟
 فقال : ما أعلم شيئاً بعد المعروفة أفضل من هذه الصلاة ، ألا ترى أن العبد
 الصالح عيسى بن مريم قال : وأوصاني بالصلاة .

الحت : حتك الورق من الغصن . والمني من الثوب ونحوه كذا في
 الصحاح وتحات الشيء أي تناثر .

والرَبْقَة : الحبل ، والحمّة : الحفيرة التي فيها الحميم وهو الماء الحار .
 والدرن : الوسخ ، والنصب : التعب ، والصلاة : في اللغة الدعاء ، قال
 تعالى : وصل عليهم ، أي ادع لهم ، ومنه صلاة الجنائز ، والصلاة الرحمة قال
 كثير^(١) .

صلى على عزة الرحمن وابنتها * ليلي وصلى على جاراتها الأخر
 قال النبي صلى الله عليه وآله لعبدالله بن أبي وفي حين^(٢) أتاه بصدقة :
 اللهم صلى على آل أبي أوفى أي بارك ، قال ابو عبيد : هو الذي يصلي
 عليكم وملائكته أي يبارك قال بعض المفسرين : الصلاة من الله الرحمة ،
 ومن الملائكة الاستغفار ، ومنا الدعاء . وقيل الصلاة من قولهم : صليت العود
 تصلية اذا لينته بالنار ، حتى يسهل تقويمه ويزول إعوجاجه قال الشاعر :

فما صلى عصاك كمستديم

فبالصلاة لين قلب المؤمن ويزول إعوجاج أخلاقه .

والزكاة : النماء والزيادة ، يقال زكا الزرع وطال ، وقرية زكية إذا كثر
 خيرها ، والزكاة الطهارة قال تعالى : قد أفلح من زكاها أي طهرها .

١ - كثير بالتصغير مع التشديد صاحب عزة وهو ابوه صخر كثير بن عبد الرحمان الشاعر .

٢ - عبد الله بن ابي بن خلف القرشي الجمحي اسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل .

والقربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة^(١) أو صدقة، والقربان واحد قرابين الملك أي خلصائها.

حجازا: أي مانعا وحجابا، والحجر المنع.

يرجوبها ما هو أفضل منها: يعني يرجو عوضا أفضل منها في دار الدنيا. والمراد بالأمانة: هاهنا قال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، وفي كتاب الغريبين الأمانة: الطاعة والعبادة، قال قوم: الأمانة التي حملها الانسان هي كونه مستصلحا للدارين، وذلك أن الله تعالى أوجد خلقا لا يصلح إلا للدنيا وهو الحيوان الأعجم، وخلقنا لا يصلح إلا للدار الآخرة وهو الملك، وخلقنا يصلح للدارين وهو الانسان.

فالانسان واسطة بين جوهرين وضع وهو الحيوانات العجم، ورفيع وهو الملك، فجمع فيه قوى العالمين، وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمنازعة وغير ذلك من أخلاق الحيوانات (وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الله، والصدق، والوفا؛ ونحو ذلك من الأخلاق^(٢)) الشريفة.

وجه الحكمة في ذلك أنه لما رشحه^(٣) لعبادته؛ وخلافته في الأرض كما لم يصلح لذلك البهائم ولو كان كالملك معرى عن الأمور الشهوانية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة لذلك قال للملائكة: «إني أعلم ما لا تعلمون^(٤)» ولم يجمع الله هاتين القوتين في السماء والأرض والجبال فانهن أبين أن يحملنها، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا^(٥)؛ بسبب ما فيه من القوى الشهوانية التي ذكرناها، قال بعض المفسرين:

٤- البقرة: ٣٠.

٥- الاحزاب: ٧٢.

١- النسيكة: الذبيحة.

٢- بين الملأين ساقط في ض.

٣- الترشيح التربية والتهيئة للشيء.

الحمل هنا الخيانة والترك - والله اعلم .

ج - معنى أداء الأمانة من الأجرام المذكورة انقياده لأمر الله تعالى بحسب ما يتأتى منها، ويليق بها إذ هي لم يمتنع على مشيته وإرادته إيجابا وتكويناً على هيئة مختلفة وأشكال منتزعة^(١) والانسان مع أنه حيوان عاقل صالح للتكليف لم يأت بما يليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، ووجه ثان في الآية التي، هذا الكلام إشارة إليها، وهو أنه أراد انا عرضنا أمانة التكليف على هذه الاجرام، أي على أهاليها من الملائكة وغيرهم بأن عرفناهم، أن في تضييعها الاثم العظيم .

فأبوا أن يحملوا تركها وعقابها، والمآثم فيها وخافوا من ذلك قال الزجاج^(٢): كل من خان الأمانة، فقد حملها، ومن أداها لم يحملها كمن أثم، فقد احتمل الأثم، قال تعالى: وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم، ووجه ثالث وهو أن معنى عرضنا الأمانة عليها، عارضناها وقابلناها بها، فأبين أن يحملنها، أي ضعفت هذه الاجرام عن حمل تلك الأمانة، ليكون الأمانة ارجح واثقل وزنا منها .

ثم إن الانسان تقلد هذه الأمانة مع عظم موقعها، فلم يحفظها بل حملها وضيعها لظلمه على نفسه، وجهله بمبلغ الثواب والعقاب، ووجه رابع، وهو أنه على وجه التقدير، وجيء بلفظ الواقع، لأن الواقع أبلغ من المقدر أي لو كانت هذه الأجرام عاقلة، ثم عرضت عليها وظائف الدين عرض اتغيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها، وشدتها وقوتها، ولا تمتعت من حملها خوفا

١- في ض : واشكال متنوعة .

٢- ابواسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج النحوي الاديب، اخذ عن المبرد وثعلب واخذ عنه الزجاجي وابوعلي الفارسي، كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالادب فنسب اليه : له مؤلفات في الادب منها معاني القرآن والامالي : توفي سنة ٣١١ .

من القصور عن أداء حقها، وحملها الانسان مع ضعف جسمه ولم يخف
الوعيد لظلمه وجهله .

ثم إن مخاطبة الجماد والابخار عنها نظر الى قرينة الحال، طريقة
مشهورة للعرب مستحسنة في تعارفهم قال :

امتلاً الحوض وقال قطن، وفي المثل لو قيل للشحم أين تذهب لقال
استوى العوج خبرا أي علما .



١٩٠ - ومن كلامٍ له عليه السلام

وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا
كِرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ،
وَكُلُّ فَجْرَةٍ ^(١) كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَاللَّهِ مَا أَسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أَسْتَغْمِرُ بِالشَّيْءِ الشَّدِيدَةِ.

١٩١ - ومن كلامٍ له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ: لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِثِقَلَةِ أَهْلِهِ.
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا قَصِيرَةٌ، وَجُوعُهَا
ظَوِيلٌ!!

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطَ، وَإِنَّمَا عَقَرَ
نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَضْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ
خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ، خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُحَمَّاةِ فِي الْأَرْضِ
الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ
خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّيْبِ.

الشرح

قوله عليه السلام: والله ما معاوية بأدهى مني: الدهى النكر وجودة الرأي.

كل فجرة كفرية: يعني لمن يعتقدونها ولا يبالي بها.
قوله عليه السلام: إن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل.

يعني من تناول منها شبع، بأدنى شيء، ومن أعرض عنها، طال جوعه وقيل: مدة شبعها، قصيرة، لأن الجوع الطويل يتبعها، وهذه صفة الدنيا والأول صفة الهدى.

خارت أرضهم: أي انخفضت، والخور كالفور المنخفض من الأرض.
خوارة: ضعيفة رخوة، ونخسف المكان خسوفاً: ذهب في الأرض ونخسف الله به نخسفاً أي ذهبه به.

والسكة المحمأة: الحديدية الحارة.

ج — الصحيح إن خارت من خار الثور أي صاح، أي لما عقر قدار ناقة صالح، ورضي بذلك ثمود نخسف الله بهم الأرض فصاحت الأرض بانخسافهم فيها صيحة، مثل ما يكون لهذه الحديدية عند شق الأرض اللينة والتيه: المفازة.

١٩٢ - ومن كلام له عليه السلام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنْ أِبْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قَلًّا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَن صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقًّا عَنهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأْسِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ؛ مَوْضِعَ تَعَزُّرٍ ، فَلَقَدْ وُضِدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدْ أَشْتَرَجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ ، أَمَا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَسَتُنَبِّئُكَ أِبْنَتُكَ (بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا^(١)) فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ ، وَأَسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ، هَذَا وَلَمْ يَظَلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْكَ الذَّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُودَعٍ لَأَقَالَ وَلَا سَتِيمٍ ، فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا عَن مَلَائِكَةٍ ، وَإِنْ أَقِمَ فَلَا عَن سُوءِ ظَنِّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

الشرح

قوله عليه السلام: السريعة اللحاق بك .
معناه أن فاطمة ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأربعة أشهر،
وقيل ستة أشهر.

الفادح الثقيل والرهيبة: بمعنى الرهن وليست التاء للتأنيث فان الفعيل
هذا يستوي فيه المذكر والمؤنث .

فاحفها السؤال: الحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية
في أمره ويقال حفيت بالكسر وأحفي في السؤال وبالغ فيها .

* * *

١/٩٣ - ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا
 مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَمَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ
 أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا
 أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا أُخْتِبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا
 هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ اللَّهُ
 آبَاؤُكُمْ! فَقَدُّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ^(١)، وَلَا تُخَلِّفُوا^(٢) كُلًّا
 فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ^(٣).

١ - في م ول وش : يكن لكم قرضا .

٢ - في م : ولا تتركوا .

الشرح

الدنيا دار مجاز أي هي مسلك لا مقصد .

واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها أبدانكم .

أي لا يكن همكم مقصورا على الدنيا بل ليكن مصيركم الى إعداد زاد

البعاد .

لله آباؤكم : العرب اذا أرادوا تعظيم المخاطب وتفضيله قالوا لله أنت

كأنهم يشبتون له لفرط كماله زيادة اختصاص بالله تعالى (كما يقال بيت الله

وناقة الله، وإن كان الكل لله، وقيل اللام لام العاقبة أي ليكن مصيرك الى

الله تعالى^(١) والى ثوابه .

فقدموا بعضا يكن لكم : يعني ما قال النبي صلى الله عليه وآله ليس لك

من مالك إلا ما اكلت فأفنيته أو تصدقت به فأبقيته، وإنما قال قدموا بعضا

لأن حرمان الورثة لا يجوز .

ولا تخلفوا كلا : لأن ترك الصدقات والزكوات والوصايا أيضا لا يجوز .

• • •

١٩٤ - ومن كلام له عليه السلام

كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِيلُوا
 الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بَحَضَرَتْكُمْ مِنَ الزَّادِ،
 فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوُودًا، وَمَنْتَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مَنْ
 الْوُزُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ
 نَحْوَكُمْ دَائِبَةٌ^(١)، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ
 دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُضْلِعَاتُ^(٢) الْمَخْدُورِ،
 فَقَطَّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهَرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية .

١ - في ن وم وك ور : دانية .

٢ - في ض : ومعضلات .

الشرح

تجهزوا: أي تهيأوا، والعرجة: الإقامة.

والكوؤد: الشاقة المصعد، والملحظ: مؤخر العين.

دائبة: أي مجدة وروي دانية أي قريبة.

ونشبت: أي علقت، ودهمتكم: فاجأكم: وأمر مفضع: عظيم شديد

جاوز المقدار شدة.

والمضلع: المثقل علائق الدنيا: أسبابها التي يتعلق القلب بها، وتعلق

بهاها.

والاستظهار: الاستعانة.



١٩٥ - ومن كلام له عليه السلام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا [عليه] من ترك مشورتها،

والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتَهَا يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وَأَيُّ قَسْمٍ أَشْتَأَثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفَتْ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ أَمْ خَطَأْتُ بَابَهُ؟

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْتَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضْتُ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا أَشَرُّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ، فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ^(١)، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وُلَيْتُهُ هَوَى^(٢) مِثِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا

١ - في ش : وإخواني المسلمين .

٢ - في ر : روى بهوى مني .

وَأَنْتُمْ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أُحْتَجَّ إِلَيْكُمْ فِيمَا قَدْ فُرِغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمَضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ، وَاللَّهُ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمْ فِي هَذَا عُثْبَى. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمَّتَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَجِمَ اللَّهُ أَمْرِي رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

الشرح

نقمت على الرجل: عتبت عليه، ونقمت بالكسر لفة فيه، ونقمت الأمر ونقمته كرهته.

- وارجأتما كثيرا: أي أخرتما كثيرا من حقوقي.
- والاربة: الحاجة يقال أرب الرجل أي احتاج.
- افضت إلي: أي انتهت إلي ورجعت نحوي.
- واستسن الشيء: اتخذته سنة والأسوة: القدوة.

ولا وليته هوى مني: أي ما سلطت هواي على ذلك الأمر وروي ولا وليته أي ما توليته لهوى مني بل وجدنا ما جاء به الرسول مفروغا عنه تاما كاملا.

والله تعالى يفرغ من الشيء فراغ ترك لافراغ شغل؛ قال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان^(١)، قال المبرد أي سنعمد والفرغ في اللغة على وجهين.

أحدهما : القصد للشيء والأخر الفراغ من شغل ، والله تعالى لا يشغله
شان عن شأن والفراغ من الأمر هو الذي أتمه .
والعتبي : إسم من الاعتاب يقال : أعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي
راجعا عن الاساءة ، ويقال أعتبناهم بالسيف أي أرضيناهم بالقتل أي لا أرجع
عن الحق الذي أنا فيه طلبا لرضا كما .

• • •

١٩٦ - ومن كلام له عليه السلام

وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين
 إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكيكنكم لو وصفتكم
 أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في
 العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم آخين دماءنا
 ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبتينهم، وأهديهم من ضلالتهم،
 حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان
 من لهج به.

الشرح

قوله عليه السلام: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين .
 نبه على تحريم السب واللعن كما قال النبي صلى الله عليه وآله ما
 بعثت سبابا ولا لعانا وقال عليه السلام: اللهم إني بشر فاذا دعوت على إنسان
 فاجعل دعائي له لا عليه واهده إلى الصراط المستقيم .
 واحقن دماءنا: أي امنعها من السفك .
 اصلح ذات بيننا: أي ما بيننا من الأحوال حتى يكون أحوال الفة ومحبة
 واتفاق، ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم:
 اسقني ذا اناءك أي في إنائك من الشراب؛ وقيل ذات البين حقيقة الوصل .
 وارعوى: أي رجع وكف، ولهج به: أي حرص .



١٩٧ - وقال عليه السلام

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب .

أَمَلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِينِي، فَإِنِّي أَنفَسُ بِهَدْيَيْنِ
(يعني الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ؛ لِئَلَّا يَتَّقَطَعَ
بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال الرضي أبو الحسن: قوله عليه السلام «املكوا عني هذا الغلام» من
أعلى الكلام وأفصحه .

الشرح

املكوا عني هذا الغلام: أي أمسكوه لأجلي .
 لا تهدني: أي يكسرني ونصب الدال أحسن وهو مجزوم على جواب
 الأمر والرفع للاتباع .
 أنفس: أضن وا بخل والحسنان الحسن والحسين عليهما السلام غلب اسم
 الأكبر .

لثلا ينقطع بهما نسل رسول الله :
 ع — هذا دليل على أنه لم يخبره النبي صلى الله عليه وآله باوقات
 قتلها ولم يعرف ذلك تفصيلا .

• • •

١٩٨ - وقال عليه السلام

لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَيَّ مَا أُجِبُّ حَتَّى
نَهَكْتُكُمْ الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللَّهِ، أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ، وَهِيَ
لِعَدْوِكُمْ أَنْهَكُ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِي أَمِيرًا فَأَضْبَعْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ
أَمْسِي نَاهِيًا فَأَضْبَعْتُ الْيَوْمَ مَنِيهِيًا، وَقَدْ أَخْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ،
وَلَيْسَ لِي أَنْ أُحْمِلَكُمْ عَلَيَّ مَا تَكْرَهُونَ .

١٩٩ - ومن كلام له عليه السلام

بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه -
يعوده، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ أَنْتَ إِلَيْهَا (١)
فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ أَخْوَجَ ١؟ وَيَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَّغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ:
تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحْمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُمُوقَ

١ - في ح وب : اما انت اليها وفي ض : وانت اليها وفي ر: روي اما انت اليها .

مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فقال له العلاء. يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا. قال: عليّ به، فلما جاء قال:

يَا عُذِّي نَفْسِي لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ
أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الظُّلُمَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ
تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك!

قال:

وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَيْمَةِ
الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ
فَقْرُهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: نهكتكم الحرب: يقال نهكته الحمى إذا أخذته وجهدهته وأضنته، ونقصت لحمه والحرب والسلم مؤنثتان حملا على المحاربة والمسالمة.

العباء الكساء ويقال عليّ: يريد أي أصدد به عليّ أي على المكان الذي أنا فيه هذا أصله ثم يقال: عليّ به وإن جيء به في انحدار.
يا عدّي نفسه: صغره تحقيرا لفعله الذي تركه أولى من تكلف ما لا يعنيه.

لقد استهام بك الخبيث يقال: هام على وجهه إذا ذهب من العشق أو غيره، وعني بالخبيث الشيطان أي جعلك هائما، والباء للتعدي والهيام كالجنون من العشق وغيره.

أترى الله: أي اتظنه وطعام جشب: أي غليظ خشن وقيل هو الذي لأدم معه، والجشوبة مصدره.

ويحك: يقال للترحم، ويتبيغ الدم بصاحبه ويتوغ به أي هاج به فقتله وقيل أصل يتبيغ تبغى فقلب مثل جذب وجبذ، وفي الحديث إذا تبغ الدم بصاحبه فليحتجم، وإنما نهاه أمير المؤمنين عن ذلك لأنه أخل، بأداب العزلة، ووجد في نفسه رغبة في اظهار طاعته، وطلب بالطاعة منزلة في الدنيا، وامتنع من الطعام.

ما عرف أن زاد الطريق من الطريق، وزاد العبادة^(١) والمواظبة على العلم والعمل من غير صحة البدن لا يصح ولا يكون سلامة البدن إلا بالطعام والشراب، قال تعالى: «كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» ومن تناول الطعام على نية سلامة بدنه حتى يقوى بدنه على العلم والعمل كان أكله وشربه من قبيل العبادة، وقد أخطأ الرجل وهو عاصم بن زياد حين قاس شخصه وحاله بشخص أمير المؤمنين وحاله، ولم يعرف تباين المقصدين ونظر إلى الظاهر.



٢٠٠ - ومن كلام له عليه السلام

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال
عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذِبًا، وَنَاسِخًا
وَمَنْسُوخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحَفْظًا وَوَهْمًا،
وَقَدْ (١) كُذِبَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَيَّ
عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا
فَلْيَتَّبِرُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:
رجل متافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا
يتحرّج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
متعمداً؛ فلو علم الناس أنه متافق كاذب لم يقبلوا منه،
ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم: رآه، وسيع منه، ولقيت عنه فيأخذون
بقوله، وقد أخبرك الله عن المتافقين بما أخبرك، ووصفهم
بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام. فسقروا إلى

أَيْمَّةَ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ
الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ^(١) عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمْ
الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالذُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا
أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ^(٢).

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ،
فَوَهِمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَّعَمَدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ يَرْوِيهِ^(٣) وَيَعْمَلُ
بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ^(٤) مِنْهُ،
وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً
يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى^(٥) عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ
شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ: فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ
التَّاسِيخَ، فَلَوْ يَعْلَمُ^(٦) أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرُ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ
لِلْكَذِبِ خَوْفاً لِلَّهِ^(٧)؛ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَلَمْ يَهْمُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى

١- في ض وح وب : وجعلوهم حكماً على .
٢- في ب : فهو احد الاربعة .
٣- في ض وح وب : في يديه ويرويه .
٤- في ض وب ول : لم يقبلوا منه .
٥- في ض وح : ثم انه نهى عنه .
٦- في ض وح وب : فلو علم انه .
٧- في ض وح وب : خوفاً من الله .

سَمِعِهِ^(١) : لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُخْتَلَفَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٢)، وَلَا مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِيهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَانَ^(٣) يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهَذِهِ وَجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

١- في ض وح وب وش : على سماعه .

٢- في ش : ما عنى به سبحانه .

٣- في ض وح وب : من كان يسأله .

الشرح

قوله عليه السلام: إن في أيدي الناس حقا وباطلا إلى آخره.

ج: الحق إذا استعمل في الفعل فمعناه الصواب وإذا استعمل في الاعتقاد كان علما، وفي المال والدين بمعنى الملك، والاستحقاق والباطل في الأصل يستعمل بمعنى المعدوم، ثم يستعمل في الفعل القبيح الواقع ممن أمكنه التحرز منه، تشبيها بما يكون معدوما، ويستعمل فيما لم يقع الموضع الصحيح، في سقوط القضاء عنه، وفي التملك به.

والصدق: خبر مخبره على ما تناوله، إذا كان له مخبر، والكذب خبر ليس مخبره على ما تناوله إذا كان له مخبر.

والناسخ: هو الدليل الشرعي الذي يدل على زوال مثل الحكم الذي ثبت بدليل آخر شرعي مع تراخيه عنه، وهذا الدليل الآخر هو المنسوخ ويستعمل كل واحد منهما في الدليل والحكم جميعا، ويستعمل الناسخ في الناصب للدليل أيضا يقال نسخ الله كذا بكذا ويستعمل في المعتقد، يقال ينسخ القرآن بالسنة.

والعموم: على العكس من الخصوص، وهو شمول اللفظ للأشياء كثيرة يقال عمت البلوى بكذا أي لحقت كثيرا من الخلق والعام اللفظ الواحد الدال على شيئين، فصاعدا من جهة واحدة، واللفظ الواحد يجوز أن يكون عاما خاصا بالنسبة إلى جهتين مختلفتين، كقولنا ضربت الغلمان، فهو عام من

حيث أنه تناول أكثر من واحد وخاص من حيث أنه لم يرد به جميع الغلمان بل أريد بعضهم .

والمحكم : من القول ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحدا .
والمتشابه : ما يحتمل وجهين أو أكثر .

والحفظ : ترتيب ما تسمعه من الكلام أو تفهمه عن خط وإشارة على حد
تمكنك أدائه بالعبارة الصحيحة .

والوهم : أن تظن ظنا مظنونة على خلاف ما ظننته .

فليتبرأ : ظاهره أمر ومعناه خبر، وتبوات منزلا أي نزلته .

والتعمد : نقيض الخطاء وقيل في سبب ورود هذا الخبر أن رجلا سرق

رداء النبي صلى الله عليه وآله وخرج إلى قوم وقال، هذا رداء محمد صلى
الله عليه وآله أعطاني لتمكنوني من تلك المرأة فاستنكروا ذلك فبعثوا من
يسأل رسول الله عن تلك الحالة، فقام الرجل الكاذب ليشرب ماء فلدغته حية
فمات .

فلما سمع ذلك النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : خذ

السيف فان وجدته وقد كفت^(١)، فأحرقه فجاء وأمر باحراقه الخبر، وإن ورد
في سبب معين فعموم لفظه يتناول كل من كذب على رسول الله صلى الله
عليه وآله متعمدا .

والتصنع : تكلف حسن السميت^(٢) .

والتأثم : التحرز من الاثم وكذا التحرج .

ولقفت الشيء : تناولته بسرعة، ووهم : أي غلط .

١ — كذا ؛ وفي ض : وقد كفت .

٢ — يقال : فلان حسن السميت ؛ أي حسن القصد .

والأمر: قول القائل لمن دونه في الرتبة إفعل مريدا منه ذلك الفعل .
والنهي: قول القائل لمن دونه في الرتبة لاتفعل إذا كان كارها منه
ذلك الفعل .

والخبر: هو الكلام الموضوع لأن تعرف به غيرك ما تناوله وهذا أولى من
أن يقال: هو ما يحتمل الصدق والكذب، لأن الصدق يحد بأنه خبر مخبره
على ما تناوله، وفي ذلك تجديد كل واحد منهما بالآخر.

قوله وقد كان يكون: الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام
للخاص من الكلام المتشابه مفهوم سوى مفهوم العام كما للعاقل مفهوم من
الكلام سوى مفهوم الصبي، فان الصبي يفهم من قول القائل فلان فوق فلان،
وبغداد في يد الخليفة أن الجالس فوق غيره بالمكان، وإن مدينة السلام
شيء مقبوض هو في يد الخليفة، والعاقل المجرب يعرف ويفهم سوى ذلك،
وكذا الفقيه يفهم من لفظه صورة المسألة كذا أي حقيقتها وترتيبها والعامي
يفهم من الصورة الهيئة الجسمية ولذلك نظائر وأشار أمير المؤمنين إلى ذلك
حيث قال كلام خاص وكلام عام .

فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة: هذا مبدأ الاختلاف في الأمة .
حتى إن كانوا: ان هي المخففة من الثقيلة لدخول اللام على خبرها وهو
ليحبون .

وطراً عليه: أي إطلع عليه^(١) .



٢٠١ - ومن خطبة له عليه السلام

وَكَانَ^(١) مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ، وَبَدِيحِ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ؛ أَنْ
 جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا،
 ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَّقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ أَرْتِنَاقِهَا،
 فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَأَرْسَى أَرْضًا يَخِيلُهَا
 الْأَخْضَرَ الْمُشْتَعْنَجِرُ، وَالْقَمْنَقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَكَرَ لِأَمْرِهِ، وَأَدْعَنَ
 لَهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا،
 وَنَشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَايِسِهَا، وَالزَّمَهَا
 قَرَارَتِهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ،
 فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا
 وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَتَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا، وَجَعَلَهَا
 لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَأَرْزَهَا^(٢) أَوْتَادًا، فَسَكَّتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ
 تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِجَنَلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوْضِعِهَا^(٣).
 فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجَمَدَهَا بَعْدَ
 رُطُوبَةِ أَكْتَانِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا!

١ - في ش : فكان من اقتدار.

٢ - في ر : وروي ارزفيها.

٣ - في ض وح وب : تزول عن مواضعها.

فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكْرِكُهُ الرِّيحُ
الْعَوَاصِفُ^(١). وَتَمَخُّضُهُ الْغَمَامُ الدَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعِبْرَةً
لِمَنْ يَخْشَى).

الشرح

قوله عليه السلام: وكان من إقتدار جبروته إلى آخره.

الأخضر: الماء والعرب تصفه بالخضرة.

وتعجرت الدم وغيره فائعنجر: أي صببته، فانصب.

يقال قمقم الله غضبه: أي جمعه والقمقام البحر سمي بذلك لاجتماعه.

جبل جلاميدها: أي خلق صخورها.

والنشر: المرتفع من الأرض، وأنهد: أي أقام وأنهض.

وأساخ: أي ثبت ورسخ: والأنصاب جمع النصب وهو الشيء

المنسوب.

وأشهبه: جعله شاهقا عاليا، والقلال: جمع قلة الجبل أي أعلاه.

وأرز الشيء يأرز اروزا: أي ثبت وأرز أيضا أي اجتمع وانقبض وارزها

كان أصله أرزها فحذف الباء وأوصل الفعل وروي أرزها وروي ارزها وارز

فيها ورزها فيها ويقال رزه أي طعنه وارتز السهم في القرطاس أي ثبت فيه.

والبحر اللجي: العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم

البحر.

والكركرة: الكر بشدة^(٢)، وتصريف الرياح: السحاب إذا جمعتة بعد

١- في ع: الرياح القواصف.

٢- في ض: الكر شدة.

تفرق قال الشاعر:

باتت تكرر الجنوب وأصله تكرر من التكرير.

والغمام الذوارف: أي المسرعة من قولهم ناقة ذروف وذراف وذرافة أي سريعة قال الراجز يذرفها الاغراء أي ذرف وذرف الجرح بالكسر إذا انتقض بعد البرء.

ج- الغمام الذوارف: أي السحاب السائل^(١) مطرها، يقال ذرفت عينه: أي سال منها الدمع وذرف الدمع: سال.

* * *

٢٠٢ - ومن خطبة له عليه السلام

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ
الْجَائِرَةَ، وَالْمُضْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ^(١) فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَأَبَى
بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا التُّكُوصَ عَنْ نُضْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ
إِعْزَازِ دِينِكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ^(٢) الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً،
وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنَتْهُ أَرْضُكَ وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ
أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نُضْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام مقالتنا العادلة: أي ذات العدل^(٣) وتامر وقيل العادلة
المستقيمة، والحق أنه أسند العدل إلى القول تأكيدا ومبالغة على وتيرة
قولهم: جدّ جده ونحو ذلك .

والنكوص: التأخر وارتفاع بعد على الغاية والمضاف إليه مقدر والتقدير
بعد ذلك، والكلام فيه وفي نظائره مستقصى في كتابنا الموسوم بالدرر في
النحو.

* * *

١ - في ش: والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة . ٣ - أكذا وفي ض: كلاين وتامر ١٩ .

٢ - في ب: باكبر الشاهدين .

٢٠٣ - ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ
 الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ الْبَاطِنِ^(١) بِحَلَالِ
 عِزَّتِهِ عَنِ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا آكْتِسَابٍ، وَلَا أَزْدِيَادٍ،
 وَلَا عِلْمِ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ،
 الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلْمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ،
 وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ
 بِالْأَخْبَارِ^(٢).

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الإِضْطِفَاءِ، فَرْتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ،
 وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ،
 حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ.

١ - في ض و ح وب : والباطن .

٢ - في م : بالاختبار .

الشرح

الروية: غير مهموزة إلا أنها مشتقة من روات في الأمر مهموزا أي نظرت فيه .

لايرهقه: أي لاينغشاه وروي لايرهقه أي لايعجله أولا يأتيه ليل مكروه والنهار غير مكروه لضيائه فلذلك أضاف إليه جرى بخلاف الليل بالابصار.
وبالأخبار: روي بفتح الهمزة فيهما، فيكونان جمعي البصر والخبر وبكسرهما على المصدر، وروي بالاختيار.
ساور: أي واثب، سرح الضلال: فرقها وبددها .

* * *

٢٠٤ - ومن خطبة له عليه السلام

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدْلٌ، وَحَكَمٌ فَصَلِّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ، جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.
 أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ: يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ^(١) الْأَفْيِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، بِصُورَتِهِ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقُونَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقُونَ بِكَاسِ رَوِيَّةٍ، وَيَضْرُونَ بِرِيَّةٍ، لَاتَشُوبُهُمُ الرِّيَّةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ، عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقُهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَدْرِ يُنْتَقَى، فَيُوَحَّدُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيسُ، وَهَدَّبَهُ التَّمْجِيسُ، فَلْيَقْبَلِ أَمْرُكُمْ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ أَمْرُكُمْ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ،

وَقَلِيلٍ مُّقَامِهِ، فِي مَنْزِلِهِ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا، فَلِيَضْنَعُ
لِمُتَحَوِّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ، فَطُوبَى لِيذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ
يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرِيدُهُ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ
بَصَّرَهُ، وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ،
وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ، وَأَسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ. فَقَدْ أَقِيمَ
عَلَى الطَّرِيقِ^(١)، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

الشرح

قوله عليه السلام: وأشهد أنه عدل إلى آخره.

كلما نسخ الله الخلق فرقتين: نسخت الريح الآثار غيرتهما ونسخت
الشمس الظل أزالته، ونسخت الكتاب اتخذت منه نسخة، أي كلما أوجد الله
تعالى قرنا من أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات، فافترقوا فرقتين، كان هو عليه
السلام في خيرهما فكأنه نزل الاخلاف من الأسلاف منزلة النسخة المتخذة من
أصل الكتاب.

ثم الافتراق^(٢) إن كان لأمر يرجع إلى أفعال المكلفين واختيارهم،
فتقدير الكلام كلما أوجدتهم وأخرجهم من الأرحام مقدرًا افتراقهم، فيكون من
باب قولهم خرج زيد اليوم، ومعه صقر صايدا به عدا أي مقدرًا به الصيد غدا
وإن كان الافتراق بما يرجع إلى غيرهم من شرف الأبوة والبيوتات الصالحة
ثم من العناية الأزلية والمواهب الالهية، فالحال على ظاهرها وما يليه من
الكلام أليق هذا الوجه الأخير.

١- في ب: على طريق.

٢- في ض: ثم ان الافتراق.

(أعنى قوله لم يسهم فيه عاهر: وهو من قول النبي صلى الله عليه وآله لم يزل ينقلني الله تعالى من أخلاف الطاهرين إلى أرحام المطهرات^(١)).
 وقوله عليه السلام: لما خلق الله آدم اودع نوري في جبينه، فما زال ينقله من الآباء الأخاير والأمهات الطواهر حتى انتهى إلى عبدالمطلب.
 قوله عليه السلام: ولدت من نكاح لاسفاح وأسهم أي اقترع والعاهر الزاني .

فليقبل امرؤ كرامة بقبولها: أي بالوجه الذي يجب أن يقبلها وشرطها .
 والقارعة: الداهية والبلية، التي تفرغ من تنزل به .
 لمتحول: أي حيث يتحول إليه من دار الآخرة .
 والقلب السليم: الذي سلم من الخيانة، والدغل: أن يغلق أبوابه يعني بالموت .
 والحوبة: الأثم .



٢٠٥ - وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا
مَضْرُوبًا^(١) عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي، وَلَا
مَقْطُوعًا دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا
مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبَسًا^(٢) عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ
الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ
الْحُجَّةَ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي لَا أَشْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْظَيْتَنِي،
وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي
هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي،
وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَنَ^(٣) عَنْ
دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعِ^(٤) بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

١ - في ب : ولا مضربا .

٢ - في ب : او نفتن .

٣ - في ب : ولا ملتبسا .

٤ - في ر : روى في الاصل تتابع .

الشرح

ويقال : ضرب على عرقه بسوء كناية عن التهجين .

الدابر: الأصل في كتاب الغريبين قوله تعالى : «إن دابر هؤلاء، أي

أصلهم و آخرهم ، وقيل دابر الرجل عقبه . وقطع دابرهم أي أستأصلهم .

ومضطهد : أي مقهور مضطر .

اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي .

هذا نظير قوله عليه السلام في موضع آخر اني لأشوق إلى الموت من

الظمآن إلى العذب البارد ، وفيه اشارة إلى أن الموت أحب إليه من الخلال

التي عدها والتتابع : التهافت في الشر ولا يكون إلا في لجاج ونحوه .



٢٠٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ،
وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ
الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ
إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ
يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ذُونَ
خَلْقِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ
صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلِكَيْتَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ
وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا
هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ
النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ
بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا
أَفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِيِ عَلَى الرَّعِيَّةِ،
وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِيِ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ

عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا يَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى^(١) إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَأَعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطَمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَسَّسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ، وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَتَاهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ؛ أَخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ^(٢) الْأَذْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَغَطَّتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ غُظْلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فُعْلٍ!! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعُظُّمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْنَا بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ أَشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ، وَظَالَ فِي الْعَمَلِ أَجْتِهَادُهُ- بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ [لَهُ] وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةَ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ أَمْرٌ- وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ^(٣) اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا أَمْرٌ- وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ

١- في ض وف وج غ ادى الوالي اليها حقها .

٢- في ح : ما حمله من حقه .

٣- في حاشية ن : وكثرت الاذغال .

يُعِينَ عَلَيَّ ذَلِكَ ، أَوْ يُعَانَ عَلَيَّهِ .

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له ، فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَضْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ مَنْ عَظَّمَتْ ^(١) نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَطَفَتْ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمِ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظْمًا ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَاةً فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْإِطْرَاءَ ، وَأَسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ، وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ ^(٢) أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ ، وَرُبَّمَا اسْتَحَلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ ^(٣) فِي حُقُوقِي لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا ، وَقَرَائِصَ لِأَبَدٍ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا ^(٤) مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي

١- في ض وج وب ول وش : لمن عظمت .

٣- في ع وض : واليكم من البقية .

٢- في م : لكرهته .

٤- في ح : ولا تتحفظوا بها يتحفظ .

حَقِّ^(١) قِيلَ لِي ، وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ
 الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا
 اثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَكْفُؤُوا^(٢) عَنْ مَقَالَةِ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةِ بَعْدِلٍ ؛ فَإِنِّي
 لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُحْطِيَءَ ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا
 أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ؛ فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ
 عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ : يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا تَمْلِكُ مِنْ
 أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا
 بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْظَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

الشرح

قوله عليه السلام : فقد جعل الله لي عليكم حقا إلى قوله لا يستوجب بعضها إلا ببعض .

مثاله ان حق الزوج لا يثبت على الزوجة إلا بأداء المهر والنفقة ، وحق الزوجة لا يثبت على الزوج إلا بالطاعة وترك النشوز ، فيوجب أداء المهر والنفقة طاعة الزوجة ويوجب الطاعة وترك النشوز النفقة والسكنى وغيرهما .
 الدخّل : الفساد ، والتبعة ما يتبع الانسان من الاثم والوبال والغضب .

وليس أحد ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة : الانسان معلول من جهة القوى البدنية فكأنه ممرض لا يستغني أبدا عن الدواء والعلاج وأمراضه مثل الجهل والشره والعجلة والظلم وأمر باماطته^(٣) كما أمر بحلق العانة وقص الشارب والظفر من طريق الظاهر ، فمن لم يمط تلك النجاسات عن نفسه ،

٣- اماطة : نجاه وابعده .

١- في ش لحق قيل لي .

٢- في ف : ولا تكفؤوا انائي .

لم يجد سبيلا إلى وصول نعيم الآخرة بل إلى طيب الحياة الدنياوية .
 ذلك أن من تطهر تجلى عن قلبه الغشاوة، فيعلم الحق حقا والباطل
 باطلا، فلا يشغله إلا ما يغنيه ومتى ثبتت نجاسته صار قلبه مسكن الشياطين
 كما قال تعالى : «قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
 أفك أثيم» .

ولا امرء وإن صغرت النفوس .

أي لا يستغني الكبير عن المعين ولا يكون الصغير وإن كان حقيرا
 بحيث لا يعتبر إعانتته فان الاعانة مفيدة، وإن كانت من حقير صغير مهين .
 لم يعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد عليه حق الله عظيما .

للشكر مقام محمود، لا يصل إليه أكثر الناس لذلك قال تعالى :
 «وقليل من عبادي الشكور» وحقيقة ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام إنك
 تعرف أن جميع النعم من عند الله، والمنعم الحقيقي، هو، ولا ترى النعمة إلا
 من الله وإذا اعتبرت بأسباب النعم والوسائط التي تصل النعمة بسببها إليك
 لم يحصل منك الشكر الحقيقي، بل يكون الشكر مشتركا، فلا يعتقد أن
 المنعم عليك توقيع الملك، أو القلم أو الدواة والقرطاس .

بل المنعم هو الملك الذي أفاض عليك سجال الخلع وإن كانت تلك
 الخلع لا يصل إليك إلا بتلك الوسائط فهذا معنى قوله .
 أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه .

بل ما سواه عنده بمثابة القلم والدواة والقرطاس، بالنسبة إلى الملك .

قوله عليه السلام أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبير .

سبب العجب والكبر الجهل المحض، وعلاجهما المعرفة والعلم، ومن
 طلبت معرفته وتمّ علمه، فلا مجال للكبر والعجب عنده، وإذا خلع الملك
 على عبده من غير سابقة له فمن حقه أن يتعجب من لطف الملك الذي

خصصه لا من نفسه فلو قلت إن الله وفقني لطاعته بسبب محبتي إياه فتفكر في أن محبته في قلبك منه لا منك ، وإن قلت محبته مني لأنني عرفته فتفكر في أنه هو الذي عرفك وإن قلت عرفته بعقلي تفكر في أن العقل منه أو منك .

العارف لا يغتر بمدح الخلق وثنائهم ، لأن رضى الناس غاية لا تدرك ومدائحهم لا تتم ولا تستقيم ، فما من إنسان مدحه قوم ، إلا وذمه قوم ، والعاقل لا يغتر بما ليس فيه سعادة الدارين ، ومن كان محمودا عند الله لا يضر مذمة الخلق ، ومن أخلص لله زين الله قلوب الناس بمحبته ، ورضي الله عنه ومن طلب محمدة الناس وأقبل على الطاعات خوفا من مذمة الناس كشف الله استار نفاقه وأخزاه وابتلاه بمذمة الناس ، وفاته رضى الله لذلك .

قال أمير المؤمنين عليه السلام فلا تثنوا علي بجميل ثناء لا خراجي نفسى إلى الله وإليكم إلى آخره .
البادرة : الحدة والبديهة .

الحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف .

يعني وصف الحق سهل ومجال نعتة قولاً ، واسع على كل أحد لكن القيام بواجبه والانصاف فيه فعلا من أصعب الأمور ، وأشدّها ، وأضيقتها محالا على الأكثرين .

التكافؤ : التساوي ، فريضة : بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هي فريضة وبالنصب على المدح أو الحال .

والأذلال : جمع ذلّ هو ما وطىء من الطريق وذل .

واجحف به : أي ذهب به ، والجحاف : الموت لأنه يذهب بكل شيء .

اقتحمته العيون : ازدرتة وذلك أن من يعظم موقفه في النفوس تغضي عنه

العيون ، ومن يصغر في النفوس يملاء منه العيون .

والاطراء : المدح ، والانحطاط : التواضع .

استحلى الثناء : وجده حلوا واستحله وجده حلالا .

الجبابة : جمع الجبار ، وهو الذي يقتل على الغضب .

والحفيظة : الغضب والحمية .

ولا تتحفظوا مني : لا تغضبوا من جانبي ، وبواد الغضب ما يصدر من

المرء من الخطأ والسقطات عنده .

(وعني بالمصانعة : الرشوة ونحوها ، وفي المثل من صانع بالمال لم

تحتشم من طلب الحاجة^(١)).

قوله عليه السلام : فاني لست في نفسي بفوق أن أخطىء .

قاله على سبيل التذلل والانقطاع إلى الله تعالى ، ثم إن خطأ الأنبياء

والأوصياء لا يكون من قبيل خطأ غيرهم ، فانهم كانوا يعدون من أنفسهم

الاقتصاد على بعض المندوبات ، دون بعض خطاء ، ونحو ذلك ولا يصح أن

يصدر منهم شيء من المقبحات العقلية والنقلية ، ولا أن يتركوا الواجبات لما

ثبت من وجود عصمتهم ونزاهتهم ، وبراءة ساحتهم وطهارتهم ، وحيثما كانت

الرتبة أعلى كان المأخذة أدق .

قوله فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى : أي أبدل قومنا والمتعلقين بنا من

العرب أو أراد الضلالة عن الشرايع ، ومعالم الدين : كما قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وآله : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، أي معالم

الايمان .



٢٠٧- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ (وَمَنْ آعَانَهُمْ^(١))، فَإِنَّهُمْ
 قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي^(٢)، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُتَازَعَتِي حَقًّا
 كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ^(٣)
 وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْتَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا، أَوْ مُتَّ مُتَّاسِفًا،
 فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ، وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي
 فَضَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَجَرِعْتُ
 رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَّرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ
 الْعَلَقَمِ، وَالْمَ لِيَلْقَبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ.

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أنني

كررت ههنا لاختلاف الروايتين.

١- ساقطة من م وف ون ول وش.

٢- في ش: وكفأوا إنائي.

٣- في ر: وبخط الرضي كان بالتاء وروي بالنون وفي ن: ان تأخذه.

الشرح

قوله عليه السلام : اللهم إني استعديك على قريش إلى آخره الاستعداد طلب العدو وهي المعونة .

واكفأت الاناء : أى كبيبته وقلبته وكفاته كذلك وهذا الفصل تحريض منه عليه عليه السلام بان القوم اغتصبوا حقه ونازعوه فيما أولاه الله وأزالوا عمود الدين عن مستقره وعن قبة الاسلام ، بزوا^(١) اجلالها جرأة على الله تعالى ، والله موفى كل عامل جزاءه وكثيرا ما تجد هذا المعنى في كلامه عليه السلام ولاغر وللمصدر أن ينفث وحز الشفار أي قطع السكاكين العظام .

* * *

٢٠٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام
 فَقَدِمُوا عَلَيَّ غُمَالِي وَخُزَّانٍ^(١) مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي
 يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِضَرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتُّوا
 كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي،
 فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةً^(٢) عَضُّوا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ،
 فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

٢٠٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل
 لَقَدْ أَضْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
 كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ فُرَيْشٌ قَتَلْتَنِي تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ،
 أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَفْلَسْتَنِي أَعْيَانُ^(٣) بَنِي

١ - في ض وح وب : خزان بيت مال المسلمين وكذا في حاشية ش .

٢ - في ب : وطائفة منهم عضوا .

٣ - في حاشية ن وف اعنان وفي ح : اعيار وفي ل : اعيار بني جمع .

جَمَحَ، لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ، فَوُقِصُوا
دُونَهُ.

الشرح

عضوا على أسيافهم .

في الصحاح يقال عضه وعض به وعض عليه ، وهذا استعارة عن الصبر
على القتل والقتال ، وروي في غير نهج البلاغة وطائفة عضوا بأسيافهم .
يقال قوله ، عليه السلام لقد اصبح أبو محمد .

هو طلحة قتله مروان بن الحكم وكلاهما في عسكر واحد ، والوتر
الدحل^(١) وطلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام دون الأب فان
آباء الزبير من بني عبد العزى بن قصي بن كلاب ، وأبا طلحة من بني سعد بن
تيم بن مرة ، وكان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام من بني جمح ، عبد
الله بن صفوان بن امية بن خلف ، وعبد الرحمن بن صفوان ، وقيل كان مروان
منهم أخذ اسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن الى أبيه عليهما السلام .

وأعيان القوم : أشرافهم وروي أعنان جمع عنن مستعار من عنن السماء
وهي صفحتها وما اعترض من أقطارها .

أتلعوا أعناقهم : أي مدوها ورفعوها .

فوقصوا : أي كسرت أعناقهم .

* * *

١ - الدحل : طلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل او جرح .

٢١٠- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطَّفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَّقَ لَهُ لَامِعُ كَثِيرِ الْبَرَقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَفَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارَ الْإِقَامَةَ، وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطَمَئِنِّيَّةٍ بَدَنِيهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ: بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: قد أحيا عقله.

ش- العقل قيل هو العلوم التي يتمكن بها المتكلف من اكتساب العلوم الداخلة، تحت التكليف، وقيل: إنه قوة في القلب يقتضي التمييز والعلوم الضرورية التي يتمكن بها من اكتساب العلوم إذا كملت شروطها.

قيل هي علوم ضرورية مخصوصة من جملتها العلم بأحوال النفس والمدركات والمحسنات والمقبحات، وقيل: هي العلوم التي تمنع المكتسب من الزوال وحصر بعضهم علوم العقل عشرة:

أولها: علم المرء بنفسه.

ثانيها: علمه بكثير من أحواله نحو كونه مريدا وكارها ومفكرا ومشتها

ونافرا .

ثالثها : علمه بالمشاهدات الجلية عند زوال اللبس .

رابعها : علمه بانتفاء ما لا يشاهده من المشاهدات .

خامسها : أنه لو كان لشاهده مع ارتفاع الموانع وزوال اللبس .

سادسها : علمه باستحالة خلق الشيء عن الأقسام الدائرة بين النفي

والاثبات كالوجود والعدم والحدوث والقدم .

سابعها : علمه بمقاصد المخاطبين إذا كان الخطاب جليا .

ثامنها : علمه بالأمر الجلية الواردة عليه في حال كمال عقله مع قرب

العهد ، وذكره لها .

تاسعها : علمه بالتجربيات كانكسار الزجاج بالحديد ، واحتراق القطن

بالنار .

عاشرها : علمه بوجوب الواجبات العقلية وحسن المحسنات وقبح

المقبحات فيها .

قال بعض الحدّاق : المشهور أن العقل الذي هو مناط التكليف هو العلم

بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات لأن العقل لو لم يكن من قبل

العلوم ، لصح انفكاك أحدهما عن الآخر ، لكنه محال لاستحالة أن يوجد

عاقل لا يعلم شيئا البتة ، أو عالم بجميع الأشياء ، ولا يكون عاقلا ، ثم ليس

هو علما بالمحسوسات لحصوله في البهائم والمجانين ، فهو اذن علم بالأمر

الكلية وليس ذلك من العلوم النظرية لأنها مشروطة بالعقل .

فلو كان العقل عبارة عنه لزم أشراط الشيء بنفسه وهو محال فهو إذن

عبارة عن علوم كلها بديهية وهو المطلوب ، فقل عليه لو قلت إن التغير منفي

الانفكاك^(١) ، فالجوهر والعرض متلازمان ، وكذا العلة والمعلول ، سلمناه لكن

١ - في ض : فقل عليه لم قلت ان التغير يقتضي جواز الانفكاك فان الجوهر .

العقل قد ينفك عن العلم، كما في حق النائم واليقظان الذي لا يكون مستحضر الشيء من وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وعند هذا ظهر أن العقل غريزة تلزمها هذه العلوم البديهية عند سلامة الحواس.

قوله حتى دق جليله ولطف غليظه: أي اشتغل بعمارة العالم الروحاني وأعرض عن عمارة العالم الجسماني، فذلك النفس البهيمي، وسكن سورتها وضعف منها ما كان قويا غليظا، ولطف ما كان كثيفا، وأضاء نور العقل وأشعل ناره حتى ظهر له برق مضيء كثير، فدل على سواء المنهج وأرشدته إلى الطريق الجدد.



٢١١- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته : (أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)

يَا لَهُ مَرَامًا^(١) مَا أَبْعَدَهُ، وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطْرًا مَا أَفْظَعَهُ،
لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيُّ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!!
أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعِدِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثِرُونَ؟!
يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوْتٌ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلَأَنْ يَكُونُوا
عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ
أُحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ
الْعُشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ^(٢) جَهَالَةٍ، وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا
عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ^(٣) الْخَالِيَةِ؛ لَقَالَتْ
ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا، تَطَاوَنَ
فِي هَامِيهِمْ، وَتَسْتَشْبِتُونَ^(٤) فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا،
وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ
وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

١- في ن وف : يامراما .

٢- في م وف : في غمرة ولو .

٣- في ش : والرسوم الخالية .

٤- في ح : تستبتون وفي ع : يستبتون .

اولئك سلف^(١) غايتيكم، وفراط متاهليكم، الذين كانت
لهم مقاوم العز، وحلبات الفخر، ملوكاً وسوقاً، سلكوا في
بطون البرزخ سبيلاً، سلطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من
لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم
جماداً لا يئمون^(٢)، وضماراً لا يوجدون، لا يفرغهم وروء
الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأخوال، ولا يخفون^(٣)
بالرؤايف، ولا ياذنون للقواصيف، غيباً لا ينتظرون، وشهوداً لا
يحضرون، وإنما كانوا جميعاً فتشتوا، والأفا فافترقوا، وما عن
طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت أخبارهم، وصمت
ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلثهم بالنطق خرساً وبالسمع
صمماً، وبالحركات سُكُوناً، فكأنهم في أرتحال الصفة صرعى
سبات، حيران لا يتأنسون، وأجباء لا يتزاورون^(٤)، بليت
بينهم عرى التعارف، وأنقطعت منهم أسباب الإخاء،
فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء، لا
يتعارفون ليليل صباحاً، ولا لنتهار مساءً، أي الجديدين ظعنوا فيه
كان عليهم سرمداً، شاهدوا من أخطار دارهم أقطع مما خافوا،
ورأوا من آياتها أعظم مما قدرُوا، فكلتا^(٥) الغايتين مدت لهم
إلى مباءة، فأتت مبالغ الخوف^(٦) والرجاء، فلز كانوا يسطقون

١- في ض وب وح وش : اولئكم .

٤- في ل ور : احياء ولا يتزاورون .

٢- في ر لا يئمون .

٥- في ش : فكلتا الغايتين .

٣- ولا يخفون .

٦- في م وف : القوت والرجاء .

بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَسُنَّ عَمِيَّتٌ (١) آثَارُهُمْ،
 وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ؛ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ،
 وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ،
 فَقَالُوا: كَلَحَتْ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ،
 وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ الْمَضْجِعِ، وَتَوَارَثْنَا
 الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَأَنْمَحَتْ مَحَاسِنُ
 أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا، وَظَالَتْ فِي مَسَاكِينِ الْوَحْشَةِ
 إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ (٢) مُتَّسَعًا! فَلَوْ
 مَثَلْتُهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ
 أَرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ، وَآكَتْحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ
 بِالثَّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ
 ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا، وَعَاثَ
 فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلِيٌّ سَمَّجَهَا، وَسَهَّلَ طَرُقَ الْآفَةِ
 إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبَ تَجْزَعُ؛ لَرَأَيْتَ
 أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْدَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فِظَاعَةٍ (٣) صِفَةٌ حَالٍ
 لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي، وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ
 جَسَدٍ، وَأَيِّقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيًّا تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ،
 يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ

١ - في ش : ولئن درست .

٢ - في م ون وف : ومن ضيق .

٣ - في ف ون وح وض : في كل فضاة .

نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ!؟
 فَبَيْنَمَا (١) هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ (٢) فِي
 ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ
 وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الحُتُوفُ مِنْ كَثْبٍ فَخَالَطَهُ بَتْ لَّا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ
 هَمِّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتْرَاتٌ عِلَلٍ آتَسَ مَا كَانَ
 بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَشْكِينِ الحَارِّ
 بِالقَارِّ، وَتَحْرِيكِ البَارِدِ بِالحَارِّ، فَلَمْ يُظْفِئْ بِبَارِدٍ إِلاَّ تَوَرَّ حَرَارَةً،
 وَلا حَرَكَ بِحَارِّ إِلاَّ هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلا أَعْتَدَلَ بِمُتَمَارِجٍ لِيَتَلَكَّ
 الطَّبَائِعُ إِلاَّ أَمَدًا مِنْهَا كُلِّ ذَاتِ دَاءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلَّلُهُ، وَذَهَلَ
 مُمَرَّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ
 عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيًّا خَبَرَ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ،
 وَمَمَّنٍ لَهُمْ إِيَابٌ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ
 أَسَى المَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَمَا (٣) هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ
 فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرَكَ الأَحِبَّةَ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ
 فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ، وَبَيَّسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمَّ مِنْ مُهَيْمٍ
 مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ
 فَتَصَامَّ عَنْهُ: مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ
 لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَفْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تُعْتَدِلَ
 عَلَى عُقُولِ (٤) أَهْلِ الدُّنْيَا.

١- في ش: فيناهو.

٢- في ش: فينا.

٣- في ش: وتضحك اليه.

٤- في ع: قلوب اهل الدنيا.

الشرح

قوله عليه السلام : يا مراما ما أبعده إلى آخره .

وروي يا له مراما : الضمير لما كانوا يرومونه من الافتخار بالأموات
ولذلك فسره بمراما واللام للتعجب ، كقولهم يا للمأ ويا للدواهي وكقوله : يا
لعطائنا ويا لرياح ، والجار والمجرور في محل نصب على المنادى .
ومراما : نصب على التمييز ، والتفسير لهذا الضمير ، وروي يا مراما^(١)
منادى .

والخطر : الاشراف على الهلاك وامر فظيع ، مفضع : أي شديد .
استخلوا منهم أي مدكر : أي وجدوا موضع التذكير خاليا من الفائدة لما
افتخروا بها .

تناوشهم : تناولهم ، أي تناولوا ذكرهم على وجه يبعد الانتفاع به .
أفبصارع آبائهم يفخرون : استفهام توبيخ وتقريع ، وروي مدكر بفتح
الكاف للمصدر أو الموضع وبكسرهما ، فيكون فاعلا ، ومصارع آبائهم قبورهم .
نعوت : أي خلت ، فالجناب : الفناء .

وأحجى : أجدر ، والعشوة : أن تتركب أمرا على غير بيان ، والعشوة سواد

الليل .

١ - في ض : فيكون مراما منادى .

والغمرة: الشدة وضربوا منهم في غمرة، من للتبيين بين أن الغمرة المذكورة كانت من الموتى والضرب هنا السير.

وتستثبتون في أجسادهم: أي يطلبون ان يكونوا في أجسادهم ثابتين مفاخرة بهم، وروي يستثبتون أي صاروا ترابا وأنتم تزرعون وتطلبون النبات في ذلك التراب:

الأيام بواك ونوايح عليكم: يعني بلسان الحال.

وللفرّاط: المتقدمون: والحلبة: خيل يجمع للسباق.

والسوقة: الرعية وأهل السوق.

البرزخ: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث.

والفجوة: الفرجة بين الشيئين.

لا ينمون: أي لا يزيدون ويروى لا ينمون لا يتحركون، والنميمة الحركة والنفس، ومنه أسكت الله نامته، وقيل هو من النميمة وهو القت^(١).

والضمار: ما لا يرجى وكلّ ما لا يكون الانسان منه على ثقة.

لا يحفل: أي لا يبالي، والرواجف: الزلازل، ورجفت الأرض اضطربت، اضطرابا شديدا.

ع- الرواجف: الجيوش: والقاصفة: الريح التي يقصف أي يسير.

لا يأذنون لها: أي لا يسمعون إليها أي لا يعلمون بهذا البلايا.

صمت ديارهم: أي خربت فلا يسمع لها صوت، كما سموا رجبا

الأصم، لأنه كان لا يسمع فيه قعقعة السلاح، وصوت المستغيث: ويقال

صمّ صدا أي هلك.

١- القت: المنام والقتات: الذي يتسمع الناس وهم لا يعلمون.

في إرتجال الصفة : أي في تبديل الامارة والعلامة .

ج — ارتجال الصفة دخول الصفة عليهم من غير تدبير، من ارتجال الخطبة والشعر، وهو ابتدائه من غير تهئية^(١)، وارتجال الفرس أي أخلط جنسا من المشي بجنس منه .

وأحياء لا يتزاورون : سماهم أحياء لأنهم لو مكنوا من الارادة لما أرادوا إلا نفع جيرانهم والأليق إنه إنما سماهم أحياء لتحابهم في الدنيا .

بليت : اخلقت ، والجديدان : الليل والنهار .

والمبائة : المنزل ، وعبر بالغايتين : طريقي الخوف والرجاء والثواب والعقاب .

عميت : انمحت ، والهدم : الثوب البالي .

وتكادني الشيء وتكادني : أي شق عليّ وأثقلني .

وتهكمت الربوع الصموت : أي تهدمت المقابر الخالية ، يقال تهكمت

البئر إذا تهدمت وقيل معناه اشتدت ، يقال : تهكم عليه اشتد غضبه .

استكت : أي صمت وضافت : قال الشاعر :

وتلك التي تستك منه المسامع .

ونخسوف العين : ذهابها في الرأس ، والذلاقة : فصاحة اللسان ، وحدته

في الكلام .

والشحاحة : البخل مع حرص ، يضحك إلى الدنيا : أي يميل إليها .

والكشب : القرب ، والنجبي : الذي يسار به .

وأنس : نصب على الحال من الضمير في فيه أي في حال كونه أشد

استيناسا ، وما مصدرية أي أنس كونه بصحته ثم أنس أوقاته ثم أنس في

أوقاته بالصحة ، يسلك به مسلك نهاره صائم ، فزع : أي التجاء .

القارّ: البارد ، ثور الشر: هيجه وأظهره .

الممرض : الذي يجتهد في إزالة المرض ويخدم المريض ويداويه ،
تعايا ، أي عجز .

قوله عليه السلام بتسكين الحار بالقارّ وتحريك البارد بالحارّ فلم يطفىء
ببارد إلا ثور حرارة .

ع — انظر إلى مجامع علوم الطب في هذه الكلمات وتفصيل ذلك أن
هيجان الحرارة ، إما من تعب شديد ، أو طعام حارّ خريف^(١) مثل الثوم
والخردل ، وإما من كثرة اللبث في الشمس ، وإما من عفونات في البدن ،
فتلهبت فيها الحرارة . وإما من انسداد مجاري البدن واحتباس الحرارة فيها ،
وإما من سخافة البدن وتخلخله ، وإما من مقارنة أجسام حارة .

إما من أدوية وأشربة حارة ، وإما من شرب النبيذ الصرف ، وإما من
كثرة الحركة والسهر ، وإما من غضب شديد ، وإما من الصوم الدائم وإما من
كثرة الجماع وإسهال البطن ، وهيجان البرد : وإما من كثرة الراحة وإما من
الأطعمة مثل الجبن واللبن ، وإما من برد الهواء وإما من مقارنة أجساد باردة ،
مثل الثلج وإما من افراط في الجماع ، والتعب في السهر ، والفكر وإسهال
البطن ، بحيث يؤدي إلى انطفاء الحرارة الغريزية .

هيجان اليبس إما من تعب شديد وإما من قلة الطعام ، وإما من أغذية
وأدوية يابسة ، أو مقارنة أجسام يابسة وإما من كثرة الاستحمام بمياه مالحة
وكبريتية ، وإما من طول السهر والههم وإما من الهرم ونفاد مواد الرطوبة وهيجان
الرطوبة إما من طول الدعة والأطعمة والأشربة الرطبة أو مقابلة الأجسام الرطبة
أو كثرة الاستحمام بمياه عذبة ، وإما من كثرة النوم بعد الطعام .

في جميع هذه العلل إذا كانت القوة باقية، وكانت عناية الطبيب مصروفة إلى حفظ قوة المريض، فالمريض تقبل العلاج فان القوة للعليل كالزاد والمرض، كالطريق وإن سقطت القوة قبل منتهى المرض كان الأمر كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام .

ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء .
بيان آخر وهو أن القوة النامية التي للانسان إما أن يكون في سورتها وقوتها، وهي أن يكون زائدة في البدن غير مفتقرة على اخلاف ما تحلل بل تزيد في حجم البدن أيضا بكثرة ما يغذوه، فهذه القوة النامية يكون بالحال المذكورة عند أكثر الأطباء إلى نحو ثلاثين سنة شمسية، واما يقف فيفتقر^(١) على أن يخلف على البدن مثل ما تحلل فقط من غير زيادة، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين سنة، وإما أن ينقص ويأخذ في الضعف فيكون الذي يستفيده البدن منها أقل مما تحلل، وذلك إلى نحو ستين سنة .

فالحالة الأولى سن الفتیان، والثانية سن المتناهين، والثالثة سن الكهول، ثم بعد الستين يتبين النقصان في القوة النامية، فيكثر تحلل الرطوبات، ويقل الخلف من الغذاء ويسمى هذا السن سن الشيوخ، ولا يزال يتمادى الأمر بالبدن، ويتسلط اليبس حتى يصير من عدم الرطوبة بحيث لا يصلح لحلول الحياة، فيموت الانسان ولا يقبل العلاج .

فهذا معنى قول أميرالمؤمنين حتى فتر معلله وذهل ممرضه إلى آخر الفصل .

وما ذكر من غمرات الموت وسكراته، فقد سئل واحد من الصحابة في سكرة موته من حاله، فقال: كأنني أتنفس من خرت^(٢) ابرة وكأنما يقطع

١- في ض: فيقتصر .

٢- خرت ابرة: أي ثقبها .

أعضائي وأجزائي بالمقراض ففي كل جزء من أجزائي وعضو من أعضائي ألم لا يمكن وصفه قال ذلك ومضى لسبيله .

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في سكرات موته : اللهم أعني على سكرات الموت ، وفي التورية أن مثل الموت كشجرة مشوكة أدرجت في بدن ابن آدم ، فتعلقت كل شوكة منها بعرق وعصب ، ثم جذبها رجل شديد الجذب ، فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما بقي ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله للموت الف نزعة أشد من ألف ضربة بالسيف .

* * *

٢١٢- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته : (رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) .
 إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ^(١) ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ
 الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانِدَةِ ، وَمَا
 بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَرْزَاقِ الْفَتَرَاتِ
 عِبَادًا نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ،
 فَاسْتَضَبَّحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ^(٢) وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكَّرُونَ
 بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ^(٣) ، مَنْ
 أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ
 يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَدَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا
 كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ ، وَإِنَّ
 لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
 عَنْهُ : يَقْظُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ -
 فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ

١- في ب : جلاء القلوب .

٢- في حاشية ن : في القلوب .

٣- في ض وب : في الابصار والاسماع .

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا أَظْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ
الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ
عِدَاتِهَا^(١)، فَكَشَفُوا غِظَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرَوْنَ
مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ
لِعَقْلِكَ^(٢) فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ،
وَقَدْ نَشَرُوا ذَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَعُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى
كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا^(٣) عَنْهَا، أَوْ نُهَى عَنْهَا
فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنْ
الِاسْتِثْلَالِ بِهَا، فَتَشَجُّوا نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا^(٤) نَجِيبًا، يَعِجُّونَ إِلَى
رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَأَعْتِرَافٍ؛ لَرَأَيْتَ اءِغْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ
دُجَى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،
وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكِرَامَاتِ،
فِي مَقَامِ^(٥) اءِظْلَعِ اءِلَّهِ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضَى سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ
مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةِ إِلَى فُضْلِهِ،
وَأَسَارَى ذِلَّةِ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ
غُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اءِلَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ
لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَتَادِخُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَاسِبُ
نَفْسِكَ لِتَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَاسِبٌ غَيْرُكَ.

١- في م غ عند عذابها.

٢- في ف بعقلك.

٣- في ب : فخرطوا عنها.

٤- في ن وف وم وض وح : في مقعد اءِطلع اءِلَّهِ.

٥- في ك : وروى وتجاوبوا نجيا.

الشرح

قوله عليه السلام : إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب الى آخره .
العشوة : الربع الأول من الليل ، وقيل هي سواد الليل ، والعشوة أن
تركب أمرا على غير بيان يقال : أوطأنتني عشوة أي أمرا ملتبسا كل ذلك
ماخوذ من العشاء ، والعشية .

والبرهة : قطعة من الدهر ، وناجاهم الله أي ألهمهم وأخطرهم ببالهم .
وكلمهم في ذات عقولهم : إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله في
أمتي محدثون .

يذكرون بأيام الله : من قوله تعالى : وذكرهم بأيام الله^(١) ، قال ابن
عباس وابي بن^(٢) كعب ومجاهد^(٣) وقتادة^(٤) وقال

١ - ابراهيم : ١٤ .

٢ - ابي بن كعب بن قيس الانصاري الخرجي ابو المنذر شهد العقبة وبدر روى عنه عبادة بن الصامت وابن
عباس وعبد الله بن خبات قال الواقدي : اول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وآله مقدمة المدينة ابي بن
كعب مات في سنة ٢٢ .

٣ - مجاهد بن جبر ابو الهجاج المكي المخزومي المقري روى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وسعد بن ابي
وقاص وابي سعيد الخدري والعبادلة وغيرهم ، وروى عنه عكرمة وابن عون وابو اسحاق السبيعي وغيرهم قال
مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة مات سنة مائة .

٤ - قتادة بن دعامة ابو الخطاب السدوسي البصري ولداكمه ، روى عن انس بن مالك وعبد الله بن سرجس

مقاتل^(١) بوقائع الله في الأمم الماضية: وقيل: بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة، فأخبر بذكر الأيام عنه لأنه كانت معلومة عندهم: وقيل أيام الله الايام المعلومات: وقيل أيام الله، قوله: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون.

المراد بالأيام في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، الوقائع التي كانت في الأمم الماضية لقوله.
ويخوفون مقامه: بمنزلة الأدلة في الفلوات.

ومقام الله الموقف الذي يقف الخلائق فيه للحساب، وهو من قوله تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت^(٢)، أي حافظ عليهم: كمن قام على غيره فهو مطلع على أحواله: أو أراد مقام عذابه.
والقصد: العدل وسمت الطريق؛ وواسطة الأمور.
قوله فشهدوا ما وراء ذلك كقوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

واعلم أن السعادة ضربان، ضرب دائم لا يبید، ولا يحول، وهو النعم الأخروية، وضرب يبید ويحول، وهو النعم الدنيوية والنعم الدنيوية متى لم توصلنا إلى تلك السعادة، فهي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وغرور

→
وابي الطفيل وغيرهم وروى عنه ايوب السخيتي وجريير بن حازم وشعبة وغيرهم، قال ابن سيرين قتادة احفظ الناس وقال مطر الوراق مازال قتادة متعلما حتى مات سنة ١١٧.

١ - مقاتل بن سليمان بن بشير أبو الحسن الخراساني البلخي صاحب التفسير، روى عن نافع مول ابن عمر وابي اسحاق السبيعي والضحاك وغيرهم، وعنه بقية بن الوليد وسعد بن الصلت والمطري وغيرهم، قال العباس بن مصعب المروزي مقاتل بن سليمان اصله من بلخ قدم مرو، وكان حافظا للتفسير لا يضبط الاسناد وكان يقص في الجامع وهو مطعون عند كثير من ارباب الجرح والتعديل مات سنة ١٥٠.

وفتنة ، وعذاب كما قال الشاعر :

انما الدنيا كرؤيا افرغت * من رآها ساعة ثم انقضت
والسبب في قصور الانسان عن تصور ما بعد الموت أن الانسان لا يمكنه
أن يعرف حقيقة الشيء إلا بكد شديد ، ومطلب عسير ، وربما لا يتصور شيئاً
حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه ، وصف له يجري مجرى صبي يوصف له لذة
الجماع ، فلا يمكنه أن يتصور حقيقته ، حتى يبلغ فيباشره بنفسه ، ومن تصور
من الأنبياء والأولياء حقيقة الدار الآخرة وطالعتها ببصر البصيرة شغله الفرح
والتلذذ بها عن كل ما دونها ، لذلك .

قال أمير المؤمنين : فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما

لا يرى الناس .

وقد جعل الله لكل شيء كما لا يشاق إليه طبعاً ، وقد هداه الى
التخصيص تسخييراً كما نبه بقوله تعالى : أعطى كل شيء خلقه ثم هدى^(١) ،
وجعل لكل قوة من القوى لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيره ، فلذة العين
في النظر إلى ما يستحسنه ، ولذة السمع في الاستماع الى ما تستطيه ، ولذة
اللمس في مس ما يستلذه وكذا حاسة الشم والذوق .

لذة الوهم في صورة ما يأمله ولذة الخيال في تخيل ما يستحسن تصوره
ولذة الفكر في أمر مجهول يتعرفه ؛ وكل واحد من هذه القوى والأجزاء اذا
عرض لها آفة تعوقه عن شهوته ؛ وعن إدراك لذته فيكون كالمريض الذي لا
يشتهي الماء وإن كان به ظمأً وإذا تناوله لم يجد لذته ، فمن يك ذا فم مريض
يجد مرارة الماء الزلال واللذات الأخروية لذات لا تدرك إلا بالعقل
المحض ، وعقول اكثر الناس معوقة عن إدراك حقائق اللذات الأخروية .

فلا يشعر بها كالخدر لآفة عرضت له فلا يحس السبب المؤلم وأقوام عقولهم كعقول الصبيان لا يحسون بالآلام واللذات في الدار الآخرة، قال الله تعالى : وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب^(١)، ومن اغتر بالحياة الدنيا فهو في غفلة صبي لأنه اشتغل باللهو واللعب، وأمور القيامة كلها أسرار، وقول الكفار: متى هذه الوعد إن كنتم صادقين^(٢) وسئل عن شيء يستحيل الجواب على موجبيه .

فإن أمر الساعة إذا كان كلمح البصر أو هو أقرب، وكان متى سؤالاً عن الزمان، فاستحال جواب السائل عنه، وهو مثل قول الملائكة إذا قال بين لي كيف أذوق المبصر أو أشمه، فإن أجبتنا له على سبيل الملامسة بشيء أخطأنا فيه بالضرورة، لذلك قال الله تعالى : وعنده علم الساعة^(٣).

قال بعض العارفين : القيامة من داخل حجب السموات والأرض ومنزلها من تلك الحجب منزلة الجنين من رحم أمه، وكذلك لا يقوم إلا إذا زلزلت الأرض زلزالها، وانشقت السماء وانتشرت الكواكب، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، ومن كان خارج الحجب فالقيامة سر عنده، ومن رفع الحجاب صار سر القيامة عنده علانية، ورسول الله صلى الله عليه وآله إنما اطلع على سر القيامة بعد ما قطع الحجب ليلة المعراج .

الى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله : يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها^(٤) أي، إن كان سر القيامة علانية لك ليلة المعراج، فما الذي بقي عندك وكل عاقل وفقه الله للمجاهدة والرياضة، فانه يصل من عالم علم اليقين، الى عين اليقين كما أن كل طفل رضيع اذا بقي

٣- الزخرف : ٧٥ .

١- العنكبوت : ٦٤ .

٤- الاعراف : ١٨٧ .

٢- النمل : ٧١ .

مع تربية صالحة فانه يصل الى مقام التمييز إذا كان وقته ، واذا لم يصل إلى هذا المقام كان من الذين ، قال الله فيهم : فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا .

مثلت الشيء : صورت مثاله بالكناية ونحوها ، المقاوم المقامات .

وأصل دواوين : دوان بدلالة قولهم دواوين ، لكنهم هربوا من التضعيف استثقالا له الى أن أبدلوا من الواو الأولى ياء ، فلو تكلفوا ما تركوه من قلب الواو ياء وإدغام الأول فيه لعاد مثل ما هربوا منه ، وهو التضعيف لحصول يائين ، الأ ترى أن الكلمة بعد الإدغام يصير على ديان وهو من دوت الكلمة أي ضبطتها وقيدتها ، فالديوان موضع ضبط حسابات الناس ، وإنما احتمل التضعيف في الجمع لدخول ألف الجمع بين الواوين فيه وروي فقصرها عنها بالتخفيف اي عجزوا .

ونشج الباكي ينشج نشجا : اذا غص بالبكاء في خلقه من غير انتحاب^(١) وكذلك نشج الجب^(٢) والزق والقدر ، إذا غلاما فيها حتى يسمع له صوت .

تجاوبوا : بالجيم أي تجاوزوا وروي تحاوبوا بالحاء بمعنى تحوبوا أي توجعوا وتحزنوا .

التنسيم : وجدان النسيم ، وهو الريح الطيبة .

يد قارعة أي تفرع باب رحمة الله ، والمندح : المكان الواسع ، الندح السعة كنى بالمنادح عن العطايا والجوائز والرحمة الواسعة جمع مندوحة .
والحسيب : المحاسب .

قوله فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك : من قول الله تعالى : لا

١ - النحب الموت وفي القرآن العزيز : ومنهم من قضى نحبه .

٢ - الجب : البئر العميقة .

يضركم من ضل اذا اهتديتم^(١)، والعجب أن صاحب المنهاج قال إن جواب
لو مثلتم حذف لتفخيم الشأن والتقدير لنفعل هذا التمثيل والتصوير وكأنه لم
يقرأ الخطبة بتمامها : فذهل عن قوله عليه السلام لرأيت أعلام هدى .

* * *

٢١٣- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم)

أَذْحَضُ مَسْرُوعٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَغْدِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ

جَهَالَتهً بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ،
وَمَا آتَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُوكَ، أَمْ لَيْسَ مِنْ
نَوْمِكَ يَقْظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟
فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَّ مِنْ حَرٍّ^(١) الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى
الْمُبْتَلَى بِالْأَلْمِ يُمِضُ جَسَدَهُ، فَتُبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا
صَبَّرَكَ^(٢) عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ بِمُصَابِكَ^(٣)، وَعَزَّأَكَ عَنِ
الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لَأَ
يُوقِظَكَ^(٤) خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ
سَطَوَاتِهِ، فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفُشْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى

١- في ش : لحر الشمس .

٢- في حاشية م : فما اصبرك .

٣- في م وش وحاشية ن : مصائبك وفي ل : على مصائبك .

٤- في ف : وكيف يوقظك .

الْغَفْلَةَ فِي نَاطِرِكَ بِيَقْظَةٍ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آتِئاً،
وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ : يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ،
وَيَتَغَمَّذُكَ ^(١) بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنَّهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ
قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ ^(٢)، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِثْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ
مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعَكَ فَضْلُهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِثْرَهُ، بَلْ لَمْ
تَخُلْ مِنْ لُظْفِهِ مَظْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ
يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَضْرِفُهَا عَنْكَ !! فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ
أَطَعْتَهُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقِينَ فِي
الْقُوَّةِ، مُتَوَازِينَ ^(٣) فِي الْقُدْرَةِ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ
بِذَمِّمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِيءِ الْأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا
غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَرْتُ، وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ ^(٤)،
وَأَذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ
بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ؛ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تُكْذِبَكَ،
أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا
مُكْذَّبٌ، وَلَيْسَ تَعْرِفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛
لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبِلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ
الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ، وَلِنِعْمِ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا

١- في نسخة: ويتغمذك الله.

٢- في حاشية م ول وش: ما احلمه.

٣- في ض ون وب وم: متوازنين.

٤- في ع: وكاشفتك العطات وفي ر: روي كاشفتك الغطاء.

دَارًا، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوَطَّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمْ
الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلِحَقِّ
بِكُلِّ مَنْسِكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ
طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ (١) فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصْرِ فِي
الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ
ذَلِكَ دَاحِضَةٌ، وَعَعْلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ
بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى
لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفْرِكَ، وَشِمَّ بَرَقَ النَّجَاةِ، وَأَرْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

الشرح

قوله عليه السلام: أدحض مسؤول حجة إلى آخره.

دحضت حجته بطلت ودحضت رجله ذلقت.

وقوله أدحض: خبر مبتدأ محذوف أي هو أدحض والضمير للمخاطب

بالآية قبله في قوله: «ما غرَّك بربك» (٢).

وأبرح: من قولهم: لقيت منه برحا بارحا أي شدة وأذى، وبرح به:

أوقعه في البرح.

وجهالة: مفعول له أو مفعول به على معنى جلب إلى نفسه جهالة.

وبلّ من المرض، وأبل إذا برأ.

١- أفي ف: فلم يجز في عدله وفي ب: فلم يجز: في عدله يومئذ وفي ن: فلم يجز بالزاء والراء.

٢- الانقطار: ٦.

يمض : يوجع ، وبيات نقمة : أي هجوم عقوباته ليلا .

تورط : وقع في الورطة وهي الهلاك .

والمدرج : المسلك ، وأكثر ما يستعمل تورط مع في ، وهاهنا نزع الخافض .

وطرف بصره يطرف طرفا : إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة ، يقال : أسرع من طرفة عين .

متوازيين أي متساويين ، والازاء الحذاء وروي متوازيين من الوزن .

وكاشفت : أظهرت ، وروي العظات بالرفع والنصب ، على نزع الخافض ، وروي كاشفتك الغطا .

والنقص في قوتك روي بالصاد والضاد ، وتعرف الشيء : طلب عرفانه ، والخواوية : الخالية .

قوله وإن السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم .

للناس حالتان حالة في دار الدنيا ويعبر عنها بالمستودع ، وحالة بعد الموت ويعبر عنها بالمستقر ، قال الله تعالى : «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع^(١)» فالإنسان في كدح ما دام في المستودع كما قال تعالى : «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه^(٢)» ، فالشقي من طلب الراحة من حيث لا راحة هناك ، وهو دار الدنيا .

قال الله تعالى : «يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئا^(٣)»

فإنهم طلبوا من الدنيا ما ليس في طبيعتها ، كما قال الشاعر :

أريد من ذمتي ذا ان يبلغني • ما ليس يبلغه في نفسه الدمن

٣ - النور : ٣٩ .

١ - الانعام : ٩٨ .

٢ - الانشقاق : ٦ .

فلا جرم صار مستودعهم بالاضافة إليهم مستقرا كما قال تعالى : «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين»^(١) والسعيد من عرف أن الصحة والغنيمة في السفر، وما التفت إلى الدنيا ولذاتها وهرب منها إلا مما يتبلغ به مراعيها فيه حكم الشرع ، كما قال أميرالمؤمنين وأخبر الله تعالى عن ذلك حيث ، قال : «وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع»^(٢) ، ولم يركن إلى الدنيا إلا من جهل حقائقها ومنافعها .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك حيث قال : ما أنا والدنيا إنما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صايف^(٣) فرقعت له شجرة ، فنزل فقال^(٤) في ظلها ساعة ، ثم راح وتركها ، وقال عليه السلام : ومن سكن قلبه حب الدنيا بلى بثلاث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه .

قال الله تعالى : «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب»^(٥) .

الراجفة : الزلزلة وحقت بجلالها القيامة : أي تحقق وجودها بعظايمها .
والمنسك : حيث يذبح فيه النساك أي الذبايح ، والمنسك المتعبد حذ ما يبقى لك من قوله تعالى : «ما عندكم ينفد وما عند الله باق»^(٦) أي خذ من الدنيا الفانية الثواب الباقي .

* * *

١ - البقرة : ٣٦ .

٢ - النحل : ١١٧ .

٣ - الصائف : الحار ، يقال : صيف صائف : أي شديد الحرارة .

٤ - قال يقييل والمقييل والقبيلولة : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم .

٥ - الشورى : ٢٠ .

٦ - النحل : ٩٦ .

٢١٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهِ لَأَنَّ أَبِيكَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسْهَدًا، وَأَجْرَفِي
 الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ
 أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا، وَيَطْوُلُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟
 وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ
 بُرْكَمِ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتًا^(١) الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ،
 كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظِيمِ؛ وَعَاوَذَنِي مُوَكَّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ
 الْقَوْلَ مُرَدَّدًا؛ فَأَضَعَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنُّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي،
 وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقًا طَرِيقِي^(٢)؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ
 أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنْ
 أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسِمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلْكَ
 الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَيْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبِي،
 وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِيَغْضِبَهُ؟ أَتَيْتُ مِنَ الْأَدَى وَلَا

١ - في ض و ب : شعث الشعر غير الالوان .

٢ - في ح و ب و ل : مفارقا طريقتي .

أَيْنُ مِنْ لَطَى؟!! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ظَارِقُ ظَرَقْنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي
وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِتُّهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْ
قَيْيِّهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ
عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: لَأَذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ،
فَقُلْتُ: هَبْلِكَ الْهَبُوبُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتُخَدَعَنِي؟
أَمْخَتَبْتُ، أَمْ دُوجِنَةٌ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ
السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَغْصِيَّ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ
أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ
وَرَقَةٍ فِي قِمِّ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا، مَا لِعَلِيَّ وَلِتَعِيمِ يَفْنَى، وَلَدَذَّةٍ لَا
تَبْقَى نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلِيلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

الشرح

قوله عليه السلام: لان أبيت على حسك السعدان مسهدا إلى آخره.

السعدان: نبت وهو من أفضل مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا
كالسعدان والنون زائدة لأنه ليس في الكلام فعلا غير خزعال، إلا من
المضاعف ولهذا النبت شوك، يقال له: حسك السعدان ويشبه به حلمة
الثدي يقال سعدانة الثدوة وله ثلاثة أرئوس على أي وجه وقع على الأرض
يكون له رأسان حاذان إلى فوق يقف الواطئ عليه.

العظم: نبت يصبغ به وقيل هو النيل.

والسهاد: الارق^(١)، ضج: أي جزع وصاح.

والدنف : المريض المهزول .

والميسم : المكواة ، والسجر : الايقاد .

طارق طرفنا بملفوفة : أي أتى ليلا بهدية .

هبلتك الهبول : أي ثكلتك امك ، الثكل فقدان المرأة ولدها ، وقولهم

ثكلتك امك دعاء للعرب يراد به الذم وربما لا يراد ، والهبول من النساء الشكول .

قوله أتيتني لتخدعني : كلام خارج عن العجب ، وللأولياء أن يتفوهوا

بمثل ذلك ، حتى يقتدي بهم الناس ، قال الله تعالى : «إن تبدوا الصدقات

فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم^(١)» ومن أمن غوايل

الرياء ، وعرف أنه ان أظهر مقاماته اقتدى به خلق ، فالأولى له أن يظهر

ذلك ، ومن لا يأمن الرياء فله أن يخفي ، مثال ذلك من لم يكن عالما

بالسباحة وألقى نفسه في البحر : وهاج البحر هلك ، ومن كان عالما

بالسباحة نجا ونجا غيره ويجب أن لا يطلب بهذا الاظهار منزلة المقتدين .

فان طلب الرياسة بمعزل عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام لذلك قال

أميرالمؤمنين : وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة .

والمختبط : الذي به الخباط : وهو كالجنون وليس به ، وتخبطه أفسده ،

والمختبط أيضا الذي يأتيك يطلب معروفك بلا سبب ، والأقليم واحد الأقاليم

السبعة ، التي هي جوانب الأرض وقيل هي الأرضون السبع والأرض ، لا

يجمع لأن بعضها ليس فوق بعض كالسموات .

والفلك : مدار الكواكب ، وجلب شعير : أي قشرها .

* * *

٢١٥- وَمِنْ دُعَاءِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُنْ^(١) جَاهِي بِالْإِفْتَارِ،
فَأَسْتَرْزِقَ ظَالِمِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى
بِحَمْدٍ مَنِ أَعْطَانِي، وَأَفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ
ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

الشرح

قوله عليه السلام : اللهم صن وجهي باليسار.

غاية نعمة الله على عبده أن لا يحوجه عند الاسترزاق إلى مثله من البشر

وروي لا تبذل، وابتدال الثوب وبذله : امتهانه^(٢) وفي غير الثوب هو ترك
التصون .

والافتار : الفقر، استعطف : طلب الشفقة والعاطفة .

افتن : وروي أفتن وهو لازم ومتعد .

* * *

١- في حاشية م وك : ولا تبذل وفي ر : ولا تبذل .

٢- الامتهان : الابدال في الخدمة .

٢١٦ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ، وَبِالْفَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلَمُ نُزَالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَّصِرَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ^(١) مِثْلُهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاصُ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَزْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ، مِثْكُمْ أَعْمَاراً وَأَعَمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً، أَضْبَحَتْ أَضْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاخُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَأَثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورِ وَالْأَخْجَارِ الْمُسْتَنَدَةِ، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِتَاوُهَا، وَشِيدَ بِالثَّرَابِ بِنَاوُهَا، فَمَحَلُّهَا مُغْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوجِشِينَ، وَأَهْلِ قَرَاغٍ مُشَاغِلِينَ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَدُنُو الدَّارِ، وَكَيْفَ

١ - في ب ول : والامان فيها .

يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ ظَحَنَهُمْ بِكَلْغَلِهِ الْبَلَى ، وَأَكَلَتْهُمْ
الْجَنَادِلُ وَالشَّرَى ؟ وَكَأَن قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَأَرْتَهُنْكُمْ
ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ
تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ ؟ (هَتَاكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ
مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ) .

الشرح

قوله عليه السلام : دار بالبلاء محفونة .

تارات : أي حالات ، المستهدفة : وروي بسكر الدال المنتصبة . وركن
مستهدف أي عريض ومن استهدفه أراد أن يتخذه هدفا .

وأصوات هامة : أي ساكنة ، وهمدت النار : أي طفأت وسكن لهيبتها .

والعافية : المدرسة ، وتشيد البناء رفعه واعلاؤه وتجسيصه أيضا .

والملحدة : ذات اللحد ، كأن قد صرتم : أي كأنه والضمير للشأن .

بعثت : أي بعثت واثيرت .



٢١٧- وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ الْآيِسِينَ لِأَوْلِيَاتِكَ ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ
 لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطْلِعُ عَلَيْهِمْ
 فِي ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ
 مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ، إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ
 آتَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى
 الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ
 قَضَائِكَ .

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ ^(١) عَنْ طَلْبَتِي ،
 فَذَلِّلْنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَايِدِي ، فَلَيْسَ
 ذَلِكَ بِشُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ .
 اللَّهُمَّ أَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذَابِكَ .

الشرح

قوله عليه السلام : إنك آنس الآنسين لأوليائك .

الآنس : خلاف الوحشة .

واللهف : الحزن والتحسر ، والملهوف : المظلوم يستغيث .

وألفهاة : العي والعمه ، التحير والنكر : العجب .

ع — لجاؤا إلى الاستجارة : أي الاستعطاف وأصله أن الصايد يأتي ولد الظبية في كناسه^(١) فيعرك اذنه فيجوز أي يصبح ، فيستعطف بذلك امه كي يصيدها ، ومنه صلاة الاستجارة ، وهو طلب الخير والرحمة من الله .



١ — كنس الظبي : اذا تغيب واستتر في كناسه وهو الموضع الذي ياوى اليه .

٢١٨- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلَّهِ بِلَادٌ^(١) فُلَانٍ، فَلَقَدْ قَوْمٌ^(٢) الْأَوْدَ، وَدَاوِي الْعَمَدَ، وَأَقَامَ
السُّنَّةَ^(٣)، وَخَلَفَ الْفِئْتَةَ^(٤)، ذَهَبَ نَقْيَ الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ،
أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَأَتَقَاهُ
بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ: لَا يَهْتَدِي فِيهَا
الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

الشرح

الأود: العوج، والعمد: داء يصيب الابل في أسنمتها يقال: عمد البعير
إذا تفضح داخل سنامه من الركوب وظاهره صحيح، وهو بعير عمد وعمده
المرض أي فدحه وروي لله بلاد فلان أي صنيعه الحسن.
أصاب خيرها: أي خير السنة، وسبق شرها: أي شر الفتنة أو شر السنة
أي شر ما سمي سنة من البدعة.

• • •

١- في خاشية م: لله بلاء فلان.

٢- في ض وب: فقد قوم.

٣- في ش: اقام السنة.

٤- في ب: خلف الفتنة واقام السنة.

٢١٩- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وصف بيعته بالخلافة، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ
تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا^(١)،
حَتَّى أَنْقَطَعَتِ^(٢) التَّغْلُ، وَسَقَطَ الرَّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ،
وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ،
وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا
الْكَعَابُ^(٣).

١- في ح وحاشية ن ول وش : يوم ورودها .

٢- في م : ورودها انقطعت النمل .

٣- في حاشية م : حسرت عن ساقها الكعاب .

الشرح

تداككتكم عليّ : في الغريبيين ، تذاك الناس عليه أي ازدحموا ، وقيل هو تفاعل من الدك وهو أبلغ من الدق أي تساقطتم ، واندق بعضكم ببعض ، حرصا على ما كان عندي من العدل بينكم مثل تساقط الابل العطاش إذا وردت الماء .

وهذج الظليم : إذا مشي في ارتعاش .

وتحامل عليه : أي مال ، وتحاملت على نفسي أي تكلفت الشيء على

مشقة .

وحسرت إليها الكعاب : أي أبرزت المرأة الكعاب نفسها^(١) ، وكشفت

ميلا إلى تلك البيعة وإلى حضورها .

• • •

١ — الكعاب بالفتح : المرأة حين يبدو ثديها للنهود وهي الكعاب أيضا وجمعها : كواهب .

٢٢٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةٌ مَعَادٍ (وَعِشْقٌ مِنْ كُلِّ
 مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ^(١)) بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو
 الْهَارِبُ، وَتُتَالِ الرِّغَائِبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ،
 وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِيَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ
 عُمراً ناكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِئاً، أَوْ مَوْتاً خَالِئاً؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ
 لِدَّائِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ
 مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ مَظْلُوبٍ، قَدْ أَغْلَقَتْكُمْ
 حَبَائِلُهُ، وَتَكْتَفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَفْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظَّمَتْ
 فِيكُمْ سَطَوْتَهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدَوْتَهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ
 نَبَوْتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ، وَاحْتَدَامُ عِلْلِهِ،
 وَحَنَادِسُ غَمْرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكْرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ^(٢)، وَدُجُؤُ
 إِظْبَاقِهِ^(٣)، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ، فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ

١ - ساقطة من ف ون .

٢ - في ح وب وش : ارهاقه وفي ن : ارهاق بالزاء والراء .

٣ - في ك ور : ودحوا طباقه بالحاء .

نَجِيَّتِكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّتِكُمْ، وَعَفَى آثَارِكُمْ، وَعَظَلَ دِيَارِكُمْ،
 وَبَعَثَ وُرَّائِكُمْ يَفْتَسِمُونَ ثُرَائِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍ لَمْ
 يَنْفَعِ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعِ، وَأَخْرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ،
 فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزُودِ فِي
 مَنَزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغُرَّتْكُمْ^(١) الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
 مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا،
 وَأَصَابُوا غُرَّتَهَا، وَأَفْتَنُوا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، أَصْبَحَتْ
 مَسَاكِيْنُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا
 يَخْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَآخَذُوا الدُّنْيَا؛
 فَإِنَّهَا^(٢) غَرَارَةٌ خَدُوْعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوْعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوْعٌ، لَا يَدُوْمُ
 رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بِلَاؤُهَا.

منها في صفة الزهاد.

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا
 كَمَنْ لَيْسَ مِثْلَهَا: عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا
 يَخْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أُنْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ
 الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ
 أَحْيَائِهِمْ.

١- في ض وح وب : ولا تغرركم الحياة الدنيا .

٢- في ض وح وب : فانها غدارة غرارة .

الشرح

قوله عليه السلام: فان تقوى الله مفتاح سداد.

الرغبة: ما يرغب فيه، هادئة: ساكنة.

الناكس: المطاطي رأسه والعمر الناكس المتقلب من القوة إلى

الضعف.

والموت الخالس: السالب الروح.

والطية: النية، قال الخليل الطية يكون منزلا ويكون منتأى يقول مضى

لطيته أي لنيته التي انتواها وبعدت عنا طيته وهو المنزل الذي انتواه.

والواتر: من يطلب بدم أراقه، الغائلة: الشر والداهية.

وأقصد السهم: أي أصاب، فقتل والمعبلة نصل عريض طويل.

والعدوة: الحضر والعدوة تجاوز الحد في البشر.

واحتدمت النار: التهبت واحتدم الدم: اشتدت حمرة، واحتدم صدر

فلان غيظا.

والحنادس: الظلم، والازهاق: القتل وروي بالراء وازهقته شيئا أي

أغشيته إياه.

ودجو أطباقه: أي ظلمة حالاته والطبق الحال، وروي دجو أطباقه أي

بسط تغطيته.

والجشوبة: غلظ الطعام، والندي والنادي: المجلس.

وقوله : نديكم : أي أهل نديكم الغرة والغفلة ، لا يحصلون^(١) أي لا يبالون .

نزوع : أي تنزع وتخلع ما ألبسته ، لا يركد : أي لا يقف .
قوله في الزهاد عملوا بما يبصرون : أي بما ترونه أصلح لهم وروي
يبصرون من بصر بالشيء إذا علمه .

ع— قوله كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها .
هذا حال من انفك رقبتك عن أسر الزمان والمكان ، ويكون زهادته طبعاً
لا تكلف فيه كما قال النبي صلى الله عليه وآله : أنا وأتقياء أمتي براء من
التكلف ، ومهما انشرح صدره للإيمان بالغيب فاض على باطنه نور لم يشاهد
مثله قبل ذلك ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال : يا داود من
طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني .

• • •

٢٢١- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بزدي قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي في كتاب

الجمال

فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَبَلَغَ رِسَالَةَ^(١) رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ
الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَثْقَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ ذَوِي^(٢) الْأَرْحَامِ، بَعْدَ
الْعَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

٢٢٢- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به عبد الله بن زمعة، وهو من شيعة، وذلك أنه قدم عليه في خلافته

يطلب منه مالا، فقال عليه السلام:—

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِئَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ،
وَجَلْتُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتُهُمْ فِي حَزْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ،
وَالَا فَجَنَازَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

١- في ض وح وب : رسالات ربه .

٢- في ض وح وب : والف به الشمل بين ذوي الارحام وفي ش : والف به بين ذوي الارحام .

٢٢٣- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا
امْتَنَعَ، وَلَا يُنْهِيهِ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا
تَنَشَّبَتْ عُرُوفُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّتْ عُصُونُهُ.

وَأَعْلَمُوا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ
قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللَّأْزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ
مُعْتِكِفُونَ عَلَى الْعِضْيَانِ، (مُضْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْقَانِ^(١)) فَتَاهُمْ
عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آئِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُتَافِقٌ، وَقَارِبُهُمْ مُمَادِقٌ، لَا
يُعَظَّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعْوَلُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

الشرح

قوله عليه السلام بعد العداوة الواغرة: الوغر بالتسكين الضغن والتوقد من الغيظ وعداوة، واغرة: أي متوقدة .

والقادحة في القلوب: أي يقده نار العداوة فيها .

فجناة أيديهم: يعني ما اكتسبت أيديهم إنه أولى بهم عند الانفاق .

البضعة: القطعة، تنشبت: أي علقت .

تهدلت: تدلت .

الادهان: المصانعة، والعارمة: الجاهل القليل الحياء .

والشائب: ذو الشيبة، والمماذق: الذي لا يخلص الودّ من مذاق البثر

أي مزجه بالماء .

لا يعول: أي لا يعمون^(١) .

* * *

١ — مان يعمون يعمون: احتمال مؤنثه وقام بكفايته .

٢٢٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ^(١)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذِيبَهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ^(٢) وَسَهْلِيهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَّقَارِبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَأْمُ الرُّوَاءِ، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ، قَاصِرُ الْهَمَّةِ، وَذَاكِي الْعَمَلِ^(٣)، قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ، بَعِيدُ السَّيْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيَّةِ، مُنْكَرُ الْجَلِيَّةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ، مُتَّفَرِّقُ اللَّبِّ، وَظَلِيقُ اللِّسَانِ، حَدِيدُ الْجَنَانِ.

١ - في ر: وبخط الرضى: مبادئ طينهم.

٢ - في ش: وحزون تربة.

٣ - في م: زاكي العقل.

الشرح

قوله إنما فرق بينهم مبادئ طينتهم : قال بعض الأطباء : سبب تفاوت الناس سبعة أشياء .

أولها : اختلاف الأمزجة وتفاوت الطبيعة واختلاف الخلقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم أمر أن يؤخذ قبضة من كل أرض فجاء بنو آدم على قدر طينها الأحمر والأبيض والأسود والسهل والحزن والطيب والخبيث ، وقال^(١) .

فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون .

وقال تعالى : «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»^(٢) .

الثاني : اختلاف الوالدين في الصلاح والفساد ، وذلك أن الانسان قد يرث من أبويه آثارهما عليه من جميل السيرة والخلق أو قبحهما كما يرث مشابتهما في حليتهما ، قال الله تعالى : «وكان أبوهما صالحا»^(٣) .

الثالث : اختلاف محلّ مادة الانسان كما قال النبي صلى الله عليه وآله : تخيروا لنطفكم ، وقال : الناحح غارس فلينظر أين تضع غرسه ، وقال :

١ - في ض : وقال أمير المؤمنين عليه السلام من سبخ الأرض وحزن تربتها وسهلها فهم .

٢ - آل عمران : ٦ .

٣ - الكهف : ٨٢ .

إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن، قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

الرابع: اختلاف ما يتفق به من الرضاع ومن طيب الطعم وللرضاع تأثير عجيب، لقول النبي صلى الله عليه وآله: الرضاع يغير الطباع ويقول العرب: لله درّه.

الخامس: اختلاف أحوالهم في تأديبهم، وتعويدهم العادات الحسنة والقبیحة فحق الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية واطار الحق بباله، وتعويده فعل الخير كما قال عليه السلام: مروهم للصلاة بسبع ويجب أن يصاب عن مجالسة الأشرار.

السادس: اختلاف من يتخصص به ويأخذ طريقته.

السابع: اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حتى استقل بنفسه فهذه أسباب اختلاف الناس.

الطينة: الخلقة وجمعها طين أسند الفعل إلى الطين مجازاً وإنما ذلك فعل الله تعالى فسر عليه السلام الاختلاف بما هو من فعل الله تعالى من الصور والهيئات والألوان دون ما يمدح العبد ويذم عليه من فعله.

والضريبة: الخليقة، والجلية: ما يجلبه الإنسان من الطبيعة بفعله إلى

نفسه.

والجنان: القلب.



٢٢٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ
غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ، وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى
صِرْتَ مُسْلِيًّا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ
سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ؛ لَأَنْفَدْنَا
عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ، وَلَكَانَ الدَّمَاءُ مُمَاطِلًا، وَالْكَمْدُ مُحَالِفًا،
وَقَلَّالَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدَّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي أَنْتَ
وَأُمِّي، أَذْكَرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَأَجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

الشرح

الشؤون: مجاري الدموع.

ولكان الدماء مماطلا: أي دائم الثبات يدافع بالذهاب ولا يذهب.

والكمد: الحزن المكتوم، والمحالف: الملازم.

واجعلنا من بالك: أي من همم بالك أي قلبك وقيل أي مما تباليه.

٢٢٦ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ،
وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ، الدَّالَّ عَلَى قَدَمِهِ بِحُدُوثِ
خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا
شَبَهَ لَهُ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ
بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدًا^(١)
بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى
قُدْرَتِهِ، وَبِمَا أَضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاجِدْ لَا
بِعَدَدٍ، دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا
بِمُشَاعِرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ. لَمْ تُحِظْ بِهِ
الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا أَمْتَنَعَ مِنْهَا، وَالْيَنَاءُ حَاكَمَهَا لَيْسَ
بِذِي كِبَرٍ أَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا، وَلَا بِذِي عِظَمٍ
تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا، بَلْ كَبُرَ شَأْنًا، وَعَظُمَ
سُلْطَانًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ^(٢) وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ،

١ - في ر: وروي مستشهدا.

٢ - في ف ون: عبده المصطفى وفي م ول: عبده الصفي.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ
الْفَلَجِ، وَإِيضاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى
الْمَحَجَّةِ ذَالاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ،
وَجَعَلَ أُمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ؛ لَرَجَعُوا إِلَى
الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً،
وَالْأَبْصَارَ^(١) مَدْخُولَةً! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ^(٢) كَيْفَ
أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَثَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ،
وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ؟

أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا
تَكَادُ تُنَالُ بِلِخْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ
عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ^(٣) عَلَى رِزْقِهَا! تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا،
وَتَعُدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وُرُودِهَا^(٤)
لِصَدْرِهَا، مَكْفُولَةً بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةً بِوَفْقِهَا؛ لَا يُغْفِلُهَا الْمَتَانُ،
وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّنَانُ، وَلَوْ فِي الصِّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ،
وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي غُلُوبِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي
الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا؛

١- في ح وض وب : والبصائر مدخولة .

٢- في ن وف : وضفت على رزقها .

٣- في ش : ما خلق الله .

٤- في ض وح غ وردها .

لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقَيْتَ مِنْ وَضْفِهَا تَعَبًا، فَتَعَالَى
الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا؛ وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرِكْهُ
فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يَعْينُهُ عَلَى^(١) خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ
فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِكَ^(٢) مَا دَلَّكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ
فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ،
وَعَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ!! وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ
وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ؛ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً!! وَكَذَلِكَ
السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ،
وَالثَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ،
وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتِلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ
الْمُقَدَّرَ^(٣)، وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالثَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ؛
وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا؛
وَلَا تَحْقِيقِ لِمَا^(٤) وَعُودًا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءً مِنْ غَيْرِ بِنَانٍ؛ أَوْ جِنَايَةً
مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَأَنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ
حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ
الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْجِسْمَ الْقَوِيَّ،
وَنَابَتَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِثْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي

٣- في ب و ل : لمن جحد المقدر وأنكر المدبر.

٤- في ض وب و ل وش : لما او هو او في ح : لما دعوا.

١- في ب و ل وش : في خلقها.

٢- في ض وح وب و ل وش : غاياته.

زَرَعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ
الْحَرِثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا (١) ! وَخَلَقَهَا كُلُّهُ
لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدِقَّةً. فَتَبَارَكَ اللَّهُ (٢) الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَيُعْفِرُ لَهُ (٣) خَدًّا وَوَجْهًا،
وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَةَ رَهْبَةً
وَخَوْفًا. فَالظَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَثْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرَّيشِ مِنْهَا
وَالنَّفْسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدى وَالْيَبَسِ، قَدَّرَ (٤) أَقْوَاتَهَا،
وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا: فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ،
وَهَذَا نَعَامٌ. دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَأَنْشَأَ
السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْظَلَ دِيمَتَهَا، وَعَدَّدَ قَسَمَهَا قَبْلَ الْأَرْضِ بَعْدَ
جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

الشرح

قوله عليه السلام : الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد .

قال قوم : العقل البشري قاصر عن إدراك الوجود الأزلي لأنه لا مثال له
في الشاهد فيستدل بالشاهد على الغائب .

قال الامام الوبري : لا تدركه الشواهد أي الأحياء الكائنون في الأماكن
ثم أورد التعليل لذلك وقال :

ولا تحويه المشاهد : أي إنما لا يصح أن يدرك لأنه لا يجوز عليه

١ - في ن : منه في شهواتها .

٢ - في ب : ويعنوله خدا .

٣ - في ض وح وف ول وش : فتبارك الذي .

٤ - في ض وح وب : وقدر اقواتها .

الأماكن وإنما الإدراك مقصور على هذا فيجب أن يكون المدرك في محل أو زمان، وقال بعض العلماء: الإنسان لما كان على هيئة العالم وجد فيه كل ما وجد في العالم، فكما أن في العالم أشياء لا يتأتى إصلاحها وحيوانات لا يمكن تأديبها كذا في ذات الإنسان قوى لا يتأتى إصلاحها وتهذيبها فكان له مع ذلك القوى قصور^(١).

قال تعالى: كلا لما يقض ما أمره، نبه على أن الإنسان لا يكاد يخرج من دنياه، وقد قضى وطره^(٢) ولهذا قال تعالى في حق العقلاء العارفين الذين استضاءوا بشعلة من نور التوحيد: «يقولون ربنا أتمم لنا نورنا^(٣)»، وهذا دليل على أنهم لا يصلون إلى ما يطلبون من المعلومات، وحقائق الأشياء وهم يدينون.

قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: من ظن أنه يصل إلى الحق ببذل المجهود فهو متعن^(٤) ومن زعم أنه يصل إليه بغير بذل المجهود فهو متمن، وقال تعالى: «ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا^(٥)» وقال تعالى: «بل الله يزكى من يشاء^(٦)».

فالإنسان ما دام في دنياه لا ينفك من مشاركة البهائم والسباع لكونه حيوانا محتاجا إلى ما يحتاج السباع إليه، ومن مشاركة الأشجار والنبات، لكونه محتاجا إلى ما يحتاج الأشجار إليه، فالإنسان إذا ما لم يقتحم^(٧)

١- في ض: مع ذلك القوى تصور.

٢- الوطر: الحاجة والبغية وقضى منه وطره: نال بغيته.

٣- التحريم: ٨.

٤- الممن: من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض في كل شيء.

٥- التور: ٢١.

٦- النساء: ٤٩.

٧- اقتحم الإنسان الأمر العظيم؛ إذا رمى نفسه فيه من غير روية وثبت.

العقبة ويفك الرقبة لم يشعر^(١) من الحاجات البدنية ولم يأمن شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقال تعالى : «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا^(٢)» .
وبحدوث خلقه على وجوده : يعني أن ممكن الوجود يحتاج إلى واجب الوجود .

واحد لا بعدد : لا ينظم إليه غيره ، ولا يتجزأ في ذاته ولا في معنى صفاته .

قائم لا بعمد : يعني قيامه تعالى بالأشياء حفظه لها وتدبيره وإحاطته بها .

والمشاعرة : حصول العلم من طريق الحواس والمرأى : المنظر .
لم تحط به الاوهام : بل تجلى لها بها : أي ظهر الله تعالى للعقول لدلالاتها عليه ، من حيث أن وجود العلم في القلب لا من جهة صاحبه لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فالعقل يدل عليه تعالى لوقوعه على وجه لا لجنسه فان جنسه الذي هو الاعتقاد مقدور العباد ، ويحتمل أن يقال تجلى بالعقول أي بما أدركته العقول من الأدلة .

وبها امتنع منها : إذ قد دل الله تعالى على أنه لا يشبه المدركات .
واليها حاكمها : لأن العقل هو الحاكم الذي يعدل وعن الحق لا يعدل ، والضماير : الاذهان والذهن قوة من قول العقل وكثيرا ما يطلق ويراد به العقل وقيل : تجلى للعقول بالعقول كما يتجلى نور الشمس للابصار بالابصار وبها امتنع منها أي لضعف العقول امتنع منها كما يمتنع نور الشمس لضعف الأبصار منها وليس للابصار قوة محاذاة الشمس .

واليها حاكمها : أي وإلى الأذهان حاكم الأذهان ، فان العقول هو

١ - اعتبره : اتاه للمعروف من غير ان يسأل ، والمعتبر : الفقير .

٢ - الانعام ١١٣ .

الحاكم بين المعقولات ، والموهومات الصادقة الموهومات المزيفة^(١) .
 قوله تجلّى لها بها وبها امتنع منها : على سبيل التفصيل إن العقل يدرك المعلومات ، وليس إلى ادراك أحواله سبيل ، ووراء العقل ذوق الشعر ، فإن العالم باللغة ما لم يكن له ذوق الشعر فهو لا يميز بين الأوتاد والأركان ، والفواصل ، والكامل والناقص ، والمنهوك والعقل يلتذ بمعرفة الله ولكنه التذاذ به من حيث أنه معلوم ، كما يلتذ بسائر المعلومات ولكن هذا الالتذاذ اكمل عنده .

فهذا معنى قوله : تجلى لها بها ، وهذا العرفان شبيه بالبصر الطاهر ، إذا التذ بادراك مشموم طيب من حيث أنه مبصر ذو لون كما يلتذ العين بمشاهدة المسك والعود والعنبر وكما يلتذ بمشاهدة الأطعمة اللذيذة ، لكن الذوق وراء ذلك ، وهو يحصل من الاخلاص العملي^(٢) وبه المواظبة على الفكر والذكر فلذلك قال : وبها . امتنع منها ، يعني بعدم الذوق للعقل امتنع منها ، وقد تعبر عن هذا الذوق بعين اليقين .

لم تحط به الأوهام : أي ذو الأوهام من حيث^(٣) أنها أفعاله ، وامتنع منها : من حيث أنها لا تدركه ، وقيل تجلى بمعنى جلى أي جلى لها^(٤) معرفته تعالى وامتنع أن يكون من جملتها أي محدثا مثلها ، وإليها حاكمها ، يعني أن من أنعم النظر في نفسه علم صحة ما ذكر .
 ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيمياً .

١ - درهم زيف وزائف : أي رديئة .

٢ - في ض : من الاخلاص العملي والمواظبة على الكرو والذكر .

٣ - في ض : أي ذوو الاوهام والوهم الظن الذي يكون مظهره على خلاف ما يظنه تجلى لها من حيث انها افعاله .

٤ - في ض جلى بها .

قال الوبري : هذا بناء على نفي التجسيم (لان النهاية انما يصح على الأجسام فالجسيمة هي المصححة للسكون في الجهات والجهات انما يكون مع التحير^(١) . يكون مع التحير والكون فيها يستحيل مع ارتفاع التحسين .

الفلج : الظفر والأمراس : الحبال .

قوله عليه السلام : ولو فكروا في عظيم القدرة إلى آخره .

الأبصار المدخولة : الدخل العيب : وداخل الرجل ، فهو مدخول أي في

عقله دخل .

قوله أنظروا إلى النملة ، للنملة مع لطافة شخصها وخفة وزنها في الشم ما ليس لشيء وإذا ماتت جرادة أو ما يشبه الجرادة ، وليس بقربها ذرة ولا لها بالذرعهد في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن يقبل ذرة قاصدة تلك الجرادة ، وتحاول^(٢) نقلها فان تعذر عليها عادت إلى تربتها^(٣) وتعود وخلفها كالخييط الأسود الممدود من النمال ويظهر للنملة من جملة ما ذكرنا قوة حاسة الشم ولا يمكن أن يشم الانسان الجايح عشر ذلك .

ثم علو الهمة والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف جسمه في الوزن وليس شيء من الحيوانات يحمل ما هو أضعاف وزنه سواهما ، وإذا أخرجت النملة حبها من بيتها ليحففها ، ويكون بعد ذلك مطرا ألهمها الله تعالى حتى يردها إلى بيتها ، صيانة لها وللنملة مع صغر جثتها في دماغها الحس المشترك ، والخيال ، والوهم ، والمتخيلة ، والحافظة ، ولها حاسة الشم وحاسة اللمس والقوة النامية ، والمولدة والغاذية والجازية ، والماسكة ، والهاضمة والدافعة .

١ - ساقط في الاصل .

٢ - في الحديث بك احوال : هو من المفاعلة ، وقيل : المحاولة طلب الشيء بحيلة .

٣ - في ش : قريبتها .

ذكر بعض المهندسين أنه أحصى بالنار حلقة من الحديد، ورمى بها الأرض لتبرد فاشتملت الحلقة على نملة فأرادت التخلص منها فلقبها وهجاً^(١) النار فرجعت إلى وسط الحلقة. وماتت في مركزها بحيث كانت أبعد من الدائرة، والنملة من ذوات السموم ولا يكاد الحية تسلم من أذى النملة إذا كان بها أدنى عفن، وما لم يكن بها عفن لا يتعرض لها، وللنملة من الجد والتشمير في جمع القوت ما ليس للانسان مثله، ويتعاون النمل على النقل كالناس ولا يتخذ القرية إلا في نشز^(٢) من الأرض كيلا يفرقها السيل.

روي أن سليمان النبي عليه السلام كان قاعداً على شط بحر ينظر فيه فان النظر في الماء عبادة وعجائب البحر كثيرة، فاذا بنملة تجيء وفيها حبة فلما وصلت إلى الماء اخرج الضفدع رأسه من الماء وفتح أفاه وثبت النملة إلى فيها وغمس الضفدع في الماء، فلما كان بعد ساعة فاذا الضفدع أخرج الرأس وفتح الفم وخرجت النملة إلى البر ولم يكن معها تلك الحبة فسألها سليمان عن الحالة.

فقالت: إن الله ألهمني أن في قعر هذا الماء حجراً مجوّفاً فيه دودة عمياء لا يمكنها طلب رزقها وأن الله سخر الماء حتى لا يدخل في جوف ذلك الحجر وألهمني الله موضع رزقه في هذا البر فأحمله إلى هاهنا، وقد ألهم تعالى هذا الضفدع ليجيئ إلى هذا المكان ليحملني إلى قعر هذا البحر فأبلغ الحبة إلى تلك الدودة، فقال سليمان: فقد سمعت منها تسبيحاً ألهمها^(٣) به.

فقالت: نعم سمعتها تقول يا من لا ينساني تحت هذه اللجة جوف هذه

١- وهجت النار: اتقدت.

٢- النشز: المكان المرتفع.

٣- في ض: هما الله بها.

الصخرة برزقك ، لا تنس عبادك المؤمنين بفضلك .

صبت على رزقها : أي نحلت .

ج- صبت على رزقها : قيل هو على العكس أي صبّ رزقها عليها

وظاهر اللفظ حسن أي انصبت على الرزق .

والصفا : الحجر الاملس ، والجامس : الجامد الصلب .

والشراسيف : أطراف الضلع التي يشرف على البطن جمع شرسوف .

وقلة الجبل : أعلاه والجمع قلال .

تفرق اللغات : قال الأطباء : اختلاف اللغات بسبب إختلاف الأمزجة

واختلاف الأمزجة بسبب اختلاف الأهوية والأمكنة قال الله تعالى :

«واختلاف السنتكم وألوانكم^(١)» .

قوله عليه السلام : الويل لمن أنكر المقدر وجحد المدبر: لا فساد في

العقائد أكثر من فساد التعطيل وهم الذين يقولون إن الانسان خلق سدى

والانسان كما حكى عنهم أميرالمؤمنين كالنبات البري يبدو من غير زارع

ويهلك من غير حاسد وقد نبه الله على ذلك وأبطل عقائد المعطلين حيث قال

«او لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل

مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون^(٢)» .

فحوى هذه الآية أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها لعرفوا الله تعالى والمبدأ

والمعاد ، ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم ، وقوله تعالى : «نسوا الله

فأنساهم أنفسهم^(٣)» يعني أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله تعالى فلما جهلوه

دلّ جهلهم إياه على جهلهم إياه^(٤) .

قوله وإن شئت قلت في الجراة .

٣- الحشر : ١٩ .

١- الروم : ٢٢ .

٤- في ض : جهلهم إياه على جهلهم إياها .

٢- الروم : ٨ .

إذا تأملت خلقة الجرادة وجدتها أضعف أمثالها وإذا توجهت عساكرها نحو بلدة لم يستطع أحد دفعها ألا ترى ملكا من الملوك لو جمع خيله ورجله ، ليحمي بلاده من الجراد ما قدر على ذلك ، أفليس من الدلائل على عظمة الخالق وقدرته إنه يبعث أضعف خلقه على أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه .

ثم إن الجراد ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل ، وإن طار ستر نور الشمس لكثرتة .

يقرض : أي يقطع ، والنزوات : الوثبات .

أهطل ديمها ، أسال أمطارها .

دعا كل طائر باسمه : قيل معناه كتب في اللوح المحفوظ ، كل لغة اتواضع عليها العباد في المستقبل ، وذكر الأسماء التي يتواضعون عليها ، وذكر لكل اسم مسماة وذكر الطائر وأراد جميع الأجناس ، والأنواع كما قال تعالى : «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين^(١)» ، فتأمل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر أن يكون طيارا في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه .

فاقتصر به من القوائم على إثنين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين^(٢) للذيل والبول على واحد ثم خلقه ذا جؤجؤ^(٣) محذب ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء وخلق في جناحيه وذنبه ريشات طولا متانا لينهض به إلى الطيران وكسى جسمه كله الريش ليتداخل الهواء فينقله فلما كان طعامه الحب واللحم يبلعهما بلعا بلا مضغ .

نقص من خلقه الأسنان وخلق له منقارا صلبا وأعانه بفضل حرارة في

١ - يس : ١٢ .

٢ - الذيل : مدفوع الانسان والذبلة : البعرة .

٣ - الجؤجؤ : الصدر وقيل عظامه .

الجوف يستغني بها عن التقدم في مضغه ثم خلقه تعالى بيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل على الطيران فلو كانت الفراخ في جوفه لا ثقلته وعاقته عن الطيران، ثم يقعد الطائر على البيض فيحضنه ويلقط الطعم بعد أن يستقر في حوصلة فيغذوا به فراخه .

هذا من فعله يشهد على أنه معطوف من جهة الله تعالى على فراخه لعله لا يعرفها الطائر وهي دوام النسل وبقاؤه، وفكر في حوصلة الطائر فان مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم إلا قليلا، فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصير الأولى إلى القانصة^(١) لطال ذلك عليه .

فخلق تعالى له الحوصلة كالمخللة المعلقة أمامه يعني فيها ما ادرك من الطعم بسرعة، ثم ينفذ إلى القانصة على مهل^(٢)، ولو كان اختلاف الألوان، والأشكال في الطيور من قبل امتزاج الأخلط واختلاف مقاديرها كما قاله جهال الطبيعيين، لما كان في طائر واحد هذه العجائب .

فانظر في الوشى^(٣) الذي تراه في الطواويس والدرج والتدرج على استواء ومقابلة . على نحو ما يخط بالأقلام، كيف يأتي بها الامتزاج المهمل على شكل واحد، لا يختلف، ثم انظر إلى الريش منها كنسج الثوب، وفي وسط الريش عمود غليظ متين، أجوف نسج عليه ذلك، ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي يكون في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر، فلا يعوقه على الطيران، ومع ذلك .

أحصى تعالى وتقدس عدد الريش منها والنفوس: يعني أنه تعالى عالم بجميع المعلومات مجملها ومفصلها كلها وجزئها خلافا لما يهدى به الجهلاء

١ — القانصة من القنص وهو الصيد وقوائص الطير، حواصلها .

٢ — المهل : بالتحريك التؤدة والتباطؤ .

٣ — وشى الثوب : حسنه بالألوان ونقشه .

من الفلاسفة .

أرسى قوائمها على الندى واليبس : تفكر في الطائر الذي هو طويل الساقين فانه يرعى في ضحضاح^(١) من الماء ويتأمل ما يذب في الماء وينساب فيخطوا ذلك الطائر خطوا رفيقا حتى يتناوله ، ولو كان قصير الساقين لثار^(٢) الماء وزعر منه الصيد ، وكان عنقه طويلا ليتمكن من تناول الأطعمة وانظر إلى العصافير كيف يطلب طعامها في بياض نهارها ولا يتيسر لها دفعه ، وينالها بالطلب والحركة ، فسبحان من خلق العصفور على هذه الهيئة وقربه وبعده ، فلم يجعله مما لا يقدر عليه الصياد عند الحاجة إليه ، ولم يجعله مع ضعفه وصغر جثته مما ينال بالهون^(٣) .

انظر إلى الخفافيش فان معاشها من حيوانات تنشر في الجو ، من البعوض ، والفراش^(٤) وأشباه ذلك ، من الجراد واليعاسيب^(٥) وهذه الحيوانات بالليل مبيثة^(٦) بالجو فانظر كيف وجه الرزق إلى التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب ، وذكر أن الدخل^(٧) قد عشش في بعض الأشجار فأقبلت نحوه حية لتبتلعه .

فينا هو ينقلب ويضطرب في طلب حيلة للنجاة منها اذ وجد حسكة^(٨)

١ - الضحضاح : مارق الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين .

٢ - ثار الماء بشور : ينبع بقوة وشدة .

٣ - الهوننا تصغير الهونا والهونى تأنيث الاهوان وهي الثورة والرفق .

٤ - الفرش : جنس حشرات ، ملون احيانا تلوننا جيلا الحشرة الكاملة التي من خصائصها الامتصاص تساهم كسائر الحشرات تلقيح الظهور .

٥ - اليعسوب : السيد وأصله فحل النحل .

٦ - البث : النشر والاظهار .

٧ - الدخل : طائر صغير يدخل بين رؤوس الشجر والنخل .

٨ - الحسكة : العظم الدقيق من السمك .

فحملها وألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوى وتنقلب حتى ماتت .
فقوله دعا كل طائر باسمه : أي ألهمه رشده يقال : في الاستعارات دعاه
باسمه أي نبهه على مقصوده ، وأفاض عليه مواهبه ، وما دعاه باسمه إذا لم
يلتفت إليه .



٢٢٧- وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة
 مَا وَحَدَهُ مَنْ كَيْفَهُ؛ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ
 عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ
 مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَضْنُوعٌ؛ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَغْلُوكٌ؛ فَاعِلٌ لَا
 يَاضْطَرَّابَ آلَةٍ، مُقَدَّرٌ لَا بِحَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنِيٌّ لَا بِاسْتِيفَادَةٍ. لَا
 تَصَحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَتَرْفُذُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ،
 وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزْلُهُ.

بِشَعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشَعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادِّيهِ بَيْنَ
 الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا
 قَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحِ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودِ
 بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورِ بِالصَّرْدِ. مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ
 مُتَبَايَنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا. لَا
 يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحَسَبُ بِعَدٍّ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا،
 وَتُشِيرُ الْآلَاتُ^(١) إِلَى نَظَائِرِهَا.

١- في ب : وتشير الى نظائرها وفي ل : وتشير الالة .

مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمِيَّةِ؛ وَحَمَّهَا قَدِ الْأَزْلِيَّةِ؛ وَجَنَّبَتْهَا لَوْ
لَا التَّكْمِلَةَ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ عَنِ نَظْرِ
الْعُيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ
مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ
أَحْدَثُهُ؟! إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَا مَتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ
مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ! وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ
النَّقْضَانُ! وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَضْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ
كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا
يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ.

الَّذِي لَا يَحُوكُ، وَلَا يَزُوكُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ؛ لَمْ (١) يَلِدْ
فَيَكُونَ مُؤَلُودًا، وَلَمْ يُوَلَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ
الْأَبْنَاءِ، وَظَهَرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النَّسَاءِ؛ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ؛
وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحَسَّهُ، وَلَا
تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ. لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي
الْأَحْوَالِ (٢)، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ،
وَلَا يُوصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا
بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ
وَلَا نِهَآيَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ. وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ، فَتُقَلِّهُ
أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يَعْدِلُهُ. لَيْسَ فِي

١- في ب : ولم يلد .

٢- في ب : بالاحوال .

الأشياء بواليج، وَلَا عَنهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ (١) وَلَهَوَاتٍ،
وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا
يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ،
وَيُبْغِضُ وَيَغْضِبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَا أَرَادَ (٢) كَوْتَهُ
«كُنْ» فَيَكُونُ! لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا
كَلَامُهُ - سُبْحَانَهُ - فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ
ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ
الْمُحَدَّثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ،
فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ
الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِينْ عَلَى
خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ
اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا
بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ
التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْ تَادَاهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ
عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا
بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ،
لَا يُعْجِزُهُ (٣) شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا

٣- في ب : ولا يعجزه .

١- في ف وم : بلا لسان .

٢- في ض وح وب : لمن اراد .

يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلَكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مِنْكَ
وَجُودَكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ
الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

بِخَدَّتِيهِ ، وَزَارَ عَلَيَّ رَأْيِيهِ ، وَرَاجِعٌ عَنْ عَزْمِيهِ ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ
الْحِيلَةَ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةَ ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ ، وَهَيْهَاتَ ، ثُمَّ
هَيْهَاتَ !! وَقَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا
لِحَالَ بِإِلَهِهَا (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
مُنظَرِينَ) .

فَيَغْلِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى
ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً
لِعَظَمَتِيهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِيهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ
مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيُكَافِيهِ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ
فَيُسَاوِيهِ ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا
كَمَفْقُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ آبْتِدَاعِهَا ، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا
وَإِخْتِرَاعِهَا ! وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا
وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا
وَأَجْنَاسِهَا ، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَّمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا
قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِجَادِهَا ،
وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَأَهَّتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا
وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقِرَّةٌ

بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا ، مُدْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْتَائِهَا .
 وَإِنَّهُ يَعُودُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ فِتْنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ : كَمَا
 كَانَ قَبْلَ أَبْتِدَائِهَا ، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فِتْنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ وَلَا
 مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ ، عُذِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ،
 وَزَالَتِ (٢) السَّنُونَ وَالسَّاعَاتُ ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي
 إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ أَبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ،
 وَبِغَيْرِ أَمْتِنَاجٍ مِنْهَا كَانَ فِتْنَاؤُهَا ، وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاجِ دَامَ
 بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَّكَأَ ذُوهُ (٣) صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَوُدَّهُ
 مِنْهَا خَلْقٌ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ (٤) ، وَلَمْ يُكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا
 لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى نَيْدِ مُكَائِرٍ ،
 وَلَا لِإِلْخِتِرَازٍ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ ، وَلَا لِإِلْزِدْيَادٍ بِهَا فِي مُدْكِهِ ،
 وَلَا لِإِمْكَاتِرَةِ شَرِيكِ فِي شَرِكِهِ ؛ وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ
 أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَامٍ دَخَلَ
 عَلَيْهِ فِي تَضْرِيْفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَأَصْلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلٍ
 شَيْءٍ مِنْهَا (٥) عَلَيْهِ . لَمْ يُمَلِّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةٍ
 وَإِفْتَائِهَا ؛ لَكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ،
 وَأَثَقَتَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفِتْنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ

١ - في ح ول : وإنه سبحانه يعود وفي ض وب : وإن الله سبحانه يعود .

٢ - في ب : والاقوات والسنون .

٣ - في ر : وروي لم يتكاد وفي ل : لم يتكاده .

٤ - في ب : خلق ما خلقه وبراه .

٥ - في ب : منها عليها .

إِلَيْهَا، وَلَا أَسْتَعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِإِنْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ
وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتَيْئَسُ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى (١) عِلْمٍ
وَالْتِمَاسٍ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلِّ
وَضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

الشرح

قوله عليه السلام : ما وحده من كيفه .

قال المتكلمون من أثبت للشيء مثلا ونظيرا فقد كيفه وقال غيرهم :
من أطلق عليه مقولة كيف فقد كيفه ومن كيفه فقد سدّ على نفسه باب
التوحيد .

ولا حقيقته أصاب من مثله : من أثبت لله مثلا فقد توجه اعتقاد إلى غير
الله وإذا لم يتعلق اعتقاد به تعالى فهو غير عارف به .
لا صمده من أشار إليه : أي من أشار إليه الإشارة الحسية المكانية أو
الوهمية ، فإنه لم يقصد نحوه بل تصور غيره .

كل معروف بنفسه مصنوع : لأن ما عرف بنفسه هو الشاهد المدرك من
جنس الأجسام والأعراض والأدراك يتعلق بأخص أوصاف الشيء فحقيقة
الشيء ما اقتضاه طريق معرفته ، فكل شيء عرف بنفسه فهو المحسوس فما
عرف بأفعاله ولوازمه ، فهو المعقول ، ولا يلزم من هذا أن يكون كل معروف
بغيره صانعا قديما لأن هذا عكس غير مقبول .

وكل قائم في سواه معلول : لاحتياجه إلى غيره وكل ما احتاج في وجوده
إلى غيره فهو محدث .

فاعل لا باضطراب آلة : بل يفعل اختراعا من غير مماسة ومجاورة ولا يشغله شأن عن شأن ، والفعل بالأسباب لا يقتضي الجسمية والمجاورة .

مقدر لا بحول فكرة : تقديره علمه بما كان وما لم يكن وما يكون والتقدير اذا لم يكن من عالم فلا بد له من تفكر وتدبر .

غني لا باستفادة : الغني إثنان غني بالشيء وهو العبد ، وغني عن الشيء وهو الله وحده .

سبق الاوقات كونه : أي هو تعالى وتقدس أزلي الذات ، خالق الأوقات ، وخالق الأوقات لا محالة سابق الأوقات .

والعدم وجوده : يعني العدم الزماني ، وهو عدم شيء ، في شيء من شأنه أن يوجد كعدم صورة الانسان من النطفة ، فان ذلك العدم متأخر عن وجود النطفة ، وعدم صورة السيف من الحديد ، فان الحديد متقدم وعدم صورة السيف ، متأخر عن وجود الحديد ، فعدم شيء من شيء من شأنه أن يمكن له وجود ، عدم متأخر تقديرا عن وجود بعض المحدثات ، فلذلك قال سبق العدم وجوده ، أي العدم الملحق ببعض المحدثات .

وقيل إن العدم أيضا بوجه مبدأ من المباديء ، وهو تعالى متقدم على جميع المباديء .

والابتداء ازله : دليل على أنه متقدم بالوجود الحقيقي ، على جميع المباديء تقدم الفاعل الحقيقي على الفعل لا كتقدم العلة على المعلول تعالى الله عن ذلك .

قال الامام الوبري : كل ممكن يجوز وجوده ويجوز عدمه مطلقا من غير اعتبار سبب في جواز العدم محال في حقه تعالى ، لأنه واجب ، الوجود فكأن الوجود أولى به من العدم ، فهذا معنى سبق وجوده العدم ، أي العدم المطلق المضاف إلى الموجود المطلق .

قال : ويجوز أن يكون المراد بالعدم عدم كل شيء سواه فليس في المعدومات ما يستحيل وجوده وما يستحيل وجوده هو الممتنع ، وإذا جاز الوجود على كل معدوم ، فصفة العدم تقبل التبدل ، والقديم تعالى موجود ووجوده لا يتبدل فكان وجوده تعالى سابقا على عدم كل معدوم من هذا الواجب سابق على الممكن لا أن وجوده متقدم على عدم كل شيء لكن بمعنى أن وجوده في كل وقت واجب وكان أولى من عدم كل معدوم عدمه ليس بواجب .

والابتداء ازله : قال يعني سبق وجوده ابتداء كل محدث إذ هو أزلي بخلاف غيره أو يريد بالابتداء هو الحدوث ، وإنما يجوز لحدوث على ما كان معدوما ، وإنما يجوز العدم على غير القديم ، فإذا كان قديما استحال عدمه ، وإذا استحال عدمه استحال حدوثه ، وهو الابتداء ففي أحد التأويلين يرجع الابتداء الى غيره والثاني ترجع اليه تقديرا ثم ينكشف الدليل عن استحالته .

قال غيره : الوجود الممكن سبب وجودي ولعدمه سبب عدمي فالممكن له من غيره الوجود ، ومن غيره العدم ، وليس باعتبار ذاته الوجود ولا العدم ، بل لا ينفك عن جواز الوجود وجواز العدم ، فسبق واجب الوجود يعتبر من هذه الجهة .

بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له .

المشاعر الحواس قال الشاعر :

والرأس مرتفع فيه مشاعره • يهدي السبيل له سمع وعينان

يعني اذا تحقق أنه خالق الحواس ، فقد تحقق أنه لا حواس له .

وبمضاداته بين الأمور عرف أن لا ضد له .

لأنه لو كان فيها ما يضاده تعالى لم يجزه وجود شيء منها مع وجوده تعالى لاستحالة وجود الضدين وتضادهما يترجع إلى الوجود لا إلى المحال

ولا يجوز أن يكون غير هذه الأشياء ، وغير هذه الأجناس ضدا له تعالى لأن ما ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا قديم ، فهو غير معقول ، وما لا يعقل لا يجوز تعليق الحكم به ، وما لا يكون معقولا ، فهو أبعد من المحال لأن المحال معقول .

وبمقارنته بين الأشياء عرف آن لا قرين له .

لأنها محدثات ، وهو تعالى قديم ، ولا يجوز أن يكون المحدث مثلا للقديم .

ضاد النور بالظلمة .

قال الوبري : المضادة بين الأبيض والأسود لا يرجع إلى الجسمين لأن الأجسام متماثلة ، والمثل لا يضاد مثله ، وإنما المضادة يرجع إلى لونها وهو السواد والبياض ، وبطريق المجاز يقال في الجسمين أنهما متضادان .

لا يشمل بحد : قال : لأن الحدود أقطار الشيء وجوانبه والأقطار إنما يشتمل على جواهر مجتمعة وإذا لم يكن القديم تعالى جوهرًا ولا جسما استحالت عليه الأقطار والحدود .

ولا يحسب بعد : قال : الشيء إنما يعد إذا كان ذا أجزاء متماثلة ، وذلك لا يجوز على الله تعالى ، لأنه لا جزء له ولا مثل فلا يجوز أن يعد .

إنما تحدد الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها .

قال الامام الوبري : إن بعض الانسان يكون حدا له لأن الحد طرفه وإنما يجوز الطرف للمتخيز المتبعض الذي (... أن يكون المشار اليه جسما مثله ، وكما لا يجوز أن يكون المشير غير جسم ، كذلك المشار اليه لا يجوز أن يكون غير جسم ، ولهذا يستحيل أن يكون الله تعالى مشار اليه لأنه ... أن

يكون جسما شاغلا إلى ...^(١)، صار في حكم شيء واحد بحلول الحياة فيه ، فالأداة لها غايتان إحداهما جملتها التي الأدوات بعضها والثانية ما يشير إليه ويقصد نحوه ، وهو الشاغل للسمت الفارغ ، فكما وجب أن يكون غايتها الأولى من جنس الأداة ، فيكون جسما شاغلا للجهة وجب أن يكون الغاية الثانية فهي المشار إليها جسما شاغلا للسمت المقابل للأداة وهو معني .

قوله وتشير الآلات إلى نظائرها : لأن الجسم لا يجوز أن يقابل الأجسام مثله فاذا كان أحد المقابلين جسما ، وهو المشير ، وجب أن يكون المشار إليه جسما مثله ، وكما لا يجوز أن يكون المشير غير جسم ، كذلك المشار إليه لا يجوز أن يكون غير جسم ، وبهذا يستحيل أن يكون الله تعالى مشار إليه لأنه يستحيل ان يكون جسما شاغلا للسمت ، واستحال أيضا أن يكون مشيرا .
منعتها منذ القدمة :

قال الامام الوبري : إن هذه الكلمة وضعت لافادة تغيير وقت الحدوث فيقال : ما رأيت فلانا منذ شهر ، فيفيد انقطاع ذلك من غاية الشهر ، وإذا كان كذلك ، فما من شيء من الأشياء سوى الله تعالى إلا ويجوز اطلاق هذه الكلمة عليه ، فيقال إن كذا وجد منذ شهر أو منذ عام أو منذ ألف عام ، إلى ما زاد على ذلك ، وإذا صحبتها علامة الحدوث استحالت أن تكون قديمة وإذا استحال إطلاق هذا اللفظ على الله ، لكونه قديما ، فلا يقال كان الله منذ كذا ، دل على أنه مخالف للأشياء .

قد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل متى كان الله فأجاب وقال : متى لم يكن .

وحمتها قد الأزلية : قال لأنها أداة يفيد تحقيق المضي إما مضي الشيء

أو مضي وقت حدوثه، وكلاهما دليلان على استحالة القدم فيها، فلهذا لا يقال في الله قد كان الله.

وجنبتها لو لا التكملة: قال إن الله تعالى قضى أن يكون خلقه شاهدا ودليلا وداعيا إلى طلب الآخرة.

لا يجري عليه السكون والحركة إلى قوله إذا لتفاوتت ذاته.

لأنه يستحيل عليه الحركة لكونه قديما ولو جاز عليه الحركة لكان محدثا، فهذا هو التفاوت يعني تفاوت أحكام الذات^(١) ولو جاز زواله وفناؤه لوجب أن يكون القديم غيره إذ لا بد من قديم ينتهي إليه الجواز، فهذا معنى قوله.

ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان وخرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره.

أي لا تأثير للحوادث فيه لكونه قديما غير جسم ولو كان جسما يحله الحوادث لكان محدثا، وقال قوم في قوله: منعتها منذ القدم، أي منعت تلك الأدوات والآلات بسبب إطلاق لفظة منذ وقد عليها من أن يوصف بالقدم، والأولية، فمنعتها وحمتها وجنبتها ولو لا تكملة نظام العالم والحكمة الكلية بها لم توجد تلك الوسائط والأسباب.

قيل لها آت في منعتها وحمتها وجنبتها إلى الأشياء التي ذكر متعادياتها ومتبايناتها وتكملة الحكمة بتلك الحوادث وتكملة النظام، لا يكلمه تعالى الله عن أن يكمل بشيء.

قوله عليه السلام: بها تجلى صانعها للعقول.

تحقق أن الهاء عائدة إلى الأشياء المتقدمة يعني بدلائل المحدثات

توسل العقلاء إلى معرفة الله تعالى ، وقيل بالقدمة تجلى الصانع للعقول وبالأزلية امتنع عن أن يكون محسوسا ، لأن الإدراك يتعلق بأخص الوصف ، ولا يمكن إدراك أخص أوصاف الله تعالى بقول ولا بلفظ ، لأن اللفظ من الفم تعالى الله عن ذلك .

ويحفظ ولا يتحفظ : حفظه تعالى دفاعه المكاره عن عباده والتحفظ صيانة النفس عن المكروه تعالى الله عن ذلك .

ويريد ولا يضر : لأن الاضمار إحداث إرادة في القلب وانطواء القلب عليها .

يحب ويرضى من غير رقة : الداعي للعباد إلى المحبة ، رقة القلب ، وضعفه عن احتمال ما يلقاه غيره من الشدة وسوء الحال .

ويغضب من غير مشقة : الغضب في عباده غليان دم القلب ، ولا يكون ذلك إلا من مشقة تعالى الله عن ذلك ، والغضب عند المتكلمين إرادة الاضرار بالغير أو كراهة النفع له فيرضى الله ويحب إحسانا ، ويغضب عدلا . يقول لما أراد كن فيكون .

قال الوبري : إذا أراد شيئا فعل من غير تراخ ، وانفكاك .

قوله فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع .

هذا رد على من يقول إن العالم معلول ، والمعلول لا ينفك عن العلة ويزعمون أن الباري تعالى علة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أرساها على غير قرار : لأنه لا بد للعالم من نهاية ، فلو كان لها قرار لكان الكلام في القرار كالكلام في الأرض ، وقيل يعني جعل الأرض في الوسط والماء محيط بها ، والهواء محيط بالماء ، والنار محيطة بالهواء ، والفلك محيط بالنار .

قوله عليه السلام : وما كان من مراحها وسائمها .

المراح : بضم الميم حيث يأوي اليه الابل والغنم بالليل ، والمراد ها هنا الحيوانات التي تروح الى مراوحها والسوام والسائم بمعنى وهو المال .
ومتبلدة أممها واكياسها : يختلف الحيوانات بالكيس^(١) ، والخرق فان الغنم شديد الخرق^(٢) بهيم^(٣) في أوجهها لا بمقصود ، ولا لغرض ، ولا يهتدي إلى الاستدفاء في الشتاء بل ربما أفلت من الكنن إلى البرد ، وإذا مطر لم يبرح الغنم موضعه حتى يهلك ، ويتبع التيوس طبعا ، والمعز يقف وقوف حيران حتى يجر الراعي واحدا منها بناصيته فيتبعه البواقي ، لكن المعزى أقل كسلا من الشاة وأشد انسا بالناس وأضعف في البرد .

أما الجميع منها فقد يخاف الرعد خوفا شديدا والابل كيس أول ما نبت قرنه بعد الاسقاط تشمسه ثم يمتحنه على الشجر فاذا حك^(٤) به ولم يألم ، برز عن توازنه واثقا بسلاحه ويتداوى من لسع الحية ومن كثرة أكلها إياه ؛ بالسرطين^(٥) فيأكلها ، والابل تتبع المطرب^(٦) ويشغل به حتى يدركه الراشق^(٧) من خلف وينتظر ارخاه الأذنين ، فانهما ان كانتا منتصبتين لم يخف عليه الهمس^(٨) .

والحباري^(٩) تقاتل الأفعى واذا لسعتها الأفعى يعالج نفسها ببقلة يقال

١ - الكيس : العقل .

٢ - الخرق بالضم : الجهل والحمق .

٣ - البهيم : المصمت ، والبهيمة : كل ذات اربع قوائم من دواب البر والماء والبهيمة : كل ما نطق له وذلك لما في صوته من الابهام .

٤ - الحك : الجرب وهو داء يصيب الابل .

٥ - استرط الشيء : ابتلعه ، والسرطة : الأكل .

٦ - المطرب : المغني الذي يطرب غيره بحسن صوته وغنائه .

٧ - رشقه : إذا رماه بالسهم .

٨ - الهمس : الكلام الخفي لا يكاد يفهم .

٩ - الحبارى : طائر اكبر من الدجاج الأهلي واطول عنقا يضرب به المثل في البلاهة وهي ابعد الطير نجمة فرما

لها الخس^(١) وابن عرس^(٢) يستظهر عند قتال الحية يأكل السداب^(٣)، فان السداب والنكهة السدابية مما يشمئز منه الأفعى، والقلق^(٤) يداوي جراحته بالسعتر^(٥) الجبلي والقنفذة يحس بالشمال والجنوب، قبل الهبوب يستجرحه ويغير المدخل.

الخطاف^(٦) صناع جدا في اتخاذ العش من الطين والخشب وإن أعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين، وخرق الدجاج بين واضح وطائر يقال له^(٧) يافى يقاتل العقاب، ويغلبه وتغنى به في غاية اللذة واشجى نياحته ما يكون عند موته، وهو ينوح قبل موته بأشجى نياحته وله إلهام من الله تعالى عند موته كأنه ينوح على نفسه.

قوله عليه السلام: مقرة بالعجز عن إنشائها مذعنة بالضعف عن إفنائها.

أي ايجاد الجوهر وإفناؤه من الخلق مستحيلان، والله هو المنفرد بخلق ذلك بلا قدرة منها (كان ابتداء بخلقها لأن الأشياء إذا كانت معدودة استحال أن يكون قادرة فلا يصح ان يحدث^(٨)) أنفسها ولا أن يعين في إحداثها.

قوله ولا من حال جهل وعمى إلى علم والتماس.

قال الامام الوبري: هذا رد واضح على من زعم أن المعدوم لا يكون

→

تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء وبين البصرة وبين منابتها مسيرة ايام.

١ - الخس نبات من فصيلة المركبات، أنواعه عديدة ويقال له بالفارسية كاهو.

٢ - ابن عرس: دوية تشبه الفارة تفتك بيوت الدجاج والحمام.

٣ - السداب معرب وهو الفيجن بقل معروف وله خواص وطبائع معروفة في كتب الطب.

٤ - العلق: دوية سوداء تمتص الدم، وفي ض: اللقلق.

٥ - السعتر: نبت معروف.

٦ - الخطاف: طائر طويل الجناحين قصير الرجلين أسود اللون.

٧ - لم نجد له ذكرا في المصادر التي بأيدينا.

٨ - بين الملالين في ش.

معلوما حتى يوجد ثم يعلمه الله حينئذ لا كما زعم أبو الحسين أنه يتجدد كون الله عالما عند تجدد الأشياء .

ج - المعروف بنفسه : عنى به جنس الجواهر لأنها يعرف بالمشاهدة واللمس .

والقائم فيما سواه : نوع الاعراض لأنها تعرف بأحكامها ومعلولاتها كالقدرة والحياة إلا الألوان .

لا ترفده : لا تعينه ، البهمة : الانغلاق .

والصرد : البرد فارسي معرب ، والمتعاديات : المتضادات .

ثقله : تحمله ، تهويه : تسقطه .

يعلمه : يسويه ، بها تجلى وبها امتنع : قيل الضميران كلاهما للقدمة والأزلية ، وقيل كلاهما للأدوات والآلات والمتضادات وقيل الأول للأدوات ونحوها والأخير للقدمة .

ومحبة الله ، العبد إرادته ومنافعه وطاعته ، ورضى الله عن العبد أن يحمد فعله .

والبغض : إرادة نزول الضرر المحض بالغير وإن شئت قلت . كراهة نفعه ، والغضب كراهة فعل الغير ، وبغضه لأجله .

وكلامه تعالى : فعل منه فانه تعالى متكلم بمعنى أنه فاعل الكلام كما ان الضارب فاعل الضرب لم يكن من قبل ذلك كائنا الضمير .

في لم يكن وفي لو كان كلامه قديما لكان إليها ثانيا : لأن الاشتراك في القدم توجب التماثل ولو كان له تعالى مثل لاستحق العبادة ، فكان إليها ثانيا .

لا يقال كان بعد أن لم يكن : الضمير لله تعالى .

فيجري عليه الصفات المحدثات : كالكائنة والحلول والحدوث ،

ونحوها .

التهافت : التساقط ، السد : الجبل الحاجز وخذ شق .

والسنخ : الأصل وتبلد : أي تردد متحيرا .

خاسئة : صاغرة سدر^(١) وحسيرة معينة .

مثله : جعله مثالا ، لمن يستضيء بمصابيحه .

الظاهر عليها : أي الغالب والباطن : العالم المكتوم .

ولم يتكاده : أي لم يثقله والسأم : الملالة .

منعتها منذ القدمة : يعني أن علم العقلاء بحدوث ما عد القديم تعالى من الأشياء وأن لوجودها مبدأ وأنها كانت منذ كذا منهم من أن يصفوها بالقدم ، وكذا علمهم بأنها قد وجدت بعد العدم ، وعن قريب منهم من اعتقاد كونها أزلية وكذا علمهم بفناء دار الدنيا ، وما فيها واضمحلالها وقولهم : ما أكمل هذه الدار لو لا أنها فانية صرفهم من أن يعتقدوا كمالا ويجوز في القدمة الأزلية .

والتكملة : النصب والرفع فالنصب على اسناد الأفعال إلى الحروف المذكورة على المعنى السابق ، والرفع على كون تلك الحروف مفاعيل بمعنى أن قدمته تعالى منعت تلك الأجسام المحدثثة أن يستعمل في الله تعالى لفظة منذ فيقول كان منذ زمان كذا وكذا ما بعده فهذه الرواية يقتضي تقدمه ونفى الحدوث عنه تعالى .

بها تجلى صانعها للعقول : يعني بهذه الأجسام المحدثثة عرف صانعها فالفعل دليل عليه تعالى وهو هذه الأجسام التي خلقها الله وكل ما يعرف نفسه ، فهو مصنوع .

١ - السدر : والتحير والحسير : الكليل الضعيف .

وبها امتنع عن العيون: أي بخلق هذه الأجسام وإحداثها: علم أن خالقها بخلافها لا يكون في المقابل، ولا في حكمه، ولا حالا في المقابل وإذا كان كذلك فإنه لا يرى علم كونه^(١) غير مرآئي بسبب النظر في فعله تعالى، وهو الأجسام، وغيرها فكأنه سبحانه امتنع بها عن عيونها قال والأولى أن يريد أن بهذه الآلات، لا يمكن النظر إلى الله تعالى وامتنع ذلك جدا، ويكون الكلام على نية القلب كقوله تعالى: وما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة^(٢) (أي لتنوء العصبة^(٢)) بالمفاتيح والمشعر الحاسة من الشعر الذي هو العلم. وتشعير المشاعر: خلقها وجعلها كذلك.

ولمضاداته بين الأمور: يعني من قدر على إثبات التضادين^(٣) الذوات وجب أن يكون له ضدّ والتكميل راجع إلى المخلوق لا إلى الخالق. إلى علم والتماس: أي طلب تعلم من غيره.

ش— قلت ما وحده من كيفه: كيف موضوع للمسؤول عن الحال والتكيف إثبات الكيفية أي الحالة أي من أثبت له تعالى كيفية وأمرًا زائدا على ذاته، فقد قال بالاثنيانية التي تضاد الوحدة.

ولا حقيقته أصاب من مثله: التمثيل: تصوير المثل أي من تصور بالمثل وصوره غيره، وفهمه^(٤) إياه بالمثل، فإنه تصور غيره لأن حقيقته لا يتصور في الوهم، والخيال، وهو يتعالى عن ضرب المثل.

ولا إياه عنى من شبهه: لأن حقيقة واجب الوجود، لا يقبل المشابهة والمشاركة فمن وجه العبادة إلى ما له شبهه في الشاهد فإنه لم يعبد الله بل عبد صورة مثل نفسه، وهكذا.

لا صمده من أشار إليه: لأنه تعالى منزه عن أن تتدنس رداء كبريائه

٣— في ض: إثبات المضاد بين الذوات.

٤— في ض: وفهم إياه.

١— في ض: فلما علم كونه غير مرآة.

٢— العصبة: الجماعة من الناس.

باشارة الحس ، والحدس أو ينطبع لحقيقته صورة في النفس ، فمن أشار اليه الاشارة الحسية أو الوهمية ، فلم يقصده بل قصد شيئا غيره مما يقع في الوهم والخيال ويدرك بالحس وحقيقة الواجب المطلق بمعزل من ذلك .

كل معروف بنفسه مصنوع : أي كل ما يعرف العقلاء ذاته بذاته بلا واسطة فهو محدث مدرك بالحس ، والقديم تعالى لا يعرف إلا بآثاره وأفعاله . وكل قائم في سواء معلول : لأن وجود ذلك الغير كالعلة لقيام هذا القائم به .

فاعل لا باضطراب آلة : لأن قدرته ذاتية . وهو يقدر على الاختراع ، فلا يحتاج الى آلة ، ولا خارجه أي هو ليس بجسم . مقدر لا بحول فكرة : لأن الفكر والنظر إنما يحتاج اليه لاكتساب العلم ، وتحصيل غير الحاصل منه ومن كان عالما لذاته فيجب أن يعلم كل ما يصح أن يعلم لا يمكن^(١) أن يطلب علما لأن طلب حصول الحاصل من حيث هو حاصل محال .

غني لا باستفادة : لأن غنى من عداه إنما يكون باستفادة مال أو جمال أو كمال من الغير إما من الخالق ، وإما من الخلق ، وهو تعالى متصف بصفات الكمال ، متقدس عن النقائص لذاته لا باستفادة من غيره إذ هو مبدع الكل ومبديه .

لا تصحبه الأوقات : إذ الأوقات هي مقادير حركات الأفلاك ، والأفلاك من مبدعاته تعالى ، فيستحيل مقارنتها ومصاحبته إياه لاستحالة مصاحبة الفعل لفاعله في الوجود وإذا استحال مصاحبة الفلك لذاته تعالى فاستحالة مصاحبة مقادير حركاته المتفرعة عليه له أولى وأجدر وهذا معنى .

قوله سبق الأوقات كونه : أي ثبوته وحقيقته ، ولا يريد به الكون العرفي بل أراد اللغوي .

والعدم وجوده والابتداء أزله : أي فيات وجوده^(١) عن أن يتطرق إليه جواز العدم ، وجاوز قدمته عن أن يتحقق لها مبدأ أي هو واجب الوجود على الإطلاق بذاته ، فلا سبيل للعدم إليه بوجه من الوجوه .

بتشعيره المشاعر : أي بخلقه الحواس علم أن لا حاسة له .

وبإثباته المضادة والمماثلة بين الأشياء عرف أن لا ضد له ولا مثل .

لأن كون الأشياء بهذه المثابة ، يقتضي احتياجها إلى من يحصلها ، كذلك ، فلو كان محدثا مثلها ، لكان وجه الحاجة قائما فيه ، فاما أن يتسلسل وهو محال ، أو ينتهي إلى من لم يكن كذلك ، وهو المدام على أن وجوب كون الفعل لا من جنس فاعله مما يعلم بأدنى تأمل .

لا يشمل بحد : لأن الحد الحقيقي لا بد فيه من جنس . وفصل ، ومن حيث النظر إلى الجنس يلزم إمكان الاشتراك فلو حدّ تعالى بحدّ على هذا الحد للزم إمكان مشارك له في الجنس وأن يمتاز عنه بفصله ، لأن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، وذلك موذي إلى الامكان المنافي للوجوب المطلق .

ولا بحسب بعد : لأن العدة هو الكمية ، وهي عند قوم عرض كالكيفية والباري تعالى يستحيل أن يكون محلّ الأعراض ، ويمكن أن يراد بالحد الحد اللغوي دون العرفي ، وحد الشيء طرفه ونهايته : ويكون المراد بذلك نفي البداية والنهاية عن وجوده تعالى .

وإنما تحد الأدوات أنفسها : أي ذو الأدوات ممن لا يقدر على الاختراع

١ - هنا اختلاف في النسخ في بعضها اوقات وجوده او ذات وجوده .

كالإنسان وغيره، يعني الإنسان مثلاً، إنما يقدر على تحديد نفسه وأعضائه التي كالألات له في أفعاله، ولا يتأتى له تحديد واجب الوجود والاحاطة به، ويجوز أن يريد بالأدوات الكلمات المذكورة، من بعد، نحو منذ وقد ولو لا ونظائرها لأن منذ أداة لتحديد مبدأ الشيء كمن في قولك ما رأيت زيدا منذ كان كذا، وقد: أداة لتحقيق حصوله في قولك قد كان كذا.

ولو لا: أداة فرض العدم في نحو قولك: لو لا زيد لكان كذا وكل ذلك من عوارض الممكن، فإن القديم الواجب الذات على الإطلاق، ويستحيل أن يقال فيه كان منذ كذا وأنه قد وجد، لأن قد لتقريب الماضي من الحال، وأنه لو لاه لكان كذا، لأن ذلك فرض العدم، وفرض العدم في الواجب لا يمكن إلا بعد سلب قضية الوجوب عنه وإنما يصح فرض عدم الممكن بذاته إذ هو ناقص بالذات كامل بالغير فجواز فرض عدم الممكن حجه عن أن يكون كاملاً بنفسه لذلك قال عليه السلام في الممكنات.

جنبته لو لا التكملة بها تجلى صانعها للعقول.

أي إنه تعالى دلّ العقول وهداها إلى معرفته بواسطة أفعاله.

وبها امتنع عن نظر العيون: أي ودلّ خلقها بحيث يحاط بها، ويدرك بالعيون على أن خالقها بخلاف ذلك إذ الخالق لا يكون من جنس خلقه تعالى وتقدس أن يدرك بالحواس، ويقاس بالناس على ما يزعمه المشبهون ويتخيله المبطلون.

إذا لتفاوتت ذاته: أي لو جرى عليه الحركة والسكون اللذان هما من عوارض الجوهر المحدث، لتفاوتت ذاته، من حيث أنه قديم، فكان له حكم المحدثات في ذلك متفاوت متناقض.

ولتجزأ كنهه: لأن الحركة والسكون من عوارض الجرم والجرم إما جسم قابل للتجزية وإما جوهر قابل للتجزية بالقوة عند قوم، فكل جرم عندهم قابل

للتجزّي ويمكن أن يريد بتجزأ صار جزءاً أي لو كان كائناً لكان جزءاً والجزء ناقص بالاضافة إلى الكل لذلك قال :

ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان ولتحول دليلاً بعد ان كان مداولاً عليه .

أي أظهر^(١) فيه أمانة الحدوث فاقضى مؤثراً كسائر المحدثات .

قوله عليه السلام : وخرج بسطان الامتناع :

معطوف على قوله وبها تجلى صانعها للعقول أي خرج بكونه واجب الوجود ممتنع العدم من أن يحتاج إلى مؤثر بخلاف الممكنات .

لم يلد فيكون مولوداً لأن الجنسية تقتضي ذلك .

ولم يولد فيكون محدوداً : أي ذا بداية في الوجود والحد طرف الشيء يعني يكون إذ ذاك لوقت وجوده طرف وبداية .

قوله عليه السلام : وإنما كلامه سبحانه فعل منه انشأه ومثله لم يكن من

قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إليها ثانياً .

بما^(٢) يقوله العدلية من أن كلام الله تعالى فعله ورد على الأشعرية ،

ومن حذا حذرهما من أنه معنى قديم معه تعالى عن ذلك ، وقوله لو كان قديماً

لكان الها ثانياً على ذلك قول أكثر المتكلمين وقالوا إن الاشتراك في القدم

يوجب الاشتراك في سائر الصفات الذاتية . وفيه كلام طويل لا يليق بهذا

الموضع .

ويتكافأ المبتدع والبديع : أي يتماثل الفعل والفاعل . كذلك يكون بعد

فنائها بلا وقت ولا مكان ، ولا حين^(٣) ولا زمان ، هذا تصريح بفناء العالم

١ - في ض : أي يظهر فيه امانة الحدوث .

٢ - في ض : هذا تصريح بما يقوله العدلية .

٣ - في ض : ولا مكان ولا حيز ولا حين .

وتهافت الأفلاك ويحقق العدم وإن ذلك كائن لا محالة بقدره الله تعالى .
قوله عليه السلام : ولا ضد مشاور: أي موائب للمحاربة ، وهذا ما سمح
به الخاطر في مشكلات هذه الخطبة الغراء التي فاقت دقائق جميع العلماء :
صلى الاله على بحر غواربه * أهدت إلى عقلنا امثال ذي الدرر

* * *

٢٢٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يختص بذكر الملاحم

أَلَا يَا بَابِي ^(١) وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ
مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ
أُمُورِكُمْ، وَأَنْقِطَاعِ وَضَلِكِكُمْ، وَأَسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ.

ذَلِكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنْ
الدَّرْهَمِ مِنْ جِلْدِهِ، ذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْثَرَ مِنْ
الْمُعْطِي، ذَلِكَ حَيْثُ تَشْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ التَّعْمَةِ
وَالنَّعِيمِ، وَتَخْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ
إِخْرَاجٍ ^(٢)، وَذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ غَارِبُ الْبَعِيرِ، مَا
أَطْوَلَ هَذَا الْعَتَاءَ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ
مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غَيْبَ فِعَالِكُمْ،
وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلَكُمْ ^(٣) مِنْ فَوْزِ نَارِ الْفَيْثَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ

٣ - في ض وب وح ول وش : ما استقبلتم .

١ - في ن وف وم : بابي وامي من عدة .

٢ - في ن ول : من غير اخراج .

سَتْنِيهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَمْرِي - يَهْلِكُ فِي
 لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .
 (إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاحِ فِي الظُّلْمَةِ لِيَسْتَضِيَءَ بِهِ
 مَنْ وَلَجَهَا؛ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ
 تَفْهَمُوا^(١)).

الشرح

قوله عليه السلام: ألا بأبي وامي هم من عدة اسمائهم في السماء
 معروفة وفي الأرض مجهولة .

كأنه يومئ إلى الأئمة المعصومين من أولاده .

قوله عليه السلام: ذلك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن أهون من
 الدرهم من حله .

(يعني صعوبة كسب الحلال^(٢)) في ذلك الزمان، فقوله من الدرهم أي
 من كسب الدرهم فحذف المضاف حيث يكون المعطى أعظم أجرا من
 المعطى لأن المعطى، وهو الآخذ إنما يأخذه ليست به خلته^(٣) ويدفع به
 الضرر عن نفسه وعياله، وربما لا يعلم حال المال ولا حال المعطى، فأما
 المعطى فقد جمعه من غير حله، فيجب عليه رده إلى أربابه، فصرف عن
 أربابه معصية لا يتقرب إلى الله بالمعصية، والآخذ إذا لم يعرف ذلك فهو
 معذور بالآخذ .

١ - ساقطة من ف ون وش .

٢ - بين اللالين ساقط في ش .

٣ - الخلة بالضم : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه .

ما أطول هذا العناء : وصف لامتداد زمان الفتن وكثرتها .
 وأبعد هذا الرجاء : أي قلّ ما يرجى الصلاح لأهل الزمان بسبب وفاة
 الأخيار وكثرة الفجار .
 ولقوا هذه الأزمة : هذا ترغيب في قطع علائق الدنيا ، والقناعة منها
 باليسير ، وتحذير من سوء عاقبة الأغنياء والمترفين وعبر عن الهلاك في العاقبة
 بقوله .

تحمل ظهورها الأثقال ولا تصدعوا : أي لا تفرقوا .
 يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم .
 مأخوذ من قول الله تعالى : «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
 خاصة^(١)» .

* * *

٢٢٩ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أوصيكم - أيها الناس - بتقوى الله، وكثرة حمدِهِ عَلَى
 آيِهِ إِلَيْكُمْ، وَنِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ. فَكُمْ
 خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ،
 وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ، وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ
 الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ،
 وَظَمَعْتُمْ فِيمَنْ^(١) لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ؟! فَكَفَى وَأَعْظَا بِمَوْتِي
 عَايَشْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأَنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ
 نَازِلِينَ! كَانَهُمْ^(٢) لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ
 دَارًا، أَوْ حَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا
 فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ أَنْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ أَنْتِقَالًا، وَلَا
 فِي حَسَنٍ^(٣) يَسْتَطِيعُونَ أَزْدِيَادًا! أُنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا
 فَصَرَعَتْهُمْ. فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُمْ
 أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا؛ وَاسْتَتِمُوا

٣ - في ب : في حسنة .

١ - في ف ون وم : وطمعمكم فيما ليس .

٢ - في ض وب : فكأنهم .

نِعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ؛
فَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ
الْأَيَّامِ فِي الشُّهُورِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي
الْعُمْرِ!

الشرح

قوله عليه السلام: وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم .
من أعور الفارس إذا بدا فيه موضع^(١) خلل للضرب أي تعرضتم بسخط
فعفا عنكم .

اشتغلوا بما فارقوا: أي اشتغلوا بالدنيا التي كان من حقهم أن يفارقوها
بالموت .

وأضاعوا ما إليه انتقلوا: من الآخرة التي خلقوا لها وهي منقلبهم
ومثواهم: والظاهر أنه أراد اشتغلوا بحصد ما زرعه بعد الموت من حرث الدنيا
وأضاعوا ما إليه انتقلوا من ثواب الآخرة، حيث لم يحرثوا لها .

لا عن قبيح يستطيعون انتقالا: لأن الآخرة ليست بدار تكليف، فلا
يمكن فيه الاتيان بما يستحق عليه ثواب أو يتخلص به من عقاب .

قوله عليه السلام، سابقوا الى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها .
(الموت انتقال من منزل الى منزل من وثق بما له عند الله لم يكرهه،
ولا يكره^(٢)) الموت؛ والانتقال من هذا المنزل الأدنى إلى المنزل الأعلى
إلا رجلا ن رجلا لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى: ولتجدنهم أحرص الناس

١ - في ض: من أعور الفارمين اذا بدا فيه موضع المضرب .

٢ - بين المهلاين ساقط في ض .

على حيوة^(١)، والثاني مؤمن يخاف ذنبه فمن كان مؤمنا بالآخرة ولا يخاف ذنبه فانه يحب الموت ويتمناه كما قال النبي صلى الله عليه وآله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

قد عد الله تعالى الامامة من قبيل النعم في قوله : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم^(٢) وفي قوله : ثم أماته فأقبره^(٣)، فالموت نعمة لان الحياة التي بعد الموت نعمة، ولا سبيل إليها إلا بالموت، وما يتوصل به إلى النعمة نعمة، وقيل ان داود الطائي ينادي قبل موته بأعلى صوته : أطلق داود من السجن ونجا، قال الله تعالى : ولئن متم أو قتلتم لآلئ الله تحشرون^(٤).

سئل الامام مسعود الصواني في سكرات موته عن حاله، فقال : أليس مصيري إليه، وقيل النوى المزروعة لا يصير نخلا مشمرا إلا بعد دفنها في الارض وفسادها، والبر لا يمكن التغذي به إلا أن يتطحن ويعجن ويطبخ، فيتغير تغيرا كثيرا كل ذلك فساد في الظاهر، فكذلك الانسان يموت ويفنى، والقضاء والموت فسادان، ولكن بذلك الفساد يتوصل الى البقاء الأبدي ولا يرضى بالبقاء (في دار الدنيا) إلا من كانت همته دنية ويكون رضاه بالحياة الدنيا رضى الخنافس والجعلان بالاوراث والنجاسات .

* * *

١ - البقرة : ٩٦ .

٣ - عبس : ٢١ .

٢ - البقرة : ٢٨ .

٤ - آل عمران : ١٢٨ .

٢٣٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِثْلُهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ. وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ الْأُمَّةِ وَمُغْلَنَتِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ، لَا يَخْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ^(١) مُؤْمِنٌ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ^(٢)، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِيَّةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِيَّةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي! فَلَأَنَا بِظُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِثِّي بِظُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْفَرَ بِرِجْلَيْهَا فِئْتَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا.

٢ - في حاشية ن: بالايان.

١ - في ف ون وم ول: الا عبد امتحن الله.

الشرح

قوله عليه السلام : فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور.

هذا تصريح بما يقوله أصحابنا من أن الايمان في العرف، هو التصديق القلبي على ما هو عليه في اللغة : يعني من الناس من تخلص في ايمانه، ومنهم من ينافق والبراءة إنما تقع على الثبات في مستقبل الأوقات، فمن مات مصرا على كفر أو نفاق أو كبيرة فأما ما دام حيا فإنه يرجى له التوبة فانما يتبرأ منه في الحال لا في المستقبل فهذا معنى قوله .

فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت .

وقيل الايمان على سبيل العارية هو يحصل تقليدا أو تنحيता، وذلك يسمى إيمانا مجازا لا حقيقة .

قوله عليه السلام : الهجرة قائمة على حدها الأول .

ع— يعني ما دام تاركا للواجب من أركان الدين ومات على ذلك يعني الهجرة إلى الحق وأهله فهو من باب قوله عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه، والمهاجر من هاجر ما حرم الله عليه .

قوله : لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة .

لان الهجرة إنما تقام بعد المعرفة بوجوبها . ولا يعرف وجوبها إلا من عريف الرسول ومن يقوم مقام الرسول بعده ومن حيل بينه وبين المصير إلى

الرسول وإلى الأئمة فهو كالمهاجر في العقيدة، قال الله تعالى: إلا المستضعفين من الرجال والنساء^(١)، يعني الذين استضعفهم المشركون، وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم.

قوله عليه السلام: ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغتة الحجة.

يعني من كان في دار الحرب وبلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله أو من قام مقامه يجب عليه الايمان به جملة إذا صح عنده ذلك بظهور المعجزات، وتواتر الأخبار بها فان أمكن الخروج والتفقه في الدين ومشابعة الامام ولا يخرج، فلا عذر له، وإن لم يكن ذلك فهو المستضعف.

إن أمرنا صعب مستصعب: يعني معرفة حقوقهم والقيام بأوامرهم ونواهيهم، ومشايعتهم في كل ما يأتون ويدرون قولاً وفعلاً ولا شك أن ذلك من أصعب الأمور وأشقها فان مباراة المعصومين، المخصوصين بمواد من الألطاف الالهية ليس بأمرهين سيما مع كثرة القادحين في أمرهم، والساعين في إطفاء نورهم.

عبد امتحن الله قلبه للايمان: أي فعل به فعل المختبر^(٢) بأن كلفه التكاليف العقلية والنقلية حتى يكون الجزاء مستحقاً.

والرزانة: الوقار.

فلأنا بطرق السماء اعلم من بطرق الارض.

أي بالعلوم السماوية والعلوم الأرضية، وقال الامام الوبري: يعني أن علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا، وقيل معناه أنا بالعلوم الشرعية التي أنزلت من طرق السماء أعلم مني بالأمر الدنيا التي تعلم من طريق المشاهدة والاختيار.

١ - النساء: ٩٨.

٢ - في ض: أي فعل به فعل المتحن.

قبل أن تشغبر برجلها فتنة : مستعار من شغل الكلب اذا رفع احدى رجله
ليبول والكلب مما يجب الاحتراز عنه لوقيته في الناس وعضه ولنجاسته فاذا
كان يبول صار وجوب الاحتراز أكد فشبه الفتنة العظيمة بذلك .
تطأ في خطامها : أي يكون تلك الفتنة كالجمال الهايج الذي خلى عن
زمامه فهو يذهب بحيث يشاء ويطأ ما يستقبله .
ويذهب باحلام قومها : أي تلك الفتنة تحير الناس وتولهم بحيث لا
يهتدون الى مخلص^(١) .

* * *

٢٣١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ.
عَزِيزُ الْجُنْدِ، عَظِيمُ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ. لَا يَثْنِيهِ عَنْ
ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لِإِظْفَاءِ نُورِهِ. فَأَعْتَصِمُوا
بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتَهُ،
وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمْرَاتِهِ^(١). وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ
قَبْلَ نَزُولِهِ؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ،
وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ
الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ،
وَإِخْتِلَافِ الْأَضْلَاجِ، وَاسْتِكَالِكِ الْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ،
وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَذَمِ الصَّفِيحِ.

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ!، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ،
وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَسْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ
بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا^(٢). وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ

١ - في ف وم وب : في غمراه .

٢ - في ف ون وش : على سراطها بالسين .

بِزَلَّازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَّاكِهَا، وَأَنْصَرَمَتْ^(١) الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا،
وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى، وَشَهْرٍ^(٢)
أَنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْناً، وَسَمِينُهَا غَنّاً، فِي مَوْقِفٍ^(٣) ضَنْكَ
الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا،
سَاطِعٍ لَهْبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا؛ بَعِيدٍ خُمُودُهَا،
ذَاكَ وَقُودُهَا، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا، غَمٍّ^(٤) قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَفْطَارُهَا،
حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَطِيعَةٍ أُمُورُهَا (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُمَرًا) قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَرُحِرْخُوا عَنْ
الدَّارِ، وَأَظْمَأَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي
دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوْحُّشًا
وَأَنْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ (مَابًا^(٥))، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا،
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا- عِبَادَ اللَّهِ- مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ
يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ. وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ
بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ
الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ، وَلَا عَشْرَةَ تُقَالُونَ. اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ
وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ

١- في ش : وانصرفت الدنيا .

٢- في ض وب : او شهر التقضى .

٣- في م : من موقف .

٤- في ض وب : غم قرارها .

٥- اساقطة م ف ون ول وش .

رَحْمَتِهِ، الزُّمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا
بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ هَوَى^(١) أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَفْجِلُوا بِمَا
لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى
مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ
النِّيَّةُ مَقَامَ إِضْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجْلاً.

الشرح

قوله عليه السلام: أحمدته شكرا لا نعامه إلى آخره.

عزيز الجند: حال من الهاء في أستعينه.

بادروا الموت في غمراته.

أي سابقوه في شدائده، والأرماس: القبور.

والروع: الفزع الشديد، وروعات الفزع: أي العظام من الخوف.

واختلاف الأضلاع: اضطرابها وتداخل بعضها في بعض.

والاستكراك: الصمم، وغم الضريح: محنة القبر.

وردم الصفح: سده بالحجر، والقرن: الحبل أي كأنكم جمعتم مع

القيامة في حبل أي كأنها قرنت بكم لأزوفها واقتربها^(٢).

وأشراط الساعة: علاماتها واحدها شرط بالتحريك، والأشراط الأراذل

قيل: وسميت علامات الساعة أشراطها، لأنها ترا في أرذال الناس لقول

النبي صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى تكون المطر قيظا والولد

١- في ض وب وح: سيوفكم في هوى وفي ل: سيوفكم بهوى.

٢- في ض: لازوفها واقتربانها.

غيظا ، وتفيض اللثام فيضا وعنى بالأفراط المقدمات .
وأفراط الصبح : أوائل تباشيره ، والفرط الفرس السريعة التي يتقدم
الخيال .

والحضن : ما تحت الابط إلى الكشح .
والرث : الخلق البالي ، والغث ، المهزول .
والضنك : الضيق ، والكلب : الشر والأذى .
واللجب : الصوت ، متغيظ زفيرها : من قوله تعالى : «سمعوا لها تغيظا
وزفيرا^(١)» وتغيظ واغتاظ وغاز بمعنى .
عم قرارها : أي مظلم مكانها ومشتبه مستقرها .
والاقطار : الجوانب ، زحزحوا : بعدوا .
ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم هوى ألسنتكم .
أي اكظموا الغيظ كما قال تعالى : «فاصبر كما صبر أولوا العزم من
الرسل^(٢)» .
والأصلات : سل السيف .

* * *

١ - الفرقان : ١٢ .

٢ - الاحقاف : ٣٥ .

٢٣٢- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ، وَالْآيَةِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحِكْمِهِ بِلَا إِقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا اخْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةَ خَطَأٍ، وَلَا حَضْرَةَ^(١) مَلَائِكَةٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ، وَاسْتَفْلَقَتْ عَلَى أَفِيدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ. أَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ: مَسْلَكُهَا إِضْحُحُ، وَسَائِلُهَا رَابِحُ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظُ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَّمِ الْمَاضِينَ^(٢) وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى.

١- في ش: ولا حضور ملاءمة.

٢- في ح: الماضين منكم.

وَأَخَذَ مَا أُعْطِيَ . وَسَأَلَ عَمَّا أَشَدَّى . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا
 حَقَّ حَمْلِهَا : أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدْدًا . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ -
 سُبْحَانَهُ - إِذْ يَقُولُ : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) . فَأَهْطِعُوا^(١)
 بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَوَاطِعُوا^(٢) بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَأَغْتَاضُوهَا مِنْ
 كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا ، أَيْقِظُوا بِهَا
 نَوْمَكُمْ ، وَأَقْطِعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوا لَهَا قُلُوبَكُمْ^(٣) ، وَأَرْحَضُوا
 بِهَا ذُنُوبَكُمْ . وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ، وَأَعْتَبِرُوا
 بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . الْآ^(٤) فَصُونُوهَا
 وَتَصَوَّنُوا بِهَا . وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا ، وَلَا
 تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا ، وَلَا
 تَشِيمُوا بِأَرْقِهَا ، وَلَا تَسْتَمِعُوا^(٥) نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا
 تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتِنُوا بِأَغْلَاقِهَا ؛ فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ ،
 وَنُظْمَهَا كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ ، وَأَغْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ ، الْآ وَهِيَ
 الْمُتَصَدِّقَةُ الْعَنُونَ ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ ، وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونَ
 وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ : حَالُهَا
 أَنْتِقَالٌ ، وَوِطَائِنُهَا زَلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزَلٌ ، وَعُلُوبُهَا
 سُفْلٌ ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ ، وَنَهْبٍ وَعَظْبٍ ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ
 وَسِيَّاقٍ ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ . قَدْ تَحَيَّرْتُ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزْتُ

١ - في م ون وف : فانقطعوا .

٢ - في ح : والظوا .

٣ - في ب : واشعروا بها .

٤ - في ش : وصونوها .

٥ - في ب : ولا تسمعوا ناطقها ولا ناعقها .

مَهَارِبُهَا. وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَايِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ
 الْمَنَازِلُ، وَأَغْيَتْهُمْ الْمَحَاوِكُ، فَمِنْ نَاجٍ مَغْفُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ،
 وَشَلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ لِكَفِّيهِ^(١)،
 وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْتِهِ وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنِ عَزِيمِهِ، قَدْ أذْبَرَدَتْ
 الْحَيْلَةُ وَأَقْبَلَتِ الْغَيْلَةُ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصِرٍ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ
 فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْيَا فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الفاشي إلى آخره.

فشا الشيء يفشوا أي شاع، وذاع أي شاع، حمده تعالى في الخلق
 يحمده المؤمنون طوعا (والكافرون إما كرها أو بلسان الحال، كقوله تعالى
 «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا^(٢) وكرها».

والغالب جنده: أي بالسيف تارة وبالحنة أخرى أو عنى بجنده
 ملائكته، أو سلطانه الذي لا ينازع فيه.

والمتعالى جده: أي جلاله وعظمته، وسلطانه وغناه، ومستعار من الجد
 الذي هو البخت^(٣) والدولة.

نعمه التوأم: أي الكثيرة التي تتبع بعضها بعضا قال الشاعر:

قالت لنا ودمعها توأم • كالدر إذ أسلمه النظام
 على الذين ارتحلوا السلام

وهو جمع توأم على فوعل ويجمع أيضا على توأم كقشعم وقشاعم قال

١- في ض وب: بكفيه.

٢- البخت كلمة فارسية معناها الحظ والتصيب.

٣- آل عمران: ٨٣، وبين الهلالين ساقط في ض.

الخليل : وأصل توأم ووأم فأبدل من إحدى الواوين تاء .

وقضى : أي أمر من قوله تعالى : «وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه^(١)» .

متبذع الخلق بعلمه : أي عالما كما يقال ركب بسلاحه أي متسلحا .
والاحتذاء : الاقتداء ، ولا حضرة ملاء : أي استعانة من عقلاء
حاضرين ، ذوي البصائر والأذهان الثاقبة .

يضربون في غمرة : أي يسرعون في غمار الجهالة ، والضلالة والغفلة .
يموجون في حيرة : أي يضطربون .

أزمة الحين : أي عضة الهلاك استعارة ، والتقوى حق الله عليكم .
ويوجب على الله حقكم : أي أوجبه الله عليكم ، وبذلك يستحقون
الثواب عليه .

ويستعينون بها على الله : أي على تحصيل رضاه .

وإن التقوى في اليوم الحرز والجنة : من قوله تعالى : «ومن يتق الله
يجعل له مخرجا^(٢)» .

وفي غد الطريق إلى الجنة : من قوله تعالى «تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا^(٣)» .

ومستودعها حافظ : أي صاحب التقوى يحفظ نفسه وغيره ، أو ذو حفظ
بمعنى محفوظ .

لم تبرح عارضة نفسها على الأمم : يعني كان التقوى كأنها تعرض
نفسها على الأمم ، ويقول لهم بلسان الحال ، ارغبوا في مصاحبتي ، واحتملوا
المشاق في منادمتي ، فما أحوجكم إلي غدا في عرصة القيامة ، وموقف

٣ - مريم : ٤٣ .

١ - الاسراء : ٢٣ .

٢ - الطلاق : ٣٧ .

العرض ، وعند الفرع الأكبر فلا دافع له سواي .

إذا أعاد الله ما أبدا : أي ما أبداه من إيجاد الخلق يعيده في الحشر .

وأخذ ما أعطى : من نعمة التكليف ، والامهال في الدنيا ، لاعداد زاد المعاد ، والتمكين من سلوك منهج التقوى ، فانه تنسد باب ذلك اجمع في الآخرة .

وأسدى : أي أعطى وجواب إذا أعاد قوله :

فما أقل من قبلها^(١) فانقطعوا باسماعكم ، أي فانقطعوا عن علائق الدنيا ما يلين بأسماعكم إلى التقوى ، أي قول الداعي اليها ، والواصف لها ، واكظوا عليها ، قال أبو عبيد في غريب المصنف : المواكظة : المداومة على الأمر وروي الظوا بها أي الزموها ومنه :

قوله عليه السلام : أظوا بياذ الجلال والاكرام : أي الزموا .

قوله واعتاضوها : خذوها عوضا خلفا عن كل ما سلف .

وأيقظوا بها نومكم : من الاستعارات البليغة والمبالغة البديعة حيث أمر بايقاظ النوم نفسه دون النائم ، ويناسبه بوجه ما قولهم : جدّ جدّه ويجوز أن يكون نوم مصدرا بمعنى الفاعل أي أيقظوا نائمكم أو ضمن أيقظوا معنى اذهبوا .

واشعروها قلوبكم : أي اجعلوها شعارها أو اعملوها .

وارحضوايها ذنوبكم ، أي اغسلوها وأزيلوا درنها^(٢) .

وداؤوا بها الأسقام : يعني أمراض القلب من الشك ، والنفاق والريا ،

والحسد ، والكبر ، والبخل ، والجبن . وغير ذلك مما له شرح طويل .

١ - في ض : قلما أقل من قبلها فانقطعوا باسماعكم اي فانقطعوا عن علائق الدنيا .

٢ - الدرر : الوسخ .

وبادروا بها الحمام : أي سارعوا إلى احراز التقوى ، قبل أن تفجأكم طوارق الموت ، فيحول بينكم وبينها .

وصونوها ، أي احفظوها وارعوها حق رعايتها .

وتصونوا بها : أي تحفظوها عن البلوى .

نزاهة : أي بعدا ، ولاها : مشتاقين جدا .

ولا تشيموا بارقها : أي لا تغتروا بزخارف الدنيا ونعيمها ، ولا تنتظروا

المطر من برقها الخلب^(١) .

ولا تفتنوا بأعلاقها : أي نفائسها وأموالها ، محروبة : أي مسلوية .

وهي المتصدية العنون : التصدي التعرض والعنون : من الدواب المتقدمة

في السير من عن يعن إذا اعترض .

والمائنة : الكاذبة ، والكنود : الكفور القليل الخير .

والعنود : الحائر عن الطريق ، والصد : الاعراض .

والحيود : المائل ، والميود : المضطرب شبه الدنيا بناقة هذه أوصافها .

حالتها إنتقال : أي اختلاف وكذب يعني أنّ سراها وضراها لا ثبات

لها ، ولا أصل .

ووطأتها زلزال : أي من استنام اليها واغتر بها ظنّها ساكنة باقية وهي

أفي غاية الاضطراب في عدم الاستقرار .

أهلها على سواق : أي على شدة ، من قول العرب قامت الحرب بنا على

ساق واحد ، أي بعضهم على أثر بعض من قول العرب : ولدت فلانة بنين

على ساق واحد ، أي بعضهم على أثر بعض من غير أن تلد بينهم بنتا ،

والمعقل : الملجأ .

١ - الخلب : السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف ، وينقشع وكأنه من الخلالة وهي الخداع بالقول

اللطيف .

ولفظتهم المنازل: أي نبت لهم ولم يستقر بهم، مستعار من لفظ الشيء من الفم.

وأعيتهم المحاول: أي الحيل والمطالب.

والمعقور: المجروح، والعقيرة: الساق المقطوعة.

والشلو: العضو، والعض على اليد: بما يفعله النادم والغضبان.

والصفق: ضرب له صوت، والمرتفق: المتكىء على المرفقة وهي

المخدة أو على مرفق يده.

والغيلة: الاغتيال وهو القتل فجأة.

ولات حين مناص: هي لا زيدت فيها التاء، والمناص: الملجأ والمفر

والنوص والمناص التأخر والفرار.

ولا: هذه بمعنى ليس ولما دخل^(١) التاء خصت بالدخول على حين

والاسم محذوف أي ليس الحين حين فرار وتأخر.

ومضت الدنيا لحال بالها: أخص من الحال فأضاف العام إلى

الخاص.

والبال: رخاء النفس أي مضت الدنيا بحال رخائها وسهولتها على

أهلها، وأقبلت الآخرة بشدتها وصعوبتها عليهم.

• • •

٢٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تسمى القاصعة.

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته وفيها فصول:

الفصل الأول: قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ
دُونَ خَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُمَا حِمِّيَّ وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَصْطَفَاهُمَا
لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ
اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ
مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ
وَمَخْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ. (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) اغْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ
بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ،
وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ
رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ؛ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ؟ وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ^(١)؟
فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا.

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ^(٢) أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ
ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ، وَطِيبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ
لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ^(٣) لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ
الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَتْلَى
خَلْقَهُ^(٤) بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَضْلَهُ تَمَيِّزًا بِالِاخْتِيارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا
لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ.

فَأَعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَخْبَطَ عَمَلَهُ
الطَّوِيلَ، وَجَهَّدَهُ الْجَهِيدَ، وَقَدْ كَانَ^(٥) عَبْدَ اللَّهِ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ
لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ الْآخِرَةِ^(٦). عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ،
فَمَنْ بَعْدَ^(٧) إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا! مَا
كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا
مَلَكَاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا
بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هُوَادَةٌ فِي إِبَاحَةٍ جِئَ حَرَمُهُ
عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاخْذَرُوا- عِبَادَ اللَّهِ- عَدُوَّ^(٨) اللَّهِ، أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ

١- في ب وض : وضعه الله بترفعه .

٢- في ض وح وب ول : لو اراد الله ان يخلق .

٣- في ض وح وب : فمن ذا بعد .

٤- في م ون وف : لظلت الاعناق له خاضعة .

٥- في م ول وش : فاحذروا عدو الله .

٦- في ض وح وب : ابتلى خلقه .

٧- في ض وح وب : وكان قد عبد الله .

٨- في ض وح وب ول وش : وكان قد عبد الله .

يَسْتَفِزُّكُمْ (بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ^(١)) بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ،
فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ
الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَقَالَ: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَا أُرِيَّتَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)، قَدْفًا بِغَيْبِ
بَعِيدٍ، وَرَجْمًا^(٢) بَطْنٍ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ ابْنَاءُ الْحَمِيَّةِ^(٣)،
وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ
لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الظَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ،
فَتَجَمَّتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ؛ اسْتَفْحَلَ
سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ
الدَّلِّ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَثَلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ: طَعْنَا
فِي غُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَتَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا
لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى التَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ،
فَأَضْبَحَ أَغْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنْ
الَّذِينَ أَضْبَحْتُمْ لَهُمْ مُتَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَّالِبِينَ؛ فَاجْعَلُوا
عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدَّكُمْ! فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى
أَضْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسْبِكُمْ؛ وَأَجْلَبَ
بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ: يَثْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ
مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَتَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا
تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةٍ دُلٍّ؛ وَحَلَقَةَ ضَيْقٍ، وَعَرَضَةَ مَوْتٍ،

٣ — في ف ون: صدقة ابناء الحمية .

١ — ساقطة من م ون وف ول وش .

٢ — في ب ول وش: ورجما بالغيب .

وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ. فَأَظْفِقُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ
 الْعَصْبِيَّةِ، وَأَخْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَإِنَّمَا ^(١) تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ
 فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ،
 وَأَعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدْلِيلِ عَلَى رُؤْسِكُمْ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ
 أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ
 مَسْلِحَةً، بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ: إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ
 كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ
 عَلَى ابْنِ أُمَّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتْ
 الْعِظَمَةَ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتْ الْحَمِيَّةُ فِي
 قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ
 الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزَّمَةَ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ فِي الْبَنِيِّ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ،
 مُصَارِحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ! فَاللهُ
 فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَلَأَ الشُّنَّانَ،
 وَمَتَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي ^(٢) خَدَعَ بِهَا الْأُمَّةَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ
 الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْتَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ! وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ،
 دُؤْلًا عَلَى سِيَاقِهِ سُلْسًا فِي قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ،
 وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ، وَكَبُرَ تَضَائِقَتِ الصُّدُورِ بِهِ إِلَّا فَالْحَدَرَ

١ - في ض وب : فانما تلك .

٢ - في ض وح وب : التي خدع .

الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبْرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ
 حَسَبِهِمْ، وَتَرَفُّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوْا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ،
 وَجَاحَدُوا اللَّهَ مَا صَنَعَ (١) بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً
 لِآلَائِهِ!! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِئْتَةِ،
 وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ
 أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا! وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ
 شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ،
 وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ؛ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَخْلَاسُ
 الْعُقُوقِ؛ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُوكُ عَلَى
 النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَسْتِرَاقًا لِعُقُوبِكُمْ،
 وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ (٢)، وَنَثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ؛ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى
 نَبْلِهِ، وَمَوْطِيءَ قَدَمِهِ، وَمَأْخِذَ يَدِهِ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ
 بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي
 خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ. وَأَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ،
 كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ (٣) مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ؛ فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي
 الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ،
 وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرَّهُ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضِعَ، فَالْصَّقُوا

١ - في ض وح وب : جاهدوا الله على ما صنع .

٢ - في ض وب وح ول وش : نفثا وفي ع : نثاء في اسماعكم .

٣ - في ب : كما تستعيدون وفي ن : كما تستعيدون به .

بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَقَرُوا فِي الثَّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَحَفَضُوا
 أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدْ
 اخْتَبَرَهُمْ (١) اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَأَبْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ،
 وَأَمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ (٢) بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا
 الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالمَالِ وَالوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الفِئْتَةِ، وَالِإخْتِبَارِ
 فِي مَوَاضِعِ الغِنَى (٣) وَالِإفْتِقَارِ، وَقَدْ قَالَ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي
 الْخَيْرَاتِ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ
 الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي
 أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ، عَلَيْهِمَا
 السَّلَامُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا
 الْعِصِيُّ (٤) فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ:
 «أَلَا تَعَجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ
 وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَيْ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُ
 مِنْ ذَهَبٍ؟!» إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَنَاحِهِ، وَإِخْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.
 وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ

١ - في ش: قد استخبرهم الله.

٢ - في ح وع: محضهم وفي ن: عضهم.

٣ - في ض وح وب ول وش: والافتقار.

٤ - في ف: بأيديهم العصا.

كُتُوزَ الذُّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِيقِيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِئَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ
مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ^(١) لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ
الْبَلَاءُ، وَيَبْطَلِ الْجَزَاءُ، وَأَضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ
لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ
الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةِ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ
مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخِصَاصَةً
اتَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى.

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ
تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتَشُدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ؛ لَكَانَ ذَلِكَ
أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ،
وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، وَكَانَتِ^(٢)
النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ -
أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ
لِوَجْهِهِ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لظَاعَتِهِ؛ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ
لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلَايُ وَالْإِخْتِبَارُ
أَعْظَمُ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ،
صَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ

١ - في ش : ووحوش الارضين .

٢ - في ض وح ول وش : فكانت النيات .

وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي
 جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ
 نَتَائِقِ الدُّنْيَا^(١) مَدْرًا. وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأُودِيَةِ قُظْرًا: بَيْنَ جِبَالِ
 خَشْنَةٍ، وَرِمَالِ دَمِثَةٍ، وَعُيُونِ وَشَلَةِ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُوبُهَا
 خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ، أَنْ يَتَشُوا
 أَعْظَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى
 رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفِيدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارِ سَحِيقَةٍ،
 وَمَهَاوِي فِجَاجِ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْزُوا
 مَنَاكِبَهُمْ دُلًّا يُهَلَّلُونَ^(٢) لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ
 شُعْنًا غُبْرًا لَهُ، قَدْ نَبَدُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْغَاءِ
 الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، أَبْتِلَاءَ عَظِيمًا، وَأَمْتِحَانًا شَدِيدًا،
 وَأَخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمْجِيسًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرِخْمَتِهِ،
 وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ- سُبْحَانَهُ- أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ،
 وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ
 الْأَشْجَارِ، دَانِي الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُوى، بَيْنَ بُرَّةِ
 سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةِ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافِ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصِ مُغْدِقَةٍ،
 وَرِيَاضِ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقِ عَامِرَةٍ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى
 حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَتِ الْإِسَاسُ^(٣) الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا،

١- في ب : نتائق الارض .

٢- في ف ون وب ول : يهلون وكذا في حاشية م .

٣- في ض وح وب : لو كان الاساس .

وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمْرَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ؛ لَخَفَّفَ (١) ذَلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَتَفَى مُعْتَلِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلشَّكْرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فَتْحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً دُلَّلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ؛ فَإِنَّهَا مَضِيذَةٌ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةَ، فَمَا تُكْدِي أَيْدِيَّهَا، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا: لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ، وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَّاتِ، وَمُجَاهِدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَمْفُوضَاتِ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذَلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، إِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْفِيرِ عَتَائِقِ الْوُجُوهِ (٢) بِالتُّرَابِ تَوَاضِعًا، وَالتَّيْصَاقِ (٣) كَزَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَلِحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. أَنْظَرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ (٤) مِنْ قَمْعِ

١ - في ب : لخصت ذلك .

٣ - في ف ون ول : والصاق .

٢ - في ض وب وح : عتاق الوجوه .

٤ - في م : هذه الاحوال .

نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدَحِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ
لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهْلَاءِ، أَوْ
حُجَّةٍ تَلِيظُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ
مَا ^(١) يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ: أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ
لِأَضْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ. فَقَالَ: (أَنَا نَارِي وَأَنْتَ
طِينِي) وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُشْرِفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ
التَّعَمُّ؛ فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ
بِمُعَدَّبِينَ).

فَإِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ ^(٢) فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا
الْمُجَدَّاءُ وَالتُّجَدَّاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ،
بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ،
وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ: مِنَ الْجِفْظِ
لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبَرِ،
وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ،
وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ.

وَأَحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ، بِسُوءِ

١ - في ض وب: لا مرلا يعرف.

٢ - في م: من المصيبة.

الْأَفْعَالِ ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أحوَالَهُمْ ،
وَأَحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِيهِمْ ،
فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ ^(١) بِهِ حَالَهُمْ ، وَزَاوَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ
عَنَّهُمْ ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ ^(٢) فِيهِ بِهِمْ ، وَأَنْقَادَتِ النَّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ،
وَوَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ : مِنْ الْإِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ،
وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ وَالتَّحَاضُّ عَليهَا ، وَالتَّوَاصِي بِهَا ، وَاجْتِنَابِ كُلِّ
أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُتَتَّهُمْ : مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ ،
وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَادُلِ الْأَيْدِي ، وَتَدَبَّرُوا
أحوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ : كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ
التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ
الْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً ؟ اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِيَّةُ
عَبِيداً ، فَسَامَوْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ ^(٣) الْمُرَارَ ، فَلَمْ تَبْرَحِ
الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ ، وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ : لَا يَجِدُونَ حِيلَةً
فِي امْتِنَاعِ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ
مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ
خَوْفِهِ ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرْجاً : فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ
مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً ، وَأَئِمَّةً
أَعْلَاماً ، وَبَلَغَتِ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ ^(٤) الْآمَالُ
إِلَيْهِ بِهِمْ .

٣١ - في ض و ب وح : العزة به شأنهم .

٣١ - في ض و ب وح : العزة به شأنهم .

٤ - في ب : لم تبلغ الامال .

٢ - في ض و ف وح : فيه عليهم .

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمَلَاءُ مُجْتَمِعَةً،
وَالْأَهْوَاءُ^(١) مُوتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتْرَادِفَةً^(٢)،
وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاجِدَةً! أَلَمْ
يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟؟
فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ،
وَتَشْتَتِ الْأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا
مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ
كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قِصَصُ أَخْبَارِهِمْ
فِيكُمْ عِبْرًا^(٣) لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ -
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَمَا أَشَدَّ اغْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ
الْأَمْثَالِ !!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتَتِهِمْ وَتَفَرَّقِهِمْ، لِيَالِي كَانَتْ
الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَخْتَارُونَ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ،
وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَمَهَابِي
الرَّيْحِ، وَنَكِدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكَوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرِ
وَوَبْرِ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ
يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَبِدُونَ عَلَى عِزِّهَا،

١- افي ب : والاهواء متفقة .

٢- افي حاشية م وش : مرادفة .

٣- افي ض وح : عبرة .

قَالَ أحوالٌ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ. فِي بَلَاءٍ أزل، وَأَطْباقٍ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْوَدَّةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِمْ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتْهَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النَّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ^(١) نَعِيمِهَا، وَالتَّفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَاتِهَا، فَأَضْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ؟! قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزِّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ: يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمضِيهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمَرُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقَرَّعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ^(٢) الطَّاعَةِ؛ وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَمْتَرَ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ: الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا^(٣)،

١- في ف وم وحاشية ن: جداول نعمتها.

٢- في ف وم: عن حبل الطاعة.

٣- في م: يتقلون في طيها وفي ش: يتقلون.

وَيَأْتُونَ إِلَى كَنَفِهَا - بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا
 قِيمَةً؛ لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.
 وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ
 أَحْزَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ^(١)، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ
 الْإِيمَانِ إِلَّا رَشْمَهُ !!

تَقُولُونَ «التَّارَ وَلَا الْعَارَ»، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفُوا الْإِسْلَامَ
 عَلَى وَجْهِهِ أَنْتِهَاكَأَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ
 لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى
 غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا
 مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسِّيفِ حَتَّى
 يَخُكَّمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَأَنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ
 وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ،
 وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ
 بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ
 الْمُتَنَكَّرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ^(٢)
 لِتَرْكِ التَّهْيِ، أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَظَّمْتُمْ حُدُودَهُ،
 وَأَمَّتُمْ أَحْكَامَهُ.

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالتَّنَكُّثِ، وَالتَّفْسَادِ

٤٢ - في ش: الا اسمه .

٤٣ - في م ول: والحكماء وفي ب: لترك النواهي .

فِي الْأَرْضِ: فَأَمَّا التَّاكِيثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ
 جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ فَقَدْ
 كَفَيْتُهُ بِصَغْفَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجِبَةٌ قَلْبِهِ. وَرَجَعْتُ صَدْرِهِ،
 وَبَقَيْتُ بَقِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلِئِنْ أَدَانَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ
 لِأُدَيْلَنَّ مِنْهُمْ، إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ^(١) الْأَرْضِ تَشَدُّرًا.
 أَنَا وَضَعْتُ^(٢) بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ الْقُرُونِ
 رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيسَةِ،
 وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي^(٣)
 فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمَضُغُ
 الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَلِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً
 فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ
 لَدُنْ^(٤) كَانَ فَطِيمًا أَكْبَرًا مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ؛ يَسْأَلُكَ بِهِ
 طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَةً وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ
 كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرِ أُمَّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ^(٥) عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي
 كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يُجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ
 يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

١- في ض وح وب: في اطراف البلاد وفي ن: من اطراف البلاد.

٢- في ض وب: انا وضعت في الصغر بكلا كل العرب. ٤- ف ض وح وب: من لدن ان كان.

٣- في ب: الى فراشه. ٥- في ش: في كل يوم علما من اخلاقه.

وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ
النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيَّ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟
فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ،
وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ
لَعَلَى خَيْرٍ». وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا أَتَاهُ
الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا
لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ
أَجَبْتَنَا ^(١) إِلَيْهِ، وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا
تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ بِعُرُوقِهَا
وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ
وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ،
وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي
الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:
يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ
اللَّهِ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ

شَدِيدٌ، وَقَضِفَ كَقَضْفِ أُجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُرْفِرَةً، وَأَلْقَتْ
بِغُضَنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (١) صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا غُلُوبًا
وَأَسْتِكْبَارًا: فَمُرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا
بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ
تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفْرًا
وَعُتُوبًا: فَمُرْ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ (٢) إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ،
فَأَمَرَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، فَإِنِّي أَوْلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلُ (٣) مَنْ آمَنَ بِأَنَّ
الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِسُبُوتِكَ
وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاجِرٌ كَذَّابٌ!
عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ
هَذَا؟! (تَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأِيْمٍ:
سَيَمَاهُمْ سَيَمَا الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ
وَمَتَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ (٤)، يُخَيُّونَ سُنَنَ اللَّهِ
وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يَغْلُونَ، وَلَا
يُفْسِدُونَ: قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ (٥).

١- في م: كنت على يمينه.

٢- في ب: فليرجع الله نصفه.

٣- في ض وج وب: من اقر بان الشجرة.

٤- في ش: بحبل الله القرآن.

٥- هنا انتهى ابواب الخطب في يوم ون.

الشرح

الخطبة القاصعة ويقال : القاصعا ، قصعت الناقة بجرتها^(١) ردتها إلى جوفها ، وقيل أخرجتها فملأت فاها وقيل مضغتها بشدة ، وقصع الماء عطشه سكنه ، سميت الخطبة بذلك لأن الخطبة ملأها فمه ، ولم يتكلم بتمام ما في صدره ، من قولهم : قصع الجرح بالدم اي امتلأ ، ولم يسئل .

قيل القاصعة المسكنة يعني أنها تسكن ما يفور في صدر المتكلم من دواعي الكلام ، أو يسكن قلوب المستمعين بمعانيها البالغة ، وتزيل إضطرابها وقيل : سميت بذلك لأن المواعظ والزواجر فيها مرادة من أولها إلى آخرها ، من قصعت الناقة بجرتها أي ردتها إلى جوفها واخرجتها فملأت فاها (أولانها) هاشمة^(٢) وكاسرة لا بليس من قصع القملة^(٣) هشمها وقتلها أو لانها تصغر كل جبار من قصعت الرجل اذا صغرتة وحقرته .

قيل إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب على ناقة وهي تقصع بجرتها فعرفت الخطبة بالقاصعة ، لملازمة قصع الناقة أنشأها والعرب تسمي الشيء باسم اللازم له قال الحطيئة^(٤) .

١ - الجرة : ما يخرج البعير من بطنه ليمضه ثم يبلعه .

٢ - الهشم : بالكسر والهشيم من النبات : اليابس المتكسر .

٣ - القملة : دويبة طفيلية عديدة الاجنحة تلسع الانسان وتغتذى بدمه .

٤ - الحطيئة : الرجل الديميم او القصير ومنه لقب جرول الشاعر العبسي لدمايته وقيل كان يلعب مع الصبيان فسمع منه صوت فضحكوا ، فقال مالكم انما كانت حطيئة فلزمته نبزا والبيت في تاج العروس (شش) .

إذا نزل الشتاء بدار قوم * تجنب جار بيتهم الشتاء
 ذكر الشتاء باسم الضيق اللازم له : والشدة والشتاء ينزل بالفقير
 والغني ، ولا يتجنب احدا والمراد تجنب جار بيتهم الضيق والشدة وضنك
 المعيشة ، الملازم للشتاء ، والأظهر الأليق أن تفوه الخطيب وايراده الكلام
 الرصين^(١) المتين شبه بقصع البعير وهو إخراج الجرة من فيه يوضح ذلك ما
 قاله أمير المؤمنين عليه السلام : في موضع آخر في وصف كلامه ، تلك شقشقة
 هدرت ، ثم قرت ووصفت الخطبة بذلك ، وان كان في الأصل وصفا
 للخطيب ، مبالغة وتاكيدا وجريا على منهاج قولهم جدجده ، ونظائر ذلك .
 قوله عليه السلام : الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء إلى آخره .
 العزة أعلى المراتب ، والعزير الذي لا يجوز عليه المنع عن مراده ،
 وأفعاله .

والكبرياء : العظمة وليس للخلق ادعاء هذين الأمرين .
 لخفت البلوى فيه على الملائكة : إشارة الى ما تقدم من أن آدم
 عليه السلام واسطة بين الملك وسائر الحيوانات العجم ، فلو لم يكن
 مخلوقا من الصلصال^(٢) لم يكن واسطة ، بل كان من أنواع الملائكة
 وأشرف الروحانيين ، والكروبيين ، أو كان من نوع آخر خفت بمعرفة نوعيته
 البلوى على الملائكة ، أو بسبب سجوده وتعظيمه ومعاونته .
 قوله عليه السلام : أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة .

سنة الدنيا شمسية ، وهلالية ، وهما إثنا عشر شهرا أو الشهور القمرية وقد
 ينقص من ثلاثين ، والشهور الشمسية لا ينقص ، والسنة الحقيقية مدة دور

١ - رصن العقل : استحكم واشتد وثبت فهو رصين .

٢ - الصلصال : الطين اليابس الذي يصل من يسه اي بصوت .

الشمس في دائرة فلك البروج، من أية نقطة فرضتها إلى ان توافيها بسيرها الخاص، وقالت القدماء لا تفاوت بين السنين، وظهر للمتأخرين ذلك التفاوت بسبب حركة أوج الشمس وعدد أيام السنة الحقيقية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً، وربع يوم الا قدر أربع وثلاثين ثانية من يوم والشهر اصلاحي لأن الشمس لا يقطع البروج كلها في الأزمان المتساوية، بل تقطعها في الازمان المختلفة ولا يمكن الوقوف عليها إلا لمن هو مؤيد بحدس كامل في الحساب.

والثاني أن الكسور الواقعة في أيام الشهور، لم يمكن ألقاها فأعرضوا عن ذلك الاعتبار فردوا أمر الكسرين الى كسر واحد، فوضع الناس نوعين من الشهور اصطلاحيين لا طبيعيين^(١) على طريقين المخالفين بعد اتفاقهم على أن الشهور لا تزداد على اثني عشر شهراً ولكن الأيام اختلفت في الطريقتين فاحد نوعي الشهور شهور الروم وابتداء سنتهم لا يوافق ابتداء السنة الحقيقية، ولكن أيام السنة يوافق أيام السنة الحقيقية.

ثم يزيدون في كل أربع سنين يوماً في آخر سباط، وبعض المنجمين يصحفون ويقولون شباط بالشين المعجمة، وهو خطأ وأما الفرس فانهم وضعوا السنة إثني عشر شهراً متساوية، كل شهر ثلاثون يوماً، وزادوا في آخر الشهر الثاني عشر الذي هو اسفند ماه خمسة أيام ليقرب سنتهم الى السنة الحقيقية ولأنهم ما راعوا في حسابهم ذلك الربع من اليوم الذي هو فصل السنة الحقيقية على سنتهم.

فاذا مضى مائة وعشرون سنة من تاريخهم كانت قد زادت سنتهم بشهر

١ - في ض : اصطلاحين الطبيعيين.

تام فكانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، ولم يمكنهم أن يلحقوا في آخر كل أربع سنين يوما كما فعلت الروم لأن ملوكهم كانوا يعتادون شيئا واحدا في كل يوم من أيام السنة، وقد وظفوا للملك في كل يوم لباسا خاصا وريحانا خاصا.

قد أمرهم زردشت صاحب أمرهم أن لا تغفلوا عن الكبيسة وحثهم على مراعاتها وفي سني الآخرة كلام والاولى ما قال تعالى : إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون^(١). ذلك اليوم من أيام الله التي قال تعالى : وذكرهم بأيام الله^(٢)، وسنة الآخرة مقتبسة من قوله تعالى : في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^(٣).

قوله عليه السلام : إن حكمه في السماء وأهل الأرض لواحد.

قال الامام الوبري : أهل السماء أيضا متواعدون بالعذاب إن عصوا كأهل الأرض، وقال غيره تحريم التكبر والعزة على أهل السماء مثل تحريمهما على أهل الأرض لذلك، قال تعالى في حق الملائكة : لا يستكبرون عن عبادته^(٤).

الهوادة : الصلح والميل .

أن يعديكم بدائه : يعني إبليس، قال بعض العارفين : الكبر محاربة الله تعالى ومخاصمته لأن الكبرياء لا يليق إلا به، قال تعالى : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار^(٥)، وقال تعالى : وخاب كل جبار عنيد^(٦)،

٤ - الاعراف : ٢٠٦ .

٥ - غافر : ٣٥ .

٦ - هود : ٥٩ .

١ - الحج : ٤٧ .

٢ - ابراهيم : ٥ .

٣ - المعارج : ٤ .

والكبر خلق من رذائل الأخلاق، وأثره يظهر على ظاهر الانسان وهو أن يعتقد في نفسه أنه أشرف أبناء الزمان، ويتبع هذا الاعتقاد والتصوير هيآت جسمانية، يقال لها الرعونة^(١).

والتكبر:

إما على الله كتكبر إبليس ونمرود وفرعون، وتكبر من استتكف من عبادة الله، وإما على الرسول كتكبر كفار قريش حين قالوا: هو بشر مثلنا، ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم^(٢)، فقال تعالى: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق^(٣)، وإما على عباد الله والنظر إليهم بعين التحقير وهذا هو التكبر المشهور بين الناس، فهذا أيضا منازعة الله تعالى، لقوله جل وعز: وله الكبرياء في السموات والأرض^(٤)، وقال: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري والخلق عبيدي وإما في فمن نازعني في شيء من هذا ألقيته في النار، وقد قال أبو نواس^(٥).

١- الرعونة: الحق.

٢- الزخرف: ٣٦.

٣- الاعراف: ١٤٦.

٤- يونس: ٧٨.

٥- الحسن بن هباني: أبو نواس الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة، فسئل عن نسبه قال: اغثنائي ادبي عن نسبي وكان من اجود الناس بديهة، توفي ببغداد في الفتنة قبل قدوم المأمون سنة ٢٠٠.

دخل على المأمون فقال يا ابا نواس قد علمت مكان علي بن موسى مني وما اكرمه به: فلماذا اخرت مدحه

وانت شاعر زمانك وقريع دهرك فأنشأ يقول:

في فنون من الكلام النبوية
يشمر الدر في يدي مجتنيه
والخصال التي نجمن فيه
كان جبريل خادما لابي

قيل لي انت اوحده الناس طرا
لك من جوهر الكلام بديع
فعلى ما تركت مدح ابن موسى
قلت لا اهتدى لمدح امام

حذرتك الكبير لا يعلقك ملبسه * فانه ملبس نازعته اللاها
ومن أين للغلام المملوك أن يلبس لباس الملك ويتحلى بالتاج وزينة
مالكه، والاتكاء على سرير الملك، ومن دبت^(١) فيه نخوة الكبير لا يقبل
الحق إذا ظهر له أنفة^(٢) واستكبار كما قال تعالى: وإذا قيل له اتق الله
أخذته العزة بالاثم^(٣).

قال عبد الله بن مسعود: أعظم الذنوب أن يقال للرجل خف الله فيجيب
ويقول: عليك نفسك فاشتغل بنفسك، فانك غير مأخوذ بذنبي.
دلف بجنوده: أي تقدم.

وقع في حسبك: أي قال أنا خير منه.
ودفع في نسبك: من قوله: أرأيتك هذا الذي كرمت علي^(٤)، وقوله:
خلقتني من نار وخلقته من طين^(٥).

ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه: أي قابيل تكبر على أخيه هابيل.
سؤال: كيف نسبه إلى أمه مع أنها كانا لأب وأم، قلنا لأن قابيل
لما قتل هابيل فكأنه قطع نسبه عن أبيه بسوء صنيعه كما قال تعالى في ولد
نوح: إنه ليس من أهلك^(٦).

قال الثعلبي^(٧): كون الولد إنما هو من الأم على التحقيق وللأب من

→ ١- دب السقم في الجسم ودب البلى في الثوب ودب الصبح في الغيش كل ذلك بمعنى سرى.

٢- انف من الشيء: إذا كرهه وشرفت نفسه عنه يعني اخذته الحمية من الغيرة والغضب.

٣- البقرة: ٤٠٦.

٤- الاسراء: ٦٢.

٥- ص: ٧٦.

٦- هود: ٤٦.

٧- ابواسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المحدث النيسابوري صاحب التفسير الكبير الذي يروي عنه

جهة الحكم ، وقيل : شفقة الأخ من الأم زائدة على شفقة الأخ من الأب لزيادة شفقة الأم .

والزمه آثام القاتلين : من قوله تعالى : إني أريد أن تبؤ باثممي^(١) ، وإثمك الآية ، وذلك أنه سن سنة سيئة في القتل وقطع الرحم ، ومن سن سنة سيئة ، فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

واعنق الفرس : من العنق وهو سير مسبطر^(٢) قال الراجز .

ياناق سيري عنقا فسيحا .

والقوا الهجينة على ربهم : الهجين القبيح ، أي نسبو القبائح إلى

ربهم .

الأدعياء : جمع دعيّ وهو من لا أب له ينسب إليه فيتبناه أحد .

أحلاس العقوق : حلس كل شيء ما يلزمه ، يقال نحن أحلاس الخيول

أي تلزم ظهورها أصل ذلك من قولهم : أحلست السماء أي مطر مطرا رقيقا دائما .

وترجمت الكتاب : إذا نقلته من لسان ، والترجمان الذي يبين الكلام

بفتح التاء وضمها والضم أحسن والثناء مقصور مثل الثناء إلا أنه في الخير

والشرّ جميعا ، والثناء في الخير خاصة .

مخضهم بالمكاره : يقال : مخضت اللبن أمخضه ثلاث لغات ومخضت

الناقة بالكسر يمخض مخاضا مثل سمع سماعا ويروى بالخاء والحاء .

→ صاحب الكشاف ، وله العرائس في قصص الانبياء توفي سنة ٤٢٧ .

١ - المائة : ٢٩ .

٢ - كذا في المتن والظاهر انه سير مسيثر ، والمسيثر : السير تحت الليل كما في تاج العروس وفي ض : واعنق

الفرس من العنق .

ولا لزمتم الأسماء معانيها : أي لو انقاد الناس للمحق لرغبته قاهرة ملجئة أو لرهبة ملجئة ، لم يكن أسامي المدح المقيدة في الدين مفيدة ، حينئذٍ للتعظيم ، والمدح والثواب بل كانت كالألقاب العارية عن المعاني .
 جعل رسله أولى قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الأعين .
 اقتضت الحكمة الالهية أن يكون النبي حنيفا واقعا بين الانسان والملك ، ومشاركا لكل واحد منهما ، فالرسل كالملائكة ، في عزائمهم وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب والخوف ، والرجاء والضعف والقوة مثال ذلك مثال المرجان فانه واقع بين النبات والجماد جرمه حجري وله أغصان وفروع ، ينمو نمو الأشجار ، كالنخل فانه نبات تشبه بالحيوان عند التلقيح وبطلان الرأس ، قال تعالى : ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون .

لما عمي الكفار عن إدراك هذه المنزلة وعمما للانبياء من الفضيلة أنكروا نبوة الأنبياء كما حكى الله تعالى عنهم حيث قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا يريدون أن يصدونا عما كان يعبد آباؤنا^(١) ، فالنبي بالاضافة الى سائر الناس كالقلب بالاضافة إلى سائر الأعضاء ، ومنزلة علومهم من علوم الأمم ، بمنزلة ضوء الشمس من ضوء القمر ، فكانما نور القمر مقتبس من نور الشمس وقاصر عنه كذلك منزلة الأمم من أنبيائهم ومنزلة علمهم من علوم الأنبياء ، وكما لا يحصل النور للقمر إلا بواسطة الشمس كذلك لا يحصل تزكية نفوس الأمة إلا بواسطة الأنبياء .

كما حكى الله تعالى : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك

ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم^(١): فالله تعالى يزكي الأنبياء بوسايط الملك ويزكي سائر الناس بوسايط الأنبياء كالطابع الذي جعلت له كتابة ثم بوساطته تثبت في الشموع المختلفة مثل تلك الكتاب .

قوله عليه السلام: أراد الله سبحانه أن يكون الاتباع لرسوله والتصديق بكتبه .

أمورا له خاصة: قبل العبادة فعل اختياري، مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى على وفق الشريعة، فالعبادة إذا فعل يجمع هذه الأوصاف كلها وقيل: يعني أراد الله أن يكون الإيمان والطاعة، لا لنفع عاجل، ولا لدفع ضرر عاجل، بل يكون برضى الله ابتغاء ثوابه في الآخرة ولكن كل واحد منهما حسنا في نفسه مفيدا .

قوله عليه السلام وقل نتائق الدنيا مدرا .

النتائق البقاع المأهولة .

لا يزكوا بها خف ولا حافر ولا ظلف: أي ذو خف وذو حافر وذو ظلف .

أرياف: جمع ريف وهي أرض فيها زرع وخصب .

مغدقة: ذات غدق والغدق الماء الكثير، وقد غدقت عين الماء بالكسر

أي غرزت .

اعتلجت الأرض: طال نباتها واعتلجت الامواج التطمط .

المساورة: الموائبة، ومنه سمي الرجل سوارا أي وثابا معربدا وسورة

الشراب وثوبه في الرأس .

قوله عليه السلام : حرس الله عباده المؤمنين بالصلاة : وما بعده دليل

على أن بالعبادات تنقاد القوى البشرية للعقل ، وتزول الأخلاق المهلكات .

تليط : أي تلصق ، اليعسوب فحل النحل ، ومنه قيل للسيد يعسوب قومه

والباء فيه زائدة لأنه ليس في كلام العرب فعلول غير صغفوق .

قوله عليه السلام تدبروا أحوال الماضين من المؤمنين .

عنى به اسرائيل عند فرعون وأولاد الأنبياء في أيدي بخت نصر وغير

ذلك . فان بختنصر خلع على دانيال وردة إلى بيت المقدس وفوض إليه أمانة

بني اسرائيل ، وموسى وهرون ورثا ارضا مصر بعد هلاك فرعون .

قوله عليه السلام حين وقعت الفرقة : وتشتت الألفة :

إخبار عما حدث في بني إسرائيل من اختلاف كلمتهم عند استيلاء

جالوت عليهم ، وكذا عند استيلاء بختنصر عليهم ، وعما جرى في ولد

اسماعيل بين آل قحطان (آل معد ، وبين بني إسحق كما جرى بين أولاد

روم بن عنص من اختلاف النسطورية^(١) واليعقوبية والملكاية فاستوى

القياصرة على أولاد اسحق في الروم وبني اسرائيل من الشام وأزعجهم عن

الشام فارتحلوا الى حدود المدينة وهم يهود خيبر وقريظة والنضير ووادي القرى

وقينقاع واستيلاء الأكاسرة^(٢) على ولد اسمعيل من العرب فقد^(٣) ملك

معد في الجاهلية أن نصرهم اللخميون من اليمن ، وكانوا عمال الأكاسرة .

١ - ساقط في ض .

٢ - الاكاسرة جمع كسرى معرف خسرو وهم ملوك ايران قبل الاسلام .

٣ - في ض : فقد مالك معد .

يحتازونهم : أي يضمونهم ويسوقونهم سوقا لنا .
في بلاء أزل : أي ضيق وشدة .

من بنات مؤودة : قيل كان سبب قتل البنات في الجاهلية أنه لما منعت تميم الأتاوة^(١) ، وجه إليهم النعيم بن المنذر كتائب^(٢) فاستاق البهائم ، وسبي الذراري فأتاه القوم وسألوه النساء ، فقال النعيم : كل امرأة اختارت أباه وأخاها وزوجها ردت إليهم ، ومن اختارت صاحبها السابي^(٣) نزلت عليه ، وكلهن اخترن أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم^(٤) ، فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرخ .

فندر قيس أنه لا يولد له بنت إلا وادها^(٥) انفة واقتدى به جماعة من العرب وقالوا : لا تقتلن عجزا عن الانفاق عليهن ، ولكن مخافة أن يتزوجن غير الاكفاء فضل لصعصمة^(٦) بن ناجية ناقتان عشراوان ، فقال صعصعة ركبت جملا في طلبها فرفع لي بيت من الحرير ، فقصدته فاذا شيخ بفناء الدار ، فسألته عن الناقتين فقال ما ميسمها^(٧) ، فقلت ميسم بني دارم ، فقال هما عندي وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر ، فانتظرت ليخرجا إلى

١- الأتاوة : الخراج .

٢- الكتائب جمع الكتيبة وهي القطعة العظيمة من الجيش .

٣- السبي : النهب واخذ الناس عبيدا واماء والسبية : المرأة المنهوبة .

٤- قيس بن عاصم المنقري أحد شجعان العرب وفرسانهم وهو الذي حمل على الحوفزان الحارث بن شريك الشيباني وحفزه بالرمح في ظهره فسمي يومئذ الحوفزان .

٥- وأد البنات : قتلن ، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية .

٦- صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر روى عنه ابنه عقال بن صعصعة والطفيل ابن عمرو ، وكان من اشراف بني تميم ووجه بني مجاشع وكان في الجاهلية يفتدي المؤودات ، قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرض علي الاسلام فاسلمت او علمني آيات من القرآن .

٧- الميسم : الحديد التي يكوى بها .

فاذا عجوز قد خرجت من كسرييت .

فقال لها الشيخ : ما وضعت ، ان كان سقيا^(١) شاركنا في أحوالنا بعد أموالنا وإن كان حائلا وأدناها فقالت العجوز ولدت انثى فقال الشيخ وإدها ، فقلت له اتبيعينها ، فقال : هل تبيع العرب أولادها ، فقلت : إنما اشتري حياتها لارقها ، قال فبكم قلت أخيكم فقال الشيخ بالناقتين والجمل ، فقلت ذلك ، فقال صعصعة لرسول الله صلى الله عليه وآله آمنت بك وقد صارت لي سنة في العرب ، بأن اشتري كل مؤودة بناقتين وجمل إلى هذه الغاية مائة وثمانون مؤودة ، قد أنقذتها من القتل أهل انتفع بذلك وأوجر عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ينفعك لأنك لم تتبعك بذلك وجه الله تعالى وأن تعمل في إسلامك عملا صالحا وإن كان قليلا نفعك .

قوله عليه السلام وأصنام معبودة : كان لكل قبيلة صنم يعبدونه سواع كان لهذيل وودّ لبني كلب ويغوث لمذحج وكان بدومة الجندل ونسر لذي الكلاع ويعوق لهمدان واللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة للأوس والخزرج ، وهبل كان في الكعبة واساف ونائلة كانا على الصفا والمروة .

غارات مشنونة : إخبار عما كان بين العرب من الحروب ، مثل يوم الفجار ، ويوم ذي خول ويوم الوقيط ويوم شويحط بين مصر وأهل اليمن ، وأيام بكر وتغلب ابني وايل ، وحرب أيام داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وهما ابنا بغيض ، لا تغمز لهم قناة ولا تفرع لهم صفاة : كناية عن العز والمنعة .

١ - السقب : القرب يعني ان كان المولود ذكرا ، أمسكناه وان كان انثى قتلناه .

وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه .
 أي ما شاهدتم من وقائع الزمان في عهد المصطفى عليه السلام وبعده ،
 وعندكم وعد الله ووعيده .
 قوله عليه السلام : فإن الله لم يلعن القرن الماضي إلا لتركهم الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر .
 مأخوذ من قوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ^(١) » .
 قوله عليه السلام : أمرني الله بقتال أهل البغي .
 قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي : يا علي ! إنك تقاتل بعدي الناكثين
 والقاسطين والمارقين .
 فالناكثون الذين نكثوا بيعته .
 والقاسطون هم الذين خالفوا المهاجر والأنصار ، وأشراف الصحابة في بيعة
 أمير المؤمنين علي عليه السلام .
 والمارقون هم الخوارج الذين مروا من طاعته .
 الردهة : نقرة في صخر يستنقع فيها الماء وفي الأمثال قرب الحمار من
 الردهة ولا تقل له ماء قال الخليل : الردهة شبه أكمة كثيرة الحجارة ، وفي
 كتاب الصحاح شيطان الردهة مقدم الخوارج بنهروان ، وقتله أمير المؤمنين كما
 ذكر .
 لأدبلن منهم : أي لأنتقم من ، وفي الدعاء اللهم أدلني على فلان أي
 اغلبنني وأنصرني وأدالنا الله من عدونا من الدولة .
 التشذر : التفرق والتشذر الاستثفار ^(٢) بالثوب أو بالذنب .
 الرنة : الصوت والصياح .

١ - المائة : ٧٩ .

٢ - الاستثفار : هو ان يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يلعل الكلب بذنبه .

من يطرح في القليب : يعني قليب بدر حين طرح فيه من قتل من المشركين
كأبي جهل وعتبة وشيبة ، والوليد بن المغيرة ، وأميرة بن عبد شمس ،
والبحتري بن هشام وغيرهم .

ومن يحزب الأحزاب : هو أبو سفيان ، وعمرو بن عبدود ، وصفوان بن أمية ،
وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو وغيرهم .

يا أيتها الشجرة : قال الامام الوبري : المراد به ان كنت من الأدلة على الله
والله تعالى أرسلني ، فكأنه قال : اللهم إن كانت هذه الشجرة من خلقك شاهدة
عليك وأنت شاهد على رسالتي فافعل بهذه الشجرة كذا وكذا ، ولما كانت
الشجرة موضع أفعال الله التي سالها منه خاطب الشجرة قال ويجوز أن يكون
الخطاب للملائكة الموكلين بالشجر ، كما قال تعالى في خطاب جهنم هل
امتألت ، والمخاطب ملائكة جهنم وذكر الامام الغزالي^(١) تفاصيل ذلك في
كتابه المعنون بالمضنون به على غير أهله .

قوله عليه السلام : قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل .

يعني اطمأنت قلوبهم بذكر الله والتذت بحلاوة ذكره ، وهو بقلبه منقطع
عن الدنيا ، ويجسده مشغول بالعبادة .

ج — العزيز : في صفاته تعالى ، الممتنع : الذي لا يغلبه شيء وليس
كمثله ، قال ابن السكيت يقال : عزه يعزه : إذا غلبه وقهره ، وهو تعالى كبير أي
جليل ومتكبر عن ظلم عباده .

فله الكبرياء : أي الملك والملكوت ، وفي الحديث إن الله عزوجل قال :
الكبرياء بردائي والعظمة إزاري ، أي هما صفتان له تعالى لا يشركها فيهما أحد .

١ — أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد الفقيه الشافعي ، اشتغل في مبدأ امره بطوس على أحد
الراذكانية ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس امام الحرمين حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الاعيان المشار
اليهم له آثار جليلة مات سنة ٥٠٥ بالطبران .

وحما الرجل ما يلزمه حمايته والذبت عنه .

والحرم الحرام ، بمعنى كزمن وزمان ، أضاف تعالى روح آدم إلى نفسه تكرمة له وتشريفا ، وهي اضافة الملك والظاهر من مذهب الامامية ، أن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة ولم يصتر إبليس بمجرد ترك السجود كافرا بل إنما كفر لأنه اعتقد أنه تعالى أمره بالقيح ولم يأمره من طريق الحكمة .

وتكبر على الله : وردّ عليه أمره واستخفت بنبي الله ، وكل ذلك لا يصدر إلا عن معتقد الكفر .

يخطف : أي يلسب ، الرواء : المنظر ، والعزف : الرائحة الطيبة .

والحبط : عمل إبليس لأنه لم يوقعه على الوجه المأمور به ، ولو فعله كما أمر لاستحق الثواب ، ولا تعلق لأصحاب الوعيد بذلك ، لأنه علق الاحباط بنفس العمل ، وهم يعلقونه بالمستحق على العمل ، ولهذا نظائر في كلام الله ، وقد دلّ الدليل على بطلان التحايط بين الطاعة والمعصية ، والمستحق عليهما إذ لا تنافي بينهما ، ومن عبد الله تقليدا فلا يكون لأعماله ثواب ، فيصح أن يقال أحبط الله عمله أي حكم محبوطه وأخبر بذلك .

وجهده الجهد : روى بضم الجيم وفتحها أي أفسد مشقته العظيمة ، لما لم يكن مشروعة ، والجهد الطاقة والجهد المشقة .

وقوله عليه السلام أخرج به منها ملكا .

من قال إن إبليس لم يكن من الملائكة اعتذر أمير المؤمنين ان أكثر الخلق كانوا يعتقدون أنّ إبليس من الملائكة . فخاطبهم أمير المؤمنين على مقتضى عقيدتهم ، وظاهر القرآن يدل على أن إبليس كان أبدا كافرا يظهر العبادة نفاقا ، قال تعالى : «وكان من الكافرين»^(١) .

أن يعدوا : من العدوى ، ومحله نصب بدل من عدوّ الله أو مفعول ثان .
ويستفزكم : أي يستخفكم .

وفوقت السهم : جعلت له فوقاً وهذا كناية عن الاستعداد للحرب .

وأغرق لكم بالنزع : أي بالغ في نزع القوس للرمي في نحوكم .

ورماكم من مكان قريب : أي وسوس إليكم بذنب يقرب من شهواتكم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وجاء في الأثر أن الشيطان يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس أي أنقبض ، وتاخر وإذا لم يذكر انبسط .

قذفا رجما : منصوبان على الحال أو على أنهما مفعول لهما ، وروي

بظن مصيب ، من قوله تعالى : «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين^(١)» .

الجامحة : التي تركب هواها ، ولا يمكن ردها .

نجمت : ظهرت ، استفحل : اشتد وأصله من الفحل .

الاثخان : كثرة القتل وأثختته الجراحات أوهنته .

متألبين : متجمعين ، وحمومة الحرب : معظمها .

الخطرة : الوسوسة ، والنخوة : التكبر .

والمسلحة : قوم ذو سلاح .

وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة : من قوله تعالى : «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا^(٢)» أي صار الناس كلهم خصماء في قتل ذلك الانسان ، وقيل من قتل نبيا أو إمام عدل يعذب عليه عذاب أن لو قتله الناس جميعا^(٢) .

١ - سيا : ٢٠ .

٢ - المائة : ٣٢ .

وأمعن : أي بالغ وهو مقلوب أنعم ، وأمعن الفرس تباعد في عدوه وأصل
البغى : الحسد ثم قيل للظلم بغى .

البلاقح : الفحول التي تلقح أمرا ؛ حال مما قبله وبخط الرضى .
ألقوا الهجينة : أي الغميرة^(١) والعيب : وقيل إلقا الهجينة على ربهم هو
أن يقولوا عند الفخر أنا عربي وأنت عجمي كما قال إبليس : خلقتني من
نار، وخلقته من طين^(٢) .

الاعتزاء : الانتساب عنى بالأدعياء : الذين ينتسبون إلى الاسلام
وينتحلون أنهم على سنة النبي صلى الله عليه وآله وهم أهل البدعة .

الحلس : كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت البردعة ويبسط في
البيت تحت الثياب^(٣) ، ويشبه به الذي لا تبرح منزله فيقال هو حلس بيته ،
قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي ! أنا وأنت أبوا هذه
الامة فلعن من عقنا ، وروي ثنا في أسماكم : أي رشحا وإفشاء يقال نث
الحديث ينثه أي أفشاه ونث ينث أي رشح^(٤) .

مخضهم : أي حركهم ، وأخلصهم ، وروي مخضهم أي ظهرهم .
والذهبان : جمع ذهب كخربان جمع خرب ، والعقيان : الذهب .
لسقط البلاء : أي ابتلاء النبيين بالفقر والضر .

وابطل جزاؤهم : على احتمال ذلك .

ولا ضمحل الأنباء : لأن أخبار الأنبياء معظمها في الاعراض عن الدنيا
وقلة الالتفات اليها لشدة شغف الناس بها ، ورغبتهم فيها ، فلو كان الأمر

١- الغمر : الجاهل الغر الذي لم يجرب الامور .

٢- الاعراف : ١٢ .

٣- كذا وفي ض : تحت حر الثياب .

٤- الرشح : العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا ، كما يرشح الاتناء المتخلخل الأجزاء .

على العكس من ذلك لما احتيج إلى النبوة والأنبياء، ولأن ارتفاع الدرجة في الدنيا، صورة المتجبرين من ملوكها، لا صورة الوسائط بين الله وبين الخلق.

ولما وجب للقابلين أجور المبتلين .

أي لما أستحقّ من قبل مراسم الشرع الثواب، لأنه إنما قيل والحال هذه، إما رغبة في عاجل الدنيا أو رهبة^(١) من ضرر فيها، وقيل لاضمحل الأنبياء أي زال الاخبار بخلق الجنة والنار، ولبطل التكليف، فلم يكن وعد ولا وعيد .

ولا لزمّت الأسماء معانيها : لم يكن مؤمن ولا كافر، ولا مطيع، ولا عاص، ولخلت هذه الأسماء عن معانيها لبطلان التكليف .

وكانت النيات مشتركة : أي بين الاخلاص والرغبة والرهبة^(١) .

والعزيمة : ما يعزم أي يراد فعله قطعاً .

والخصاصة : الفقر، النتق : أن تقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمى به ، ومنه النتيقة بمعنى المنتوقة ، وجمعها نتائق ، هذا أصله ، وهاهنا هي الأرض التي تثار للزراعة وأرض مكة ذات حجارة ومدرها المستصلح للزراعة قليل ، وقيل : سميت بذلك لرفع بنائها وشهرتها في مواضعها .

والقطر : الجانب ، دمة : سهلة ليثة .

وشلة : قليلة الماء .

ويهللون : يرفعون أصواتهم بالتلبية ، ونحوها ، وروى يهللون أي يقولون لا إله إلا الله .

يرملون : أي يهرولون ، ويمشون مشياً فيه تحرك .

١ — الرهبة : الخوف كانوا يترهبون بالتخلي من اشغال الدنيا وترك ملاذها والزنا فيها والعزلة عن اهلها وتعتمد مشاقها بالرهبانية فنهى عنها النبي صلى الله عليه وآله .

شوهوا أي غيروا ، إعفاء الشعر: إتمامه بترك الحلق والتقصير .
 تمحيصا : أي تطهيرا ، جمّ الأشجار: كثيرها .
 محدقة : ذات حدائق ، والحديقة روضة ذات شجر .
 معتلج الريب : مضطرب الشك ، واعتلاج الريب منازعة اليقين .
 المجاهد: المشاقق ، وما تكدى : أي لا ترد يقال كديت الرجل عن
 الشيء أي رددته ، واكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الأرض الصلب أو
 الحجر .

ولا يشوى : أي لا يصيب المقتل . والشوى اليدان والرجلان وكل ما
 ليس مقتلا .

والمقل : الفقير ، والطمر: الثوب الخلق ، لا عالما بدل من أحد وما في
 ما حرس صلة زائدة أو مصدرية أو نافية بمعنى أنه تعالى لم يحرسهم عن
 ذلك ، بل امتنعوهم اختيارا والمعنى على الأول حرسهم الله عن تلك
 المنكرات ببركة هذه الطاعات ، قال تعالى : «إن الصلوة تنهى عن الفحشاء
 والمنكر^(١)» وإذا ذلت النفس بتسكين الأطراف لا يظلم صاحبها أحدا ،
 وذهب كبره .

وتعفير الوجه : إيصاله على العفر وهو التراب .

والعتائق : الكرائم من كل شيء ، والمسكنة : الذل والضعف وكان
 يونس يقول : المسكين أبعد حالا من الفقير قال قلت لأعرابي فقير أنت ،
 فقال لا والله بل مسكين ، وفي الحديث ليس المسكين الذي يرده اللقمة
 واللقمتان ، وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفتن به فيعطى .
 وقمعه وأقمعه : أي قهره وأذله .

ونجم الشيء : أي طلع وظهر والناجمة ما ينبت من الشر .
 والقدح : الكف ، وخطر الرجل قدره ومنزلته .
 والفراعنة : العتاة وكل عات فرعون ، والفراعنة : الدهاء والتكبر .
 وسامه خسفا : أولاه إياه وأورده عليه .
 المرار : شجر مرّ إذا أكلت منه الإبل قلصت ^(١) منه مشافرها الواحدة مرارة .

البصائر : الحجج ، والغضارة : طيب العيش .
 الأكاسرة : جمع كسرى ، لقب ملوك الفرس بفتح الكاف وكسرهما وهو
 معرب خسرو ، والنسبة إليه كسروي وهي جمع على غير قياس لأن قياسه
 كسرون ، بفتح الراء كعيسون وموسون .

(مها في الريح : مساقطها هفا الطائر بجناحيه خفق وطار ، وهفا الشيء
 في الماء ذهب ^(٢)) .

والعالة : الفقراء ، إخوان دبر ووبر : الدبر الهزيمة في القتال والادبار
 وأن يجرح سنام البعير ، فلا يصلح والقراح من الأرض نسب العرب إلى هذين
 الأمرين لنكد ^(٣) عيشها ، وكذا يكون صاحب الإبل فانه يعيش في شقاوة .
 أطباق جهل : معظماته وطبق كل شيء معظمه ، ويقال للداهية إحدى
 بنات طبق .

تربعت الأمور بهم : يقال تربع في جلوسه أي قعد مربعا .
 لا تغمز لهم قناة : غمز القناة كناية عن الاستضعاف قال الشاعر :

١ - قلص : انقبض ، والمشافر جمع المشفر : الشفة واخص استعماله بهذا المعنى في الإبل .

٢ - بين الملالين ساقط في ض .

٣ - النكد : القليل ، ونكد حاجته : منعه إياها أو لم يعطه إلا القليل منها .

وكنت إذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما^(١)
وفي فلان غميمة أي مطعن، ولا تقرع لهم صفاة: مثل يضرب لمن لا
يقاومه أحد.

والقارعة: الداهية الشديدة.

ثلتمتم حصن الله: أي بالخروج من طاعة إمامكم، ومن مات ولم يعرف
إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

صرتم بعد الهجرة أعرابا: قيل الأعراب قوم أسلموا بعد هجرة النبي صلى
الله عليه وآله وكانوا إذا غزوا مع المهاجرين والأنصار لم يسهموا من الغنيمة
سهم^(٢).

قوله عليه السلام من حبل هذه الألفة.

من قوله تعالى «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
ولكن الله ألفت بينهم^(٣)»؛ والكنف: الجانب.

النار ولا العار: أي الزموا النار ولا تقربوا العار، أو تلتزم النار ولا تقرب
العار.

تكفئوا الاسلام: أي تقلبوه كما يقلب الاناء.

انتهاك الحريم: تناولها بما لا يحل وأصل الهتك المبالغة في العقوبة.

ثم لا جبرئيل: يجوز فيه وفيما بعده الرفع والنصب.

الا المقارعة: منصوب ومرفوع، أي ذوو المقارعة أي المضاربة.

إن لجأتم إلى غيره: الضمير لله.

الناكثون: طلحة والزبير مروان بن الحكم بايعوا عليا عليه السلام ثم

١ - البيت لزياد الاعجم كما في تاج العروس (غمز).

٢ - في ض: من الغنيمة معهم.

٣ - الانفال: ٦٣.

نكثوا العهد وخرجوا إلى البصرة وهيجوا الفتنة .
 والقاسطون : الظالمون وهم معاوية وأصحابه .
 والمارقة : الخوارج سموا بذلك لقول النبي صلى الله عليه وآله : يمرقون
 من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، والمروق : الخروج .
 والتدويخ : الاهلاك والاذلال .
 وشيطان الردهة : قيل : هو ذو الشدية ، وقيل هو شيطان من كفار الجن ،
 والشيطان : الحية ، لا تشرب الماء إلا في قلل الجبال .
 الرخ : التحريك والزلزلة .
 لأدبلن : مفعوله محذوف أي لأدبلن المؤمنين من أهل البغي أي
 لأنصرنهم عليهم .
 الكلكل : الصدر ، نجم القرن : طلع وظهر .
 وقرون الحيوانات : أسلحتها .
 وحراء : جبل بمكة يذكر ويؤنث قال الشاعر :
 ألسنا أكرم الثقلين طرا * وأعظمهم بطن حراء نارا
 فلم يصرفه لأنه ذهب بها إلى البلدة التي هو بها .
 والملا : الأشراف . والدوي : الصوت الشديد .
 ورعد قاصف : شديد الصوت .
 ورفرف الطائر : حرك جناحيه حرك شيء يريد أن يقع عليه .
 ش — قوله إذ أحبط عمله الطويل : أحباط العمل من وجهين :
 أحدهما : أن يكون العمل قد أتى به المكلف المأمور بجميع شرائطه
 وحقوقه على الوجه المأمور به ، من غير إخلال بشيء من ذلك ، ويكون مع
 ذلك صادرا عن إخلاص تام ويقين صادق ، وتصديق لكل ما يجب التصديق
 به من معارف الدين بالأدلة الباهرة لا بالتخمين ، ومثل هذا العمل يوصل به

المكلف إلى منافع عظيمة بالاتفاق .

ثم لا يجوز أن يبطله ويزيله شيء لأن مبطله ، إن كان هو الله تعالى ، فإن إبطال حق الغير بلا بدل ظلم وسفه ، وعبث تعالى رداء جلاله عن مثل هذه النقيصة ، وإن كان غير الله تعالى من المختارين فمعلوم أنه لا تعرض لغيره^(١) تعالى في ما يأتي بها لعبد الله باثبات وإبطال ، وإن كان إبطاله بطريق الإيجاب فمحبطه لا بد له من علة به معقولة إما أن يكون ضدا نظرا عليه أو على محله ، أو جاريا مجرى الضد .

قد ذكرت في كتاب لباب الأبواب أنه لا تحابط ولا تنافي بين الطاعة والمعصية ، ولا بين الثواب والعقاب ، إذ لا تضاد بينهما ولا ما يجري مجراه فإن نفس ما يقع طاعة يجوز أن يقع معصية ، فإن القعود في دار الغير باذنه للعبادة طاعة وبغير إذنه معصية ، وتلك القعدة التي فعلها باذنه كان يمكنه أن يفعلها لا باذنه وكذا في الثواب والعقاب ، لأن المرجع بالثواب إلى النفع وبالعقاب إلى الضرر ، ولا شيء يقع نفعاً إلا ويجوز أن يقع ضرراً بأن يصادف نفاراً متعلقاً به .

لو ثبت تضادهما لا استحالة تنافيهما معدومين إذ الضد لا ينافي ضده معدوماً ، والتحابط عند من تجوزه إنما يقع بين المستحقين من الثواب والعقاب ، وهما لا يكونان مستحقين إلا وهما معدومان وبسطنا القول فيه في الكتاب المقدم ذكره على غاية ما يرام .

القسم الثاني من الاحباط أن يكون العمل المحكوم عليه بالحبوط إنما أخل فاعله ببعض شروطه اللازمة أو لم يوقعه على الوجه المأمور به عليه أو فعله لا على بصيرة ، ويقين ، بل على ظن وتخمين ، فمثل هذا العمل يقال إنه

١ - في ض : انه لا يعرض بعده تعالى فيما يأتمن به الله تعالى .

انحبط وأحبط ، بمعنى أنه لم يقع على الوجه المرتضى ، بحيث يستحق على شيء ، لأنه استحق ثم أبطل ، وكل ما ورد في الآي والآثار في الاحباط ، فمجمول على هذا القسم الأخير ، دون الأول لقيام الدلالة على امتناع ذلك .
سؤال : كيف قال عليه السلام ورجما بظن غير مصيب .

وقد قال تعالى : ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ، قلنا يحتمل أن يريد بظن غير مصيب أي غير واصل هو بذلك الظن نفعا ، أو كان الظن غير صائب ، لأن مظهره قوله لأغوينهم وغواية من غوى إنما كان من قبل نفسه وإختياره من غير أن أجبره إبليس عليها ، وكان ظنه أن الغواية يحصل باجباره خطأ وغير بعيد أن يكون قوله غير مصيب منصوبا على الحال أي فعل إبليس ما فعل غير مصيب في فعله .

قوله عليه السلام : أمرا تشابهت القلوب فيه .

انتصابه بفعل مضمرب يدل عليه ما قبله ، من قوله أعنتقوا في حنادس جهالته أي ابتدعوا وأحدثوا أمرا .

ولا يكون النعمة عليكم أضدادا : أي لا تفعلوا أفعالا تستوجبوا بها النقم التي بها أضداد النعم^(١) ، فكأنه قال : أنتم محال نعمته ، فلا تصيروا بمعاصيكم محال أضداد نعمه التي هي نقمة .
ولا لفضله عندكم حسادا .

الحسد : ارادة زوال نعمة الغير ، ومن فعل ما يوجب زوال النعم عنه فكأنه حاسد لنفسه .

شيطان الردهة : يريد الخارجي الذي يقال له ذو الثدية وقيل : ذو اليدية واسمه ترملة ، ويقال ابن عرقوص بن زهير البجلي قتله أمير المؤمنين فيمن قتل

١ - في ض : لا تستوجبوا بها النقم التي هي أضداد النعم .

من الخوارج يوم النهروان^(١) وقد أخبر بحديثه رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال فيهم المخدج رجل اسود له ثدي كثندي المرأة فيها حلمة وفي الحلمة^(٢) شعرات كأنها هلبة^(٣) سنور ولا رآه النبي صلى الله عليه وآله ، قال : هذا أول قرن من قرون الشيطان اطلع في أمتي .

* * *

١ - نهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الا على متصل ببغداد وكان بها وقعة لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب مع الخوارج قال ياقوت : كان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقاتل بعضهم بعضا في ايام السلجوقية .

قال : وكان ايضا في ممر العساكر فجلا عنه أهله واستمر خرابه ، وقد استشام الملوك ايضا من تجديد حفر نهره وزعموا انه ما اسرع احد فيه الامات قبل تمامه وكان قد شرع فيه نهروان الخادم وغيره فمات وبقى على حاله وكان من اجل نواحي بغداد وأكثرها دخلا واحسنها منظرا وابهاها مغيرا .

٢ - حلمة الثدي : رأسه .

٣ - الهلبة : الشعر ، وقيل هو ما غلظ من شعر الذنب وغيره .

٢٣٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لعبد الله بن عباس ، وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يَا أَبْنَ عَبَّاسَ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أَقْبَلُ وَأَذْبِرُ: بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا^(١).

الشرح

شرح الزيادات :

ينبع من قرى المدينة^(١) وهتف س : الخلافة ذكرهم أنه أولى بالخلافة ،
وأنه يجب أن يبايع عليها ، والهتف : الصوت يعني لما علم عثمان حرص الناس
على خلعه وبيعة علي عليه السلام أراد أن يغيب عليّ طمعا في أن ذلك يسكن
الناس مما هم فيه .

والناضح البعير يستقى عليه والنضح الرش ، والغرب الدلو العظيمة وهو
مثل يضرب لمن ينقاد لغيره غاية الانقياد قال العباس بن مرداس :
اراك إذا قد صرت للقوم ناضحا • يقال له بالغرب أقبل وأدبر

• • •

١ — ينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضموما وعين مهملة قرية غناء وواديها يصب في غيضة هي عن يمين
رضوى لمن كان منحدرا من المدينة الى البحر وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الانصار وجهينة وليث
وفيها عيون عذاب غزيرة وبها وقوف لعلي بن ابي طالب عليه السلام .

٢٣٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ (في كلام طويل).

قال الشريف : قوله عليه السلام «فأطأ ذكره» من الكلام الذي رمى به إلى غايته الإيجاز والفصاحة ، أراد إني كنت أعطي خبره ، صلى الله عليه وآله وسلم من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع ، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

الشرح

قوله عليه السلام: أتبع مأخذ رسول الله .
أي اسلك الطريق الذي أخذ النبي صلى الله عليه وآله في سلوكه
واقتفي أثره .

فاطأ ذكره: أي لا أتجاوز ما ذكره لي وأوصى به من كيفية سلوك
الطريق إلى المدينة احترازاً من قريش أو أراد الأزم ذكره ملازمة، سالك
الطريق ما يطأه من مسلكه، أي لم أغفل عن ذكره قط .
والعرج: منزل في طريق مكة .

* * *

٢٣٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنشُورَةٌ،
وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسَىءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ
يَخْمَدَ الْعَمَلُ^(١)، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ
بَابُ التَّوْبَةِ^(٢)، وَتَضَعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ أَمْرًا مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ،
وَمِنْ فَنٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، أَمْرًا خَافَ اللَّهُ، وَهُوَ مُعَمَّرٌ
إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرًا لَجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا،
وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَقَادَهَا
بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

١ - في ك ول : ان يجمد العمل .

٢ - في ش : ويسد ابواب التوبة .

الشرح

قوله وأنتم في نفس البقاء: أي مدة البقاء، وفي الأنفس المحصورة التي ينتضي أعماركم بنفادها أو شبه عمر الانسان في سرعة الانقضاء بالنفس الذي يتنفس به، ويجوز أن يكون من قولهم أنت في نفس من أمرك أي سعة أي أنتم في سعة العمر، والواو للحال.

والصحف منشورة والتوبة مبسطة: لا تطوى الا بموته.

والمدبر يدعى: يعني من الخوف، عن الحق وولاية الدين، فان الله تعالى يدعوه اليه بمواد اللطاف وبكتابه المنزل: وعلى لسان النبي والائمة عليهم السلام.

والمسيء يرجى: أي ينتظر منه التوبة، وسلوك طريق النجاة.

قبل أن يجمد العمل: يعني بالموت فان المرأ اذا مات لا يتوقع منه عمل، كما أن الماء اذا جمد انقطع جريانه، واسناد الجمود الى العمل غاية في البلاغة وآية في تلك الصناعة.

وتصعد الملائكة، أراد الحفظة يصعدون إلى السماء اذا مات من كانوا

معه.

فأخذ امرء من نفسه لنفسه: خبر ومعناه أمر، وكذا، ما بعده أي لياخذ كل امرء من نفسه في الدنيا باستعماله فما خلق لأجله، من العمل للآخرة،

ليكون ذلك ذخرا له يوم فقره وفاقته ، في الآخرة وكذا يدخر في يوم حياته ليوم مماته ، وفي دار فنائه ، وهي الدنيا لدار بقاءه ، ومن منزل يتحول عنه لدار يدوم فيها ، ويغيب عنها امرؤ خاف الله ، هو إما بدل من امرء في قوله أخذ امرؤ او خبر مبتدأ محذوف كأنه لما قال أخذ امرؤ من نفسه ، قيل له من ذلك المرء ، فقال : امرؤ خاف الله أي امرء وهذا الوجه عندي أقرب رحا إلى اسلوب البراعة .

* * *

٢٣٧ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في شأن الحكمين ، واذم أهل الشام

جُفَاءَ طَعَامٍ، عَبِيدَ أَقْرَامٍ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أُوْبٍ، وَتَلَقُّطُوا
مِنْ كُلِّ شَوْبٍ. مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ
وَيُدْرَبَ، وَيُؤَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ.
أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ أَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ،
وَإِنَّكُمْ أَخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا
عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ «إِنَّهَا فِئْتَةٌ فَقَطَّعُوا
أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقًا. فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ
غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمْتُهُ التُّهْمَةَ، فَادْفَعُوا فِي
صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ،
وَخُوطُوا قَوَاصِي الْأَسْلَامِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى؟

الشرح

قوله عليه السلام: جفاة طغام، الطغام أرذال الناس الواحد والجمع فيه سواء.

عبيد أقزام: العرب تكنى عن شرار الناس بأنهم عبيد، وإن كانوا أحرارا، والقوم رذال الناس وسفلتهم والجمع أقزام.

من كل أوب: أي من كل ناحية.

والشوب: الخلط ويدرب: الدربة العادة أي يجعل ذا عادة حسنة بالتهذيب والتأديب.

ويولى عليه: ينصحب^(١) له ولي يقوم بمصالحه.

الذين تبوأوا الدار: أي استوطنوا دار الايمان يعني مدينة النبي صلى الله عليه وآله لأنه دار هجرته.

اختاروا لأنفسهم: أي اختار الشاميون ابن العاص للتحكيم، فيحتال لهم على مقتضى هواهم ومناهم، وأنتم اخترتم أبا موسى الأشعري، وهو عبد الله بن قيس، وهولا يأتي إلا بما تكرهون، وهو شاك أو متهم، وكان يأمرهم بالأمس بقطع أوتار القسي وإغماد السيوف وترك قتال أهل الشام إما شكاً في

١ - اصهب الرجل ولد له الصهب من الاولاد والصهب محرمة لون حمرة او شقرة في شعر الرأس وفي ض: ينصب.

الدين أو ميلا اليهم فعليكم أن تبعثوا بابن عباس فأبوا ذلك وقالوا إنه قريبك ،
يميل اليك .

وحوطوا قواصي الاسلام : أي احفظوا إليهم ما بعد من بلاد الاسلام
وأهلها ، والمهل السكون والمهل : جمع مهلة وروي بهما جميعا .

والصفا : الحجارة الملساء ، ورمي صفاتهم : كناية عن شن أهل الشام
الاغارة على بلادهم ، ورميهم بكل داهية وهذا منتهى باب الخطب ومبدأ باب
الكتب .

* * *

٢٣٨ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ جِلْمُهُمْ عَنْ
 عِلْمِهِمْ، (وظاهرهم عن باطنهم^(١)) وَصَنَّتُهُمْ عَنْ حِكْمِ
 مَنْطِقِيهِمْ: لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ
 الْإِسْلَامِ، وَوَلَايُجُ الْإِغْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَأَنْزَاخِ
 الْبَاطِلِ عَنْ مَقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَابِتِهِ^(٢)، عَقَلُوا الدِّينَ
 عَقْلَ وَعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعِ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ،
 وَرِعَاةَهُ قَلِيلٌ.

١ - ساقطة من ل وش .

٢ - في ل : وانقطع لسانه من منبته .

٢٣٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بحث أصحابه على الجهاد

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُنْهَلِكُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَخْدُودٍ، لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ. فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ، وَأَطْوُوا قُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمَحَى الظُّلْمَ لِتَذَاكِيرِ الْهَمِّ !!

الشرح

قوله عليه السلام: والله مستأديكم شكرا: أستاذيته كذا طلبت منه أداءه يعني أمركم بأداء حقه من الشكر ومورثكم أمره: كما قال تعالى: وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطوؤها^(١)، ويجوز أن يريد بالأمر الملك أي جعلكم ملاكا وملوكا ذوي أمر ونهي، وحل وعقد. وممهلكم في مضمار محدود لتنازعوها سبقه: أي أمهلكم وانظركم في الدنيا بمنزلة الأفراس المضمرة التي تسمن ثم ينقص من علفها قليلا قليلا

إلى ان تضرر ويخف لحمها فيكن اذ ذاك أقدر على العدو والسبق والمضمار
الموضع والمدة التي يضرر الخيل فيها وهي أربعون يوما أي حلافكم في
مضمار أعماركم، فتستعدوا للمسابقة والمنازعة في السبق إلى دار البقاء، أي
جعل الدنيا مزرعة الآخرة، فعليكم باعداد الزاد فشدوا عقد المآزر شد عقد
الازار كناية عن الجد في الأمر والانكماش والتشمير.

واطووا فضول الخواصر: من الطى وهو ضد النشر والخاصرة الشاكلة
والخصر وسط الانسان والفضول الزوائد ووجدت في نسخة صحيحة أظروا
فضول الخواصر، والطر الشق والقطع، ومنه الطرار وطرت يده أي سقطت،
ويقال ضربة فاطر يده أي قطعها وأنذرهما يعني اطووا او اقطعوا من ثيابكم، ما
فضل وزاد على بدنكم، وهو كناية عن المبالغة في التشمير، عن ساق الجد
أيضا لا يجتمع عزيمة ووليمة العزيمة الامر وقطع الرأي على فعل مديدة.

والوليمة طعام العرس يعني إن شرائف الأمور وكرائمها التي يعزم المرء على
تحصيلها لا يتيسر بالسهولة وخفض العيش، بل لا بد فيها من احتمال المشاق
واتعاب النفس وهذا قريب من قوله: لن تنالوا البر حتى تنفقوا^(١)، وقال
يحيى بن اكثم^(٢): لا يدرك العلم براحة الجسم وهكذا سائر صفات الكمال

١- آل عمران: ٩٢.

٢- أبو محمد يحيى بن اكثم بن محمد المروزي، كان قتيها، بصيرا بالاحكام، وهو احد اعلام الدنيا وقد اشتهر
أمره وعرف علمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر اهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم كثير الأدب، حسن
المعارضة.

كان المأمون ممن يبرع في العلوم فعرف من حال يحيى وما هو عليه من العلم والعقل ما اخذ بجماع قلبه حتى
قلّسه قضاء القضاة وتدبير اهل مملكته، ناظره الامام الجواد محمد بن علي الرضا عليهما السلام عند المأمون في
مسائل الحج والنكاح في محضر من الفقهاء والامراء فبهت يحيى وانكسر شوخته.
قد اشتهر يحيى بن اكثم بالفساد وملاعبة الشباب والعلمان وفي ذلك اكثر الشعراء في هجوه قال احمد بن

وغيرها لا يحصل الا بجهد وعناء ثم اكد ذلك بقوله .
 ما أنقض النوم لعزائم اليوم : يعني من عزم في النهار أنه يصل الى
 المنزل يسري الليل فاذا دخل الليل نام فان ذلك يناقض عزمه وامحاء الظلم
 لتذاكير الهمم ، يعني اذا وقب الليل أدرك السارى طوارق الكسل ، وغلب
 على قلبه حب الرفاهية ، فنام ونسى ما قد عزم عليه وهمّ به فيمحي ذلك من
 قلبه .

* * *

→
 ابي نعيم :

يلسوط والراس شر ما رأس
 يرى على من يلسوط من باس
 مثل جرير ومثل عباس

أميرنا يرتشي وحاكمنا
 قاضي يرى الحد في الزنا ولا
 يحكم للامرد العزيز على
 وف ذلك يقول راشد بن اسحاق الكاتب :

فاعقبنا بمد الرجاء قنوط
 وقاضي قضاة المسلمين يلسوط
 قلت : اخباره كثيرة وفضائحه ومفاسده مذكورة في الاغاني ووفيات الاعيان وتاريخ بغداد وغيرها من كتب

وكنا نرجى ان نرى العدل ظاهرا
 متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها

التراجم .

باب المختار من كتب مولانا امير المؤمنين عليه السلام
إلى أعدائه وأمرائه بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله، ووصاياهم لأهله
وأصحابه

١- من كتاب له عليه السلام

لأهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبَّهَةَ
الْأَنْصَارِ وَسَتَامِ الْعَرَبِ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ
كَعْيَانِهِ ؛ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
أَكْثَرَ اسْتِعْتَابَهُ، وَأَقْلُ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ (١)
سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ جِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ
عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةٌ غَضِبَ، فَأُيِّحَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ (٢)، وَبَايَعَنِي النَّاسُ

١- في م : أكثر يسرها .

٢- في ب ول وش : فقتلوه .

غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ،
 وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ^(١) ، وَقَامَتِ الْفِئْتَةُ عَلَى الْقُطْبِ ؛
 فَأَسْرَعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليهم ، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ^(٢) بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ،
 أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ؛ فَقَدْ
 سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

باب الكتب والرسائل

قوله عليه السلام : جبهة الانصار .

الجبهة من الناس ، الجماعة وجبهة القوم ، وجههم^(٣) ، سيدهم ، ووجه

السلعة خيارها .

وسنام العرب أي أشرافها وأمجادها وأعلاها مراتب .

الوجيف : ضرب من سير الابل ، وفي المثل أو جف فأعجف وقد قال

عثمان حين همّ الناس به ، وفيهم طلحة اللهم لا تحقق أمنية طلحة في

١- في ب : جاشت الرجل .

٢- في ل : عن بيت نبيكم .

الخلافة .

فلتة غضبت : أي غضب^(١) صدر عن غفلة لا عن تدبر كما هو دأب

نواقص العقول .

وأتيح له : أي قدر غير مستكرهين : بخط الرضي بكسر الراء من

استكرهت الشيء بمعنى كرهته ، وبالفتح من استكرهته على كذا أي اكرهته .

قوله جاشت جيش المرجل : إخبار عن الفتن التي كانت في المدينة

من بقايا فتن قتل عثمان وأحداثه ، وجاشت القدر غلت .

١ - في ض : اي غضب صدر عن غفلة .

٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روى أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك ، فاستدعاه وقال له : بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا^(١) وأشهدت [فيه^(٢)] شهودا ، فقال^(٣) شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له .

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَاتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا ، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا ، فَاَنْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ^(٤) ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكْتُبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدَرَاهِمٍ فَمَا فَوْقَهُ^(٥) وَالنُّسْخَةَ هَذِهِ .

٤- في م ول وش : من غير حل لك .

٥- في ض وح وب : فما فوق .

١- في ض وح : كتبت لها كتابا .

٢- في ف ون ول : شهدت شهودا .

٣- في ض وح : فقال له شريح .

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ ^(١) قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ،
 اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَحِطَّةِ
 الْهَالِكِينَ، وَتَجَمُّعِ هَذِهِ الدَّارِ حُدُودِ أَرْبَعَةٍ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ:
 يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَقَاتِ، وَالْحَدُّ ^(٢) الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي
 الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرِيدِي، وَالْحَدُّ
 الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ
 الدَّارِ!!

أَشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرَّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُرْعَجِ بِالْأَجَلِ،
 هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالذُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ
 وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أُدْرِكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى ^(٣) مِنْ دَرَكِ
 فَعَلَى مُبَلِّلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ
 مُلْكِ الْفِرَاعِنَةِ، مِثْلِ كَسْرِي وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعِ وَجَمِيرَ، وَمَنْ
 جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى ^(٤) وَشَيْدَ، وَزَخْرَفَ
 وَنَجَّدَ، وَأَدَّخَرَ وَأَعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَالِدِ؛ إِشْخَاصُهُمْ
 جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ،
 إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْمُبْطِلُونَ) شَهِدَ
 عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَشْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ
 الدُّنْيَا.

١- في ب : من عبد قد ازعج .

٢- في ب : والثاني .

٣- في ض وب : فيما اشترى منه من درك .

٤- في ب : فاكثر فشيده .

الشرح

قوله عليه السلام : هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل إلى آخره .

المردى : المهلك ، والمغوى : الموقع في الغواية .

يسرع : أي يفتح أزعجه : أقلقه أدرك : لحق والدرك : التبعة .

مبيليل الأجسام : مستاصلها ، يعني الله تعالى : تبيللت الابل الكلاء : اذا تتبعته فلم تدع منه شيئا ، وأول ملك لقب بكسرى من ملوك العجم نوشروان وقيل : كسرى معرب خسرو ، وقيل : معنى كسرى الملك العادل واول من لقب الروم بقيصر قسطس ومعنى قيصر شق عنه وذلك ان امه ماتت وهي حبلى فشق بطنها عنه واخرج قلبه بقيصر .

ثم قالوا لمن بعده من ملوك هذا البيت القياصرة وكانوا ينزلون رومية ، وتبع اسم الملك الأعظم من ملوك اليمن والأذواء دون التبابعة ، وتبع لقب لمن يملك بلادا كثيرة سوى اليمن ، وسمي بذلك لأن العساكر تبعوه وقيل التبع الفىء ، يعني أنه ظلّ الله ، وظل الأمان ، والأذواء مثل ذي يزن ، وذي حدن وذي رعين وذي المنار ، ملوك لا يملكون إلا اليمن .

أول ملك من ولد قحطان ، هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان شيد البناء ، وطوله ورفعه ، وزخرفته وذهب جدرانه ومجده وزين أرضه بالفرش والنجاد : الوساد .

شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى .

أي إذا كان أسيرا في مخالبا الهوى لم يقبل العاقل الموعظة ، وما تفكر في العواقب ، وقد روي أن بعض أهل الكوفة اشترى أيضا دارا وناول أمير المؤمنين عليه السلام رقا وقال له اكتب لي قبالة الشرى ، فكتب عليه السلام بعد التسمية هذا ما اشترى ميت من ميت دارا في بلدة المذنيين وسكة الغافلين ، الحد الأول منها ينتهي إلى الموت ، والثاني إلى القبر ، والثالث إلى الحساب ، والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار ثم كتب عليه السلام :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها * إلا لمن كان قبل الموت بانيتها
فان بناها بخير طاب مسكنها * وإن بناها بشر خاب ثاويها

* * *

٤- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ
الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِضْيَانِ، فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ
عَصَاكَ، وَأَسْتَعِنْ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنكَ؛ فَإِنَّ
الْمُتَّكَارَةَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ^(١)، وَفُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

٥- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الأشعث بن قيس، وهو عامل أذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُشْقِكَ أَمَانَةٌ،
وَأَنْتَ مُشْتَرَعِي لِمَنْ فَوْقَكَ.

لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ،
وَفِي يَدَيْكَ مَاكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُرَابِهِ حَتَّى
تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا لَاتِيكَ لَكَ وَالسَّلَامُ.

الشرح

ان توائت الأمور بالقوم إلى الشقاق .

أي أذاهم إلى الخلاف والعداوة .

فانهذ : أي نهض ، تقاعس : أي تأخر .

فان المتكارة مغيبه خير من مشهده لأنه عند الحاجة إليه يظهر ما في

قلبه ، ويتعدى شره إلى غيره ، والمغيب والمشهد بمعنى المصدر .

ليس لك أن تفتات السبق إلى الشيء في رعية ، الافتيات افتعال من

الفوت ، وهو السبق إلى الشيء ، من دون إثمار^(١) من يشاور فيه ، وافتات

برأيه : أي استبد وانفرد ، وقد روي بالهمز وروي تفتات أي تقع فيهم بما

يسؤهم وروي تفتات بالقاف أي تخون بسبب طلب القوت ..

ولا تخاطر : أي لا تراهن أولاً توقع نفسك في الخطر .

* * *

٦- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَيَّ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِظَعْنٍ أَوْ بِدَعْوَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَتَى قَاتِلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي- يَا مُعَاوِيَةَ- لَيْسَ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى، فَتُجِنَّ مَا بَدَا لَكَ^(١)؛ وَالسَّلَامُ.

١- في ب و ل : الا ان تجني ما بدالك .

الشرح

قوله عليه السلام : بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر.

كلام قاله عليه السلام : على مقتضى عقيدة القوم مداراة وتقية ، وتقريبا لهم إلى الاجتماع والاتفاق وشق عصا الشقاق ، وإلا فإمامته كانت ثابتة بعد النبي بلا فصل ، بالنص الصادر من النبي صلى الله عليه وآله على ما أفاضت إليه الأدلة اليقينية المستفيضة في مظانها .

والشورى : المشورة .

فتجن ما بدا لك : أي اسند لي ما شئت من ذنب لم أفعله .

• • •

٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِمَالَةٌ
مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمَضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ! وَكِتَابٌ
أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى
فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لِأَغْطَا^(١)، وَضَلَّ خَابِطًا
وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاجِدَةٌ لَا يُشْنَى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا
يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ؛ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا
مُدَاهِنٌ.

١- في ب: هجر لا غطا خابطا.

٨- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى جرير بن عبد الله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَخِمْ مِعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ ،
وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزِيمِ ؛ ثُمَّ خَيَّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ ، أَوْ سَلِيمٍ
مُخْزِيَّةٍ ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ قَانِبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ
بَيْعَتَهُ ، وَالسَّلَامُ .

الشرح

يقال : بدا له رأي أي ظهر موعظة موصلة كأنه وصلها بكلام غيره أو وصل بعضها ببعض .

فهجر لاغطا : الهجر الهذيان واللغظ الصوت والجلبة .

الخارج منها طاعن : أي من خرج من البيعة التي تولاه هو بنفسه وعدها من جملة دينه ، فهو طاعن في الدين .

والمروي فيها مداهن أي المفكر فيها بعد تحققها واستقرارها مصانع خائن ، عندهم .

حرب مجلية : من قولهم أجليته عن وطنه أي أخرجته قهراً أو من قولهم : أجلوا عن القتل : أي انفرجوا فأضاف الفعل إلى الحرب اتساعاً .

وسلم مخزية أي مهينة ، وروي مجزية بإلجيم ، أي كافية والحرب أنث حملا على المحاربة والمسالمة .

فانبذني إليه : أي أرم إلىه بالحرب وبما رامه أي حاربه أو اطرح إليه العهد والمصالحة ، ولا تحاربه ، على توهم بقاء الصلح كقوله تعالى : وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين^(١) .

* * *

٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَاضِرَتِنَا، وَهَمُّوا بِنَا
الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَخْلَسُونَا
الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرِيٍّ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ،
فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وِرَاءِ
حُرْمَتِهِ^(١)؛ مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنْ
الْأَضْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوًا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلِيفٍ
أَيْمَنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَحْمَرَ
الْبَاسُ، وَأَخْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَ بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ
السُّيُوفِ وَالْأَسْنَةِ^(٢)، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ
حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ
ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ

١- في ح : من وراء حومته .

٢- في ب : حر الأسنه والسيوف .

عَجَّلْتُ، وَمَنِيتُهُ اخرت^(١)، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُفَرِّقُ بِي
مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي، الَّتِي لَا يُدْلِي
أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ
يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي
هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ،
وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنِّي غَيْبِكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ
يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا
سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبُ يَسْوءِكَ وَجِدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسْرُكُ لُقْيَانُهُ،
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِيهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: فأراد قومنا قتل نبينا إلى آخره.

الاجتياح: الإهلاك.

وأحلسونا الخوف: أي الزموناها أراد بذلك قريشا حين أخرجوا بني
هاشم من مكة، وحبسوهم في الشعب وحرموا على أنفسهم مكالمتهم
ومبايعتهم ومخالطتهم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها من باب الكعبة، فبعث
الله إليه الأرضة^(٢) حتى أكلتها سوى اسم الله، وصارت يد الكاتب شلاء وهو
منصور بن عكرمة.

١- في ب: ومنيته اجلت.

٢- الأرضة: دويبة تقرض الاخشاب وتعيش في البلاد الحارة.

واضطرونا إلى جبل وعمر: أي الجأونا إلى أمر صعب .

فغزم الله لنا: أي أوجب علينا وحرضنا .

على الذب عن حوزته: أي على الدفع عن ناحية النبي صلى الله عليه

وآله ومن أسلم من قريش .

خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه وعشيرة تقوم دونه .

أي كان من عد الهاشميين من مسلمي قريش خاليا فارغا من هذا البلاء

الذي كان يخص بني هاشم ، لكونهم على عهد من الكفار أو لكثرة عهدهم .

وكافرنا يحامي عن الأصل: يعني كان كفار بني هاشم يذبون أيضا عن

النبي صلى الله عليه وآله بسبب القرابة سوى أبي لهب وابنه .

وأحمر اليأس: أي اشتد القتال ومنه موت أحمر أي شديد وهو مأخوذ

من لون السبع ، على ما مر .

أحجم: أي تأخر .

وأراد من لو شئت ذكرت اسمه: عني به نفسه وأدلى برحمه امت بها

وأدلى بحجته: احتج بها وأدلى بماله إلى الحاكم دفعه إليه .

ولا أظن الله يعرفه: يعني أنه بخلاف ما ادّعاه وأخبر به يعني أنه لم

يكن ، إذ لو كان لعرفه العالم لذاته .

* * *

١٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ
 مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا؛ دَعَاكَ
 فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتَكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ
 أَنْ يَقِفَكَ وَأَقِفُ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنِجٌ^(١)، فَأَقْعَسَ عَنْ
 هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ^(٢) بِكَ، وَلَا
 تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَإِلَّا تَفَعَّلْ أُغْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ
 نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُشْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ
 فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَاللِّمِّ (وَمَتَى كُنْتُمْ يَا
 مُعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ الْأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ
 بَاسِقٍ؛ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ! وَأَحْذَرُكَ أَنْ
 تَكُونَ^(٣) مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفِ الْعَلَانِيَّةِ
 وَالسَّرِيرَةِ.

٣- ساطعة من ف ون .

١- في ن وب : من بمن .

٢- في ب : لما نزل .

وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ قَدَحَ النَّاسَ جَانِباً وَأَخْرَجَ إِلَيَّ،
 وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ،
 وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصْرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ، وَخَالِكَ
 وَأَخِيكَ شَدْخَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ
 أَلْقَى عَدُوِّي! مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْتَحَدَّثْتُ نَبِيًّا؛ وَإِنِّي
 لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكَتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.
 وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ
 وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاظْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ ظَالِماً، فَكَأَنِّي قَدْ
 رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ^(١)
 بِالْأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي^(٢) - جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ
 الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
 وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ.

الشرح

قوله عليه السلام: وكيف أنت صانع إذا انكشفت عنك جلايب ما
 أنت فيه إلى آخره.

أي زال عنك ما تلبست به من زخارف الدنيا.

فاقعس: أي تأخر.

والأهبة: العدة، وشمر: أي جد واستعد.

١- في ش: ضجيج الجمل.

٢- في حاشية ش: يدعونني.

- والمترف : الذي أطغته النعم ، فيطر لذلك .
 تمادى : تفاعل من المدى ، وهو الغاية .
 والغرة : الغفلة ، والأمنية : الطمع .
 قاتل جدك : عني جدًا من قبل الأم ، وهو عتبة بن أبي ربيعة ، ضربه
 عبدة بن الحارث ، فقطع رجله ولم يمت فجاء علي وقتله .
 ونخالك : هو الوليد بن عتبة ، قتله علي عليه السلام .
 وأخيك : هو حنظلة بن أبي سفيان صنو معاوية من أبيه وأمه ، وفي غير
 هذا الكتاب وعمك : وهو شيبة .
 والشدخ : كسر الشيء الأجوف .
 الثائر : الطالب ، حائدة : أي عادلة عن الحق .



١١- وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُو أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسِّكُكُمْ فِي قُبُلِ
 الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ^(١) الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ؛ كَيْمَا يَكُونَ
 لَكُمْ رِذَاءٌ وَدُونَكُمْ مَرَدًّا، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ^(٢) أَوْ
 اثْنَيْنِ، وَأَجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَتَاكِبِ
 الْهَضَابِ؛ لِئَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ،
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ ظَلَائِعُهُمْ،
 وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا أَرْتَحَلْتُمْ
 فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَتْكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا
 تَذُوقُوا التَّوَمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً.

١- في ب : وسفاح الجبال .

٢- في ض وح وب : من وجه واحد او اثنين .

الشرح

قوله عليه السلام : فاذا نزلتم بعدوا إلى آخره .
 في قبل الأشراف : أي قدام الجبال العالية وسفح الجبل حضيضه
 وأسفل .

وأثناء الأنهار : منعطفاتها ، والمعسكر : موضع العسكر ، وهو الجيش
 العظيم .

والمقاتلة : بفتح التاء المصدر وبكسرهما الفرقة أو الجماعة المقاتلون .
 وصياصي الجبال : أعاليها والصياصي الحصون ، وصياصي البقرقرونها .
 والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض .
 والعيون : الجواسيس .

واجعلوا الرماح كفة : أي كفاحا أو ما يكفون به وتدفعون ، أو مجموعة
 محفوفة بها أنفسكم ، فقيل : أي لتكن الرماح حولكم ككفة الميزان وكفة
 الصائد وما أشبهها .

والغرار : النوم القليل .
 ومضمضمة : أي تحريكا للأجفان وتمضض النعاس في عينه تحرك .

١٢- وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له
 اتقِ اللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ،
 وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوَّزِ النَّاسِ، وَرَفِّقْ فِي
 السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوْلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَقَدَّرَهُ
 مُقَامًا لَا ظَعْنًا، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ
 يَنْبَطِحُ^(١) السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ؛ فَسِرْ عَلَى بَرَكَتِهِ
 اللَّهُ، فَإِذَا لَقَيْتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَدُنْ مِنْ
 الْقَوْمِ دُنُو مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعِذْ مِنْهُمْ تَبَاعِذَ
 مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ
 شَنَاثُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

١- في حاشية ن: حتى ينسلخ السحر وفي ل وش: ينتطح السحر.

الشرح

- قوله عليه السلام : ومن وصيته لمعقل الرياحي حين أنفذه إلى الشام .
 ع — الذي يوجد في التواريخ أنه عليه السلام بعث معقلا^(١) إلى حرث
 الخارجي برام هرمز^(٢) ولم يوجد في التواريخ أنه بعثه إلى الشام .
 البردان والأبردان : الغداة والعشي .
 وغور بالناس : أي أنزل بهم ليغوروا أي ليقتلوا ، والغائرة الظهيرة .
 وروح ظهرك : أي ظهر ما تركبه من خيلك وإبلك أو ظهر نفسك
 لتستريح^(٣) من تعب السفر .
 ورفه في السير : أي هون عليك وعلى دابتك ، وروح ولا تتعب .
 وجعل الله الليل سكنا : أي يسكن فيه .
 الظعن : الارتحال ، ينبطح : أي يتسع .
 يتفجر : أي ينشق ، ينشب : يعلق .



١ — معقل بن قيس الرياحي من امراء جند الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وجهه علي بن ابي طالب من المدائن في ثلاثة آلاف وأمره ان يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة عند مسيره إلى صفين ، وكان معقل معه في حرب الخوارج وله حروب معهم مذكورة في كتب التواريخ .

٢ — رام هرمز رام بالفارسية : المراد المقصود وهرمز احد الاكاسرة ومعناها مقصود هرمز وهي مدينة بخوزستان تجمع النخل والجوز والارتنج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان .

٣ — في الأصل : لم تريح من تعب السفر .

١٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ
الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَأَجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنًّا؛ فَإِنَّهُ
مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهَيْئُهُ، وَلَا سَقَطْتُهُ وَلَا بُظُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ
أُخْزِمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُظَاءُ عَنْهُ أُمَثَلُ.

الشرح

ج- حث أمير المؤمنين عليه السلام مالك بن الحارث الأشرى إلى أهل الرقة^(١) بلدة بالشام حين قطعوا الجسر، ولم يتمكن أمير المؤمنين مع عسكره^(٢) من العبور، والأميران اللذان بعثهما على مقدمة العسكر هما زياد ابن النضر^(٣) وشريح^(٤) بن الهاني، ثم أرسل إلى أثرهما مالك^(٥) الأشرى.

الحيز: الناحية وأصله من حاز أي جمع والحزم، الأخذ بالثقة.

أمثل: أي أحسن، وأخبر.

• • •

- ١ - الرقة بفتح أوله وثانيه وتشديده وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي.
- ٢ - في ض: مع عساكره.
- ٣ - زياد بن النضر الحارثي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أرسله مع شريح بن هاني في أربعة آلاف إلى معاوية قبل خروجه من النخيلة إلى صفين.
- ٤ - شريح قاضي الكوفة هو الذي استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع القضاء ثم استعفى الحجاج فعفاه ولزم منزله إلى أن مات سنة سبع وثمانين وله أخبار وحكايات نادرة.
- ٥ - مالك بن الحارث النخعي المجاهد في سبيل الله والسيف المسلول على أعداء الله الذي مدحه سيد أولياء الله كان حارثاً شجاعاً ورئيساً من أكابر الشيعة وعظماؤها شديد التحقق بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، وكان نصيحاً شاعراً وجواداً حليماً.

١٤ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُوكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُصِيبُوا مُعُورًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَبْنَ أَمْرَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لِنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتُ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ ، فَيُعَيِّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

الشرح

قوله عليه السلام : لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم بالقتال .

يجب على الامام أن يدفع أهل البغي ويجهز الجيش^(١) إليهم ويدعوهم إلى الجماعة ويعرض أولا عليهم التوبة ، وإذا انهزم أهل البغي فلا يجوز أن يقفوا الامام أثرهم ، ولا من تتبع الامام ، ولا يقتل المجروحون فان الغرض من هذا القتال دفع شرور أهل البغي وبالجرح يحصل الدفع ، فلا يحتاج إلى القتل وقد يقتل المجروحون إذا كان لهم مقدم ، ومتبوع يؤون إليه .

كانت الهزيمة : أي هزيمة العدو، معورا : أي مريبا أي لا تقتلوا إلا من تقطعون أنه من جملة الأعداء وربما تختلط الجيشان ولا يتعارفان ، وقيل هو من أعور الفارس إذا ظهر للخصم فيه موضع ، للضرب ، أو انهزم أي إذا أمكنك قتل منهزم في حال إنهزامه ، فلا تقتله .

ولا تجهزوا على جريح : أي لا تتمنوا قتله .

ج — هذه الوصية لعسكره لا يجوز أن يكون بصفين ولعلها كانت بالجمل لأن هذه الأحكام التي أمر بها يختص بالبغاة الذين لا يكون لهم رئيس ، وفئة يرجعون إليه ، فلا يجهز على جرحاهم ، ولا يتبع مدبرهم ، وأما إذا كان لهم رئيس فكل الأمرين جائز فيه .

ولا تهيجوا النساء : أي لا تثوروا غضبهن .
 وإن كان الرجل ليتناول ، إن هي المخففة من الثقيلة ، والاسم مقدر ،
 وكذلك في أن كنا .
 والفهر : الحجر ، ملاً الكف يذكر ويؤنث والجمع الأفهار ، وتصغيرها
 فهيرة ، ومنه سمي عامر بن فهيرة^(١) .
 والهراوة : العصا ، والعقب : ولد الرجل ذكراً وأنثى .
 قوله عليه السلام وعقبه من بعده : عطف على الضمير المستكن في
 يعبر ، وجاز ذلك ، وحسن من غير إبراز الضمير للفصل الذي هو بها ، ولو لا
 هو ، لما حسن كما قاله الفارسي^(٢) الفارس في ميدان النحو في قوله تعالى :
 « ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا^(٣) » إن الفصل بكلمة لا حسن ترك إبراز
 الضمير .



١ - عامر بن فهيرة مولد أبي بكر يكتني أبا عمرو ، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم ،
 أسلم وهو مملوك وكان حسن الإسلام وعذب في الله فاشتراه أبو بكر فاعتقه ، شهد عامر بدرًا واحدًا وقتل يوم بدر
 معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة .

٢ - أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي الفسوي الفارسي ، فارس ميدان العلم والأدب قدم بغداد
 واشتغل بها سنة ٣٠٧ وكان إمام وقته في النحو ، وأقام مجلب عند سيف الدولة مدة وجرت بينه وبين المتنبّي
 مجالس وصنف كتباً كثيرة واشتهر ذكره في الأفاق مات سنة ٣٧٧ .

٣ - الانعام : ١٤٨ .

١٥ - وكان يقول عليه السلام

إذا لقي العدو محاربا :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْتَاقُ، وَشَخَّصَتِ
 الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأَنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ.
 اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَّانِ^(١)، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشْتُّكَ
 أَهْوَائِنَا (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْفَاتِحِينَ).

١ - في ب ول : مكنوم الشنآن .

الشرح

اليك أفضت القلوب : يعني بأسرارها .

ومدت الأعناق : ذلا وانقيادا .

وشخصت الأبصار : ويقال شخص بصره أي ارتفع بفتح عينه ، وجعل لا

يطرف عند ورود أمر على الناس بقلقلة^(١) .

وانضيت الأبدان : هزلت .

وصرح مكنون الشنان : ظهر مستور العداوة .

وجاشت مراجل الأضغان : في غاية البلاغة أي اشتد الغضب والغضب

هو غليان دم القلب ، إرادة للانتقام ، فشبه ذلك بارتفاع ما في المرجل^(٢)

بالغليان .

وتشت الأهواء : اختلاف الارادات والدواعي وتفرقها .

واقطع : أي احكم ، والفتاحة الحكومة .

* * *

١ - القلقة : الحفة والاسراع وتقلقل في صدره : أي تتحرك بصوت شديد واصله الحركة والاضطراب .

٢ - المرجل : القدر وخزان الماء في الآلات البخارية .

١٦ - وكان عليه السلام يقول

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْنُكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا
 حَمَلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا،
 وَأَذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الظَّغَنِ الدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ،
 وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَظْرَدُ لِيْلْفَشَلِ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ،
 وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ أَسْتَسَلَّمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ،
 فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ!!

الشرح

واعطوا السيوف حقوقها: أي اضربوا بها ضربا لا ابقاء فيه ولا (١) محاباة .

ووطنوا للجنوب مصارعها: أي استعدوا للقتل وطيّبوا أنفسكم له بحيث لا تبالون به ولا تخافون منه .

واذ مروا أنفسكم: حرّضوها .

على الطعن الدعسى: الدعس الطعن الذي له أثر، وطريق دعس كثير الآثار، وقيل دعست الوعاء أي حشوته أي طعن يحشو الاحشاء .

وضرب طلحف: بزيادة اللام مثل خنجر أي شديد والطلحف همّ يغشى القلب، وادخل ياء النسب في الكلمتين للتحقيق والتمكين، كما يقال للشوب المحمر جدا ثوب احمرى وقال الشاعر:

والدهر بالانسان دقاري .

أي دقار .

وأमितوا الأصوات: الزموا السكوت، فانه يسكن القلوب، ويقارنه الهيبة، ثم اقسام أن البغاة ما أسلموا حقيقة ولا دخل الايمان في قلوبهم لكن اظهروا الشهادة خوفا .



١٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا ظَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا
 مَنَعْتُكَ أَمْسَ، (وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا
 حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ» أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ،
 وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى ^(١) النَّارِ). وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ
 وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ
 أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.
 وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّا بَنُو عَبْدٍ مَتَافٍ» فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ
 أَمِيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُظَلِّبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي
 طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالظَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا
 الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ
 خَلْفًا يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ،
 وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا،

وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ
 إِمًّا رَغْبَةً وَإِمًّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ
 الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ،
 وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً .

الشرح

قوله عليه السلام : واما طلبك الى الشام فاني لم اكن لأعطيك اليوم ما
 منعتك أمس .

حدثني مولاي وسيدي الشيخ الأمام الأجلّ الأفضل العلامة نصيرالدين ،
 ظهير الاسلام ، عمدة الحق شمال^(١) الأفاضل عبد الله بن حمزة الطوسي أدام
 الله ظلّ سموه وفضله للاسلام وأهله ممدودا ومشروع نكته وفوائده لعلماء العصر
 مشهود اقرأت عليه بسافزوار^(٢) بيهق ، في شهور ثلاث وسبعين وخمس مائة ،
 عن الشيخ الأمام عفيف الدين محمد بن الحسين الشوهاني سماعا عن شيخه
 الفقيه ، علي بن محمد القمي ، عن شيخه المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن
 علي المقرئ الرازي ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي .

عنه عن الشيخ الامام جمال الدين أبي الفتوح الرازي صاحب التفسير
 عن المفيد عبد الجبار أيضا ، وعنه عن السيد الامام الشريف أبي الرضا
 الراوندي عن الحلبي : عن جعفر ، وعنه عن الشيخ الامام عمادالدين

١ - الشمال : الملجأ والغياث وقيل هو المطعم في الشدة وفي شرابي طالب يمدح النبي صلى الله عليه وآله :
 وإبيض يستسقي الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للارامل
 ٢ - سبزوار بفتح السين وسكون الباء وبعدها زاء بلدة مشهورة بخراسان وهي قصبة كورة بيهق ذات بساتين
 وقرى كثيرة عامرة تعد اليوم من امهات بلاد خراسان بينها وبين مشهد الامام الرضا نحو اربعين فرسخا خرج
 منها جماعة من أهل العلم والادب قديما وحديثا .

محمد ابن أبي القاسم الطبري عن الشيخ الامام ابي علي بن أبي جعفر الطوسي عن أبيه قال .

حدثني الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الحارثي ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب^(١) ، حدثنا الحسن بن علي بن عبد الكريم^(٢) ، حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي^(٣) ، حدثنا عبد الله بن أبي هاشم^(٤) ، حدثنا عمرو ابن ثابت^(٥) ، عن جبلة بن سحيم^(٦) عن أبيه قال :
لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه أن معاوية قد توقف في إظهار البيعة له ، وقال إن أقرني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته ، فجاء المغيرة بن شعبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : يا أمير المؤمنين ! إن معاوية من قد علمت ، وقد ولاء الشام من كان

١ — علي بن محمد ابوالحسن الكوفي كان فقيها من وجوه الشيعة وله كتاب في الامامة .

٢ — لم نجد له ذكرا في كتب رجال الحديث .

٣ — ابراهيم بن محمد الثقفي عن يونس بن عبيد قال ابن ابي حاتم هو مجهول وقال البخاري لم يصح حديثه ، قال ابن حبان في الشقاة ابراهيم بن محمد الثقفي يروي عن هشام بن عروة وروى عنه سعيد بن ابي ايوب وقال ابن عدي : ابراهيم بن محمد الثقفي عن يونس بن عبيد لم يصح حديثه .

٤ — لم نجد عبد الله بن ابي هاشم في كتب الرجال ولمه عبد الله بن هاشم بن حيان ابو محمد الرازكاني الذي روى عن ابن عيينه ويحيى القطان ووكيع وغيره وحج سنة ٢٠١ وكان معروفا بطلب الحديث ورحلوا اليه وكتبوا عنه .

٥ — عمرو بن ثابت بن هرمز ابو محمد البكري روى عن أبيه وابي اسحاق السبيعي والاعمش وغيرهم ، وروى عنه ابو داود الطيالسي وسهل بن حماد وعيسى بن موسى غنجار ، قال ابن المبارك لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فانه كان يسب السلف قال ابو حاتم كان شديد التشيع وهو الذي قال : لما مات النبي صلى الله عليه وآله كفر الناس الا خمسة قال الساجي كان ينال من عثمان ويقدم عليا على الشيخين .

٦ — جبلة بن سحيم الشيباني ابو سيرة ويقال ابو سيرة الكوفي روى عن ابن عمرو ابن الزبير وحظلة الأنصاري ، وعنه ابو اسحاق الشيباني والثوري وحجاج بن ارطاة ، كان امام مسجد قبا وله صحبة ، كسب حسن الحديث وقال العجلي والنسائي ثقة وقال ابو حاتم : ثقة صالح .

قبلك فوله أنت كيما ينسق عرى^(١) الأمور، ثم اعزله إن بدالك .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه ، قال : لا ، قال : لا يسألني الله عزوجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة^(٢) سوى أو ما كنت متخذ المضلين عضدا لكني أبعث إليه فأدعوه إلى ما في يدي من الحق ، فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فإن أبي حاكمته إلى الله فولى المغيرة^(٣) وهو يقول : فحاكمه ، إذن فحاكمه اذن ، وأنشاء يقول :

نصحت عليا في ابن حرب نصيحة * فرد فما منى له الدهر ثانية
ولم يقبل النصح الذي جثته به * وكانت له تلك النصيحة كافية
وقالوا له ما أرخص النصح كله * فقلت له إن النصيحة غالية
فقام قيس بن سعد^(٤) رحمه الله وقال : يا أمير المؤمنين ! إن المغيرة أشار إليك بأمر لم يرد الله به ، فقدم فيه رجلا وأخرفه أخرى ، فإن كان لك الغلبة تقرب إليك النصيحة ، وإن كانت لمعاوية تقرب إليه بالمشورة ، ثم انشأ في

١ — يعني تمت بيعتك وخلافتك وخضعت اعناق المنافقين والمستكبرين ، وبايعت لك جميع البلاد .

٢ — في ض : ليلة سوداء ابدا ما كنت .

٣ — المغيرة بن شعبة بن أبي عامر أبو عيسى الثقفي شهد الحديبية وما بعدها ، قال ابن سعد : كان يقال له مغيرة الرأي وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية . ولاء عمر بن الخطاب البصرة فلما شهد عليه عنده عزله ، ثم ولاء الكوفة واقره عثمان عليها ثم عزله ، وولاه معاوية الكوفة ، وهو الذي اشار الى معاوية بولاية العهد ليزيد وقصته مع ابي بكر وشهادته على المغيرة معروفة ، مات سنة ٥١ .

٤ — قيس بن سعد بن عبادة أبو عبد الله الحنظلي الأنصاري المدني ، قال أنس بن مالك : كان قيس بن سعد من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير روى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أبيه ، روى عنه أنس وعبد الرحمان وعامر الشعبي وغيرهم .

قال الحميدي : كان قيس بن سعد رجلا ضخما جسيما وكان اذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض ، وفي منهج النبال قيس بن سعد من السابقين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مشكور ، قال خليفة توفى بالمدينة في آخر خلافة معاوية وقال ابن حبان سكن تفلنس ومات بها في ولاية عبد الملك .

ذلك أبياتا .

الطلاق : من يؤسر ثم يمنّ عليه فيطلق ، فكان معاوية وأبوه من الطلقاء^(١) .

واللصيق والمصلق الدعوي ، وهو من ينسب إلى قوم ولم يكن منهم .

والصريح : الخالص النسب .

وأدغل في الأمر : أدخل فيه ما يخالفه ويفسده .

نعشنا : رفعنا ، على حين : فان الظرف إذا اضيف إلى الجمل سيما إلى

الفعل الماضي فانه يبنى على الفتح ووجهه مذكور في الدرر .

* * *

١- الطلقاء : أهل مكة من قريش وغيرهم ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله لما فتح مكة واستقر بها ، وصار أهلها عبيد واماء له ، فخطب الناس وقال : اذهبوا وأنتم الطلقاء .

١٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة

وَاعْلَمُ^(١) أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ فَحَادِثُ
 أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَأَخْلَلُ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ .
 وَقَدْ بَلَغَنِي تَتَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنَّ
 بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخِرُ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ
 يُسَبِّقُوا بَوْغِي فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَارَ جِمَا مَاسَّةً ،
 وَقَرَابَةَ خَاصَّةً ، نَحْنُ مَا جُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا ، وَمَا زُورُونَ عَلَى
 قَطِيعَتِهَا^(٢) ، فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ اللَّهُ - فِيمَا جَرَى عَلَى
 لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ؛ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ
 صَالِحِ ظَنِّي بِكَ : وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

١ - في ن وف وم : اعلم ان البصرة .

٢ - في ك : على قطعها .

الشرح

قوله عليه السلام لابن عباس بلغني تنمرّك لبني تميم .
قال الأصمعي تنمرّ له : أي تنكر وتغير وأوعده لأنّ النمر لا يلقاه إلا وهو
متنكر غضبان وقول الشاعر :

قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا (١) وقدّا (٢) .

أي تشبهوا بالنمر لاختلاف القد والحديد ، وحقيقة تنمر تشبه بالنمر في
الشجاعة .

والوغم : الترة (٣) والحقد .

إن لهم بنا رحما ماسة : القرابة بين بني هاشم وبني تميم إن هاشم ابن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وتميم بن مر بن ادبن
طانجة بن إلياس بن مضر .

ومأزورون على قطعها : أصله موزورون لأنه من وزر الرجل يوزر فهو
موزور ، إلا أنه قلب ليجانس ، قوله مأجورون ، ومثله في الحديث ارجعن

١ - الحلق بسكون اللام : السلاح عاما وقيل : هي الدروع خاصة .

٢ - القد بالكسر : السوط وايضا وتر القوس .

٣ - الترة : النقص .

مأزورات غير مأجورات .

واربع على ظلعك : مثل ، أي ارفق بنفسك ويقال : اربع أي أقم في
المربع ، وقال الزمخشري : اربع على ظلعك : أي ابق في غمرك ، قال كثير :
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها يوم العشار استقلت
يضرب في النهي عن التحمل فوق الطاقة ، فقوله اربع فيما جرى على
يدك ولسانك أي توقف وتأن في مثل ما صدر منك ، من التغضب والتنمر
على بني تميم ، وأبو العباس كنية عبد الله بن العباس ، والعرب تدعو بالكنى
تكرمة قال الشاعر :

اكنيه حين أناديه لأكرمه .

ولا يفيلن رأبي فيك : أي لا يضعفن رأبي في حقك .

* * *

١٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكُّوا مِثْكَ غِلْظَةً^(١)
وَقَسْوَةً، وَآخِثِقَاراً وَجَفْوَةً؛ وَنَظَرْتُ^(٢) فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنُوا
لِشْرِكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجَفَّوْا لِعَهْدِهِمْ؛ فَالْبَسَ لَهُمْ جِلْبَاباً
مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِظَرْفٍ مِنَ الشَّدَّةِ، وَدَاوِلَ^(٣) لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ
وَالرَّأْفَةِ، وَأَمْزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ:

٢٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة، وعبد
الله خليفة أمير المؤمنين على البصرة والأهواز وفارس وكرمان.

وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسْماً صَادِقاً لَيْسَ بَلَّغْنِي أَنَّكَ خُتَّتْ مِنْ
فِيءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً
تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ. ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَمِيلَ الأَمْرِ؛ وَالسَّلَامُ.

١- في ش : قسوة وغلظة .

٢- في ف ون وم : وداول بهم .

٣- في ش : فنظرت .

٢١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليه أيضاً

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَأَذْكَرَ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكَ مِنْ
الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنْ
الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَتَّظَمِعُ- وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي التَّعِيمِ تَمْنَعُهُ
الضَّعِيفُ^(١) وَالْأَرْمَلَةُ- أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا
الْمَرْءُ مِجْزِيٌّ بِمَا سَلَفَ^(٢)، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ.

٢٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس رحمه الله

وكان عبد الله يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ، صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانْتِفَاعِي بِهَذَا الْكَلَامِ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ؛
وَيَسُوءُهُ قَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ
آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَافَاتِكَ مِنْهَا ؛ وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ
فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً ، وَمَافَاتِكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً ؛
وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

٢٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله قبل موته على سبيل الوصية ، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ : أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ،
(واوقدوا هذين المصباحين ^(١)) وَخَلَاكُمْ دَمٌ .

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ؛ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ !
إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي ؛ وَإِنْ أَغْفَى
فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ؛ فَاغْفُوا (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ) ؟

وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ؛ وَلَا ظَالِمٌ أَنْكَرْتُهُ ؛
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدٍّ ، وَظَالِمٍ وَجَدَ (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ) .

قال الرضي رحمه الله ، وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من
الخطب ، إلا أن فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره .

الشرح

الدهقان : معرب فان جعلت نونه أصلية صرفته لأنه فعال وإن جعلته من الدهق لم تصرفه لأنه فعلان .
 وداول بهم : من دالت الأيام أي دارت .
 الضئيل : النحيف ، استعارة للأمر الحقيق .
 متمرغ : في النعيم أي منقلب من تمرغ في التراب .
 أقيموا هذين العمودين : أي التوحيد وإتباع سنة محمد صلى الله عليه وآله .

ج— يعني الشهادتين وما يتبعهما .

ع— يعني القرآن والعترة .

وخلاكم ذم : أي جاوزكم وهو مثل ما فجاءني من الموت .

وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته : دليل على مقام عال من مقامات الأولياء فان أولياء الله لا يكرهون الموت^(١) .

والقارب : من يكون بينه وبين الماء ليلة .

* * *

١— في ض : لا يكرهون لقاء الله وهو بالموت .

٢٤ - وَمَنْ وَصِيَّةٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين
هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي مَالِهِ آبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُؤَلِّجَهُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ
الْأَمَنَةَ^(١).

منها: وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: يَأْكُلُ مِنْهُ
بِالْمَعْرُوفِ^(٢)، وَيُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ
حَدَّثَ، وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأُضْدَرَهُ مَضْدَرُهُ.
وَإِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ؛
وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ آبْتِغَاءَ وَجْهِ
اللَّهِ، وَقُرْبَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً
لِوُضْلَتِهِ.

وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى
أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهَدَيْتَهُ لَهُ، وَأَنْ لَا

١ - في ن وش : ويعطيني الامنة وفي ح وب : ليولجه به الجنة ويعطيه به الامنة .

٢ - في ب : وينفق في المعروف وفي ح : وينفق منه المعروف .

يَبِيعُ^(١) مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَدِيَّةً، حَتَّى تُشَكِّلَ أَرْضَهَا
غِرَاساً.

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي الْأَطْفَالِ عَلِيَّهِمْ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ
حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَيَّ وَلَدَهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا
وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ: قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرَّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

قال الرضي: قوله عليه السلام في هذه الوصية «أن لا يبيع من نخيلها
ودية»: الودية: الفسيلة، وجمعها ودي، وقوله عليه السلام «حتى تشكل
أرضها غراسا» هو من أفصح الكلام، والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس
النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه
أمرها ويحسبها غيرها.

٢٥- وَمَنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرنا هنا جملاً منها ليعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل: في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها.

أَنْظِلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَخَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ أَمْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؛ وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لِأَخْذِ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؛ فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا! فَلَا تُرَاجِعْهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَانْظِلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوعِدَهُ، أَوْ تَعْسِفَهُ، أَوْ تَرْهَقَهُ! فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ هَالِكَةٍ؛ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا

تَدْخُلُ^(١) عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيْفٍ بِهِ، وَلَا تُنْفَرَنَّ
بِهِيْمَةً وَلَا تُفْرِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوْعَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَأَصْدَعِ الْمَالَ
صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ
أَصْدَعِ الْبَاقِي^(٢) صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ: (فَإِذَا اخْتَارَ^(٣)) فَلَا تَعَرَّضَنَّ
لِمَا اخْتَارَهُ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءً لِحَقِّ اللَّهِ
فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلَّهُ، (ثُمَّ
أَخْلِظْهُمَا^(٤)) ثُمَّ أَصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ
حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرِمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً،
وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنْنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِيقُ بِيَدِيهِ
رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصَّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ
بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ
مُعْتَفٍ وَلَا مُجْهِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُثْعِبٍ، ثُمَّ أَخْذِرْ إِلَيْنَا مَا
اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرُهُ^(٥) حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِيْنُكَ
فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحْوَلَ بَيْنَ نَاقَةِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يُمَصِّرَ
لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا وَلَا يَجْهَدَ نَهَارُ كُوبًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ
صَوَابَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَهُ عَلَى الْإِلَاجِ، وَلْيَسْتَأْنِ
بِالْتَّقِيبِ وَالظَّالِجِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا
عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ،

١- في ف: فلا تدخلها دخول مفسد.

٢- في ك وح: واصدع المال صدعين.

٣- ساقطة من ن.

٤- ساقطة من ح.

٥- في ض وح وب: عندك حيث امر الله.

وَلِيُثْمِلَهَا عِنْدَ النَّظَافِ وَالْأَغْشَابِ ، حَتَّى تَأْتِينَا ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، بُدْنًا
مُنْقِيَاتٍ ، غَيْرَ مُثْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ ، لِنَتَّقِسِمَهَا عَلَى كِتَابِ
اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ
لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح

وأصدره مصدره : الضميران للأمر ويجوز أن يكون الثاني للحسن عليه السلام ، ومصدره روي بفتح الميم وضمها .

الودي : على فعيل صغار الفسيل^(١) الواحدة ردية .

حتى يشكل أرضها غراسا : يقال أشكل النخل أي طاب رطبه وأدرك وتشكل العنب أነع بعضه .

ولا تخدج بالتحية لهم : أخذجت الناقة أي ألقط ولدها قبل تمام الأيام ، وإن كان تام الخلق وأخذجت السحابة قل مطرها أراد لا تبخل بالسلام عليهم ، ولا تقله بك أفشه .

وإن أنعم لك منعم : أي قال لك نعم .

تعسفه : أي تظلمه ، ترهقه ، تكلفه عسرا وأراد بالماشية الغنم والبقر .

واصدع الباقي صدعين : أي فرقه فرقتين .

والعود : المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل^(٢) .

والهزيمة : الكبيرة السن ، المكسورة : التي انكسرت إحدى قوائمها .

والمهلوسة : التي بها الهلاس وهو السل .

١ - الفسيل : الرديء الرذل من كل شيء .

٢ - البازل من الابل تم ثمانين سنين ودخل في التاسعة وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته .

والعوار^(١) : العيب بفتح العين وقد يضم عن أبي زيد، والظاهر من كلامه عليه السلام أنه يأمر باخراج كل واحدة من هذه الأصناف الخمسة من القطيع قبل أن تفرقها فرقتين .

والمجحف : الذي يسوق المال سوقا عنيفا تذهب لحمه ، يقال ؛ أجحف به أي ذهب به ، وسيل جحاف أي يجرف كل شيء ويذهب به .
والملغب : المتعب ، واللغوب الأعياء .

واوعز إليه ؛ أي مره وظفه .
ولا يمصر لبنها ، أي لا يحلب لبنها كله بحيث لا يترك منها شيئا فانه يضر بولدها قال ابن السكيت : حلب^(٢) كل ما في الضرع ، والتمصر حلب بقايا اللبن في الضرع .

وليرفه على اللاغب : أي ليرج المعبي والترفية الترك في الراحة .
وليستاناً : من الاناة ، وهو الرفق .

والنقب : البعير الذي رق أخفاقه والمنقى ذو النقى وهو المخ .

* * *

١- في ض : العوار: العيب .

٢- في ض : قال ابن السكيت في الراحة حلب الخ .

٢٦- وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله ، وقد بعثه على الصدقة

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ (١) ، حَيْثُ لَا شَهِيدَ (٢) غَيْرُهُ ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرَ ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتَهُ ؛ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَجِبَهُمْ ، وَلَا يَعْضَهُمْ ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفْضُلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ، وَحَقًّا مَعْلُومًا ، وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنَتِهِ ، وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ؛ وَإِنَّا مُوفِّوكَ حَقَّكَ فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ ! وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) ؛ وَبُؤْسًا لِمَنْ خَصَّمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ ،

١- في ش : خفيات اعماله .

٢- في ض وح : حيث لا شاهد وفي ب : حيث لا شهيد غيره ولا دليل .

٣- في ش : يوم القيامة خصوصا .

وَالْمَسَاكِينُ، وَالسَّائِلُونَ، وَالْمَدْفُوعُونَ، وَالْغَارِمُ^(١)، وَأَبْنُ السَّبِيلِ!!
 وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنْزِهُ نَفْسَهُ
 وَدِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا (الدَّلَّ وَالْحُزَى)، وَهُوَ
 فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَحْزَى؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ،
 وَأَفْظَعَ الْغِيْشِ غِيْشُ الْأُمَّةِ؛ وَالسَّلَامُ.

٢٧- وَمَنْ عَهَدَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى محمد بن أبي بكر، رضى الله عنه حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَأَبْسُطْ لَهُمْ
 وَجْهَكَ، وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، حَتَّى لَا يَظْمَعَ
 الْمُعْظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ^(٢) لَهُمْ، وَلَا يَتِيَّاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ
 عَلَيْهِمْ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى^(٣) يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ
 مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ؛ وَالظَّاهِرَةَ وَالْمَسْتُورَةَ؛ فَإِنْ يُعَدَّبُ
 فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَغْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ
 الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ
 الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا
 بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِّي بِهِ الْمُشْرَفُونَ،
 وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ أَنْقَلَبُوا عَنْهَا

٣- في ض وح وب : فان الله تعالى .

١- في ح : والغارمون .

٢- في ف : في حيفك ولا تياس .

بِالزَّادِ الْمُبَلَّغِ، وَالْمَشَجَرِ الرَّابِحِ: أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّمُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَحَظَبٍ جَلِيلٍ: بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ غَامِلِيهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ غَامِلِيهَا؟ وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ^(١) الْمَوْتِ: إِنْ أَقْسَمْتُ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَذَرَ كَكُم، وَهُوَ الزَّمُّ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ! الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِتَوَاصِيكُمْ، وَاللُّدُنْيَا تُظَوَّى^(٢) مِنْ خَلْفِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ: دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ، وَإِنْ أَسْتَظَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ^(٣) بِهِ؛ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكْرَهُ حُسْنَ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ.

وَأَعْلَمُ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْتَادِي فِي نَفْسِي: أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَيَّ نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنِّي^(٤) دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ

٣- في ب : وان يحسن ظنكم فاجمعا .

٤- في ل و ن : وان تنافح في دينك .

١- في ش : وانكم طرداء الموت .

٢- في ف و ش : والدنيا تطوى خلفكم .

خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .
 صَلَّى الصَّلَاةَ لِقَوْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجَّلْ وَقْتَهَا لِفِرَاقِ،
 وَلَا تُؤَخَّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِإِسْتِغَالِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ
 عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ .

وَمِنْ هَذَا الْعَهْدِ أَيْضًا

فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ: إِمَامُ الْهُدَى، وَإِمَامُ الرَّدَى؛ وَوَلِيُّ النَّبِيِّ،
 وَعَدُوُّ النَّبِيِّ. وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:
 «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا: أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ
 اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْتَعُهُ اللَّهُ بِشْرِكِهِ، وَلَكِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ^(١) كُلَّ مُتَافِقِ الْجِنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا
 تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُشْكِرُونَ» .

الشرح

قوله عليه السلام ولا دليل دونه: أي لا حفيظ سوى الله .
 ولا يجبههم: يقال جبهته أي صككت جبهته وجبهته بالمكروه استقبلته
 به، والجبه الرد .

وعضهه عضها: أي رماه بالبهتان .

فان يعذب فانتم أظلم: أي ظالمون لأن أفعال، إنما تدخل على أشياء
 يتساوى ويفصل أحدهما وإنما جيء بلفظ أفعال لأنه لازدواج أكرم قال تعالى:

١- في هامش ن: اخاف عليهم .

وهو أهون عليه، أي هين عليه إذ لا يصعب عليه شيء، ومن فسر الآية بأن الإعادة أهون عندهم من الابتداء، فكذا ها هنا.

والمتجر: الربح: كقوله تعالى: «فما ربحت تجارتهم^(١)».

والموت معقود بنواصيكم: أي لازم لكم وغالب عليكم، قال تعالى: «فيؤخذ بالنواصي والأقدام»، فإن الإنسان إذا أخذ بناصيته لا يمكنه الخلاص.

وأنت محقوق: أي جدير.

وأن تنافع في دينك: يقال نافحت عن خلاف أي خاصمت ونافحوهم مثل كافحوهم.

واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك: إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: أول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات، ومن نقض صلاته فإنه يحاسب عليها وعلى غيرها، وسئل عليه السلام عن أفضل الأعمال، فقال: الصلاة لأوّل وقتها.

أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه: أي يعطف به ألطافاً خاصة يحترز عندها من إغواء الناس وإضلالهم.

* * *

٢٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ اضْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ ؛ وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ ظَفِقتُ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كَتَائِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ ، وَدَاعِي^(١) مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ ، وَزَعَمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْأَسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ! فَذَكَرْتُ أَمْرًا إِنْ تَمَّ^(٢) أَعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وَظَفِيقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرَبَّعُ ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ؟ عَلَى ظَلْعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ

١ - في ض وش وح وب : اوداعي .

٢ - في ب : ان تم .

الْقَدْرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ^(١)! وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى- غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ- أَحَدْتُ- أَنْ قَوْمًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ- مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِدْنَا قِيلَ «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ» وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؟ أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ^(٢) بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ» وَلَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرُ فَضَائِلِ جَمَّةٍ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تُمَجِّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزَّنَا، وَعَادِيَّ طَوْلَنَا^(٣) عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَتَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمِمَّا النَّبِيُّ وَمِثْلُكَ الْمُكَدَّبُ؟ وَمِمَّا أَسَدُ اللَّهِ، وَمِثْلُكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِمَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِثْلُكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِمَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِثْلُكُمْ حَمَالَةُ الْحَطْبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فَأِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ^(٤) اللَّهِ- يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ

١- في ض وح وب ول : لا عادي .

١- في ح وب : وظفر الظافر .

٤- في ك : بالقرآن .

٢- في ض وح وب : بواحدنا ما فعل .

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ أَوْلَىٰ
النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللَّهُ
وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) فَتَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ .
وَلَمَّا أَحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ
بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا ذُنُوبِكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ !
وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ؛ وَعَلَى كُلِّهِمْ
بَغَيْتُ ! فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ
الْعُذْرُ إِلَيْكَ .

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنكَ عَارُهَا *

وَقُلْتُ : «إِنِّي كُنْتُ أَقَادُكُمْ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى
أَبَايَعُ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَدُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ
فَأَفْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ
مَظْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا بِبِقِينِهِ، وَهَذِهِ
حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَضْدُهَا، وَلِكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا
سَتَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ
عَنْ هَذِهِ لِرَجِيمِكَ مِنْهُ، فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى
مَقَاتِلِهِ، أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ؟ أَمِنْ
أَسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَثُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ
عَلَيْهِ؟! كَلَّا وَاللَّهِ : (لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعْوِقِينَ مِنْكُمْ،

وَالْقَائِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا) .
 وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا، فَإِنْ
 كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .
 * وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصَّحُ * (وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِضْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) .
 وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا لِأَصْحَابِي [عِنْدَكَ] إِلَّا السَّيْفُ^(١) !
 فَلَقَدْ أَضْحَكْتُ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِيلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ * لَبَّثُ قَلِيلًا
 يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ * فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ
 مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ
 قَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِلِينَ سِرْبَالَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ
 رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةً، قَدْ
 عَرَفْتُ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أُخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدَّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا
 هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) .

كتابه المعروف الى معاوية الشرح

فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً : أي ستر الدهر وادخر وأخفى لأجلنا أمراً
عجباً يصدر، ويظهر منك .

طفق : أي ظل ببلاء الله يعني بنعمته

وهجر : مدينة بالبحرين كثيرة النخل وهذا مثل ، وقصته أن رجلاً أحرق
من أهل هجر قدم البصرة ، ومعه مال كثير ليشتري به شيئاً للربح ويحمله إلى
هجر ، فلم يجد شيئاً أكسد من التمر فاشترى بماله التمر وحمله إلى هجر
وتلف ما له وفسد التمر في بيوته كذا ذكر الهروي ويروي كبضع التمر .

والنضال : المراماة والمسدد : المقوم بالتعليم أسر أبو سفيان ، ثم من
عليه النبي فأطلقه ، فكان معاوية من الطلقاء .

حنّ قذح ليس منها : الهاء راجعة إلى القذاح ، والقذاح السهم إذا كان
غير مريش^(١) وحنّ أي صوت مستعار من حنين الناقة للقذح ، لأن أحد القذاح
إذا كان من غير جوهرة أخواته ثم أجاله المفيض^(٢) خرج له صوت يخالف

١ - ابرى النبل واريشها : اي انحها : واعمل ريشا .

٢ - جال يجول : اذا دارومنه الجولان في الحرب والافاضة : الزحف والدفع في السير ولا يكون الا عن تفرق
وجع واصل الافاضة : العصب فاستعيرت للدفع في السير .

سائر أصواتها فيعرف أنه ليس من جملة القداح .

قيل أول من قاله عمر بن الخطاب حين قال الوليد بن^(١) عقبة بن أبي معيط أقتل من بين قريش ، فقال عمر : حنّ قدح ليس منها ، يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس منها أويباهي بما لا يوجد فيه ، والواو في والتمييز بمعنى مع .

ألا تربع أيها الانسان على ظلمك : أي ألا تكف رافقا بنفسك ، بان لا تحمل عليها فوق ما تطيق ، والريع الوقوف وحقيقته ألا تقف على ما بك من ظلع وغمز ، أي حقيق بالظالم ، والاعرج أن يقف ولا يباري ، ولا يسابق .
ج — الريع : الرفع أي ألا ترفع ما تقدر عليه مع ظلمك .

قوله عليه السلام : ألا ترى غير مخبر لك .

مفعول ترى قوله إن قوما استشهدوا وغير مخبر منصوب على الحال ، والعامل فيه ما في إلا من معنى التنبيه أي أنبهكم بما أقول غير قاصد إلى أخبارك بل محدثا بنعمة الله ، فان إخبارك بذلك لا يجدى شيئا لانه غير تاجع فيك ، ولأنك تعرفه .

حتى اذا استشهد شهيدنا .

أراد حمزة بن عبد المطلب^(٢) ، والطيّار في الجنة هو جعفر بن أبي طالب

١ — الوليد بن عقبة بن أبي معيط عامل عثمان على الكوفة ، وكان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل ال الصباح ، فلما أذنه المؤذن بالصلاة خرج فصلى بهم اربعا وقال : اتريدون ان ازيدكم ، وقيل : انه قال في سجوده وقد اطال : اشرب واسقني .

شاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ، فهجم عليه الناس فاتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد فزجر عثمان اهل الكوفة واخرجهم ، واتوا علي بن ابي طالب واخبروه بالقصة ، فاحضر عثمان الوليد ، الى المدينة وشهد الشهود ، فالقى عثمان السوط الى علي فضربه الحد ، واخبره كثيرة وفضائله مشهورة .

٢ — حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ابويعلى الهاشمي عم رسول الله صلى الله عليه وآله واخوه من الرضاة وكان اسن من النبي بستين وهو سيد الشهداء ، فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله قد عز وامتنع ثم هاجر الى

ولما قتل حمزة صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أربع عشر مرة ، كلما كبر عليه خمسا حضر جماعة أخرى من الملائكة ، فصلى بهم عليه أيضا وهذا خاص بحمزة عليه السلام لأنه إذا صلى على ميت جماعة فإنه يكره أن يصلى عليه مرة أخرى جماعة ، وحديث جعفر وقتله وطيرانه معروف لا نطول بذكره .

لذكر ذاكر: يعني نفسه عليه السلام لا تمجها : من مج الماء من فيه إذا رمى به ، وهو استعارة عن الرد وترك القبول ، أي لذكرت فضائلي ومناقبي التي لا ينكرها ولا يردها الا مكابر معاند .

من مالت به الرمية : أي الصيد يرمى دخله الهاء لأنه صار في عداد الأسماء أراد أنه مطعون في نسبه وحسبه ، وأنه أزاله عن مقام التفاخر والتنافر مطاعن شهرت فيه .

فانا صنایع ربنا : أي من الذين رباهم الله يفنون تربيته وأمدهم بمواد كرامته وأدخلهم في غمار قوله ولتصنع على عيني وفيه تلويح لا تصريح بانهم المنصوص عليهم من قبل الله تعالى : والمخصوصون بفنون الألفاظ .

عادي طولنا : أي قديم فضلنا وينسب كل قديم الى عاد .
ومنا أسد الله : عنى به نفسه وسماه به رسول الله ، وقيل أراد حمزة بن عبد المطلب .

ومنكم اسد الأحلاف ؛ قيل هو أسد بن خزيمة بن مدرك بن الياس ، لما أجلت خزاعة بن أسد عن الحرم خرجت فخالفت طيبيا ثم بني فزارة فسميت

→ المدينة وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء عظيما مشهورا .

قال المدائني : اول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية الى سيف البحر من ارض جهينة وقاتل يوم بدر بسيفين وشهد احدا وقتل من المشركين احدا وثلاثين نفسا ، وعشر عشرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه بحر به فاستشهد رضوان الله عليه .

بذلك وقيل هو اسد بن بن ربيعة بن نزار، وقيل لعتبة بن ربيعة أسد الأحلاف وقيل هو أسد بن عبد العزى والأحلاف هم عبد مناف وزهرة وأسد وتيم والحارث بن فهر.

ومنا سيدا شباب أهل الجنة : وهما الحسن والحسين عليهما السلام .
ومنكم صبية النار: أراد صبية عقبة بن أبي معيط قال النبي صلى الله عليه وآله ، ولك^(١) ولهم النار، وقيل هم ولد مروان بن الحكم كانوا صبية عند إخباره عليه السلام وصاروا أهل النار عند البلوغ بكفرهم .
ومناخير نساء العالمين : يعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنكم حمالة الخطب : هي أم جميل أخت أبي سفيان .
وجاهليتنا لا تدفع : أي كان لنا قبل ظهور الاسلام آباء كرام وأمهات طاهرات لم يتلوثوا برذائل الاخلاق ولم يتدنسوا^(٢) بتقايس الأعراق^(٣) ،
وروي أن جعفر بن أبي طالب عليه السلام لما أسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله : إن الله يشكر لك ثلاث خصال في الجاهلية ما هي ؟ فقال يا رسول الله ما زنت قط لأنني قلت في نفسي ما لا يرضاه الانسان لنفسه لا ينبغي أن يرضى لغيره ، تكرما ، وما كذبت كذبة قط تأثما^(٤) ولا شربت الخمر قط مما لا بد تذهب العقول .

والقرآن يجمع لنا ما شذ : بطريقتين إحداهما بالقرابة كما في الآيتين
والأخرى بالطاعة كما في قوله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الامر

١ - في ض : لذلك ولهم النار .

٢ - الدنس : الوسخ ، وتدنس : صار دنسا .

٣ - العرق من الحيوان : الاجوف الذي يكون فيه الدم والعرق : الاصل .

٤ - تأثم : تجنب للاثم ، يقال : تأثم فلان اذا فعل فعلا خرج به من الاثم .

منكم^(١)، ولما قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير قالت المهاجرون: نحن شجرة رسول الله تفلجوا^(٢) بذلك، وظفروا على الأنصار يقول: إن كان الظفر بذلك حقا فنحن أولى منهم لأننا ثمرة الشجرة والشعر للهدليين، قيل هو لأبي ذؤيب وصدر البيت.

وغيرها الواشون إني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
أي زائل والشكاة الشكاية.

الجمال المخشوش: الذي في أنفه خشاش وهو خشب يدخل في عظم أنفه وانقياده في هذه الحالة في غاية يضرب به المثل.
أعدى له: أي أشد عدوانا.

واستكفه: أي طلب كفه ودفعه وعنى لمن بذل له النصرة لنفسه عليه السلام.

وبمن استنصره افتراخي عنه: معاوية والمعوق^(٣) والمثبط أنقم عليه أحداثا: في معارف ابن قتيبة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله تصدق مهزور^(٤) موضع بسوق المدينة على المسلمين فأقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان، وأقطع فذك^(٥) مروان وافتتح إفريقية فأخذ الخمس

١- التغابن: ٢١.

٢- تفلج: تشقق.

٣- عرق عن كذا: صرفه وأخره عنه وكذلك التثبط وهو أيضا بمعنى التأخر.

٤- مهزور: وادي قريضة قالوا لما قدمت اليهود الى المدينة نزلوا السافلة فاستوبؤوها فبعثوا رائدأهم حتى اتى العالية بطحان ومهزورا وهما واديان يهبطان من حرة تنصب منها مياه عذبة، فرجع اليهم فقال: وجدت لكم بلدا نزلها واودية تنصب الى حرة فتحولوا اليها، فنزل بنوالنضير بطحان وقريظة على مهزور، وكانت المدينة اشرفت على الفرق من سيل مهزور في خلافة عثمان.

٥- فذك: بالتحريك وآخره كاف قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان افاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحا، ولما قبض رسول الله قالت فاطمة سلام الله عليها لأبي بكر ان رسول الله جعل لي فذك فاعطني اياها وشهد لها علي بن ابي طالب وام امين ولها مع ابي بكر في امر فذك مناظرات يطول ذكرها.

فوهبه كله لمروان ، وقد ذكر ذلك عبد الرحمن^(١) بن حسان في شعره :
 وأعطيت مروان خمس العباد * فهيئات شأوك ممن سعى
 وقد يستفيد الظنة المتنصح : صدر البيت .
 وكم اسقت في آثاركم من نصيحة .
 والظنة : التهمة ، والمتنصح : المبالغ في النصيحة .
 فرب ملوم لا ذنب له : مثل قاله الأحنف^(٢) لرجل ، قال بشس الطعام
 التمر والأقط^(٣) ، وذلك لأن الآكل ، لا يكثر أكلها إلا في القحط وخير
 الطعام عندهم الزبد والكمأة^(٤) ، لأنهما يكونان في الربيع والخصب .
 لقد اضحكت بعد استعمار : أي من يسمع كلامك ، هذا من المؤمنين
 يضحك تعجبا بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه يا معاوية .
 ناكلين : متأخرين جبنا وهذا مثل يضرب لمن يهزل بعد الجذ .
 فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل : قيل هو حمل بن بدر رجل من قشير أغير
 على إبل له في الجاهلية في حرب داحس^(٥) والغبراء فاستنقذها ، وقال .

١ — عبد الرحمان بن حسان بن ثابت ابو محمد انصاري خزرجي ادرك النبي صلى الله عليه وآله وأمه سيرين
 القبطية اخت مارية وهبها النبي لايه حسان قيل هو من التابعين ، وكان شاعرا وهو الذي شبب برملة بنت
 معاوية وله في ذلك اشعار واخبار مع معاوية وبنته .

٢ — الاحنف بن قيس واسمه الضحاك بن قيس ابو مجر التميمي السعدي والاحنف لقب له ، لحنف كان
 برجله ادرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره وامه امرأة من باهلة ، وكان الاحنف احد الحكماء الدهاة وكان
 اعتزل من حرب الجمل وشهد صفين مع علي عليه السلام وله اخبار وحكايات مات بالكوفة سنة ٦٧ .

٣ — الاقط : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به .

٤ — الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين .

٥ — داحس والغبراء فرسان مشهوران : داحس فرس لقيس بن زهير العبسي ومنه وقع بينهم حرب داحس
 وذلك انه تراهن قيس وحذيفة بن بدر الذياني على خطر عشرين بعيرا وجعلوا الغاية مائة غلوة والمضمار اربعين
 ليلة فاجرى قيس داحسا والغبراء وهما فرسان فوضعت بنو فزارة ، حذيفة كمينا في الطريق فردوا الغبراء ولطموها
 فهاجت الحرب بين عيس وذبيان اربعين سنة .

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل * لا باس بالموت اذا الموت نزل
وقيل هو حمل بن سعد العشيرة أبو حي من مذحج ، وقد أورده صاحب
المستقضي حمل بالحاء ، وقال هو قوله .

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل * ما أحسن الموت اذا جاز الأجل
قالوا في حمل هو إسم رجل شجاع كان ليست به في الحرب : ولا يبعد
أن يراد به حمل بن بدر صاحب الغبر الضربة يضربه^(١) من ناصره ورآه ، وقيل
أتوعد مالك بن زهير حمل بن بدر (فقال ذلك .

وانا مرقل نحوك : أي مسرع جدًا .

والجحفل : الجيش العظيم .

ساطع قتاهم : أي مرتفع غبارهم^(٢) .

ذرية بدرية : أي أولاد من كان يبدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

والنصال : السيوف ، وأخو معاوية حنظلة وخاله ، الوليد بن عتبة وجده

عتبة كما مر .

وما هي من الظالمين ببعيد : أي منك واتباعك وأشباهك .

* * *

١ - في ض : صاحب الغبراء يضربه من ناصره .

٢ - ساقط في ض .

٢٩ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ،
 فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ
 مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُزْدِيَّةُ، وَسَفَهُ الْأَرَءِ
 الْجَائِرَةِ إِلَى مُتَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَا أَنَاذًا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي،
 وَرَحَّلْتُ رِكَابِي، وَلَيْنُ الْجَائِثُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لِأَوْقَعَنَّ
 بِكُمْ وَقَعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعَقَةِ لَاعِقٍ، مَعَ أَنِّي
 عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ
 مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ.

٣٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَأَرْجِعْ إِلَى
مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذِرُ بِجَهَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَغْلَامًا وَأَصْحَاءَ ، وَسُبُلًا
نَيِّرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهَجَةً ، وَغَايَةً مَطْلَبَةً^(١) ، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ ،
وَيُخَالِفُهَا الْأُنْكَاسُ ، مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي
التِّيهِ ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ ، فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ ،
فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ
أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ
شَرًّا ، وَأَفْحَمَتْكَ غِيًّا ، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكِ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ
الْمَسَالِكِ .

الشرح

قوله عليه السلام وقد كان من إنتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه .
 انتشار الحبل كناية عن التفرق عداوة وبغضا .
 والشقاق : الخلاف لم تغبوا : لم تتغافلوا عنه ولم تجهلوه .
 خطت بكم : أي تجاوزت كلعقة لاعق : كناية عن قلة اللبث واللعق :
 اللبس (١) .

الانكاس : الأردال فنفسك : أي احفظها من غضب الله وعقوباته .
 وأولجتك شرا : أي غلبتك نفسك حتى أوردتك شرا وحقيقة أولجتك
 أوقعتك في الوحل (٢) .

واقحمتك غيا : أي أدخلتك في قحمة (٣) الغي ومهلكة الجهل .
 أو عرت عليك المسالك : أي جعلها صعبة خشنة .

* * *

١ - لحست الشيء الحسه : إذا أخذته بلسانك .

٢ - الوحل : الطين الرقيق فوحل بي فرسي : أي أوقعني في الوحل .

٣ - القحمة : الامور العظيمة والمقدمات : الذنوب العظام التي تقحم اصحابها في النار : أي يلقبهم فيها .

٣١- وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن بن علي عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين
 مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ،
 الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الدَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى،
 وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ
 سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِيْنَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ
 الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَتَايَا، وَأَسِيرِ
 الْمَوْتِ، وَخَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُضْبِ الْآفَاتِ،
 وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ^(١) مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوعِ
 الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي^(٢) عَنْ ذِكْرِ مَنْ
 سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي - دُونَ هُمُومِ
 النَّاسِ - هُمْ نَفْسِي، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَائِي،
 وَصَرَّحَ لِي مَخْصُصُ أَمْرِي، فَأَقْضَى بِي إِلَى جَدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ^(٣)

١- في ب: فاني فيما تبينيت وفي ش: فان مما تبينيت .

٢- في ب: يرغبنني .

٣- في ش: لا يكون معه لعب .

لَعِبْتُ، وَصِدْقِي لَا يَشُوْبُهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ
 كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ
 أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي،
 فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقَيْتُ لَكَ أَوْ قَنَيْتُ .
 فَأَنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ
 بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْتِكَ
 وَبَيْتِ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟؟

أُخِي قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِثُهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ،
 (وَنَوِّزُهُ بِالْحِكْمَةِ^(١))، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّزْهُ بِالْفَنَاءِ،
 وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ
 اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكَّرْهُ بِمَا
 أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ،
 فَانظُرْ فِيَمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا أَنْتَقَلُّوا، (وَأَيِّنْ حَلُّوا^(٢) وَنَزَلُوا) فَإِنَّكَ
 تَجِدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُّوا عَنِ الْأَحْبَةِ وَحَلُّوا دَارَ^(٣) الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ
 عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأُضْلِحْ مَشْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ
 آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعْ الْقَوْلَ فِيَمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيَمَا لَمْ
 تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنِ طَرِيقِ إِذَا خِيفَتْ ضَلَالَتُهُ؛ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ
 حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ
 مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَيِّنْ مَنْ فَعَلَهُ

٣- في ن وب ول : ديار الغربة .

١- ساقطة من ش .

٢- ساقطة من ش .

بِجُهْدِكَ ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَخُضِ الْغَمْرَاتِ ^(١) لِلسَّحَابِ حَيْثُ كَانَ (وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّذْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ ^(٢) عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ ، فِي الْحَقِّ ^(٣)) وَالْحَيْءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ ^(٤) كُلَّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيْزٍ ، وَمَانِعِ عَزِيْزٍ ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعِطَاءَ وَالْحِرْمَانَ ، وَأَكْثَرَ الْإِسْتِخَارَةَ وَتَفَهُمَ وَصِيَّتِي ، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحًا ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

أَيُّ بَنِي ؛ إني لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا ، وَرَأَيْتُنِي أَرْزَادُ وَهِنًا ؛ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَنْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَضْتُ فِي جِسْمِي ، أَوْ يَسْبِقُنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى ، وَفِتْنِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونَ كَالصَّغْبِ النَّفُورِ ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْحَالِيَّةِ : مَا أَلْقَى فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَسْتَفِغَلَ لُبُّكَ ؛ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ ^(٦) مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ ، فَتَكُونَ قَدْ كُفَيْتَ مَوْوَنَةَ

١- في ش : وخض الغمرات الى الحق .

٢- في ض وب ول : نفسك الصبر .

٣- ساقطة من ش .

٤- في ر : امورك كلها .

٥- في ض وب : اوفتن الدنيا .

٦- في ش : من الامور .

الطَّلَب (١) ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ
كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَأَسْتَبَانَ لَكَ مَا رَبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيُّ بُنْيٍّ ؛ إِنِّي - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي -
فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي
آثَارِهِمْ ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ
أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ
مِنْ كَدْرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ
نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ -
حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْني الْوَالِدَ الشَّفِيقَ ، وَأَجْمَعْتُ
عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ - أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ ،
وَمُقْتَبِلُ (٢) الدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أِبْتَدِيكَ
بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ،
وَحَلَالِيهِ وَحَرَامِيهِ ، [و] لَا أَجَاوِزُ لَكَ إِلَى غَيْرِهِ ، (ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ
يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ مِثْلَ
الَّذِي أَلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ مِنْ
تَشْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ
فِيهِ (٣) الْهَلَكَةَ ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوقِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ
يَهْدِيكَ لِقَضْدِكَ ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ (٤) .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنْيَّ ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ

١ - في نسخة مؤنة الطلبة .

٢ - في ض وب : عليك به الهلكة .

٣ - ساقطة من ل .

٤ - في ف ون وش : مقبل العمر مقتبل الدهر .

وَصِيَّتِي ، تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ (١) اللَّهُ عَلَيْكَ ،
 وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ
 بَيْتِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ ،
 وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا
 عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلِّفُوا ، (فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ
 ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلْبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ
 وَتَعْلَمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ ، وَعُلُوٍّ (٢) الْخُصُوصِيَّاتِ (٣)) وَأَبْدَأْ -
 قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ - بِالِاسْتِعَانَةِ (٤) بِاللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي
 تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجَشِكَ فِي شُبُهَةٍ ؛ أَوْ أَسْلَمَتْكَ
 إِلَى ضَلَالَةٍ ؛ فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ
 فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا ؛ فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ
 لَكَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ
 نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشَوَاءَ ، وَتَتَوَرَّطُ
 الظُّلْمَاءَ ؛ وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلَا مَنْ خَلَطَ (٥) !
 وَالْإِمْسَاكِ عَنِ ذَلِكَ أَمْثَلُ .

فَتَفْهَمُ ، يَا بُنَيَّ ، وَصِيَّتِي ؛ وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ
 مَالِكُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيِّتُ ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ

١ - في ف وش : ما افترضه الله .

٢ - في ح : علق الخصومات وفي ب : علو الخصومات .

٣ - ساقطة من ل .

٤ - في ف : بالاستعانة عليه والريفة .

٥ - في ض وح وب : من خبط او خنط .

المُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَّ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ
لِتَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ
وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، وَمَا شَاءَ (١) مِمَّا لَا نَعْلَمُ. فَإِنْ أَشْكَلَ
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوْلَى مَا
خُلِقْتَ جَاهِلًا تُمْ غُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنْ (٢) الْأُمُورِ،
وَيَتَخَبَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ،
فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ،
وَأَلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَأَعْلَمُ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ
الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى التَّجَاةِ
قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ (٣) فِي النَّظَرِ
لِنَفْسِكَ - وَإِنْ أَجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَأَعْلَمُ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأْتَشَكَ رُسُلُهُ،
وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ
إِلَهٌ وَاحِدٌ! كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا
يَزُولُ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ، أَوْلَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِبِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ
الْأَشْيَاءِ بِبِلَا نِهَآيَةٍ. عَظُمَ عَنِّي أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِأَحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ
بَصَرٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَتَّبِعِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ
فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ

٣ - في ن : لم يبلغ .

١ - في ح وب ول وش : او ماشاء .

٢ - في ض وح وب وش : من الامر .

إِلَى رَبِّهِ، فِي ظَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةَ (١) مِنْ عُقُوبَتِهِ،
وَالشَّفَقَةَ مِنْ سُخْطِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرَكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ
إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا
وَأَنْتَقَالَهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أَعِدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ
لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَغْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْتَدُوا عَلَيْهَا! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ
خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَابِهِمْ مَنَزِلَ جَدِيدٍ فَأَمُّوا مَنَزِلًا
خَصِيبًا، وَجَنَابًا مَرِيعًا، فَأَحْتَمَلُوا وَغَشَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ،
وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنَزِلَ
قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً
مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَتْهُمْ مِنْ مَنَزِلِهِمْ،
وَأَذَانَهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ آغْتَرَبَهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا
بِمَنَزِلِ خَصِيبٍ فَتَبَابِهِمْ إِلَى مَنَزِلِ جَدِيدٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ
إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَفَارِقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ
عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ!

يَا بُنَيَّ، أَجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ،
فَأُحِبُّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا
تُظْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأُحْسِنُ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ
إِلَيْكَ، وَأَسْتَقْبِحُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَأَرْضَ

مِنَ النَّاسِ بِمَا ^(١) تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ،
وَأَنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَأَفَةُ الْأَلْبَابِ ؛ فَاسْتَعِ فِي
كَذْحِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ ^(٢) لِقَضِيكَ
فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ .
وَأَنَّهُ لَا غَنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ ، وَقَدَّرَ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ
مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ^(٣)
ثِقَلُ ذَلِكَ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ
لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ
فَاغْتَنِمَهُ وَحَمَلَهُ إِيَّاهُ ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ،
فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ ، وَأَغْتَنِمِ مَنْ اسْتَفْرَضَكَ فِي حَالِ
غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ
عَقَبَةٌ كَثُودًا ، الْمُخْفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ
وَالْمُبْطِئِ ^(٤) عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا ^(٥) مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ ^(٦)
مَهْبَطُهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ ، فَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ
نُزُولِكَ ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ
مُسْتَعْتَبٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

٤ - في ض وب : والبطي .

٥ - في ش : اقبح امرا .

٦ - في ض وب : وان مهبطك بها .

١ - في ش : فيما ترضاه .

٢ - في ب : واذا كنت هديت .

٣ - في ب : فيكون نفل ذلك .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أذِنَ لَكَ
 فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ
 لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
 مَنْ يَحْجِبُهُ عَنْكَ ^(١)، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ. وَلَمْ
 يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرَكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ
 يُعَاجِلْكَ ^(٢) بِالنَّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ (بِكَ
 أَوْلَى ^(٣))، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ
 بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ
 الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتِكَ
 عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، (وَبَابَ الْإِسْتِيْعَابِ ^(٤))، فَإِذَا
 نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ
 بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكُوتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ،
 وَأَسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَأَسْتَعْنَيْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ
 خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ: مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ،
 وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ
 خَزَائِنِهِ بِمَا أذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ
 بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَأَسْتَمْطَرْتَ شَايِبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا
 يُقْنِطُكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ التِّيَّةِ، وَرُبَّمَا

١- في ش : من يحجبك عنه .

٢- في ب : ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيرك بالانابة .

٣- ساقطة من ف ون ول وش وفي ح : ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك .

٤- ساقطة من ش .

أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَكْبَرَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيْتَهُ. فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُثْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ، وَلَا تَبْقَى لَهُ.

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنَزِلٍ ^(١) قُلْعَةٍ، وَدَارٍ بُلْعَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَتَجَوَّزُ مِنْهُ هَارِبُهُ، (وَلَا يَفُوتُهُ ^(٢) ظَالِبُهُ)، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ؛ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ! وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ نَبَأَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ ^(٣) لَكَ نَفْسَهَا؛ وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا؛ فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَمِيسَابِغٌ ضَارِيَةٌ،

١- في ف ون : في منزلة قلعة .

٢- ساقطة من ف ون ول وش .

يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ ^(١)، وَأُخْرَى مُهَمَّلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحٌ عَاهَةِ، بِوَادٍ وَعَثٍ! لَيْسَ لَهَا رَاعٍ ^(٢) يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا! سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَن مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا!!

رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامُ كَأَن قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ! يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ ^(٣) مَنْ كَانَتْ مَطِيطَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا.

وَأَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوا أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ؛ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، وَلَيْسَ ^(٤) كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَخْرُومٍ، وَأَكْرِمِ نَفْسَكَ عَن كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا، وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرِ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ

١ - في ش: نعم مغلطة .

٣ - في ش: واعلم ان من كانت .

٢ - في ع: وعث ليس لها مسيم .

٤ - في ش: فليس كل .

الْهَلَكَةِ، وَإِنْ أَسْتَظَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ دُونِ نِعْمَةٍ
فَأَفْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ، وَآخِذُ سَهْمِكَ ! وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنْ
اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ
مِئَةٍ .

وَتَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِذْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ
مَشْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي
يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ (١) . وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ
خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى
مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ . وَرَبِّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ ! مَنْ
أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ! قَارِنُ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِثْلَهُمْ،
وَبَايِنُ أَهْلِ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ ! بَيْسَ الطَّعَامِ الْحَرَامِ، وَظُلْمِ
الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا .
رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ
المُسْتَنْصَحُ . وَإِيَّاكَ وَاتِّكَالَكَ عَلَى الْمُتَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ
التَّوَكُّي (٢) ، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا
وَعَظَمْتَ ! بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ عُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ ظَالِمٍ
يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَرُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ،
وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ،
التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ ! وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ

١ - في ش : ماني يدي غيرك .

٢ - في ب : بضائع الموتى .

مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا
تُخَاطِرُ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِثْنِهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيئَةُ
اللَّجَاجِ! اْحْمِلْ نَفْسِكَ مِنْ أَخِيكَ - عِنْدَ صَرْمِهِ - عَلَى الصَّلَاةِ،
وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى
الْبَدَلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وَعِنْدَ
جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ؛ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ دُو نِعْمَةٍ
عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ
بِغَيْرِ أَهْلِيهِ؛ لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ،
وَأَمْحِضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعْ
الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً، وَلِنِ
لِمَنْ غَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَجُدْ عَلَى عَدُوِّكَ
بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقِ
لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَّالَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَّا، وَمَنْ
ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى
مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بَأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا
يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرُغِبَنَّ فِيَمَنْ زَهَدَ (١)
عَنكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ (٢) أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ،
وَلَا يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى (٣) مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا

١ - في ش : زهد فيك .

٢ - في ض وب : اخوك على مقاطعتك اقوى منك .

٣ - في ش : اقدر منك .

يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِّنْ ظَلَمَكَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَبِهِ
وَنَفْعِكَ ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ الرَّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ
يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ
الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى . إِنَّمَا لَكَ مِنْ (١) دُنْيَاكَ مَا
أَضَلَّحْتَ بِهِ مَشْوَاكَ ؛ وَإِنْ جَزِغْتَ (٢) عَلَى مَا تَفَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ ،
فَأَجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . اسْتَدِكَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا
قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا
إِذَا بَالِغَتْ فِي إِيْلَامِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ ، وَالْبَهَائِمَ لَا
تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ . أَطْرَحَ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ
وَحُسْنِ الْيَقِينِ ؛ مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارًا ؛ الصَّاحِبُ (٣) مُنَاسِبٌ ،
وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ، وَالْهَوَى شَرِيكَ (٤) الْعَمَى . رَبُّ بَعِيدٍ
أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وَقَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ (٥) ؛ وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ
يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ أَقْتَصَرَ
عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عَدُوٌّكَ ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ
إِذَا كَانَ الظَّمْعُ هَلَاكَ . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ

١ - في ب : ان لك من دنياك .

٢ - في ش : وان كنت جازعا .

٣ - في ض وح وب : والصاحب مناسب .

٤ - في ب : شريك العنا .

٥ - في ب : رب قريب ابعده من بعيد ورب بعيد اقرب من قريب .

تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ.
 أَخْرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ
 الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَغْظَمَهُ أَهَانَهُ! لَيْسَ كُلُّ
 مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ
 قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ^(١). إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ مِنَ
 الْكَلَامِ^(٢) مَا كَانَ مُضْجِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ،
 وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ،
 وَأَكْفُفْ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ
 الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْنَهُنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ
 مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْنَهُنَّ، وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ
 فافْعَلْ، وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا (فَإِنَّ الْمَرْأَةَ
 رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٌ، وَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا^(٣))، وَلَا
 تُظْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا^(٤)، وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ
 مَوْضِعِ غَيْرَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّقْمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى
 الرَّيْبِ، وَأَجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ
 أُخْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ
 جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَضْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي
 بِهَا تَصُولُ.

١ - في م : عن الجارثم الدار.

٢ - في ب : في الكلام .

٣ - ساقطة من م وب .

٤ - في ض وب : بغيرها .

أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي
الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .

الشرح

قوله عليه السلام : من الوالد الفان المقر للزمان : أي يقر للزمان بأنه
يفني كل حي ولا يفي لأحد من بنيه ويضر من يغتر به ولا يجديه وأنه لا
تباريه (٢) أحد إلا وهو يرديه .

وتصب الآفات : أي كالغرض المنصوب لسهام البلايا ما يرغبني : أي
يكفني ويزجرني .

والاعتصام بحبله : كل ما يقربك إلى مرضاة الله فهو حبل الله وذلك أمر
إضافي يختلف حسب اختلاف الأشخاص والأحوال ، والأوقات ، وقد ذكر
في قوله تعالى : اعتصموا بحبل الله انه القرآن ، وروي أن أعرابيا دخل على
رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : التبس عليّ معنى آية من القرآن ففسرها
لي ، وتلا هذه الآية وقال : ما هذه الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به ، وكان
علي عليه السلام إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع النبي يده
على كتف علي وقال هذا حبل الله فاعتصموا به ، فولى الأعرابي وخرج يقول
أمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبل الله .

فتلقاه رجلان فسمعا منه ذلك ، فضحكا منه ، ودخلا على رسول الله
وذكرا ما سمعا من الأعرابي فقال صلى الله عليه وآله : (هو رجل من أهل
الجنة فانصرفا الى الرجل فقالا له إن لك عندنا بشارة ، ولنا عندك ذنب ،

١ — سقطت هنا اوراق من نسخة م .

٢ — المبالغة : المجازة والمسابقة أي يعارضها في الجذب لقوة نفوسها .

فاغفر ذنبنا حتى نذكر بشارتك إن رسول الله قال أنت من (١) أهل الجنة قال : الحمد لله ، وما ذنبكما قالا : لما رأيناك تتكلم بهذا الكلام ولم يكن شيئا سمعناه كان عندنا ضحكة .

فقال : إن الله تعالى يقول : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا (٢)» ، تركت ما رسول الله وجئت ما إليّ لأستغفر لكما إذ هما إن كنتما تؤمنان بالله ورسوله ، وتعتصمان بحبله فغفر الله لكما وإلا فلا غفر الله لكما ، فحبل الله هو حجة الله بعد رسوله ، ووصيه على أمته ، وحافظ شرعه قرنا فقرنا إلى الأبد والقرآن وإن كان سببا بين الله وبين عبده فإن كثيرا منه يحتاج إلى التأويل فيفسره كل على مقتضى مذهبه ، فلا بد له من مبين يثق الناس بقوله لعصمته ولا تذهبن عنها صفحا : أي معرضا عما ذكرت لك ، هو مصدر أقيم مقام الفاعل ، فنصب على الحال .

لا خير في علم لا ينفع : (كل علم لا يحتاج المرء إليه في طلب سعادة الآخرة ، فهو ما ينتفع به (٣)) وإن ساعده انتفاع ظاهر فانه يؤول عاقبته في الدنيا إلى خسران ومضرة وفي العقبى إلى ندامة ووبال .
ولا يحق تعلمه : أي لا يجب .

فيكون كالصعب النفور : مثل لكل من ينفر مما رآه : والأصل في الابل .

توخيت : طلبت ، ورأيت : أي استصوبت .

وأجمعت : أي عزمت .

٣ - ساقط في ش .

١ - ساقط في ش .

٢ - النساء : ٦٤ .

وتورط الشبهات : الوقوع فيها .

والشائبة : واحدة الشوائب . وهي الأقدار والأنجاس والأدناس والشوب الخلط .

تخبط العشواء ، أي خبط العشواء فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه أي خبط الناقة العشواء^(١) .

قوله عليه السلام : وما شاء مما لا نعلم فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به .

هذا تنبيه على أن علوم الانسان قاصرة عن إدراك أسرار الربوبية فأنك أول ما خلقت جاهلا ، ثم علمت من قول الله تعالى : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا .

وما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحير فيه .

يعنى يكون معرفته عندك بالقوة القريبة ثم تخرج إلى الفعل ، وهذه إشارة إلى إكتساب العلوم .

فانى لم آلك نصحا : أي لم أقصر لك في النصيحة .

لو كان لربك شريك لا تتك رسله : وذلك لأن معرفة الله واجبة لما ثبت وتقرر في موضعه ، ولا طريق إلى معرفته إلا أفعاله ، والأفعال الالهية كلها يضاف إلى إله واحد ، فلا يمكن للاستدلال بها على ثان ، فلو كان له ثان تعالى ، عن ذلك لوجب على الثاني بعث الرسل المؤيدة بالمعجزات ، لايضاح السبيل إليه .

ولا تكن خازنا لغيرك : أي لا تجمع أموالا ينتفع بها غيرك .

المبطىء عليها : أي من تغافل وتوانى .

١ - العشو : السواد من الليل وفي حديث علي خباط عشوات اي يخبط في الظلام والأمر المكتسب فيتحير .

ولم يفضحك حيث القضيحة : أي حيث الفضيحة حاصلة وأسبابها واقعة .

ولم يناقشك : أي لم يستقص ، ولا يشدد عليك .
بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة : إنما يكون الاقلاع عن السيئة حسنة إذا أخلَّ بها لكونها سيئة قبيحة ، فأما إذا تركها لا لرضى الله ، فلا يكون حسنة .

واثبتته ذات نفسك : أي أظهرت ونشرت له ضمائر نفسك ، وخفايا جوانحك .

قوله عليه السلام : فلا يقنطنك ابطاء اجابتك : فان العطية على قدر النية ، إذا سأل العبد ما فيه صلاح اجيب إليه إما عاجلا ، وإما آجلا إذا كان تعجيله أو تأجيله صلاحا وان كان مطلوبه خاليا عن الصلاح والفساد ، (فهو موكول إلى الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه وإن كان مطلوبه فسادا^(١)) فاجابة الله دعائه منعه عن نيل مراده ، هذا إذا أراد السائل الصلاح ، فأما إذا قصد بدعائه ادراك اللذة ، أو كشف المضرة ، ولم يشترط صلاحا وما نواه .

فهو كمن لم يدع الله أصلا في حق المطلوب بل هو شر من غير الداعي لأن دعائه على هذا الوجه معصية ، فحقيق به أن لا ينال بما سأل شيئا .

قوله عليه السلام وربما أخرت عنك الاجابة : ربما يقتضي المصلحة تأخير اجابة الدعاء ولا يكون ذلك خلفا للوعد بالاجابة ، لأنه تعالى يجيب إما في الحال أو في الاستقبال ، أو يؤتية في الدنيا خيرا مما سأل أو في العقبى على أن الدعاء عبادة وجزاء العباد يكون في العقبى ، والمكافاة يكون في الدنيا ، وربما أخرت عنك الاجابة ليكون أجزل لعطاء الأمل .

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إن ابراهيم عليه السلام خرج مرتادا لغنمه وبقره مكانا للشتاء فسمع شهادة أن لا إله إلا الله فتبع الصوت حتى أتاه فقال : يا عبد الله من أنت في هذه البلاد مذ ما شاء الله ما رأيت أحدا يوحد ، قال : أنا رجل كنت في سفينة غرقت فنجوت على لوح فأنا هاهنا في جزيرة ، قال : فمن أي شيء معاشك ، قال : أجمع هذه الثمار في الصيف للشتاء ، قال : انطلق حتى تريني مكانك ، قال : لا نستطيع ذلك لأن بيني وبينها بحرا ، قال : فكيف تصنع ، قال : أمشي عليه ، قال : أرجو الذي أعانك أن يعينني .

فأخذ الرجل يمشى و ابراهيم يتبعه ، فلما بلغ الماء أخذ الرجل ينظر إلى ابراهيم ساعة بعد ساعة ، و ابراهيم يتعجب منه ، حتى عبرا فأتى به كهفا ، فقال : هاهنا مكاني ، قال : فلو دعوت الله وأمنت أنا قال : أما أني استحي من ربي ولكن ادع أنت واؤمن أنا ، قال : وما حياؤك ؟ قال : رأيت في الموضع الذي رأيتني فيه غلاما أجمل الناس ، كأن خديه صفحتا ذهب له ذؤابة^(١) ومعه غنم وبقر كأن عليهما الدهن ، فقلت له : من أنت ؟ .

فقال : أنا اسمعيل بن ابراهيم ، خليل الرحمن فسألت الله أن يريني ابراهيم منذ ثلاثة أشهر ، وقد أبطا ذلك علي قال : فانا ابراهيم خليل الرحمن فاعتنقا ، وهما أول من اعتنقا على وجه الأرض .

في منزل قلعة : أي ليس بمستوطن بل يقلع صاحبه عنه ، ولا يترك فيقيم فيه .

ودار بلغة : أي يبلغ منها وبها إلى الآخرة .

تهجم : تدخل ، أزرك ظهرك .

١ — الذؤابة : الشعر المطفور من شعر الرأس .

والاخلاص : الميل ، التكالب : التواؤب^(١) .
 نعم معقلة : ذات عقال ، وسرحت الماشية ، سروحا رعت بالغداة .
 وسروح : أيضا جمع سرح وهي قطعة من المواشي .
 والعاهة : الافة أضافها إلى الآفة كأن الآفة اختصت بها وملكتها .
 والوعث : المكان السهل الكثير الدهس^(٢) تغيب فيه الأقدام ويشق
 المشي .

والمسيم : الراعي ، يسفر الظلام : ينكشف وينجلي .
 كأن قد وردت الأظعان : أي كأن الأمر والشأن وردت المسافرون .
 الوادع : من هو في خفض عيش ، وفراغة .
 لن تعدو أجلك : أي لن تتجاوز .
 والحرب : سلب المال .
 ومن أكثر أهجر : أي أفحش وحقيقته صار بحيث يهجره العقلاء
 وسميت الظهيرة هاجرة لترك الناس الخروج فيها .
 لا خير في صديق ظنين : أي متهم ، وروى بالضاد أي بخيل .
 ساهل الدهر ما ذل لك قعوده : ذل أي انقاد ، ولان والقعود من الابل
 البكر ما أمكن ظهره من الركوب .

لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه : أي لا تخاطر بمال في يدك إذا لم
 يغلب على ظنك السلامة والريح وإلا فان الأرباح المرجوة يطلب بالمخاطرة
 وأكثر المباحات مبنية على غالب الرأي في الاقدام والاحجام^(٣) من
 البياعات والتجارات وأنواع الشركة برا أو بحرا .

١ - التواؤب : النهوض والقيام .

٢ - الدهس : ما سهل ولان من الأرض ولم يبلغ ان يكون رملا .

٣ - احجم القوم : نكصوا وتاخروا وتهيبوا اخذه .

لا تتخذنّ عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك : روي له عليه السلام بيتان في هذا المعنى أوردتهما في أنوار العقول .

صديق عدوى داخل في عداوتي * واني لمن ودّ الصديق ودود
فلا تقربن مني وأنت صديقه * وأن الذي بين القلوب بعيد
امحض أخاض النصيحة حسنة كانت أم قبيحة .

النصيحة إذا صدرت عن محض الاخلاص لا تكون قبيحة في نفسها ولا بالاضافة إلى الناصح وليكن ربما يستقبحها السامع ويستثقلها لصعوبتها عليه ، وان اردت قطيعة أخيك إلى آخره : نظير ما روي عنه وعن النبي أيضا عليهما السلام أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغضك يوما ما وأبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

والرزق رزقان : رزق بسبب الطلب ورزق يأتيك بلا طلب ، وهذا محسوس مشاهد .

ومن لم يبالك فهو عدوك : أي من جعل عاداته كشف قناعك وإشاعة معايبك كلها في كل حال وإن وصفها لك فهو عدوك .

الأفن : بسكون الفاء النقص وبفتحها ضعف الرأي ، فانظر : يعني البصيرة في هذه الوصية تغتك عن جميع حكم الحكماء وتنف^(١) العلماء إن كنت ممن قد أيد بحدس^(٢) صايب وذهن ثاقب^(٣) ، والله عز اسمه المسؤول أن يوافقنا لنقبل آثارها والاستضاءة بانوارها إنه ولي الطول^(٤) والامتنان

١ — التنف جمع نطفة : وهي بمعنى القليل يقال اعطاه نطفة من الطعام وغيره اي شيئا قليلا وكذلك افادة نطفة من علم .

٢ — الحدس : سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج وحدس حدسا في الامر : ظن وتوهم .

٣ — الثاقب : المضي والثقب : العالم الفطن .

٤ — الطول : الفضل والاحسان .

والمفضل بالاحسان ، وإذ قد جرى ذكر الدنيا فيها كثيرا والقدح فيها والنهي عن الاغترار بها ، فلنورد من بعد فصلا في أمثلة الدنيا وأهلها على ما أورده صاحب المعارج .

قال بعض العلماء أصول الدنيا ثلاثة أشياء : الطعام واللباس والمسكن ، وأصول الصناعات والحرف ثلاثة : الزراع والدهقان^(١) فان منهما أصول الطعام واللباس ، الحائك والبناء ، ولهذه الحرف توابع ولوازم كالحلاج والغزال والقصار والخياط للباس ، ولكل واحد من هؤلاء احتياج إلى الآلات من الحديد ، والخشب ، والجلود المدبوغة ، وهكذا في سائر الحرف وتعلق بعضها ببعض .

فاحتاج الناس إلى معاونة بعضهم بعضا فان كل واحد منهم لا يمكنه القيام بجميع مصالحه ، فالحائك يحيك للخياط ، والخياط يخييط للحائك والدهقان يزرع القطن لهما ، وهما يعينان الدهقان بالنسج والخياطة وأمثال ذلك ، فظهرت المعاملة التي هي تلو المعاونة بين الناس ، ولزمت هذه المعاملات الخصومات ، ولزمت الخصومات المعادة والمقاتلة .

فاحتاج أصحاب الصنایع والحرف ، إلى سلطان سايس يسوسهم ، وحاكم عالم عادل يحكم بينهم بالعلم والشرع الحق ، فنسى بعضهم الناس نفسه وعاقبته بين هذه المشاغل والتوابع العلائق ، وما عرف أن المقصود من جميع هذه الصنایع ، والحرف ، والوالي ، والقاضي ثلاثة أشياء وهي الطعام واللباس والمسكن .

والمقصود من هذه الأشياء تقوية البدن وسلامته ، والمقصود من سلامة البدن تزكية القلب ، والمقصود من تزكية القلب السعادة الكبرى الموعودة في

١ - الدهقان بكسر الدال وضمها : رئيس القرية وهو عرب دهكان اي صاحب القرية .

الآخرة، ففسي ذاته وسعادته، ومثاله كمثل مسافر قصد بيت الله الحرام ففسي نفسه ومقصده وضيع في الطريق عمره في تربية الجمل ورعيه، وأمثال ذلك، وخسر الدنيا والآخرة، وكان ممن قال الله تعالى «نسوا الله فأنساهم أنفسهم»^(١) ومثال الدنيا مثال الظل يحسبه راكدا ثابتا، وهو زائل، ولكن يزول قليلا قليلا لا دفعة.

لا بل مثالها مثال عجوز شوها^(٢) ملثمة قد زينت ظاهرها بالحلي والحلل، والطيب، وإذا حسرت لثامها^(٣) كانت ممن يتعوذ الناس من شرها، ومثال أصحاب الدنيا أمثال المسافرين، لهم مقصد واحد، وكلهم في الطريق، بقي لبعضهم منزل، وبعضهم فرسخ وبعضهم ميل، كذلك بقي من أعمار بعض أهل الدنيا سنة ومن أعمار بعضهم شهر، ومن أعمار بعضهم يوم، على هذا القياس.

مثال طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر لا يروي الشارب بل يزداد كل ساعة عطشه ولا ينقطع ماء البحر، وهو يشرب حتى يهلك، ومثال صاحب الدنيا كمثل ضيف دخل دار مضيف، فناول شربة من الجلاب^(٤) في إناء ثمين، فظن أن الإناء ملك له وأنه يخرج من دار المضيف مع ذلك الإناء، فقيل له اخرج كما دخلت، فحظك ما شربت فحسب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: ليس من مالك إلا ما أكلت أو شربت أو لبست إلى تمام الخبر.

هلك أكثر الناس بسبب طلب الجاه، والحشمة، والثناء، وبهذه

١ - الحشر: ١٩.

٢ - الشوهاة من الاضداد يقال للمرأة الحسنة الرائعة والمرأة القبيحة والشوهاة: الواسعة الفم.

٣ - اللثام: ما كان على الانف وما حوله من ثوب أو نقاب.

٤ - الجلاب: فارسي معرب وهو ماء الورد.

الأسباب وقعت العداوة بين الناس ، وارتكبوا المعاصي ، واستولى على القلوب ضد النفاق ، والخيانة ، والعلم بالأشياء الفانية غير معتبر ، ومن ذلك العلم باللغات خصوصا العلم بلغة العرب فان الغرض منه الوصول إلى الكتاب والسنة ، والغرض من الكتاب والسنة السعادة الابدية التي في الآخرة ، والعلم بالله تعالى ورسله ، واليوم الآخر من الباقيات الصالحات .

إن هذه المعلومات لا يتغير ولا يزول عما اعتقده المؤمنون الموحدون ، وطلب الثناء من الخلق استبعاد قلوبهم (وألسنتهم والاستيلاء على قلوبهم^(١)) دون أموالهم خصوصا إذا كان طلب هذا الثناء ، والمدح بأفعال لا يجوزها الشرع ، فهذا من أمراض القلوب ومن أقبل على الطاعة وأداء العبودية وغرضه عن ذلك تزكية عن^(٢) نفسه ، وتطهير ذاته وكونه مستعد الرضوان الله فهو العابد .

من أقبل على الطاعة بسبب ثناء الخلق ، ومدحهم فهو يجري مجرى عابد الصنم ، لأنه يعبد معبودا هو مخلوق ، ومن أقبل على الطاعة طلبا لرضي الله ، ولكن أحب أن يعرفه الناس بالعبادة ، والزهد وذلك الرياء والشرك الخفي ، لأن المقصود من عبادته مشترك بين الله تعالى والمخلوق ، قال الله تعالى : فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

* * *

١ - بين المللين ساقط في ش .

٢ - في ض : تزكية نفسه .

٣٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

وَأُرْدَيْتَ جِيلاً مِنْ النَّاسِ كَثِيراً: خَدَعْتَهُمْ بِغِيِّكَ،
وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاظِمُ بِهِمُ
الشُّبُهَاتِ، فَجَاوَزُوا^(١) عَنْ وَجْهَتَيْهِمْ، وَتَكْصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ،
وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ قَاءَ مِنْ
أَهْلِ البَصَائِرِ؛ فَانَّهُمْ فَارُقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ
مُؤَازِرَتِكَ؛ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّغْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ
القَصْدِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَادِبِ الشَّيْطَانَ
قِيَادَكَ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ،
وَالسَّلَامُ.

٣٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ ، كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ
 وَجَّهَ إِلَيَّ ^(١) الْمَوْسِمِ أَنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، الْعُنَى الْقُلُوبِ ،
 الصَّمِّ الْأَسْمَاعِ ، الْكُنْهِ الْأَبْصَارِ ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ^(٢) الْحَقَّ
 بِالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَيَخْتَلِبُونَ
 الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأُبْرَارِ الْمُتَّقِينَ ،
 وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ ،
 فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّالِبِ ^(٣) ، وَالنَّاصِحِ
 اللَّبِيبِ ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَدَّرُ مِنْهُ ،
 وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النُّعْمَاءِ بَطْرًا ، وَلَا عِنْدَ الْبِئْسَاءِ فَشِلًّا .

١- في ب : وجه على الموسم .

٢- في ك : ويلتبسون وفي ح وحاشية ش : يلبسون .

٣- في ح : الحازم الطيب .

الشرح

قال عليه السلام: إن عيني بالمغرب: أي أميني الذي يخبرني على الأمور.

يلتبسون الحق بالباطل: أي يطلبون الدين باتباع معاوية.

يحتبلون الدنيا درّها بالدين: أي يجعلون التمسك بظاهر الدين ذريعة

ووسيلة إلى نيل مناهم، من دنياهم.

قيام الحازم الضابط: للأمر الآخذ بالثقة، الصليب: أي الشديد.

إياك وما يعتذر منه: مثل للعرب أي لا يرتكب أمرا يحتاج فيه إلى

الاعتذار، يضرب لمن ارتكب أفعالا شنيعة ويعتذر منها.



٣٤- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر
ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها
أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَّغَنِي مَوْجِدَتِكَ مِنْ تَشْرِيجِ الْأَشْتَرِ إِلَى
عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِیْبَظَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، وَلَا
ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ
لَوَلِيَّتِكَ ^(١) مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوْنَةٌ، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلايَةٌ.
إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرٌ مِضْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا
وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ،
وَلَأَقِي حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ
الثَّوَابَ لَهُ، فَأَضْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَأَمْضِ عَلَيَّ بِصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ
لِحَرْبِ مَنْ جَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ
يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِينِكَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

الشرح

قوله عليه السلام : لقد بلغني موجدتك من تسريح الأشر.

أي غيظك من إنفاذه .

فأصحر لعدوك : أي ابرز إلى الصحراء .

قوله لأحبيت أن لا أبقى معهم يوماً : لا يدك على أنه أراد أن يخرج من

الامامة فإن الانسان قد يصير على الأمر الشاق لأجل الصلاح وإن كان يحب

مفارقته ، كالصيام الذي اشتد به الجوع والعطش ، فإنه يجب الأفتار ثم يوطن

نفسه على الاصطبار^(١) قاله الوبري .

* * *

١ — يقال صبر فلان من خصمه واصطبر: أي اقتص منه .

٣٥- وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس ، بعد مقتل محمد بن أبي بكر
 أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِضَرَ قَدِ افْتَتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
 رَحِمَهُ اللَّهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا^(١)،
 وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا؛ وَقَدْ كُنْتُ حَشَشْتُ
 النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ؛ وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا
 وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدْعًا: فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهَا، وَمِنْهُمْ الْمُغْتَلُّ
 كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ^(٢) خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ
 فَرَجًا عَاجِلًا، فَوَ اللَّهُ لَوْ لَا ظَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي
 الشَّهَادَةِ، وَتَوَطُّي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ؛ لِأَخْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى
 مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا^(٣) وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا.

١- في م : ولدًا صالحاً .

٢- في ب : منهم الكاذب .

٣- في ك : معهم يوماً واحداً .

٣٦- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش انفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا، وَنَكَّصَ نَادِمًا، فَلَجِحُّوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ ظَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ؛ فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَلَا؛ فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا بَعْدَ مَا أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْيًا بِلَايٍ مَا نَجَا فَدَعَّ عَنكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّأَلَهُمْ فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي النَّيِّهِ؛ فَانْتَهَمُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَأَجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَجِيمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي. وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُجَلِّينِ ^(١) حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَخَشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ

١- في ب: في قتال المحلين وفي م: قتال الملحين.

أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا، وَلَا
سَلِسَ الزَّمَانَ لِلْقَائِدِ^(١)، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ،
وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ :-

فَإِنْ تَسْأَلِينِي : كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَأَنْتِي * صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبِ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٍ * فَيَشْمَتُ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

الشرح

قوله عليه السلام : فسرحت جيشا كثيفا إلى طفلت الشمس للاياب .
أي مالت للرجوع : قيل عند الزوال ، وقيل عند الغروب .
والطفل : بعد العصر .

فاقتتلوا شيئا كلا ولا : أي حاربوا زمانا قليلا وهي كلمة تقولها العرب
إذا استقلت الشيء .

نجا جريضا : أي مغموما وهو أن يتبلع ريقه على حزن^(٢) والجريض
الغصة وفي المثل حال الجريض دون القريض .

قوله عليه السلام : فأخذ منه بالمخنق : هو موضع الخنق من العنق أي
بلغ منه الجهد .

فلأيا بلأيا ما نجا : في الصحاح يقال : فعل ذلك بعد لأيا ، أي بعد شدة
وإبطاء ولأيا لأيا : أي أبطاء وما صلة زائدة ، وتقدير الكلام فنجا لأيا أي
صاحب لأيا ، أي في حال كونه صاحب جهد ومشقة ملبسة بمثلها أي نجا

١- في ف : للراكب .

٢- الريق : لعاب الفم يقال : اني على الريق أي لم آكل ولم اشرب بعد شيئا والجرن بضمين جمع الجرير وهو
موضع تجفيف التمر وهو كالبيدر للحنطة ؛ وفي ض : ريقه على حزن .

في حال تضاعف الشدائد، وترادفها عليه، يصف بعض خصومة من معاوية ونظرائه .

فجزت قريشا عني الجوازي : دعا عليهم أي أصابهم جزاء ما فعلوا بي من البغي ، والعدوان على أوفر الوجوه وأتمها دينا ودنيا .

وسلبوني سلطان ابن امي : عني النبي صلى الله عليه وآله فان امّ علي فاطمة بنت أسد ، ممن قال النبي في شأنها فاطمة أمي بعد أمي ، وقيل : إنه عني بابن الأمّ نفسه أي سلبوا سلطاني .

فان رأبي في قتال المحلين : يقال أحل الرجل أي خرج من ميثاق كان عليه ، وجواب لو أسلمه مقدر استغني عنه بما سبق من قوله لا تحسبن .
كآبة : أي حزن .

* * *

٣٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ،
وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ^(١)، مَعَ تَضْيِيقِ الْحَقَائِقِ، وَأَطْرَاجِ الْوَثَائِقِ،
الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَابِ
فِي عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ
لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

الشرح

فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء: نزه الله تعالى عن أن يكون راضيا بمثل تلك الأفاعيل أو خالقا لتلك الأخلاق الذميمة على ما ادعته المجبرة الأموية، وقد يقال لفظ سبحان الله في مظان التعجب. كأنه تعجب من إمهال معاوية مع فرط طغيانه وعدوانه وإظهاره البدع، ونقضه للعهد، والله تعالى يمهل ولا يهمل، فانه بالمرصاد لجميع العباد.

إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك: أي حين نهضت بزعمك ثائرا بدم عثمان إنما فعلت ذلك ليكون لك ذريعة إلى نيل الملك، ووسيلة إلى تمكين العباد والبلاد، وكذلك وافقته وشايعته ظاهرا قبل اشتداد الأمر عليه. وخذلته حيث كان النصر له: أي لما أحتاج إلى نصرتك وبعث إليك يستنهضك للذبت عنه، والتذمم^(١) له تأخرت عنه ووثبت الشر إليه.

* * *

١ - في الحديث والتذمم للصاحب: هو ان يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له ان لم يحفظه والذمام والعهد والامان.

٣٨- وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أهل مصر، لما ولي عليهم الأشر رحمه الله
 مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا
 لِلَّهِ حِينَ غَضِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ
 سُرَادِقَهُ عَلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ
 يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يَتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَتَأَمُّ أَيَّامَ
 الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ
 مِنْ حَرِيقِ^(١) النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَدْحِجٍ، فَاسْمَعُوا
 لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ لَا
 كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا
 فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا
 يُخْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي. وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ
 عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

١- في ف: حريق النار مالك بن الحارث.

الشرح

مذحج مثال مسجد أبو قبيلة من اليمن .

والشكيمة: في اللجام: الحديد المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس^(١)، فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً ألباً، وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد وشكمه شكماً وشكيميا عضه .

جردت الأرض: بالتخفيف أي أهلكت أشجارها وتركتها كفضاء أجرد لا نبات به، فعل الجراد، وبالتشديد للتكثير وسنة جارود شديدة المحل .
أما كتابه إلى عبد الله بن عباس، فقد روي أنّ علياً عليه السلام كان ولاه على البصرة، فأخذ مالا كثيراً وخرج إلى المدينة نحو بيته، وكتب إلى عليّ عليه السلام أن اجعلني في حل من كذا فان عيالي كثير وتغرم من مالك، قال صاحب المنهاج ويمكن أن هذا العامل كان عبيد الله بن العباس، فنحو ذلك أليق به، والاحتياج يعم جميع الناس، ولا يوحشك خشونة الكلام فالكلام مع الأقرباء في مثل هذا الموضع أغلظ .

* * *

١ — فأس الفم: طرفه الذي فيه الاسنان وفأس اللجام، الحديد القائمة في الحنك .

٣٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِيءِ ظَاهِرٍ غَيْثُهُ،
 مَهْتُوكِ سِثْرُهُ. يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ
 بِخِلْطِيهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ:
 يَلُودُ إِلَى ^(١) مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ،
 فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَأَخِرْتِكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتْ مَا
 طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا
 بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَانِي وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرُّ لَكُمَا؛
 وَالسَّلَامُ ^(٢).

١- في ح : يلود بمخالبه .

٢- في م : والسلام لاهله .

٤٠ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ
 شِعَارِي وَبِطَانَتِي؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي ^(١) رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي
 نَفْسِي لِمُؤَاسَاتِي وَمُؤَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ
 الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ؛ وَالْعَدُوَّ قَدْ حَارَبَ؛ وَأَمَانَةَ النَّاسِ
 قَدْ خَزَيْتَ، وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فُتِنْتَ ^(٢) وَشَغَرْتَ؛ قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ
 ظَهَرَ الْمَجِئِ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ،
 وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أُدَيْتَ،
 وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى
 بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ؛ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ
 دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمَكَّنْتُكَ الشَّدَّةَ فِي
 خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَأَخْتَطَفْتَ مَا
 قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ أَخْتِطَافَ
 الدُّبِّ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ؛ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ

٢- في ض وح وم وب ول: قد فطكت .

١- في ب: من اهلي .

رَحِيبَ الصَّدْرِ تَحْمِيلَهُ (١) غَيْرَ مُتَأْتِمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَمَا أَنَّكَ - لَا أَيَّامًا
لِغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ فَسُبْحَانَ
اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ مِنْ نِقَاشِ الْحِسَابِ (٢)؟
أَيُّهَا الْمَعْدُودُ - كَانَ - عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ (٣) كَيْفَ تُسَيِّغُ
شَرَابًا وَطَعَامًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا؟
وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكَبَّرُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ (٤) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ
وَأَخْرَزَبِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ!! فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُقْ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ
أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَعْذِرَنَّ إِلَى
اللَّهِ فِيكَ، وَلَا أُضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا
دَخَلَ النَّارَ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي
فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِيرًا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى
أَخْذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا، وَأَزِيحَ (٥) الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا؛ وَأُقْسِمُ
بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالًا
لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي، فَصَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ
الْمَدْيَ، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ
بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضْيَعُ
الرَّجْعَةَ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ (٦).

١ - في ض وب ول وش : بحمله .
٢ - في ح وض وب وش : تخاف نقاش الحساب .
٣ - في ح : اولى الالباب .
٤ - في ح : من اموال .
٥ - في ض وب : ازيل الباطل .
٦ - في ش : مناص والسلام .

الشرح

جعلتك شعاري وبطانتى : أي اتخذتك خاصا لي بحيث لم يحل بيني وبينك حائل ، من شدة الاتصال المعنوي وبطانة الرجل وليجته^(١) .
 وكلب الزمان : أشتد غضبه .
 وخزيت : أي هانت وذلت .
 وفتكت : قتلت على غفلة ، وشغرت : أي تفرقت .
 قلبت لابن عمك ظهر المجن : أي الترس ، وهو مثل يضرب لمن يخالف بعد ما كان موافقا ، ويتغير عما كان عليه وذكر عليه السلام قرابته مرارا تواضعا ومراقبة لجانبه ، وحثا على الوفاء .
 غرتهم عن فيئهم : أي غفلتهم عن غنيمتهم .
 الذئب الأزل : الخفيف الوركين^(٢) : هو أقوى على العدو .
 والمعزى : الجريحة المكسورة أقرب إلى اختطاف الذئب واستلانه إياها .

رحيب الصدر : أي غير ضايق به صدرك .
 لا أبا لغيرك : عتاب يقطر منه ماء اللطافة ، وفيه جمع بين العتاب

١ — وليجة : الرجل خاصته واقرباؤه .

٢ — الورك : ما فوق الفخذ .

والاستعتاب .

ونقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

والمظلّمة : الظلم ، وما يطلب عند الظالم من الحق أيضا .

لأعذرنا إلى الله فيك : أي لآتين بما يعذرني الله في فعلك ، هذا .

فضح رويدا : مثل أي ترفق في الأمر ولا تعجل ، وأصله أن الأعراب في

باديتها تسير بالظعن فاذا عثرت على لمع من العشب ، قالت ذلك وغرضها أن

ترعى الابل الضحا ، أي مرعى الضحوة قليلا ، وهي سائرة حتى إذا بلغت

مقصدتها ، شبت ، فلما كان من الترفق في هذا توسعوا فقالوا : في كل موضع

ضح بمعنى ارفق ، والأصل ذلك قال زيد الخيل^(١) .

فلو أن نصرا أصلحت ذات بينها * لضحت رويدا من مطالبها عمرو

قال صاحب المعارج : ضح من النصيحة أي لا تعجل في ذبح الأضحية

والقول الأول ذكره الامام الزمخشري .

ويتمنى المضيع الرجعة : من قوله تعالى «فارجعنا نعمل صالحا^(٢)»

وقوله تعالى : رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت^(٣) .

ولات حين مناص : أي ليس وقت تأخر وفرار .

* * *

١ - زيد الخيل هو زيد الخير بن مهلهل الطائي التيهاني كان يدعى زيد الخيل لشجاعته فسماه النبي صلى الله عليه وآله لما وفد عليه في سنة تسع من الهجرة زيد الخير واثني عليه واقطعه ارضين .

٢ - السجدة : ١٤ .

٣ - المؤمنون : ١٩ .

٤١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ، وكان عامله على البحرين

فغزله ، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقبي مكانه

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ نِعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقَبِيَّ عَلَى
الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ^(١) لَكَ وَلَا تَشْرِيْبٍ عَلَيْكَ؛
فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا
مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ. فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ
الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى
جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عُمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١- في ب: بلا ذم ولا تشريب.

٤٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وهو عامله على أردشير حرة
 بَلَّغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَشْخَطْتَ إِلَهَكَ ،
 وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ فِيَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ
 رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ ، وَأَرِيقتُ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنْ اعْتَمَكَ ^(١) مِنْ
 أَغْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ
 ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا ، فَلَا
 تَسْتَهِنَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا تُضْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ ؛ فَتَكُونَ
 مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبَلَكَ وَقَبَلْتَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ
 هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ : يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَيَضُدُّونَ عَنْهُ .
 وَالسَّلَامُ .

١- في ض وج وب : اعتملك وفي ش : اعمالك .

٤٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه
وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ،
وَيَسْتَفِيلُ غَرْبَكَ ؛ فَاحْذَرُهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي الْمُؤْمِنَ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ
غُمَّلَتَهُ ، وَيَسْتَلِيبَ غِرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَلْتَةٌ
مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ، وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ : لَا يَثْبُتُ بِهَا
نَسَبٌ ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ
الْمُدْفَعِ ، وَالنُّوْطِ الْمُدْبَذِبِ .

فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تزل في نفسه
حتى ادعاه معاوية .

قال الرضي : قوله عليه السلام «الواغل» : هو الذي يهجم على الشرب
ليشرب معهم ، وليس منهم ، فلا يزال مُدْفَعًا محاجزا . و «النوط
المذبذب» : هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدهج أو ما أشبه ذلك ،
فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

الشرح

وقوله : عمر بن أبي سلمة^(١) : ربيب رسول الله امه ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله واعتميت الرجل : اي اخترته وهو قلب الاعتيام .
 أما زياد بن أبيه فانه ادعى فيه جماعة زعم كل منهم أنه أبوه فالتبس نسبه ولم يظهر أمره فقبل انه زياد بن أبيه وام زياد اسمها سمية وكانت سرقت من زند رود^(٢) وصارت لامرأة اسمها صفية ، فزوجتها من غلام لها اسمه عبيد رومي ، وولدت زيادا على فراشه ، فلما أسلم ظاهرا وانتهت الخلافة إلى اميرالمؤمنين استعمله على فارس كما كان رسول الله يستعمل نظراه للمصلحة .

كان معاوية يكتب إليه يستغويه ويعدده ويمنيه ، كان يعلم من دهائه وكفايته ورأيه ، وهو لا يلتفت إليه إلى أن استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام وصالح الحسن عليه السلام معاوية فشحص زياد إلى معاوية أن كتب له أمانا

١ — عمر بن ابي سلمة القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله يكنى ابا حفص وامه أم سلمة زوج النبي ولد في السنة الثانية من الهجرة بارض الحبشة وشهد مع علي عليه السلام الجمل واستعمله على البحرين وعلى فارس توفي بالمدينة سنة ٨٣ .

٢ — زند رود بفتح اوله وسكون ثانية وفتح الدال وراء مهملة و واو ساكنة وآخر ذال ، نهر مشهور عند اصبهان عليه قرى ومزارع وهونهر عظيم ، ويمكن ان يكون زند ورد بتقديم الواو على الراء وهي مدينة قرب واسط بمائلي البصرة خربت بعمارة واسط .

فلما قدم عليه أكرمه وادّعاه، وصعد به المنبر، وقال أيها الناس إنني عرفت شبيها أهل البيت في زياد فمن كانت عنده شهادة فليقمها .

فقام الناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان اقربه قبل موته فممن شهد بذلك ابو مريم الساولي وكان خمارا في الجاهلية بالطائف فقال اشهد أن أبا سفيان قدم علينا الطائف فأتاني فاشتريت له لحما وأنيته بخمر وطعام فلما ان أكل وشرب قال يا أبا مريم اصب^(١) لي لعبا، فأتيت سمية وقلت إن أبا سفيان من عرفت شرفه وحاله وقد أمرني ان اصيب له عروسا فقالت تجيء زوجي عبيد من غنمه، فاذا تعشى ووضع رأسه أتيته .

فلم تلبث أن جأت تجر ذيلها، فدخلت فلم تزن معه حتى أصبحت فقلت له كيف وجدتها قال : خير مصاحبتي لولا ذفر^(٢) في ابطيها وثن في رفيها^(٣)، فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم امهات الناس فتشتم امك ثم جلس أبو مريم فقام آخر فقال : اشهد أن عمر بن خطاب أخذ بيد زياد يوما فأخرجه إلى الناس فقال بعض الحاضرين لله أبوه من رجل لو كان له عنصر .

فقال أبو سفيان وهو إلى جانبي أنا والله وضعت في رحم أمه سمية، وما له أب غيري فقلت لم لا تدعيه فقال فزعا من هذا السلطان وأشار إلى عمر، وروي أن معاوية قدم المدينة فدخل على عائشة فذكرت له شيئا، فقال إن ذلك لا يصلح، فقالت الذي لا يصلح ادعاك زياد فقال شهدت الشهود .

فقالت ما شهدت الشهود ولكن ركبت الصليبا أي السواة والفجرة البارزة المكشوفة يعنى رده بذلك الحديث المرفوع الذي اطبقت الامة على قبوله،

١ - الصبوة : الميل الى الهوى .

٢ - الذفر بالتحريك : يقع على الطيب والكريم ويعرف بينهما بما يضاف اليه ويوصف به .

٣ - الرفع بالضم والفتح واحد الارتفاع وهي من مطاوى الاعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق .

وهو قوله عليه السلام الولد للفراش وللعاهر الحجر وسمية لم يكن لأبي سفيان فراشا وفي ذلك قال يزيد بن المفرغ^(١) الحميري .

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني
فاقسم أن الك من زياد * كال الفيل من ولد الاتان

فانظر بعقلك كيف استحوذ الشيطان على حزبه أي عماهم عن الحق حتى استشهد من سمي أمير المؤمنين ولقب بخال المؤمنين وتوسل إلى نيل الخلافة بكتابة وحي رب العالمين على منبر الخلافة ومنظر الرسالة خمارة الطائف على^(٢) نزوان أبيه أبي سفيان السكران على سمية المومسة^(٣) الدفرة لتغيير حكم الشرع عن الظاهر والحاق ولد الزنا بالعاهر .

فهل بقيت مآثم لم يحتقبوها^(٤) وجرايم لم يرتكبوها وسرى عرق الدعوة في أولاد زياد، حتى جرا على يدابنه عبيد الله لعنه الله ما جرى من قتل الحسين، وأولاده عليهم السلام، وإذا تدبرت أحوال أعداء علي وأبرار عترته وجدت أكثرهم أشنع وأقبح من هذا، وقد جرى ذلك على لسان النبي صلى الله عليه وآله حيث قال بوروا^(٥) أولادكم بحب علي بن أبي طالب عليه السلام فمن أحبه فهو لرشدة^(٦) ومن أبغضه فهو لغية^(٧) .

١ - يزيد بن ربيعة بن مفرغ - كمحدث - الحميري شاعريقال ان جده راهن على ان يشرب عسا من لبن ففرغه وقال ابن الكلبي في نسب حمير: يزيد بن زياد بن ربيعة ابن مفرغ كان حليفا لآل خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية وله اليوم عقب بالبصرة .

٢ - نزوت على الشيء انزوتوا : اذا وثبت عليه .

٣ - المومسة : المرأة الفاجرة المجاهرة بالفجور والدفور : التنن .

٤ - احتقبت الاثم : جمعه .

٥ - في الحديث كنا نبور اولادنا بحب علي عليه السلام : البور : الاختبار والامتحان .

٦ - الرشدة : اي ولد بالطريق الشرعي والنكاح المشروع .

٧ - الغي : الزنا والمراد من «لغية» هنا المولود من الزنا .

قوله كان من أبي سفيان فلتة : أي قول غير صادر عن تدبر وتردد بل فجأة لا يثبت بها نسب ، لقول النبي صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر^(١) الحجر .

والنوط المذبذب : أي الشيء المعلق المحرك المضطرب غير الثابت .
وقول زياد شهد بها : جهل باطل لأن ردّ علي عليه السلام على أبي سفيان كيف يكون تحقيقا للنسب .

١ - العاهر : الزاني وعهر : اذا اتى المرأة ليلا للفجور بها ثم غلب على الزنا مطلقا .

٤٤ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري ، وهو عامله على البصرة

وقد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها

أَمَّا بَعْدُ يَا أَبْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِئَةِ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادَبَّةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ
الْأَلْوَانُ ، وَتُنْقَلُ عَلَيْكَ الْجِفَانُ^(١) ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى
طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوءٌ ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوءٌ ؛ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ
مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ ، فَمَا أَشْتَبَةَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ ؛ وَمَا
أَيَقَنْتُ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ .

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَتَّقِدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ،
أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ^(٢) ، وَمِنْ طَعْمِهِ
بِقُرْصِيهِ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ
وَأَجْتِهَادٍ ، (وَعِقَّةٍ وَسَدَادٍ^(٣)) فَوَاللَّهِ مَا كَنْزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا
وَلَا أَدَخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا ، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي تَوْبِي طِمْرًا .

٣ - ساقطة من ف ون ول وش .

١ - في ض وح وف وم : تنقل اليك .

٢ - في م وحاشية ن : من الدنيا بطمريه .

بَلَى؟ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكَ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَلْتُهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ
عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسٌ^(١) آخِرِينَ. وَنِعْمَ
الْحَكْمُ^(٢) اللَّهُ! وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَاكَ وَغَيْرِ فَدَاكَ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا
فِي غَدِ جَدْتُ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا،
وَحُفْرَةٌ لَوْزِيدٌ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْغَطِهَا^(٣)
الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ، وَسَدَّ فُرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ
نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ،
وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزَلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى
مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمِجِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرْزِ،
وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ
الْأُظْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَارِ أَوْبَا^(٤) الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي
الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ!! أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُظُونُ
غَرَّتِي، وَأَكْبَادُ حَرِّي!! أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَةً • وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَجُنُّ إِلَى الْقِدَا!

أَفْقَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي
مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونَ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُونَةِ الْعَيْشِ، فَمَا
خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ هُمُهَا
عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَغْلَافِهَا،

١- في ض وب : نفوس قوم آخرين وفي ف : نفوس قوم .

٢- في ش : نعم الحكم الله رب العالمين .

٣- في حاشية ف : لضغطها .

٤- في ض ون وب : او اليمامة .

وَتَلَهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرِكَ سُدِّي وَأُهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أُجْرَّ حَبْلُ الضَّلَالَةِ، أَوْ أُعْتَسِفَ ظَرِيقَ الْمَتَاهَةِ. وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي ظَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجَعَانِ»؟! أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَضْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَائِعُ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جَلُودًا، وَالتَّبَاتَاتُ الْبَدْوِيَّةُ^(١) أَقْوَى وَقُودًا وَأَبْطَأُ خُمُودًا! وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنُومِ مِنَ الصَّنُومِ^(٢)، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللَّهُ لَو تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَيَّ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّنْتَ الْفُرْصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أَظْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَيَّ غَارِبُكَ، قَدْ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكَ، وَأَقَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ، وَأَجْتَنَّبْتُ الدَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكَ. أَيُّنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ غَرَّرْتَهُمْ بِمَدَاعِيبِكَ^(٣) أَيُّنَ الْأُمَّمِ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ؟ هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا، وَقَالِبًا حَسِيًّا؛ لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَّرْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَأَمَمِ الْقَيْتِيهِمْ^(٤) فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكِ أَسْلَمْتِيهِمْ إِلَى التَّلْفِ وَأَوْرَدْتِيهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ. هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضِكَ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ غَرِقَ، وَمَنْ أَزُورَ عَنْ حَبَالِكَ

١- في ض وب: والنبات البدوية.

٣- في ن وع: بمداعيبك.

٢- في ح: كالضوء من الضوء.

٤- في ب: بالاماني والقيتهم في الهاوي.

وَفَقَّ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ، وَالذُّنْيَا عِنْدَهُ
كَيَوْمِ حَانَ أَنْسِلَاحُهُ.

أُعْزِبِي عَنِّي؛ فَوَ اللَّهُ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْذِلِينِي، وَلَا أَسْلَسُ
لَكَ فَتَقُودِينِي؛ وَأَيْمُ اللَّهِ - يَمِينًا بَرَّةً أَشْتَنِي فِيهَا بِمَشِيَّةِ
اللَّهِ - لِأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ
عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَادُومًا؛ وَلَا دَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ
نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرَعَةً دُمُوعُهَا. أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَعِيهَا
فَتَبْرُكًا؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلَيَّ
مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ قَرَّتْ إِذَا عَيْتُهُ إِذَا أَقْتَدِي بَعْدَ السِّنِينَ
الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةَ الْمَرْعِيَّةَ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا؛ وَعَرَكَتْ بِجَنِبِهَا
بُوسَهَا؛ وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى
أَفْتَرَشَتْ عَلَيْهَا أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا؛ فِي مَعْشَرِ أَشْهَرِ
عُيُونِهِمْ خَوْفِ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ
وَهَمَّهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ
ذُنُوبُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

(فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَبْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ؛ لِيَكُونَ

مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ) (١).

الشرح

ومن كتابه إلى عثمان بن حنيف .

قطان البصرة : سكانها ؛ المأدبة : الطعام وأدب القوم يادبهم دعاهم إلى

الطعام .

والعائل : الفقير ؛ والطمر : الثوب البالي .

والفلذة : قطعة من الكبد واللحم .

والتبر : الذهب ، وروي لا ذخرت من أقطارها شبرا .

انكم لا تقدرون على ذلك : يعنى ان لا تجاوز التجاوز من اتقاء الحرام إلى

اتقاء ما تركه أولى ويجوز فعله ، ولكن عليكم باتقاء الحرام فان ذلك لا بد منه .

والمظان : جمع المظنة وهو الموضع الذي يظن ويعلم كونه فيه .

والجشع : أشد الحرص ؛ والقذ : جلد تحرقه العرب في الجذب

ويأكلونه .

وجشوبة العيش : غلظه وخشونته ؛ والكاف في كالبهيمة ، منصوب

المحلّ على الحال ، وذو الحال الضمير المنصوب في ليشغلني (أي ما

خلقت ليشغلني ذلك مشابها للبهيمة أي لو شغلني ذلك لشابهت البهيمة .

ج- وقيل هو صفة مصدر محذوف ، والمضاف اليه بعده مقدر ، أي ما

خلقت خلفا مثل خلق^(١) البهيمة .

والتقسم : تتبع القمامة بالكناسات ، وقيل هو جمع النبات في المرعي .
تكثرش : أي تجمع في الكرش ، والمتاهة : التحير والغري^(١) بالتسكين
الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر .

والصنوان : شعبتان يبتان من أصل واحد .

والشخص المعكوس : عني به معاوية وكان جميع أحواله وأفعاله على
عكس ما يقتضيه الدين .

والجسم المركوس : أي الراجع إلى عقبه المنحرف عن طريقه .

حتى يخرج المدرة من بين حبّ الحصيد : أي تميز الحق من الباطل ،
والطيب من الخبيث ، وحب الحصيد : أي حب التبت الحصيد ، وقال
الأزهري : أي حب الزرع الحصيد ، قال ابن عرفة : أي ما يحصد من أنواع
النبات وحب البرّ والشعير ونحوهما ، إذا تكامل أن يحصد ، والحبّ هو
الحصيد ، فهو مثل حق اليقين أي حب الزرع الذي يقتات به ، ومن شأنه أن
يحصد .

إليك عني : أي ابعدني عني .

فحبك على غاربك : مثل مضى الكلام فيه ، وهو طلاق الجاهلية
وأصل الكلام في الابل فانها إذا خلّيت للرعي تذهب حيث تشاء ألقي زمامها
على غاربها .

انسللت : أي خرجت ، بمداعبك : جمع مدعاة وهي الطعام الذي يدعى
إليه أو الدعاء إلى الطعام نفسه ، يعني بزخارفك وزهرتك ، وروى بمداعبك
من الدعابة وهي المزاح .

والمضامين : في الأصل ما في أصلاب الفحول ، ثم استعير لكل شيء

مستور، وهو جمع مضمون، أي هم في ضمن اللحود في القبور.
ومكان دحض ودحض: بالتحريك أي زلق لا يثبت عليه قدم.
وازورًا: انحرف وأعرض.

أعزبي: أي تباعدي، لا أسلس؛ لا أنقاد.

وأيم الله: مبتدأ محذوف الخبر أي أيم الله يميني، ثم فسر اليمين المحذوف بقوله يميناً ويجوز أن يكون مصدراً من فعل دلّ عليه أيم الله أي احلف يميناً.

تهش: أي ترتاح.

ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها:

أي أبالغ في البكاء حتى لا يبقى دمع، واستفرغت مجهودي في كذا بذلته، واستفرغت الماء صببته، ونضب الماء: غار والمعين: الماء الظاهر للعيون على وجه الأرض.

والربوضة: الغنم المجتمعة في مريضها.

والرعى: ما يرعى من النبات.

والغمض: القليل من النوم، يهجع: ينام، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر.

تقشعت: أي تفرقت.

* * *

٤٥- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ
بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الشَّغْرِ المَخُوفِ. فَاسْتَعِينِ بِاللهِ
عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَأَخْلِطِ الشَّدَّةَ بِضِعْفٍ مِنَ اللِّينِ، وَأَرْفُقْ مَا كَانَ
الرَّفْقُ أَرْفَقَ، وَأَعْتَزِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ،
وَأَخْفِضِ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، (وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ^(١)) وَأَلِنْ لَهُمْ
جَانِبَكَ، وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالتَّنْظَرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ،
حَتَّى لَا يَظْمَعَ العُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ
عَذْلِكَ.

٤٦ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
أوصيكمما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغثكمما،
ولا تأسفا على شيءٍ منها زوي عنكمما، وقولا بالحق، وأعملا
لأجر^(١)، وكونا للظالم خضما وللمظلوم عوناً.

أوصيكمما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي،
بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم؛ فإني سمعتُ
جداًكمما، صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «صلاخ ذات البين
أفضل من عامة الصلاة والصيام» الله الله في الأيتام؛ فلا تغبوا
أقواهم، ولا يضيعوا بحضرتكم، والله الله في جيرانكم؛
فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه
سيورثهم، والله الله في القرآن؛ لا يسبقكم بالعمل به
غيركم، والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم، والله الله في
بيت ربكم؛ لا تخلوه ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا، والله

١ - في حاشية ف : واعملا للاخرة .

اللَّهِ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّيْتِكُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاضُعِ وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لَا
تَشْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنْهِي عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ
شِرَارُكُمْ^(١) ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَلْفَيْتُكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ
المُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا! لَا تَقْتُلَنَّ
بِي إِلْقَاتِي.

أَنْظَرُوا إِذَا أَنَا مِثُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَأَضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَتِهِ،
وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالمُثَلَّةَ، وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعَقُورِ».

الشرح

أقمع نخوة الأثيم: أي اكسر كبره.

قوله عليه السلام: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام.

في الغريبين اصلحوا ذات بينكم، أي حقيقة وصلحكم عنى بصلاح البين
إصلاح الحال بين المسلمين، قال الامام الوبري: يجوز أن يكون المراد
بذلك أن الاصلاح بين الناس وإزالة الوحشة منهم، يزيد ثوابه على ثواب
النوافل، من الصلاة والصيام، وإن كثرت، ووجه ذلك ظاهر، وهو أن صلاح
ذات البين خير يتعدى من فاعله إلى غيره، والصلاة والصوم مقصوران على
الفاعل، فجاز أن يكون القليل من ذلك النوع يوفى على الكثير من غيره.

قوله : والله الله : أي اتقوا الله ، والتكرار للتأكيد .

ولا تغبوا أفواههم : من قولهم لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوماً دون يوم ، بل يأتينا كلَّ يوم ، يعني لا تطعموا الأيتام ساعة دون ساعة ، ويوماً دون يوم ، بل اطعموا كل وقت وساعة .

فانه إن ترك ذلك لم يناظروا : أي ان اتفق الناس على ترك الحج عوجلوا بالعقاب ولم ينظروا .

والمثلة : النكال ومثل بالقتيل جدع أنفه .

* * *

٤٧- وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتَغَانِ^(١) الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ
خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُذْرِكٍ مَا قُضِيَ
فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ^(٢) فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ
فَأَكْذَبَهُمْ؛ فَاحْذَرْ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ،
وَيَنْتَدِمُ مَنْ أَمَكَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَازِبْهُ.
وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَسْنَا إِيَّاكَ
أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

١- في ض وحاشية ن وش : يوتغان بالمرء وفي ن وب ول : يذيعان بالمرء .

٢- في ب وض وح ول وش : اقوام امرا بغير الحق .

الشرح

الوتغ بالتحريك : الهلاك وقد وتغ وتغا أي أثم ، وأوتغه الله أي أهلكه ،
وأوتغ فلان دينه بالاثم .

تأولوا على الله فأكذبهم : أي طلبوا لأفعالهم تأويلا لا يرضاه الله كما
فعل أصحاب السبت ، فان الله أمرهم أن لا تعدوا في السبت فحبسوا الحيتان
في الحياض يوم السبت ، وصادوها يوم الأحد ، وروي فتألوا على الله ، وذلك
في حديث النبي من يتألّ على الله يكذبه ، وقيل في تأولوا كأنه قلب تألوا
على الله ، أو تصحيف من الناسخ من قول النبي صلى الله عليه وآله : من
يتأل على الله يكذبه ، أي من يحكم على الله مثل أن يقول ليخيبنّ الله سعي
فلان أو لينجحن .

* * *

٤٨- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أُبْرِمَ! وَلَوْ أَعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ؛ وَالسَّلَامُ.

٤٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أمرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاجِدِ:-
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِيِّ أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ^(١) عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلاً نَالَهُ، وَلَا طَوَّلاً خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوءاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَظْماً عَلَى إِخْوَانِهِ.

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أُخْتَجِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ،
 وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ ، وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ
 مَحَلِّهِ ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ . وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ
 سَوَاءً ؛ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِي عَلَيْكُمْ التَّعْمَةُ وَلِي
 عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ ؛ وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ، وَتُفَرِّطُوا فِي
 صِلَاحٍ ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ
 تَسْتَقِيمُوا^(١) [إلى] عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ
 أَعْوَجَ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا
 رُخْصَةً ، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، وَأَعْظُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا
 يُضْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ .

الشرح

لا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب : أي لا أكتم سري عنكم إلا ما يتعلق بالحرب فإن الحرب خدعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفرا ورى بغيره أي كنى عنه وستره .

ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم : أي أشاوركم فيما يتعلق بصلاح الدنيا دون أحكام الدين ، والوظائف الشرعية فإنه لا مجال للرأي والشورى فيها ، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي ، والعدوان عقاب يخاف ، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه .

قال الامام الوبري : لأن التقوى من القبائح له حكمان ، فوز بالثواب ونجاة من العقاب ، فلو عفا عن العقاب في ارتكاب القبائح ، لم يسغ للعاقل تعاطيها^(١) ، لأن فيها حرمان ثوابها ، فكفى بثواب التقوى داعيا إليها ، وإن كان يؤمن العقاب لأن تقوية النفع العظيم الذي لا مزيد عليه لا يجوز في العقل .

* * *

١ - تعاطى الشيء : تناوله وتعاطى الأمر : قام به وخاض فيه .

٥٠- وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ :
 أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ
 لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ
 كَثِيرٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ.
 فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَضْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ
 خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَيْمَةِ. وَلَا تَحْسِمُوا^(١)
 أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي
 الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا
 عَبْدًا، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَمَسَّنَّ مَالَ
 أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا
 يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ

١- في ض وح وب : ولا تحشموا وفي ل : ولا تحشموا.

ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ شَوْكَةً^(١) عَلَيْهِ، وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ^(٢) مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، قَدْ اضْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهِدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قَوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (العلي العظيم^(٣)) .

الشرح

وسفراء الأئمة : أي الوسائط بينهم وبين الرعايا .

ولا تحشموا : أي لا تقطعوا .

ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف : أي لا تضطروهم

ولا تلجئوهم إلى بيع ذلك للخراج .

وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم .

أي أجهدوا في أداء ذلك : وأظهروا الكفاية فيه عن أنفسكم ، فقال

أبلى فلان عذرا أي بالغ في إظهاره من نفسه .

* * *

١- في ف : فيكون ذلك شوكة عليه .

٢- في ض وب وم : في سبيل الله وفي ح : في سبيل ما استوجب .

٣- ساقطة من ش .

٥١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ
 مَرَبِضِ الْعَنْزِ^(١)، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيضاءُ حَيَّةٌ فِي
 عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ
 حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجَّ، (إلى منى^(٢)) وَصَلُّوا بِهِمُ
 الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ
 وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجَةَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أضعفهم وَلَا
 تَكُونُوا فَتَانِينَ .

١- في ب : من مريض العنز.

٢- ساقطة من ف وم ون ول وش .

الشرح

فصلوا بالناس الظهر، حين تفيء الشمس مثل مريض العنز. أي حين تزول الشمس إلى الغرب ويقع من الفيء القدر المذكور ويطابق هذا القول، ما نقل من كتاب الحلبي من أن وقت صلاة الظهر قدمين من زوال الشمس إلى أن يكون الظل قامة ووقت العصر على قامة ونصف إلى أن يصفار الشمس.

وقوله والشمس بيضاء: أي قبل اصفرارها.

قوله عليه السلام حية: استعارة لطيفة كأنه شبه غروب الشمس لونها واصفرارها بمرضها، واشفائها على الهلاك. وبقائها على حالها من قبل بيضاء اللون قوية النور بحياتها.

في عضو من النهار: أي وقد بقي جزء تام من اليوم، بحيث يمكن أن يسار فيه فرسخان.

صلاة المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج.

أي يرجع عن عرفات يوم عرفة، وذلك إنما يكون حين سقوط قرص الشمس، وغيابه في الأفق، وعلق ذلك بوقت الافطار ودفع الحاج لأن المخاطبين ربما كان ذلك أسبق إلى افهامهم، فكان إضافة الفعلين إلى الوقت المخصوص أشهر عندهم.

والشفق: هو الحمرة في المغرب عندنا وعند الشافعي، والبياض عند

أبي حنيفة .

وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه .

وذلك بعد طلوع فجر الثاني .

صلوا بهم صلاة أضعفهم : أي لا تطيلوا الصلاة في الجماعة ، بحيث

يضعف عن موافقتكم الضعفاء من المشائخ والمرضى ، وغيرهما .

ولا تكونوا فتانين : أي لا يكن الامام المقتدى به ممن يتلى المقتدون

به وبأطالته الصلاة ، والأولى أنه على العموم والاطلاق أي لا تكونوا أصحاب

فتنة وبلاء على الخلق .



٥٢- وَمِنْ عَهْدِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله ، لما ولاه على مصر واعمالها
حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد
وأجمع كتبه للمحاسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ
الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ: جِبُوتَ خَرَاجِهَا،^(١)
وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَأَسْتِضْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَأَتْبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي
كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسَعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا،
وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعِهَا؛ وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ^(٢)؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ
نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ^(٣) وَيَزْعَمَهَا عِنْدَ

٣- في ب : من الشهوات .

١- في ض وح وب : جباية خراجها .

٢- في ف ون وم ول وش : بيده وقلبه .

الْجَمَحَاتِ^(١)؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَجِمَ اللَّهُ.
 ثُمَّ أَعْلَمَ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ
 عَلَيْهَا دُونَكَ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ
 أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ،
 وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ
 بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ
 إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَا لِكَ هَوَاكَ وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا
 لَا يَجِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِثْلَهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ
 كَرِهَتْ، وَأَشْعِرُ^(٢) قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ،
 وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ
 فَإِنَّهُمْ صِئْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُ^(٣) لَكَ فِي
 الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ^(٤)، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُوتِي
 عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
 وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ،
 فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ!
 وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ
 لِحَرْبِ اللَّهِ.

فَإِنَّهُ لَا يَدِينِي لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ
 وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَتَدَمَّنْ عَلَى عَفْوِي، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَتِي، وَلَا تُسْرِ

١- في حاشية م: ويدعها عند.

٣- في ب: او نظير.

٢- في م: واشعر نفسك.

٤- في ب: منهم في الزلل.

عَنْ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتِ مِنْهَا مَنُذُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ
فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَاكُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنْ
الْغَيْرِ. وَإِذَا أَحَدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً
فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُظَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ،
وَيَكْفُ عَنكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنكَ مِنْ
عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشْبُهَةَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛
فَإِنَّ اللَّهَ يُدِلكَ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.
أُنْصِفِ اللَّهَ وَأُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ
وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ! وَمَنْ
ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ
أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ
أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ (عَلَى
ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ^(١) دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ
بِالْمِرْصَادِ^(٢)).

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي
الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا
الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ

١- في م وش: ان الله سميع.

٢- ساقطة من ن وف ول.

مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْنَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقْلَلَ مَعُونَةً لَهُ فِي
الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقْلَلَ شُكْرًا عِنْدَ
الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنِّعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ
الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عَمُودُ ^(١) الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ،
وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَغُوكَ لَهُمْ،
وَمِثْلِكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ ^(٢) أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَظْلَبَهُمْ
لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا،
فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَظْهِيرُ مَا ظَهَرَ
لَكَ، وَاللَّهُ يُحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا
اسْتَظَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَظْلِقْ
عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثْرِ،
وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ ^(٣) لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ
سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِي غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالتَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعِدُكَ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ
وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ
لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى
يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ!

شَرُّ وُزَرَائِكَ ^(٤) مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا، وَمَنْ شَرِكُهُمْ

٣- في ح: مالا يضح لك .

١- في ب: عماد الدين .

٤- في ض وب: ان شروزرائك .

٢- في ش: فليكن ابعده .

فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِظَانَّةٍ؛ فَإِنَّهُمْ أَغْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ ^(١) مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ: أَوْلِيكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَخْنَى عَلَيْكَ عِظْمًا، وَأَقْلُّ لِغَيْرِكَ إِفَاءً، فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُظَرُّوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِظْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ ^(٢).

وَلَا يَكُونَنَّ ^(٣) الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْأَخْسَانِ فِي الْأَخْسَانِ، وَتَدْرِييًّا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَالزِّمُّ كُتْلًا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّه لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ ^(٤) بِرِعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ ^(٥) عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَ أَسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا

٤ - في ب : حسن ظن راع .

٥ - في ض وف وح : تخفيفه المؤنات عليهم .

١ - في ح وش : اوزارهم وآثامهم .

٢ - في م ول وش : من الغرة .

٣ - في ب : ولا يكون المحسن .

طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ،
 وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.
 وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ،
 وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلُفَّةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ؛ وَلَا تُحْدِثَنَّ
 سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَةِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ
 سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ ^(١) مِنْهَا.
 وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةِ ^(٢) الْحُكَمَاءِ فِي
 تَثْبِيهِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ
 قَبْلَكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا
 غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا ^(٣) جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ
 الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ
 وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ
 النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى
 مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمِيَ لَهُ اللَّهُ سَهْمَهُ.
 وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ،
 حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ
 تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ

٣ - في ف : منها جنود الله .

١ - في ف : نقضت منها .

٢ - في ح : مناقشة الحكماء .

مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادٍ ^(١) عَدُوَّهُمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُضْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَتَافِعِ، وَيُوتَمَتُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَائِمِهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضْلِحُهُ (وَلَيْسَ بِخُرُوجِ الْوَالِي مِنَ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَوَطُّبِنِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْثَقُلَ ^(٢)) قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَامَايَكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً ^(٣)، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً: مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الصَّقُّ بِذَوِي الْأَحْسَابِ ^(٤) وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ

١ - في ض وح : على جهاد عدوهم .

٢ - ساقطة من م وف ون ول وش .

٣ - في ف وح : واطهرهم جيبا وفي ل وش : ولأمامك جيبا .

٤ - في ض وح : الأحماس .

وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ التَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ (١)
وَالسَّمَاخَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشَعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ
تَفَقَّدُوا مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا، وَلَا يَتَّفَاقَمَنَّ
فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ
وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ
بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَىٰ جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ
لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا
يَسْتَفْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَأَسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ؛
وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ
خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛
فَإِنَّ عَظْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ؛ (وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ
عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ،
وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ (٢)، وَلَا تَصِحُّ
نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطِيَّتِهِمْ عَلَىٰ وِلَاةِ (٣) أُمُورِهِمْ وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ
دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ أَنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ؛ فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ
وَوَاصِلِ فِي حُسْنِ (٤) الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذُؤُوبَ الْبَلَاءِ
مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفعالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ
التَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١ - في م : والسخاوة .

٢ - في ب : على ولاة الامور .

٣ - ساقطة من م وف ون وح ول وش .

٤ - في ح : من حسن الثناء .

ثُمَّ أَعْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أُبْلَى، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ
أَمْرٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ
شَرَفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ
أَمْرٍ إِلَى أَنْ تَسْتَضْعِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

وَأَرُدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ ^(١) مِنَ الْخُطُوبِ
وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ
إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)
قَالَ الرَّدُّ ^(٢) إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ:
الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ
مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُنْجِكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي
الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ
نَفْسُهُ عَلَى ظَمْعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛
وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا
بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ، وَأَضْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِيفِ الْأُمُورِ، وَأَضْرَمَهُمْ
عِنْدَ إِضْاحِ الْحُكْمِ ^(٣)؛ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِظْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ
إِغْرَاءٌ، وَأَوْلِيكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدِ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحُ لَهُ فِي

١ - في ف وم : يظلمك .

٢ - في ش : فالراد الى الله .

٣ - في ح وب : عند انضاح الحكم .

الْبَدْلِ مَا يُزِيحُ عِلَّتَهُ ^(١) ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطِيهِ
مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ
بِذَلِكَ أَعْتِيَالَ الرَّجَالِ ^(٢) لَهُ عِنْدَكَ ، فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا
بَلِيغًا ؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ : يُعْمَلُ
فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُظَلَبُ بِهِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا ، وَلَا تُؤَلِّهِمْ
مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ؛ فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ ^(٣) مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ؛ وَتَوَخَّ
مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ
فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا ؛
وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ ^(٤) إِشْرَافًا ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا . ثُمَّ
أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى آسِيضِلَاحِ
أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ
عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ . ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ
وَأَبْعَثِ الْعُيُونََ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ
فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ عُذُوةٌ لَهُمْ عَلَى آسِيغَمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ
بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ
أَجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ ^(٥) ، عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ أَكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ
شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ

١ - في ض وب : ما يزيل .

٤ - في ف ون : في المطامع اسرافا .

٢ - في ع وحاشية ش : اغتياي الرجال .

٥ - في ش : عليك عندك .

٣ - في م : فان المحاباة والاثرة جماع .

عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتُهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتُهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتُهُ عَارَ التُّهْمَةِ.

وَتَفَقَّدُ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ؛ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ (١) إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَاكَ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِيهِ. وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا؛ فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالِيَةً أَوْ إِحَالََةَ أَرْضٍ أَغْتَمَرَهَا (٢) غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّوْنَ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ الْمَوُونَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ (٣) لَهُمْ وَالثِّقَّةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ خَتْمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُخْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُوتَى خَرَابَ الْأَرْضِ مِنْ

١ - في ش: سلاحا لمن سواه.

٢ - في ل: وروي اعتمرها.

٣ - في ح: من اجماعكم لهم وفي ب: من اججامك لهم.

إِعْوَاذِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى
الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.
ثُمَّ أَنْظَرَ فِي حَالِ كُتَابِكَ؛ قَوْلَ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ؛^(١)
وَإِخْصُصَ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ
بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ
فَيَجْتَرِيءُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأَ، وَلَا تَقْصُرُ
بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا
عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضَعِّفُ
عَقْدًا اغْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِظْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلَا
يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ
يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلًا، ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى
فِرَاسَتِكَ وَأَسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ؛ فَإِنَّ الرَّجَالَ
يَتَعَرَّفُونَ^(٢) لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُوعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ،
وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبَرَهُمْ
بِمَا^(٣) وُلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ : فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ
أَثْرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ
وَلِمَنْ وُلِّيَتْ أَمْرُهُ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ
لَا يَفْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي
كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتُ عَنْهُ الزِّمْتَهُ. ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ

٣ - في ش: فيما ولوا.

١ - في م: من خيارهم.

٢ - في ح: يتعرضون لفراسات الولاة.

وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِي بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرَبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ سَلِيمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلِحَ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدَ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ .
وَأَعْلَمُ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشُحًّا قَبِيحًا وَآخِثْكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرُوءٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ؛ فَاْمَنَعُ مِنَ الْإِخْتِكَارِ (١) فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَنَعَ مِنْهُ. وَلَيْكُنِ الْبَيْعَ بَيْعًا سَمِحًا: بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ؛ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّمْ بِهِ؛ وَعَاقِبْ (٢) فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لِأَجِيلَةٍ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا؛ وَأَحْفَظُ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَأَجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى؛ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَذْنَى، وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ

١ - في ش: فامنع الاحتكار.

٢ - في ض وح: وعاقبه وفي ش: فنكل وعاقب وكذا في ف و م ون.

فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ النَّافَةِ (١) لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ، فَلَا تُشْخِصُ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرُ خَدَكَ (٢) لَهُمْ، وَتَفَقَّدُ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ؛ فَإِنَّ هَوْلَاءَ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُسْمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَأَحِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ (وَالْحَقُّ كُلُّهُ (٣) ثَقِيلٌ)، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّجٍ (٤)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: (لَنْ نُقَدِّسَ أُمَّةً لَا يُؤَخَّذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّجٍ) ثُمَّ اخْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعَيَّ (٥)، وَنَحَّ عَنْهُمْ

٤ - في ض وب وح : غير متتعج .

٥ - في ع : والغي .

١ - في ب : بتضييعك النافه .

٢ - في ع : خدك من الكبر لهم .

٣ - ساقطة من ب .

الضيقَ وَالْأَنْفَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْثَافَ رَحْمَتِهِ،
وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِيَ مَا أَعْظَيْتَ هَنِيئًا، وَأَمْتَنَ فِي
إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لِأَبْدَلِكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ
عَمَلِكَ بِمَا يَغِيَا عَنْهُ كُتَابُكَ، وَمِنْهَا إِضْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ
وُرُودِهَا عَلَيْكَ. بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ
عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيْتِ، وَأَجْزَلِ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَأَنْ
كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَّحْتَ فِيهَا النَّيَّةَ، وَسَلِمْتَ مِنْهَا الرَّعِيَّةَ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ
الَّتِي هِيَ لَهُ (١) خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ
وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ (٢) بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرُ
مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَإِذَا قُمْتَ فِي
صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُتَفَرًّا وَلَا مُضَيِّعًا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ
بِهِ الْعَلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ
«صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالمُؤْمِنِينَ رَجِيمًا».

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلَا تُطَوَّلَنَّ (٣) أَحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ
أَحْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةٌ عِلْمِ

١- في ش: التي فيها له خاصة.

٢- في ب: ما قربت به.

٣- في ب: اما بعد فلا تطولن.

بِالْأُمُورِ، وَالْإِخْتِجَابُ مِنْهُمْ ^(١) يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا أَخْتَجَبُوا
 دُونَهُ فَيَضَعُرُّ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَنْقُبُ
 الْحَسَنُ وَيَخْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي
 بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى
 الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا
 أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَمَرُوا سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ
 فَفِيمَ أَخْتِجَابِكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ؟ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسَدِّدُهُ،
 أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا
 مِنْ بَدْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوْؤَنَةَ ^(٢) فِيهِ
 عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أَوْ ظَلَبٍ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ أَسْتِثْنَاءً، وَتَطَاوُكًا، وَقِلَّةً
 إِنْصَافٍ ^(٣) فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمُ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ
 الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً وَلَا
 يَظْمَعَنَّ مِنْكَ فِي أَعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّبِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي
 شَرْبِ أَوْ عَمَلِ مُشْتَرِكٍ يَخْمِلُونَ مَوْؤَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ
 مَهْتَأًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَعِيبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالزِّمُّ الْحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ
 صَابِرًا مُخْتَسِبًا، وَأَقِمْ ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ؛

١ - في ش : والاحتجاب عنهم .

٢ - في ش : مالا مؤونة فيه .

٣ - في ف وش : وقلة انصاف فاحسم مادة اولئك وفي م وف : وقلة انصاف فاحسم مؤنة اولئك .

وَأَبْتَعِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ .
 وَإِنْ ظَنَنْتِ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأُضْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَأَعِدِي
 عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِضْحَارِكَ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ (رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ،
 وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ ^(١)) ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيهِمْ
 عَلَى الْحَقِّ .

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَرَبِّهِ فِيهِ رِضًا ؛ فَإِنَّ فِي
 الصُّلْحِ دَعَاةً لِلْجُنُودِ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ، وَلَكِنْ
 الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ
 لِيَتَغَفَّلَ ^(٢) ؛ فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَأَتِّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ
 عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ ^(٣) عُقْدَةً أَوْ الْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً ؛
 فَحُظِّ عَهْدِكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً
 دُونَ مَا أُعْظِيَتْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ
 عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفْرِيقِ ^(٤) أَهْوَائِهِمْ وَتَشْيِيتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ
 الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ
 الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعَذْرِ ؛ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ
 وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوِّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى
 اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ
 بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيمًا يَسْكُونُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ ،
 وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ ؛ فَلَا إِذْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ ،

١ - ساقطة من ف وم ون وح ول وش .

٣ - في ب : وبين عدوك .

٤ - في ض وح وب : مع تفرق أهوائهم ونشئت .

٢ - في م : ليغفل .

وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تَعْوَلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ
بَعْدَ التَّأَكِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ، وَلَا يَدْعُونَكَ ^(١) ضَيْقُ أَمْرِ لِيَزِمَكَ فِيهِ
عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى
ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ
تَبِعْتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنْ اللَّهِ فِيهِ ^(٢) طِلْبَةٌ، فَلَا تَسْتَقِيلَ
فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

إِيَّاكَ وَالدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَذْنَى
لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَغْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَأَنْقِطَاعِ ^(٣)
مُدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ
بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ ^(٤) فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَلَا تُقَوِّتَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ
وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي
قَتْلِ الْعَمْدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنْ أَبْتُلَيْتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ
عَلَيْكَ سَوْطُكَ ^(٥) أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكُزَةِ فَمَا فَوْقَهَا
مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَظْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُودِّيَ إِلَى
أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ^(٦) حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا،
وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ

١ - في ش : على ضيق ترجو .

٢ - في ش : بك فيه من الله طلبة .

٣ - في م : وانقضاء مدة .

٤ - في ف : بين عباده .

٥ - في ض وب : سوطك اوسيفك اويديك .

٦ - في ب : اولياء الامور .

لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ (١) .

وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّزْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ فَتُشْبِعَ مَوْعُودَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْأِحْسَانَ ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِبُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفُ يُوجِبُ الْمَمَقَّتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

إِيَّاكَ (٢) وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسَاقُطَ (٣) فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ ، أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ . فَضَعَّ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقَعَ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .
وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثَارَ بِمَا لِلنَّاسِ فِيهِ أَسْوَةٌ ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى (٤) بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ؛ فَإِنَّهُ مَا خُوذُ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنَكَّشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ ؛ إِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ؛ وَأَخْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضْبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ لَهْمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ

١- في ض وح وب : يكون احسان المحسنين . ٣- في ب : او التسقط .

٢- في ض وح وب : واياك والعجلة . ٤- في ع ول : عما تعنى .

مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهَدْتُ
إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَأَسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنْ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي
عَلَيْكَ ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا

وَمِنْ هَذَا الْعَهْدِ أَيْضاً

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ
كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْأَقَامَةِ عَلَى
الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مِنْ حُسْنِ ^(١) الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ،
وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ،
وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ ^(٢) رَاغِبُونَ.
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ
الظَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

١ - في ض وب وم ول وش : مع حسن الثناء .

٢ - في ض وب : راجعون .

الشرح

في عهده عليه السلام للأشتر.

قوله عليه السلام: جباية خراجها: يقال جببت الخراج جباية وجبوته جباوة أي جمعته^(١) وأصله الهمز، والجبوة بالفتح المرة الواحدة، وبالكسر للهيئة والحالة كالجلسة والركبة.

والخراج اسم لما يخرج منه: الفرائض من الأموال فصار الخروج لفظا واقعا على الضريبة وعلى مال الفيء وعلى الجزية، والغلة.

قال الله تعالى: أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير^(٢)، أي أجرا فرزق ربك خيرا، والخراج والخراج: الجعل في قوله تعالى: فجعل لك خراجا والخراج إنما يؤخذ من أرض أخذت بالسيف فيوضع في بيت مال المسلمين وأرض الامام يوجر وجزاز أن يسمى أجرتها خراجا مجازا، والأرض إذا كان ملكا لأحد فلا خراج عليه فيها وإنما عليه الزكاة إذا تم نصابه ولا خراج على أرض ذمّي يؤدّي جزيته.

يكسر نفسه عند الشهوات: إشارة إلى علاج مرض النفس أي يجعلها مرتاضة منقادة ولا يخليها وهواها فيرتطمه^(٣) في مهاوي المهالك.

١ - في ض: جباوة اي جمعته ولا يهمز وأصله الهمز.

٢ - المؤمنون: ٧٢.

٣ - رطمت فرسه: اي ساقطت قوائمها كما تسوخ في الوحل.

ويزعها عند الجمحات : أي يكفها اذا نازعته . وكادت تركب هواها وتتبع مناها .

إن النفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم الله .

اللام في النفس للجنس يعني أن جميع النفوس تأمر بالمعاصي إلا النفس التي رحمها الله أي ألطف لها باللطاف العصمة ، فامتنت عندها من المعصية ، فيكون ما مستثنى من النفس ، ويجوز أن يكون ما بمعنى من كما في قوله تعالى : فانكحوا ما طاب لكم^(١) أي من طاب لكم ، ويكون الاستثناء من مفعول أمانة المحذوف أي النفس أمانة بالسوء كل أحد ، إلا من رحمه الله بلطف العصمة ، وقيل إنه استثناء منقطع عما قبله كقوله تعالى «ولاهم ينقدون إلا رحمة^(٢) منا» .

قد جرت عليها دول : قال أبو عبيد : الدولة (بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه ، وقيل الدولة والدولة^(٣)) لغتان بمعنى .

إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده .

أخذ الشاعر هذا المعنى في قوله :

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً * حتى يروا عنده آثار إحسان

يعني أن الله يجري ذكره بالصلاح على ألسنة الصلحاء ولا اعتداد^(٤)

بمن عدا الصلحاء وتصرفاتهم فانه لا مخلص للانسان من طعن اللسان .

وشح بنفسك عما لا يحل لك .

جوهر نفس الانسان جوهر نفيس لا يعرف كثير من الخلائق قدرها ،

١ - النساء : ٣ .

٢ - يس : ٢٣ .

٣ - بين المللين ساقط في ش .

٤ - الاعتداد : ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب .

وإنما خلقت لاكتساب كمالات لا يخطر على قلب بشر فحقيق بالعاقل أن يربا^(١) بنفسه عن مساوئ الأخلاق ويضن^(٢) بها عن الارتطام^(٣) في المهلكات .

سبعا ضاريا : أي حريصا على الصيد مولعا به .

ويفرط : أي يسبق والعفو : أبلغ من الصفح ، لأن الصفح هو أن تعرض صفحة وجهك عن مجرم ، وربما يبقى في قلبك عليه شيء .

لا تنصبن نفسك لحرب الله : أي لا تنازعن الله في سلطانه بمخالفته وعصيانه ، والحكم على الخلق بغير الحق .

فانه لا يد لك بنقمته : أي لا طاقة لك بعقوبته وبحقيقة ليس لك يدان تنبسطان بسبب دفع نقمته وعقوبته ، وقصدهم في مثل هذه الاضافة وإنما زيدت اللام لتوكيد معنى الاضافة ولأداء حق المنفي في التنكير بالانفصال الظاهر ، وإذا كان قوله : لك : في حكم المضاف إليه فلا بد للمتبدأ من خبر والتقدير لا يدك موجودتان .

والبادرة : ما تبدر من المرء وتصدر منه من الخطاء عند الغضب .

والمندوحة : السعة .

ولا تقولن إني مؤمر أمر فاطع : لأن الانسان لو أقدم على جميع ما يقدر عليه ، لكان فساده أكثر من صلاحه لأن ما يدعو إليه الشهوة والهوى لا خير فيه ، ولو كان الوالي يأمر بجميع ما يطاع فيه لم تسلم نفسه ولا ولايته ، فيجب أن يأمر بما يقتضيه العقل والدين .

١ - ربا أهله : أي حفظهم من عدوهم والاسم الربيضة وهو الطليعة والعين الذي ينظر للقوم لثلا يدهم عدو

ولا يكون الا على جبل او شرف ينظر منه .

٢ - الضن : البخل والشح .

٣ - ارتطم : أي وقع .

ادغال في القلب : إدغال خيانة وفساد فيه .
 منهكة للدين : أي نقصان أو ضعف من قولهم نهكته الحمى أي أجهدته
 وأضنته .

والإبهة : العظمة والمخيلة : التكبر .

يطامن اليك من طماحك : أي يسكن من نخوتك ويذلل من صعوبتك ،
 وضمن يطاقم ، معنى يرد ، فلذلك عداه بالى ، أي يرد إليك سورة غضبك
 (واعتلثك) ولا يخليها يتجاوز عنك إلى غيرك ، وقيل إن إلى يتعلق
 بطماحك ، وهو من قولهم : طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع أي يسكن ذلك
 بعض نظرك إلى نفسك بعين العجب والكبرياء .

وغرب السيف حده : وهو هنا مستعار ، يعني أن النظر إلى عظم ملك
 الله ، وقدرته يمنعك من النظر بعين الاستعظام إلى ملكك وقدرتك ، فيكل
 ذلك سلاح الشيطان ، وسلاح النفس الأمارة عن أن يؤثره فيك ، ويوقعك في
 مهاويك .

إياك ومساماة الله في عظمته : من قوله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة
 إزاري إلى آخره .

فانك ألا تفعل : أي لأن لا تفعل ذلك ، تظلم عباد الله ، فحذف مفعولي
 الفعلين لدلالة الحال .

أدحض : أي أبطل ، ينزع : أي يرجع .

أوسطها : أعدها يجحف : يذهب والصفو : الميل أشناهم : أبغضهم .

تغاب : أي تغافل والغريزة : الطبيعة .

والاصر : الثقل والاثم ، وأحنى : أي أعطف وأشفق ، حفلاتك : أي
 مجالسك ومحافلك .

والاطرأ : المدح والزهو : التكبر .

والتدريب : التعويد (١) .

وتخفيفه المؤونات عنهم : وروي عليهم ، فمن يتعلق تخفيفه وعلى يتعلق بالمؤونات ومثافنة الحكماء : يقال ثافت الرجل جالسته كأنك الصقت ثفة ركبتك بثفة ركبته ، وروي منافثة من النفث ، عنى به المكالمة ، وفرق بين العلماء والحكماء ، فالعلماء الذين لهم علم ، ولا تجربة لهم ولا ذكاء ، والحكماء الذين يحيطون بجميع العلوم الانسانية مع تجربة وذكاء .

وطبقات الناس : مراتبهم ودرجاتهم .

والجزية : ما يؤخذ من أهل الذمة .

ومسلمة الناس : تقديره أهل الجزية من أهل الذمة ، وأهل الخراج من مسلمة الناس ، فلفق الكلام ولفه لا من الالتباس .

لا قوام لهذين الصنفين : يعني (الجنود والرعية .

المرافق : جمع المرفق وهو ما يرتفق به أي ينتفع .

وفي الله لكل سعة : أي كل مكفى لكفاية الله إلا أن المقدر يختلف منه ، ما يصل من جهة الله إلى العباد ومنه ما يصل من جهة العباد ، والتقصير واقع منهم كما جاء في الحديث ما جاع فقير إلا بما متع غني .

انصحهم جييا : أي أنقاهم والناصح الخالص ، والجيب مستعار من جيب القميص .

ويستريح الى العذر : أي يميل قبوله ، ويرى راحته فيه .

ويرأف بالضعفاء وينبوا على الاقوياء .

يقال نبا عنه أي تجافي وتباعد عنه أي وينبوا عن الضعفاء (٢) حال

كونه على الأقوياء أي شديدا عليهم أو ضمن ينبو معنى يشد ويسطو (٣) فعده

١ — عود فلانا : صبر يعتاده وتعود الشيء جعله عادة لنفسه .

٣ — السطو : القهر والبطش .

٢ — بين الملأين ساقط في ض .

بعلی .

البيوتات : جمع الجمع مبالغة وتأكيذا تفاقم الأمر : عظم .
فانه داعية إلى بذل النصيحة : التاء للمبالغة ، كما في علامة وراوية ،
وقيل هو مستعار من داعية اللبن وهو ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده .
الخلوف : المتخلفون الحيطه والحياطة : الكلاءة والتحنن : التعطف .
فافسح : أي وسع لضعك : أي شغلك^(١) وروى بالظاء من ظلعت
الارض بأهلها اي ضاقت بهم من كثرتهم أي ما يضيق بك من كثرة
الخطوب ، وقيل : هو من ظلع البعير أي غمز في مشيه وأظلعه غيره بسنته
الجامعة نير المفرقة أي التي تجتمع بسببه على الألفة والمودة واتفاق الكلمة .
لا تمحكه الخصوم : المحك اللجاج يعني لا يغلبه الخصوم باللجاج .
ولا يحصر من الفيئ الى الحق : أي زلت قدمه في أمر فانه لا يعنى من
الرجوع الى الحق ، ولا يصعب عليه ذلك .
والتبرم : التضجر أصرمهم : أقطعهم وأمضاهم .
ولا يزدهيه اطراء : أي لا يستخفه مدح .
توخ : أي اطلب واقصد وفلان من أهل البيوتات : أي أصيل في الشرف
عريق في الصلاح .
والقدم : مؤنثة ، لذلك وصفها بالمتقدمة .
حدوة : أي بعث وحث إن احد : فاعل فعل مضممر يفسره ما بعده
لاقتضاء حرف الشرط وقوله عليه السلام .
وافسح له في البذل ما يزيح علتة : دليل على أنه يجب على الوالي أن
يزيح من بيت المال علل حوائج من يتكفل بمصالح المسلمين .

١- في ض : يضعك : اي شغلك .

وابعث العيون: أي اجعل عليهم مشرفاً أو ناظراً يحفظهم، ويخبرك بأحوالهم وأفعالهم.

من طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد.
لأنه يأخذ بالخراج بيع^(١) الضيعة فلم يبق للدهقان ما ينفقه على نفسه وما يبذره فيصير مضطراً الى الجلاء أو الهلاك فاذا انتقل الدهقان فهذا إخراب البلاد، وان مات فهذا إهلاك العباد.

أو بالله: أي بذى زخير^(٢) وأصله قدر ما يبل من الماء.

أو احالة ارض: أي تغييرها عما كانت.

اغتمرها غرق: أي علاها الغمر وهو الماء الكثير، وروي اعتمرها أي زادها أو غير عمارتها.

وأجحف بها: أي أهلكها، والاجمام: الترفيه.

يعوز: أي يفتقر، وسوء ظنهم بالبقاء، يعني أن الولي إذا لم يثق ببقاء ولايته لا يهتم بمصالح الرعية في المستقبل.

والمضطرب بما له: المسافر به مفتعل من الضرب، وهو السير، قال تعالى: وإذا ضربتم في الأرض أي سافرتم.

البائقة: الداهية والغائلة: الشر والحقد.

والاحتكار: احتباس منافع مخصوصة، من البيع وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والسمن والملح، والاحتكار المنهي عنه شرعاً لا يكون إلا فيها.

وليكن البيع سمحاً: أي سهلاً لاغبين فيه ولا وكس.

فمن قارف حكرة: أي خالطها وأتى بها.

١- في ض: ربيع الضيعة ولعل الصحيح ربيع الضيعة.

٢- زخر البحر: كثير ماؤه وارتفعت أمواجه.

والقانع : السائل والمعتز : الذي يعترض ولا يسأل .
 من غلات صوافي الاسلام : مما ادخره الوالي لنفسه ومصالحه ، وقيل :
 الصافية أرض الغنيمة .
 التافه ، الحقير فلا تشخص همك عنهم : أي لا تصرف بعنايتك عن
 مراعاتهم^(١) .

وصعرخده : أي أماله من الكبر .
 تقتحمه العيون^(٢) : أي تزدرية .
 وذوي الرقة في السن : يعني المشايخ الكبار الذين بلغوا في السن غايته
 يرق لهم ويرحم عليهم .

صبروا أنفسهم : حبسوها عن الاتيان بما نهوا عنه .
 والتتعة في الكلام : التردد فيه ، من حصر أوعي ، وتعتت الرجل
 أقلقته ، وروي متتعت بكسر التاء وفتحها .
 والأنف والأنفة : الاستنكاف والحمية .
 يعيا : أي يعجز أصحح : بعذرک أي أظهره .
 فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه إجتماعا مع تفريق
 أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .

شيء : إسم ليس ، ومن فرائض في موضع الحال ، كما في قوله :
 لعزة موحشا طلل .

ولو كان متأخرا لكان صفة لشيء .

قوله عليه السلام : الناس أشد عليه (مبتدأ وخبر ، والجملة خبر ليس
 ومع تفريق في موضع الحال ، ومن تعظيم يتعلق بأشد^(٣)) وقال صاحب

١- ساقط في ض .

١- في ض : عن مباحاتهم .

٢- ساقط في ش .

المنهاج أشد مبتدأ ثان ، ومن تعظيم خبره ، والجملة خبر الناس ، وهذا خطأ فاحش جدا .

وخاس بكذا : يخيس ويخوس أي غدر به وخاس فلان بالعهد أي نكث .

واستوبلوا : أي أستثقلوا ، واستوبلت البلد أي استرحمته ، وذلك اذا لم يوافقك في بدنك ، وإن كنت تحبه .

المنعة : العز وقد يسكن النون عن ابن السكيت .

والادغال : الافساد ، والمدالسة : المخادعة .

ولحن القول : فحواه ومعناه ، واللحن الخطأ أيضا .

فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك : أي لا يمنعك تكبر سلطنتك عن أداء

الحق والتغابي : التغافل .

وقوله حمية أنفك : مستعار من أنف البعير لأن البعير الهائج يحمي أنفه

من الخشاش^(١) ويمتنع على قائده ، وحميت عن كذا حمية أي أنفت منه .

والسورة : الحدّ وغرب اللسان : حدّته .

فائدة : هذه الوصية عامة لجميع المسلمين وإن لم يتمّ للأشتر رحمه الله

القيام بذلك لأنه سقي السمّ في العل فمات فقال معاوية إن لله جنودا منها

العسل .

* * *

٥٣- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصن الخزاعي ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أَبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمْ مِمَّنْ أَرَادَنِي ^(١) وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَاصِبٍ ^(٢)، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ ^(٣)، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِثْمَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمْ هَذَا الْأَمْرَ ^(٤) قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيَّنِّي وَبَيَّنْتُمَا مَنْ

١- في ب : بما ارادني .

٢- في ض وح وب : غالب .

٣- في ح وهامش ن وم وع وش : لحرص حاضر وفي ل : لحرص حاضر .

٤- في ض وب ون : من قبل ان تدخلنا .

تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمْ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ ثُمَّ يَلْزَمُ كُلُّ أَمْرِي بِقَدْرِ مَا أَحْتَمَلَ. فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنِ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ.

٥٤- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ^(١) الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرًا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِئُبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ ابْتَلَانِي^(٢) بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَبَّ عَالِمُكُمْ جَاهِلِكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَأَصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَأَخْذِرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ، وَتَقَطِّعُ الدَّابِرَ؛ فَإِنِّي أَوْلَى لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ: لَيْسَ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ).

١- في ض وب: قد جعل الدنيا.

٢- في ض وح وب: ابتلاني الله بك.

الشرح

قوله عليه السلام : قبل أن يجتمع العار والنار .

العار السبة والعيب وهو من أحكام الدنيا أي قبل ان يجتمع ضرر الدنيا والآخرة .

قوله عليه السلام : ليعلم أيهم احسن عملا^(١) : من قوله تعالى : ليبلوكم أيكم أحسن عملا : أي ليصير المعلوم موجودا بحيث يصح أن يجازى عليه .
 والتأليب : التحريض وألبت الجيش جمعته وهم ألب : أي مجتمعون .
 عنى بالعالم : أبا هريرة^(٢) والمغيرة بن شعبة ، وغيرهما من الصحابة ،
 وبالقائم : عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وبالجاهل : أهل الشام الذين ما رأوا النبي وآثاره ولا دار الهجرة .

والقارعة : البلية التي تفرع ما تلقاه دائره : أي عقبه .

وأولى اليه : أي أحلف حلفا واليمين الفاجرة : أي الفاجر صاحبها .

وباحة الدار : ساحتها وفناؤها .



١ - الملك : ٢ .

٢ - ابو هريرة صحابي معروف اسلم بعد الهجرة بسبع سنين قال ابن ابي الحديد : ان معاوية وضع قوما من الصحابة على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقضي الطعن والبراءة منه منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة .

٥٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وصى بها شريح بن هانئ، لما جعله على مقدمته إلى الشام
 اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا
 الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدِّعْ نَفْسَكَ
 عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةً^(١) مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى
 كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِتَزَوَّتَكَ عِنْدَ
 الْحَفِیْظَةِ وَأَقِمًا قَامِعًا.

٥٦- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة
 أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ^(٢) حَيِّ هَذَا، إِمَّا ظَالِمًا، وَإِمَّا

→ قال الزمخشري: استعمل عمر ابا هريرة على البحرين فلما قدم عليه قال يا عدو الله وعدو رسوله سرقت من مال الله فاخذ منه عشرة الاف درهم فالتقاها في بيت المال وضربه بالدرة، وكان يأكل مع معاوية واذا حضرت الصلوة صلى خلف علي عليه السلام.

١- في ض وب: مخافة مكروه.

٢- في ش: خرجت عن حيي.

مَظْلُومًا ، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبْغِيًا عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَذْكَرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ
كِتَابِي هَذَا ، لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ؛ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِي ، وَإِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي .

الشرح

النزوة : الوثبة^(١) والحفيظة : الغضب والحمية .

والوقم : القهر والتذليل ، وقيل الرد .

والقمع : القهر والاذلال والضرب بالمقمعة .

قوله عليه السلام : خرجت إما ظالما وإما مظلوما : على وتيرة قوله

تعالى : وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين^(٢) ، يعني على زعم
الخصم .

لما نفر : لما هذا بمعنى إلا استعتبني أي طلب مني العتبي ، وهي

الرجوع .

* * *

١ - الوثوب : النهوض والقيام وشب على سريري : أي قعد عليه واستقر .

٢ - سبأ : ٢٤ .

٥٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كتبه إلى أهل الأمصار، يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين
وَكَانَ بَدَأُ أَمْرِنَا أَنَا التَّقِيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَالظَّاهِرُ
أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَا
نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ لِرَسُولِهِ (١) وَلَا
يَسْتَزِيدُونَنَا: الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ،
وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِظْفَاءِ
النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقُودِ
عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَأَبَوْا
حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَحَمِشَتْ (٢).
فَلَمَّا ضَرَسْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِيْنَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا
عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْتَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْتَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا،
وَسَارَعْتَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ،
وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ

١- في ض وح وب وش : والتصديق برسوله وفي ل : لرسول الله .

٢- في ض وح وب وش : حمست .

الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ
الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام : جنحت الحرب : أي مالت .

وركدت : أي ثبتت ، وحمشت : التهبت غضبا .

وضرست : أي عضت ، وقيل من قولهم ضرسهم الزمان أي اشتد عليهم ،

وضرستهم الحروب جريته وأحكمته .

الراكس : رد الشيء مقلوبا والراكس الواقع في أمر قد نجا منه .

دائرة السوء : الهزيمة القبيحة .

فمن تم ذلك منهم : قال الوبري أي من سمع قولنا وأطاع أمرنا فانقاد

بكتاب الله ، فهو الذي نجا من الهلك ، ومن أعرض عنه ، وانقاد لفساد رأيه ،

فهو الهالك إذا فارق الدنيا على هذه الصفة .



٥٨- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَتَّعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا
مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِنَّهُ
لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوُضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ^(١) أَمْثَالَهُ،
وَأَبْتَدِكُ نَفْسَكَ فِيمَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفًا
عِقَابَهُ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ
سَاعَةً^(٢) إِلَّا كَانَتْ فَرَّغَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ
يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ
نَفْسِكَ؛ وَالْإِخْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ
إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

١- في ب : ما تنكره امثاله .

٢- في ف وم ول وش : صاحبها قط فيها ساعة .

الشرح

إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة .

(من قول النبي صلى الله عليه وآله إن الله يبغض الصحيح الفارغ لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة).

إن الوالي إذا اختلفت هواه منعه ذلك كثيرا من العدل .

يعني أنه إذا لم يوطن نفسه ، ولم يعزم عزمًا صادقًا على الاتيمار^(١) لأمر الله : ولم يجعل غرضه إقامة العدل حتى يستوي عنده العود والوليّ منعه ذلك كثيرا من العدل ، لأن رجحان جانب الولي بلا حجة صادقة خارج عن العدل .

قوله عليه السلام : ومن الحقّ عليك حفظ نفسك : والاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك .
قال الوبري : أي لم يصل إليك ، من ذلك من الثواب والثناء أفضل من الذي يصل بسببك إلى الرعية من أمن السرب^(٢) وغير ذلك ، يعني أن ثوابك على القيام بأمرهم أعظم من انتفاعهم بك في الدنيا ، وقيل إن الذي يصل إليك من الثواب بالاحتساب أفضل لك مما يصل إليك بك أي بأعمالك ، يعني أن الخير المتعدي أنفع من اللازم .

١ - ائتمر رأيه ، أي شاور نفسه وقيل المؤتمر ، الذي بهم بأمر يفعله .

٢ - يقال فلان آمننا في سربه والسرب بالكسر : أي في نفسه .

٥٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى العمال الذين يطاء الجيش عملهم

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ
مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ
الشَّدَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ
جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَتَكَلُّوا مَنْ
تَنَاولَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلماً^(١) عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ
عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْتَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ
أَظْهَرِ الْجَيْشِ؛ فَارْقَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَاعِرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ
مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي، فَأَنَا أُغِيرُهُ بِمَعُونَةِ
اللَّهِ تَعَالَى؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١- في ب: منهم شيئاً عن ظلمهم.

٦٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله على هيت ، ينكر عليه تركه دفع

من يجتازبه من جيش العدو طالبا الغارة

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَاؤُلَى، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ،
لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَّبَرٌ، وَإِنَّ تَعَاطِيكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
قِرْقِيسِيَا، وَتَغْطِيلِكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ، لَيْسَ لَهَا (١) مَنْ
يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيٍ شَعَاغٍ؛ فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا
لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرِ شَدِيدِ الْمَثُوبِ
وَلَا مَهِيْبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادَةِ ثُغْرَةٍ، وَلَا كَاسِرِ (٢) شَوْكَةٍ، وَلَا مُغْنِ
عَنْ أَهْلِ مِضْرِهِ، وَلَا مُجْزِعِ عَنْ أَمِيرِهِ وَالسَّلَامُ.

١- في ض وب : ليس بها من يمنعا .

٢- في م وش : وكاسر شوكة .

الشرح

- الشذى : الأذى والشرّ، والشذى ذباب الكلب .
ومعرة الجيش : مضرتهم وأذاهم نكلوا : أي عاقبوا .
وأنا بين أظهر الجيش : أي من ورائهم ويدي فوق أيديهم .
هيت : بالكسر اسم بلد على الفرات قال الأصمعي : أصلها من الهوة .
المسالح : الثغور التي يقيم بها أصحاب الأسلحة .
رأي شعاع : بفتح الشين أي يتفرق .

* * *

٦١ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أهل مصر، مع مالك الأشر لما ولاه إمارتها
 أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ فَلَمَّا
 مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَ اللَّهُ مَا
 كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعَجُ هَذَا الْأَمْرَ
 مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ
 مُتَحَوُّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْثِيَاكُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ
 يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ
 عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَخْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْمًا أَوْ
 هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَغْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي
 إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ يَزُوكُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُوكُ السَّرَابُ أَوْ
 كَمَا يَتَّقَشُّعُ السَّحَابُ، فَتَهَضَّتْ فِي يَلِكِ الْأَخْدَاثِ حَتَّى زَاخَ
 الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَأَظْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَنَةَ.

ومنه: إني وآل الله لولقيتكم^(١) وأجدأ وهم طلاع الأرض كلها

مَا بَالَيْتُ وَلَا أَسْتَوْحِشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ
وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَتَقِينُ مِنْ رَبِّي،
وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌّ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ،
وَلَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا؛
فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا، وَعِبَادَهُ حَوْلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا،
وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي [قَدْ] شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ،
وَجُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمَ حَتَّى رُضِخَتْ
لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايُخُ، فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْيِيْبَكُمْ
وَتَأْيِيْبَكُمْ، وَجَمَعَكُمْ وَتَحْرِيبَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ^(١) إِذْ أَبَيْتُمْ
وَوَنَيْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَظْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ
أَفْتِيحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغزَى،
أَنْفِرُوا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَثَاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ
فَتَقَرُّوا^(٢) بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، وَيَكُونُ نَصِيْبُكُمْ الْأَخْسَرُ،
وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُتَمَّ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

١- في ف ون : وتركتكم .

٢- في ع وحاشية ن : فتتفروا بالخسف .

الشرح

قوله عليه السلام: أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا نذيرا للعالمين ومهيما على المرسلين .

الشاهد، وهو من أمن غيره من الخوف وأصله ما أمن بهمزتين فلينت الهمزة الثانية كراهية لاجتماعهما، فصار ما يمن ثم قلبت الأولى هاء كما قالوا هراق الماء وأراقه أي هو شاهد على من تقدمه من الأنبياء، بالارسال لأنه علم ذلك بالدلالة .

تنازعوا الأمر: أي أمر خلافة النبي صلى الله عليه وآله .

والروع: القلب وكذا البال وازعجه: أقلقه .

والانثيال: الانصباب .

راجعة الناس قد رجعت: عنى المقلدين الذين كانوا على شرف الارتداد ثم ارتدوا .

يدعون الى محق الدين: أي إبطاله وإهلاكه .

ويتقشع السحاب: أي ينكشف ويتفرق .

وتنهه: أي كف الباطل .

قوله عليه السلام: طلاع الأرض: أي ملائها، وقال الحسن البصري^(١)

١ - ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري مولى زيد بن ثابت الانصاري امه خيرة مولاة ام سلمة كان الحسن

لأن أعلم أنني برىء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهباً .

اسى : أي احزن والخول : الخدم .

شرب فيكم الحرام ؛ أي الخمر .

وجلدا حدا في الاسلام : عنى به الوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة ، فان المغيرة شرب الخمر في عهد عمر وكان واليا من قبله ، فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر وشهدوا عليه وجلد الحد ، وجلد الوليد في عهد عثمان وعلي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه .

ومنهم لم يسلم حتى رضخت له الرضايخ : الرضخ العطاء ليس بالكثير عنى عمرو بن العاص ، طلب من النبي صلى الله عليه وآله عطاء حتى أسلم .
والتأليب : التحريض والتأنيب : اللوم العنيف .

ونيتم : أي ضعفتم تزوى : تقبض .

تبوأوا : أي انصرفوا والأرق : الساهر .

ومن نام لم ينم عنه : كلام له عليه السلام يتمثل به أي من غفل عن عدوه لم يغفل عدوه عنه .



احد الزهاد الثمانية وكان رئيس القدرية ، قال ابن ابي الحديد : ومن قيل انه يبغض عليا ويلذمه الحسن البصري وانه كان من المخذلين عن نصرته .

روى عن تلميذه ابن ابي العوجاء انه قيل له لم تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا اصل له ولا حقيقة ، قال : ان صاحبي كان ملطخا ، كان يقول طورا بالقدر وطورا بالجبر ، وما اعلمه اعتقد مذهبا دام عليه مات في رجب سنة ١١٠ .

٦٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أبي موسى الأشعري ، وهو عامله على الكوفة ، وقد بلغه عنه تشييطه
الناس على الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هَوْلَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِيمُ
رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْقِعْ ذَيْلَكَ ، وَأَشْدُدْ مِزْرَكَ ، وَأَخْرُجْ مِنْ
جُحْرِكَ ، وَأَنْدُبْ مَنْ مَعَكَ . فَإِنْ حَقَّقْتَ^(١) فَأَنْفُذْ ، وَإِنْ
تَفَشَّلتْ فابْعُدْ ! وَأَيْمُ اللَّهِ لَتُوتَيْنِ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُشْرِكْ حَتَّى
يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَائِرِكَ ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى نُعْجَلَ عَنْ
قَعْدَتِكَ^(٢) ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ^(٣) كَحَذْرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ، وَمَا
هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو ، وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ
جَمَلُهَا ، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا . فَأَعْقِلْ عَقْلَكَ ،
وَأْمَلِكْ أَمْرَكَ فَإِنْ كَرِهْتَ ، وَخُذْ نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ . فَتَنَحَّ إِلَى

١- في ف وك : فان خففت وفي ع : فان حفت .

٢- في ب : في قعدتك .

٣- في ع : وتحذر من لحامك .

غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقِّ، وَمَا أَبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْجِدُونَ.

الشرح

قوله عليه السلام: قول هولك وعليك: يعني خلطت الحق بالباطل أما الحق، فهو لك، وأما الباطل فهو عليك.

فارفع ذيلك: تعريض بعزله.

واشدد مئزرك: أي شمر للمجئ نحوي.

وأخرج من جحرك: فيه إغماض لمنزلته ونقض بمحله.

فان خففت: أي سرت وروي فان حققت أي تحققت وتيقنت.

وأن تفشلت: أي جبت.

حتى يخلط زبدك بخاترك: مثل للعرب اختلط الزباد بالخائر وزباد

اللبن بالضم والتشديد ما لا خير فيه، والخائر خلاف الرقيق من اللبن، وفي

المثل ما يدري أيختر أم يذيب، أي حتى يخلط سهلك بصعبك، ويشوش

حالك.

حتى يعجل عن قعدتك: أي يأتيك من يزعجك عن أمارتك.

والهويونا تصغير الهوني التي هي تأنيث الأهون، وهو الأمر اليسير.

ودواهي الدهر: ما يصيب الناس من نوائبه، ويقال ما دهاك أي ما

أصابك.

واعقل عقلك: أي احبسه وقيده بحيث تتمكن من الانتفاع به وينقاد

لك في مظان النظر (مظنة).

إن كرهت فتنح إلى غير رجب : أي ان كرهت سعة الحق ولم ترض به منزلاً فتحول إلى ضيق الباطل ، ومظنة الهلكة ان شئت ، وهو تهديد .
 وأيم الله لتكفين وأنت نائم : حتى لا يقال أين فلان .
 أن يكفى هذا الأمر مع غيبتك وتكون نسياً منسياً ، لا يلتفت إلى ذكرك ، ويكون^(١) حضوري كغيبتك ووجودي كعدمك .
 إنه لحق مع محق : أي إن ما أنا عليه أو ما أقوله لحق مع محق أنا هو ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار .



١ - في ض : ويكون حضورك كغيبتك ووجودك كعدمك .

٦٣ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية، جواباً

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأَلْفَةِ
وَالْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَا أَمَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ
أَنَا أَسْتَقِمُّنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا، وَبَعْدَ أَنْ
كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
حِزْبًا^(١).

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَدْتُ بَعَائِشَةَ
وَنَزَلْتُ، الْمِضْرَيْنِ! وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتُ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا
الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ
انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِءْ؛
فَإِنِّي إِنْ أُرْزِكَ فَذَلِكَ جَدِيدٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنُّصْرَةِ
مِنْكَ! وَإِنْ تَزُرَّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسَيْدٍ:-

١- في ح: حربا وفي ك: وروي حربا.

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ * بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلُودٍ
وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَغْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ
فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ،
الْمُقَارَبُ الْعَقْلِ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلْمًا
أَظْلَعَكَ مَظْلَعٌ سُوءٌ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَتِكَ،
وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَظَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي
مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلِكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ
أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ
بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَضَرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ
عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا، وَلَمْ يَمْتَنِعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا
خَلَا مِنْهَا الْوَعَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيَمَا دَخَلَ فِيهِ
النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ ^(١) الَّتِي تُرِيدُ؛ فَإِنَّهَا خُدَعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ
فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام : وما أسلم مسلمكم إلا كرها ، عنى أبا سفيان ، وذلك أن بعد غزوة الفتح أخذ له العباس الأمان من رسول الله عليه وآله فلما دخل به على رسول الله عرض عليه السلام فلم يقبل : فقال عمر ائذن لي يا رسول الله لأضرب عنقه ، وكان العباس يحامي عنه للقرابة ، فقال يا رسول الله إنه يسلم غدا فلما كان من الغد ، دخل العباس بأبي سفيان على رسول الله فعرض عليه الاسلام فأبى ، فقال العباس في السر فقل يا أبا سفيان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإن لم يكن ذلك في قلبك ، فانه يأمر الآن بقتلك ، إن لم تقل فتكلم بالشهادة على كره .

وبعد أن كان انف الاسلام كله لرسول الله حزبا :

أنف الشيء : أوله وأظهره ، ومقدمه ، يعني وبعد أن كان سياق الاسلام ، الذين كانوا وجه الاسلام بمثابة الأنف ، أي لم يسلم مسلمكم إلا بعد قوة المسلمين ونظام الاسلام قال صاحب المعارج أي صار أبو سفيان حزبا لرسول الله بعد القهر ، وظهور الاسلام ، وروي حزبا أي أن أبا سفيان حارب رسول الله من يوم أحد الى فتح مكة ، وفي هذه نظر .

ونزلت بين المصرين : عنى الكوفة والبصرة .

انقطعت الهجرة يوم أسراخوك .

عنى يزيد بن أبي سفيان^(١) أسر بعد فتح مكة ، وانقطعت الهجرة بعد فتح مكة لأنها بعد فتحها صارت دار الاسلام بعد ما كانت دار الحرب ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : لا هجرة بعد الفتح .

واسترفه ، أي طب نفسا ، وكن في رفاهية وسعة هذا التعجيل .
وأعضضته سيفي : أي ضربته وأصله جعلته يعضض^(٢) به ، وقد مضى ذكر جد معاوية وخاله وأخيه من قبل وأن عليا عليه السلام قتلهم يوم بدر .
إنك الأغلف القلب : يعني ما حكى الله تعالى عن الكفار حيث قال : وقالوا قلوبنا غلف ، ثم قال بل طبع الله عليها بكفرهم^(٣) وهذا التشبيه من الصديق الأكبر مع مقارنته إياه بالحلف بالله تعالى ، دليل ظاهر وبرهان باهر ، على أن حكم المخاطب به حكم المشبه بهم ، وقد أيد ذلك بعد حلفه بقوله : فيما علمت أُمي هذا الحكم ، والحلف إنما صدر عن معرفة تامة ، ويقين صادق ، لاعن ظن وتخمين ورجم بغيب .

معنى الأغلف القلب أن القلب كأنه في غلاف يمنعه عن تدبر ما يرد عليه وينبو^(٤) عن استماع الحق فلا يعي شيئا المقارب العقل ، يقال هذا أمر مقارب بالكسر إذا كان سهلا هينا لا عظم له ولا قدر .

نشدت غير ضالتك : أي تصديت لطلب ما لست من أهله من الخلافة

١ — يزيد بن أبي سفيان القرشي الاموي اخو معاوية وكان افضل بني ابي سفيان ويقال له يزيد الخير واهله ام الحكم بنت نوفل بن خلف يكنى ابا خالد ، اسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً ، واستعمله ابو بكر على جيش وسيره الى الشام وبعث معه عمرو بن العاص و ابا عبيدة بن الجراح .

فلما ولي عمر بن الخطاب ولي ابا عبيدة الشامات وولى يزيد بن ابي سفيان فلسطين ولما مات ابو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف اخاه معاوية وكان موت يزيد سنة تسع عشرة .

٢ — العضض : الاستمسك بالنواجذ .

٣ — البقرة : ٨٨ .

٤ — نباعته بصره : اي تجافى ولم ينظر اليه ونباحد السيف : اذا لم يقطع .

والأمانة، ومطالبة دم عثمان، وما للمجرة وللجرة وللدرة والبعرة.
 وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال تصریح بما سبق من التشبيه وما
 مع ما بعده في حكم المصدر والمصدر مبتدأ وقريب خبره، مقدم.
 بوقع سيوف: يتعلق^(١) بقوله: /فصرعوا أو بلم يدفعوا.
 ما خلا منها الوغى: أي لم يخل الحرب، من هذه السيوف بل دائماً
 يضارب بها.

ولم تماشها الهوينا: أي لم تصاحبها اللين والسهولة بل يقتل بها دائماً
 ويقاقل.

وقد أكثرت في قتلة عثمان: أي طولت الحديث فيهم.
 فادخل فيما دخل الناس فيه: من الطاعة لأهل الطاعة والمتابعة.
 وأما تلك التي تطلب مني: أي تلك الخصلة التي تطلبه مني أن أدعك
 واليا على الشام، وحاكما على الأنام، فان ذلك خداع منك لألبسك لباساً
 لا تستحقه وذلك ما لا أفعله.

* * *

٦٤- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْعِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ^(١)
الْأُمُورِ؛ فَقَدْتُ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِإِدْعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ،
وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَبَانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا
عَنكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا أَخْتِزَنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً
لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحِيمِكَ وَدَمِكَ : مِمَّا قَدْتُ وَعَاهُ سَمْعُكَ،
وَمُلَىءَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ^(٢)، وَبَعْدَ الْبَيَانِ
إِلَّا اللَّبْسُ؟ فَاخْذِرِ الشُّبُهَةَ وَأَشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا؛ فَإِنَّ
الْفِئْتَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيْبَهَا، وَأَغَشَتِ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِثْلَكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا
عَنِ السَّلْمِ؛ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا جِلْمٌ، أَضْبَحَتْ
مِنْهَا كَالْحَايِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدَّيْمَاسِ، وَتَرَفَّقَتْ
إِلَى مَرَقَبَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَرَامِ نَازِحَةِ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ

١- في ع : من عنان الامور .

٢- في ض وب : الضلال الميين .

وَيُحَادَى بِهَا الْعَيْقُ .

وَحَاشِ لِلَّهِ أَنْ تَلِي لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي^(١) صَدْرًا أَوْ وَزْدًا أَوْ
أَجْرِي لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا !! فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارِكُ
نَفْسَكَ وَأَنْظُرْ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ
أَرْتَجِحُ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، وَمُنِيعَتُ أَمْرًا هُوَ مِثْلُكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ ،
وَالسَّلَامُ .

الشرح

قوله عليه السلام : فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر .

اللمح : النظر، والباصر : ذو البصر أي حان لك أن تنظر بالنظر

الصائب في الأمور الواضحة لينجلي لك الحق وتتخلص عن عماية الغواية .

والمدارج : المذاهب .

وباقحامك غرور المين : أي بادخالك الأكاذيب في مظان الصدق

وإظهارك الباطل في صورة الحق ، استتباعا للعوام واستظللا للطغام^(٢) .

وبانتحالك ما قد علا عنك : أي وبإدعائك ، مقاما لست من أهله ولا

تبلغ حضيض ذروته من الامامة والخلافة .

وابتزازك لما اختزن دونك : أي واستيلائك لمال الله واغتصابك حقوق

أوليائه .

فرارا من الحق : مفعول له أو مصدر وضع موضع الحال .

وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك .

١ - في ح : للمسلمين من بعدي .

٢ - في حديث علي ياطغام الاحلام : أي من لا عقل له ولا معرفة ، وقبيل : هم أوغاد الناس وارذلم .

مما قد وعاه سمعك إيعني/ ما صدر من النصوص على عليّ عليه السلام وإظهار مناقبه في المقامات المشهورة، وهو نظير قوله: وجحدوا بها واستقينتها أنفسهم ظلما وعتوا^(١).

وأغدق الليل: أرخى سدوله، وأغدقت المرأة قناعها أي أرسلته على وجهها.

ذو أفانين: أي أساليب وطرائق.

وحاك الثوب: نسجه ويستعار لنظم الكلام.

والدهاس: المكان اللين السهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس هو بتراب

ولا طين.

والديماس: السرب، وجاء الحديث في وصف المسيح سبط الشعر^(٢)

كثير خيلان^(٣) الوجه كأنه خرج من ديماس والديماس القبر أيضا من دمست

الشيء إذا دفنته، والديماس أيضا سجن كان للحجاج بن يوسف.

الأنوق: الرخمة وهو طائر أوكارها على الأماكن الصعبة من رؤوس

الجبال.

والعيوق: نجم أحمر مضىء في طرف المجرة الأيمن تلو الثريا لا

يتقدمه. يحاذي: أي يقابل، وقولهم حاش لله: معناه براءة لله من سوء.

فقوله حاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدرا أو وردا.

تحقيقه إني أبرىء الله وانزهه تنزيه من أن يأمر أو يرضى، يكون مثلك

إماما ومقتدى للناس ومتصرفا في أمورهم.

وإن أجري لك على أحد منهم عقدا.

١- الفرقان: ٢٤.

٢- سبط الشعر: المنبسط المسترسل.

٣- في صفة خاتم النبوة عليه خيلان: هي جمع خال وهو الشامة في الجسد.

يعنى أنني لا أنصب وليا ونائباً ولا استخلف خليفة إلا بأن ينبهنى الله تعالى عليّ استيهاله لذلك إما بخبر سابق من النبي بتضمين ذلك ، أو بأمانة نصب لي على تمييزه^(١) ، وأنت بمعزل عن جميع ما يستحق به الامامة والنيابة ، فالله تعالى منزه عن أن يكون آمراً بنصبك إماماً أو راضياً بذلك .

قد قال أبو علي الفارسي في قوله تعالى : حاش لله . أي جانب يوسف الفاحشة لأجل الله قال : ولا يجوز أن يكون حاش حرف جرّ ، لأن حروف الجرّ لا تدخل على مثله ، ولأن حرف الجرّ لا يحذف ، إذا لم يكن فيها تضعيف ، فاذا هو فاعل من حاش يحاشي ، مأخوذ من الحشأ الذي هو الناحية أي صار يوصف في ناحية مما قرن به لخوف الله ومراقبة أمره .

فعلى هذا تحقيق قول علي عليه السلام : حاش لله أن تلي بعدي أي جانب نفسي ، وبعد أن تلي بعدي الخلافة والامارة بأمرى ، ومن قبل الله أي لخوفه ، أي لا أستخلفك ولا أوامرك لخوف الله تعالى .

قال صاحب المنهاج : (فاعل حاش قوله أن تلي ، أي بعد توليتي إياك)
لخوف الله .

ينهد إليك : أي ينهض نحوك ، إرتجت : اغلقت .

* * *

٦٥- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الى عبد الله بن العباس وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية :
 اما بعد؛ فان المرء ليفرحُ بالشئ الذي لم يكن ليفوته،
 ويحزنُ على الشئ الذي لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضلُ
 ما نلت في نفسك من دنياك بلوغَ لذةٍ أو شفاءَ غيظٍ، ولكن
 إطفاءَ باطلٍ أو إحياءَ حقٍّ!! (وليكن سرورك بما قدمت،
 وأسفك على ما خلفت، وهما فيما بعد الموت^(١)).

الشرح

قوله عليه السلام : فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه .

أي يفرح بالغنى والصحة والبقاء، وغير ذلك مما هو مفروغ عنه ولا يزيد ولا ينقص بفرحه وحزنه، ويحزن على ما فاته من نحو ذلك مما لم ينقص له، وقال النبي صلى الله عليه وآله : لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه .

قال صاحب المعارج : يعني أنه يلتذ بالرجاء، ويفرح بما يرجوه فلا يتحقق، ويحزن على ما لم يكن من مصائب الدنيا حتى يصيبه بعضها، وذلك في أكثر الأمور، والمعنى المطابق للفظ ما قدمته .



٦٦- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَأَجْلِسْ لَهُمُ الْعَضْرَيْنِ فَأُفِتِ الْمُسْتَفْتِي ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ ، وَذَكِّرِ الْعَالَمَ ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنِّ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنِ زِيدَتْ عَنِّ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرِدِهَا لَمْ تُحْمَدُ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا .

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاضْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِيرِ (١) وَالْخَلَّاتِ ، وَمَا فَضَلَ عَنِّ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا .

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فَالْعَاكِفُ : الْمُقِيمُ بِهِ ، وَالْبَادِي : الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِيهِ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ وَالسَّلَامُ .

٦٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته
 أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا (١) مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهًا قَاتِلٌ
 سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا،
 وَضَعْ عَنكَ هُمُومَهَا لَمَا أُتِقِنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، (وتعرف
 حالاتها) (٢) وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَخْذَرًا مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ
 صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَظْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصْتُهُ عَنْهُ إِلَى
 مَخْذُورٍ! (أوالى ايناس ازالته عنه الى ايحاش والسلام) (٣).

الشرح

قوله عليه السلام: وأقم للناس الحج: أي علمهم مناسكه وحرّضهم
 علمه وحج بهم.

وذكرهم بأيام الله: أي بالأيام التي فعل الله تعالى بالأمم الماضية ما
 فعل من العقوبات بسبب جنایاتهم.

٣- ساقطة من ف ون ول وفي ش: ازالة عنه ايحاش.

١- في ف وم: فان مثل الدنيا.

٢- ساقطة من ف ون ول.

والعصرين : الغداة والعشي قال الشاعر :

وأمله العصرين حتى يملني * ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

وهما أطيب الأوقات بالحجاز على كل حال .

ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك : سفير إسم كان وإلا لسانك

بالرفع صفة لسفير، وقوله لك في محلّ خبر كان، وقال صاحب المنهاج : إنّ

الخبر قوله : إلى الناس وهذا مما لا يصير على محلّ فإنّ إلى الناس يتعلق

بسفير، ومن تأمل المعنى عرف ذلك ، وروي سفيراً بالنصب على الخبر .

والفاقة^(١) : أنواع الفقر ووجوهه وليس المراد بها مواضع الفقر ولذلك

أضاف المواضع إليها .

أشخصته : أذهبته .

* * *

٦٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ اسْتَنْصَحَهُ^(١)، وَأَجَلَ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ؛ وَأَعْتَبِرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً^(٢)، وَأَخِرُهَا لَا حِقُّ بِأَوْلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ^(٣) وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكَرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَأَخَذَ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ^(٤) لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخَذَ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ^(٥) بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَأَخَذَ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ أَعْتَدَرَ مِنْهُ. وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ^(٦)، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ^(٧)، فَكَفَى

١ - في ش : وانتصحه .

٢ - في ش : يشبه بعضها .

٣ - في ع : حائل زائل .

٤ - في ح : ويكرهه .

٥ - في م : عمل ما يحمل به .

٦ - في ح : لنبال القوم .

٧ - في ض وح وب : ما سمعت به وكفى .

بِذَلِكَ كَذِباً وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ
جَهْلًا، وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْقُدْرَةِ^(١). واحلم عند
الغضب^(٢) وَأَصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَضِلِّحْ كُلَّ
نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَكَ، وَلْيَرَّعَلَيْكَ أَثْرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ
وَأَهْلِيهِ^(٣) وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ دُخْرُهُ، وَمَا
تُؤَخَّرُهُ^(٤) يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَأَخَذِرْ صَحَابَةَ مَنْ يَقِيلُ رَأْيَهُ
وَيُنْكِرُ عَمَلَهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَأَسْكُنِ الْأَمْصَارَ
الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخَذِرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ
وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ،
وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ،
وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ
الشُّكْرِ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ^(٥) حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا
فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعَذَّرُ بِهِ، وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي جَمَلِ
أُمُورِكَ^(٦) فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعٌ نَفْسِكَ فِي

١- في ض وح وب : عند المقدرة .

٢- في ف وم ون ول وش : واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند القدرة .

٣- في ف ون ول : واهليه وماله .

٤- في ف : وما تؤخر .

٥- في ف : في يوم الجمعة .

٦- في ب : في جميع امورك .

الْعِبَادَةِ، وَأَرْفُقُ بِهَا وَلَا تَقْهَرُهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ
مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُديهَا
عِنْدَ مَحَلِّهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ
فِي ظَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ
مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَأَخْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ
عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إبْلِيسَ.

الشرح

وانتصحه : أي أقبل نصيحتته . حائل : زائل .

وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق : أي لا يحلف بالله كاذبا ولا
تستشهده باطلا .

ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق : يعني تفحص عن حال المال،
وتحققه : وهين لنفسك ، ثم قبل وصولك إليه مقاما ، ثم تدبر حال الطريق
وأعد له الزاد والراحلة ، ثم تمن السفر إن شئت وإلا تفعل تكن من
الخاسرين ، وليس لهذا الطريق زاد سوى العلم ، والعمل تزودوا فان خير الزاد
التقوى .

ولا تجعل غرضك غرضا لنبال القول : من لطيف التجانس أي لا
تعرض لمرمي الملاوم^(١) .

أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه : من قوله تعالى : «وما تقدموا لأنفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا^(٢)» .

١ - الملاوم من لام يلوم ولامه : عنفه وعذله .

٢ - البقرة : ١١٠ .

يفيل رأيه : أي يخطيء ويضعف .

واسكن الأمصار العظام فانه جماع المسلمين .

من قول النبي صلى الله عليه وآله : عليكم بالسواد الأعظم ، قوله : يد الله على الجماعة ، وقوله : الجماعة رحمة ، وتمام أمور الاسلام والمسلمين إنما يتعلق بمصر جامع وسكان الرساتيق مشغولون بمصالح الزراعة والحراثة غافلون عن الديانة وعن ذكر الله .

وإياك ومقاعد الأسواق : أي أحذرك وأحذرهما أن يقع اجتماعكم إلا فاضلا في سبيل الله أي خارجا للجهاد .

وخادع نفسك في العبادة : أي أفل بها فعل الخادع من التحريض على الطاعة بما أمكنك .

ع— أي امسك نفسك من قولهم : أعطى ثم خدع أي أمسك .

خذ عفوها ونشاطها : أي سهلها وسعتها ، وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إن هذا الدين متين فأوغل^(١) فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فان المنيت لا أرضا قطع ولا ظهرا بقى .

* * *

١ — اوغل القوم وتوغلوا : إذا منعوا في سيرهم والوغل : الدخول في الشيء وقد وغل يغل وغلولا : يريد سرفيه برفق لا على سبيل التكلف والتهافت .

٦٩- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة

في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى
مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدِيهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ
مِنْ مَدَدِيهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنْ
الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ
دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدَلَ وَرَأَوْهُ
وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ^(١)، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا^(٢) فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ،
فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا!!

إِنَّهُمْ- وَاللَّهِ- لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلِ، وَإِنَّا
لَنَنْظِمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلَّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهَّلَ لَنَا
حَزَنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.

١- في ب : ورعوه .

٢- في ب : ان الناس عنده .

الشرح

قوله عليه السلام يتسللون : أي يذهبون^(١) في خفية .

والايضاع : الاسراع ، وكذا الاهطاع .

وأهطع : أي مد العنق ضرب الرأس في مقاييس اللغة أي واصله

واحد^(٢) يدك على المداواة والاصلاح .

فقوله عليه السلام : الناس عندنا في الحق أسوة : أي أهل أسوة يعني

كلهم أهل أن يصلح ويداوى .

واستأثر الشيء : استبد به ، والاسم الأثرة ، يعني لما علم هؤلاء الذين

لحقوا بمعاوية أني لا أمكنهم في سلطاني من التفوق على من عداهم بلا

استحقاق بل أصلح كل^(٣) فاسد وأداوي كل سقيم هربوا مني ، وفرعوا إليّ

حيث يمكنهم الاستبداد بالجاه والمال والتفضل بلا استيهال .

* * *

١ - في ض : يتسللون : أي يهربون في خفية .

٢ - في ض : اي واصل واحد يدل على المداوات .

٣ - بين الهلالين ساقط في ش .

٧٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله
أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّبِي مِثْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ
تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُفِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا
تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لِأَخْرَجِكَ عِتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ
بِخَرَابِ أَخْرَجِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلَكِنْ كَانَ مَا
بَلَّغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلِ أَهْلِكَ وَشِسْعِ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِثْكَ،
وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يَنْفَذَ بِهِ
أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَيَّ
بِخِيَانَةٍ؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال الرضي : والمنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام :

إنه لنظار في عطفه ، مختال في برديه ؛ تفال في شراكيه .

الشرح

قوله عليه السلام : فيما رقى إليّ أي رفع وأنهى إليّ .
والنعل وجمل : الأمّ مما يتمثل به في المذلة والهوان ، قال الفرزدق :
وكل كليبي صحيفة وجهه * أذل على طول الهوان من النعل
وقال الحماسي :

أكلما حاربت خزاعة تحدوني * كأني لأهمهم جمل
وقوله عليه السلام : جمل أهلك : الأهل قد يشمل الأمّ وغيرها من أهل
البيت ويحتمل أن يريد بالأهل الزوجة .
قوله عليه السلام : إنك لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في
شراكيه .

كل هذه علامات المعجب المختال فانه ينظر كثيرا في عطفيه أي
منكبيه ويتبختر في مشيته يجر ثوبه خيلاء ويتفل في ^(١) شرك نعليه إذا اغبرت
وتغيرتا .

والشسع : السير ^(٢) الذي يشدّ إلى زمام النعل ، والشراك ما يكون على
ظاهر القدم ، وقد فرق المتنبي بينهما بقوله :

شراكها كورها ومشفرها * زمامها والشسع مقودها

* * *

١ - التفل : نفخ معه ادنى بزاق وهو أكثر من النفث .

٢ - السير : قدة من الجند مستطيلة .

٧١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ. وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

٧٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمْؤَهْنٌ رَأْيِي، وَمُخْطِئٌ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَشْقَلِ النَّائِمِ تَكْذِيبُهُ أَخْلَامَهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لَا يَذِرُنِي إِلَهُ مَا يَأْتِي أُمَّ عَلَيْهِ، وَلَسْتُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الْإِسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي نَوَازِعٌ^(١): تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَتَلْهَسُ

١- في ض وب وح: قوارع وفي ع وك: لو وصلت اليك من نوازع تنزع العظم.

اللَّحْمَ^(١) ! وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ
أُمُورِكَ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ .

الشرح

بهط الجمل : يبهظه ، بهظا أي أثقله ، وعجز عنه . وهذا أمر باهظ أي شاق .

قوله عليه السلام : لوصلت إليك مني نوازع .

نزعت الشيء : من مكانه نزعا أي قلعته ، وفلان في النزاع أي في قلع الحياة ، ونزع إلى أبيه في الشبه أي ذهب ، وبينهم نزاعة أي خصومة في حق ، أي لوصلت إليك مني أشياء تزعجك عن مقامك ، وتخنث^(٢) جرثومتك ، وتهدم ما بنيت .

وتهلس اللحم : أي تسلبه وتذويه يقال هلسه المرض أي إذا به وفلان مهلوس العقل أي مسلوبه .

والتثييط : التبطئة^(٣) ، والأذن : الاستماع قال الشاعر :

في سماع يأذن الشيخ له * وحديث مثل ما ذي مشار
قول الرضي : ومن حلف : أي عهد بين اليمن وربيعه يعني بين بني قحطان ، وبين بني سباء وبين بني ربيعة بن نزار الذي يقال له ربيعة الفرس .

* * *

١- في ض وب ون ول وش : تهلس وفي ح : تنهس اللحم .

٢- تخنث وانخنث : انكسر وانثنى .

٣- بطأ به عمله : اخره والتبطئة : التأخير .

٧٣- وَمِنْ حَلْفِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام ابن الكلبي
هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ
حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ : يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ،
وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ
بَدَلًا ، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ ، أَنْصَارُ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ
لِمَعْتَبَةٍ غَائِبٍ ، وَلَا لِعُضْبٍ غَاضِبٍ ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا (وَلَا
لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْمًا^(١)) ! عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ ،
(وَسَفِيهِهِمْ^(٢) وَعَالِمُهُمْ) ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ
بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا ، وَكَتَبَ : عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ .

١ - ساقطة من ب ول .

٢ - ساقطة من ش .

الشرح

قوله عليه السلام : إنهم على كتاب الله : بدل من قوله ما اجتمع أنصار أو بدل من قوله يد واحدة أو خبر بعد خبر لأنهم أو خبر مبتدأ محذوف ، أي هم أنصار دعوة واحدة مصدر لقوله يدعون إليه : أو لما يدل هو عليه وروى .

وكتب علي بن أبو طالب : ترك في حال الجرّ على لفظه في حال الرفع لأنه اشتهر بذلك ، وعرف فجرى مجرى المثل الذي لا يغير وفي الحديث كتب رسول الله صلى الله عليه وآله لوائل بن حجر من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو أمية ، وقيل إن قولنا أبو فلان إذا سمي به لا يغير بوجه الاعراب ، لكونه في حكم كلمة واحدة ، وإذا كني به غير فرقا بين حالتي كونه اسما وكونه كنية .

* * *

٧٤- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية في أول ما بويع له

ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي
سُفْيَانَ :-

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ إِغْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ،
حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلَامُ
كَثِيرٌ، وَقَدْ أَذْبَرْتُ مَا أَذْبَرَ وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايَعُ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلَ
إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ .

٧٥- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعبد الله بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة

سَعِ (١) النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ
وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيَّرَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ
يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ .

الشرح

قوله عليه السلام : سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك .
 أي لا تضايقهم بالبشر وطلاقة الوجه ، وفسحة المجلس ، والحكم بينهم
 بالعدل ، وترك الميل ، وينبغي أن تسع جميعهم بذلك أجمع .
 وإياك والغضب ، فانه طيرة من الشيطان .

يعني أحذر الغضب والطيرة : الخفة والطيش ^(١) قال الكمي ^(٢) :

وحكمك عز اذا ما حكمت * وطيرتك الصاب والحنظل
 والغضب غليان دم القلب ايثارا للانتقام ، وقيل : هو تغير يعتري الانسان
 على الغير يقتضي اساءته إليه ، من وسواس الشيطان ، فكأن الشيطان يطيره
 ويحركه .



١ - الطيش : الخفة وفي الحديث كانت يدي تطيش في الصفحة أي تخف وتناول من كل جانب .

٢ - الكمي بن زيد الأسدي شاعر أهل البيت عليهم السلام ، قال : دخلت على سيدي أبي جعفر عليه
 السلام فقلت يا بن رسول الله اني قد قلت فيكم أبياتاً افتادني في انشادها قال : هات ، قلت :

اضحكني الدهر وابكاني والدهر ذو صرف والسوان
 لتسمة بالطف قد غردوا صاروا جيما رهنا كفان

فبكي وبكى ابو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام ، ثم اخذ بيدي وقال : اللهم اغفر للكميت ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر ، ثم قال : يا كمي هذه مائة ألف درهم قد جمعتها لك من أهل بيتي ، فقال الكمي : لا والله

٧٦- وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج
لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ تَقُولُ
وَيَقُولُونَ وَلَكِنْ خَاصِمُهُمْ ^(١) بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عِنْدَهَا
مَحِيصًا .

٧٧- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكيمين
ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ ،
فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ
مَنْزِلًا مُعْجِبًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي
أَدَاوِي ^(٢) مِنْهُمْ قَرْحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقًا ، وَلَيْسَ رَجُلٌ

→
لا يعلم أحد اني آخذ منها حتى يكون الله عز وجل يكافئني ولكن تكرمني بقميص من قميصك فاعطاه ،
وللكميت أخبار ونوادير مذكورة في كتب الشعر والأدب .

١- في ض وح وب وش : ولكن حاججهم . ٢- في ش : فانا اداوي .

فَاعْلَمْ - أَخْرَصَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَأَلْفَتَهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَأْتَابِ. وَسَأْفِي
بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي
عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبَةِ
وَإِنِّي لِأَعْبُدُ^(١) أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ. وَإِنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَضْلَحَهُ
اللَّهُ؛ فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوَابِلِ
السُّوءِ.

الشرح

قوله عليه السلام: لا تخصصهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه ولكن
حاجبهم بالسنة.

وذلك لأن الكتاب يحتمل من الوجوه ما لا يحتمله السنة، وما كان
أكشف وأبين من مراد قائله، فالاحتجاج به أقرب، وسنة الرسول صلى الله
عليه وآله أظهر في إبطال مذهب الخوارج من القرآن لأنه صلى الله عليه وآله
أقام الحدود على الفساق. والجنة وأقام فيهم حكم المؤمنين من الحدود،
ولا يخفى ذلك على الأمة ولا نزاع فيه، لوقوع المشاهدة، والاحتجاج
بالمشاهدة أقوى.

المحيص: المعدل.

قوله أداوي منهم قرحا: وروى أداري.

وأيت: أي وعدت، لأعبد: أي أنف وأغضب.

طائرون: أي مسرعون.

٧٨- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَتَّعُوا النَّاسَ
الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ^(١) بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

باب الحكم

قوله عليه السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَأَنَّ اللَّبُونَ».

ابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية، ودخل في الثالثة، لأن أمه وضعت غيره، فلها ابن وهو نكرة ويعرف بالألف واللام قال الشاعر:
ابن اللبون إذا ما لُزِّي قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس
يعني كن في الفتنة، بحيث لا مطمع فيك لأحد من طريق القوة (ومن طريق) المال، يعني لا تهيج الفتنة بنفسك ومالك. عبّر عن القوة بالظهر وعن المال باللبن، وقيل يعني لا تكن في الفتنة منقاداً لصاحبها، بحيث يركبك أي يحملك وزره، ويستمد منك كما يستمد الحالب من اللبن.

والمراد بالقولين لا تكن سلس^(١) القياد في الفتنة والشر، وقيل إنه في الحقيقة نهى عن جمع المال واطهار القوة من النفس في زمن الفتنة كيلا يطمع أصحاب الفتن في ماله وقوته ولا يتقوا به، وبالجملة فالمراد لا يكون لك تأثير في الفتنة ولا علاقة بها ولا ظهر مبتدأ محذوف الخبر أي لا ظهر له.
قوله فيركب: جواب النفي، وانتصابه بان مضمرة.

قوله عليه السلام: «أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ آسَشَعَرَ الظَّمْعَ».

أي من جعل الطمع شاملاً له بمنزلة الشعار، فقد حقر نفسه وقد قيل

١ - السلس: السهولة والانقياد، والسلس: اللين.

العبد حرّ ما قنع ، والحر عبد ما طمع .

ورضى بالذل من كشف عن ضره .

الضرّ سوء الحال ، والفقر ، والفقير حقير في أعين أبناء الدنيا .

قوله وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه .

ذلك ، لأن الطبع يميل إلى التكلم بما يتأذى به الناس فمن انقاد

لسانه قد تعرض لهوانه لأنه يطرق على نفسه بسفاهته سفاهة غيره ، ثم إن

كثرة الكلام يذهب بمهابة المرء ، وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ، وفي

الصمت حكم وقليل فاعله وقد قال الشاعر :

الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوت مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

ثم الصمت وإن كان محمودا فانه يحسن (موضعه ، والسكوت) حيث

يجب الكلام ، كالكلام حيث يجب السكوت فحري بالعاقل أن يكون لسانه

منقادا له ، ولا يكون هو منقادا للسان فيعد لكل مقام مقالا ولكل داء دواء .

والفقر يخرس الفطن عن حجته : لأنه يخاف من ضعة^(١) قدره عند

الناس أن يرد عليه ويستخف به فيؤثر السكوت .

المقل : الفقير العجز : آفة : أي من عجز عن تهذيب أخلاقه وإمساك

نفسه عند اقتحام^(٢) الشهوات ، فقد أدركته الآفة ، وإن حمل على العموم كان

وجهها .

والزهد ثروة ، أي غنى من قول النبي صلى الله عليه وآله : القناعة مال

لا ينفد ، والزهد أن يختار المرء الباقي على الفاني ، ويحقر الدنيا في عينه

ويتنزّه عن أكثر المباحات مع القدرة عليها ، ولا يدخر الدنيا ، والزاهد المطلق

١ - الضعة : الحط والسقوط والخسارة .

٢ - اقتحم الانسان الامر العظيم : اذا رمى نفسه فيه من غير روية .

هو الذي لا يضيع عمره في اكتساب اللذات الدنيا الدنية^(١) ويقبل على اكتساب اللذات الموعودة. في العقبى وهذا بيع يستعقب ربها عظيما، قال الله تعالى: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به^(٢) والزاهد من باع الفاني واشترى الباقي وذلك هو الثروة.

قال بعض العارفين: إنَّ بيع الدنيا بالآخرة زهد ضعيف، لأنَّ مطلب العارف هو النسبة الشريفة التي بين العبد والمعبود، وهو الرضوان الأكبر، والعارف الحقيقي أن يأخذ الأموال ويتصرّف فيها ويضعها في مواضعها كما فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان العارف مع أموال الدنيا في يده زاهدا وربما كان الفقير الذي لا يقدر على درهم واحد غير زاهد لأنَّ قلبه معلق بالدنيا، والعارف منقطع عن الدنيا غير ملتفت اليها ولا يشتغل بطلب الدنيا ولا يتركها.

لا تشغله الدنيا من طريق الطلب ومن طريق الانقطاع، والهرب عنها وبينه، وبين الدنيا لا وصال ولا انقطاع. مثال ذلك أنك ترى إنسانا في مدينة أو سفر ولا صداقة بينك، وبينه، ولا عداوة لأنَّ العداوة أيضا نوع من الاشتغال، وهذا لا يتيسر لكل أحد بل النادر في كل زمان، وقيل لعبد الله بن^(٣) المبارك يا زاهد، فقال: الزاهد هو عمر بن عبدالعزيز، فإنه متصرف في أموال الدنيا، وهو مع ذلك زاهد فيها.

١- في ض: اكتساب اللذات الدنياوية.

٢- التوبة: ١١١.

٣- عبد الله بن المبارك واضح الختظلي مولا هم ابو عبد الرحمان الروزي احد الائمة روى عن سليمان التيمي وحيد الطويل وغيرهم وعنه الثوري وخلق كثير من اهل الحديث.

قال العباس بن مصعب: كانت امه خوارزميه وأبوه تركيا، قال سفياني بن عيينة: كان ابن المبارك فقيها عالما، عابدا، زاهدا، شيخا، شجاعا وشاعرا، جمع العربية والشجاعة والسخاوة والمحبة، وكانت كتبه التي احدث بها عشرين القامات بهيت سنة ١٨١ ويظهر من بعض الأخبار انه يميل الى معاوية بن ابي سفيان.

فأما أنا فلا أقدر على درهم ، فكيف أكون زاهدا ، وقيل من الزهد ترك
الطلب أيضا ، لأن من لا يقدر على الدنيا ويطلبها سرا وعلانية . فليس بزاهد ،
بل هو ممن خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

والورع : الذي يتنزه عن المعاصي .

والآداب حلل مجددة : أي لا يبلى بل يزداد بكثرة التجارب والممارسة
كل وقت جدة وعنى بالآداب هنا آداب الشرع التي هي مكارم الأخلاق .
«الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ» .

بالفكر ينتقش صور المعلومات في العقل وما لا يعلم بديهية لا بد من طلبه
ولا يمكن طلبه إلا بمعروفين يؤلف بينهما فتعرف من تألفهما المطلوب
المجهول ، وهما كأصلين له بمنزلة رأس المال والعلم بالتجارة للربح ، فمن
وجد رأس المال ، ولم يعرف التجارة ضيع رأس ماله ، ومن عرف التجارة ،
فلا مال فلا فائدة ومن جاز كلي الأمرين ، فقد فاز بالربح العظيم . مثاله من
أراد أن يعرف أن العقبي خير من الدنيا لا يمكنه ذلك الا بمعرفة أصلين .

أحدهما : أن الباقي خير من الفاني والآخر أن العقبي باقية ، والدنيا
فانية وهذان العلمان كالزند والمقدحة والتفكر ، كحركة يد القابس ، والعلم
المطلوب كالنار التي يخلقها الله بسبب الزند^(١) والمقدحة والفكر والحركة
درجتان أولاهما أن يتفكر في نفسه ، وأعماله المكروهة ورذائله الخبيثة
ليخلص نفسه منها والرذائل الظاهرة كالمعاصي ، والباطنة كالحرص والحسد
والبخل ونحوها .

وثانيهما : التفكر في أفعال الله تعالى ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وآله تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق .

١ - الزند : بفتح النون : العود الاعلى الذي يقتدح به النار وفي النهاية الزند بفتح النون : المسناة من خشب
وحجارة يضم بعضها الى بعض والمقدحة : الحديدية .

«صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ» .

أي لا يفشى سرّه وكتمان السر خلق محمود من الفضائل ، وهو من باب الأمانة وروي له عليه السلام بيتان في هذا المعنى أوردتهما في أنوار العقول وهما .

لا تودع السر إلا عند ذي كرم * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم
«وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ» .

أي صاحب طلاقة الوجه يصطاد القلوب بها فتحبه ، ويحصل بالبشر وحسن المعاشرة من الأصدقاء والمعارف ما لا يحصل بالمال والجاه .
«الاحتمالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ» .

أي من لم يغضب واختار الأناة^(١) عند سفاهة السفهاء استترت عيوبه
أي لا يذكر ، والمخاصمة تثير نقع^(٢) العيوب ، فان الخصم مضطر إلى إظهار
معائب خصمه ليحقره في أعين الناس ويفوز بالانتقام منه .
والمسالمة ، المصالحة والخب الستر .

ومن رضى عن نفسه كثر الساخط عليه : لأنه إنما يرضى عن نفسه اذا
اعتقد الكمال له ، وإذا اعتقد الكمال له اعتقد النقصان لغيره ، فنظر إلى غيره
بعين الازدراء والتحقير ، فكثّر الساخط عليه وأيضاً فإنه إذا رضى عن نفسه رفعها فوق
قدرها ، ومن رفع نفسه فوق قدرها قد ردها الناس إلى قدرها فكثّر الساخط عليه وأيضاً
فمن رضى عن نفسه لم يجتهد في طلب كماله ، وبقي في مهاوي النقصان وتصور نقصانه
كمال والعقلاء يتصورون نقصانه نقصاناً فكثّر الساخط عليه .

«الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ» .

١ - الأناة : الانتظار ، التمهّل الوقار والحلم .

٢ - النقع : رفع الصوت ونقع الصوت اذا ارتفع .

أي يوصل إلى النجح وهو الظفر بالمرام قال النبي صلى الله عليه وآله :
داووا مرضاكم بالصدقة وقال بقراط: من الأمراض أمراض علاجه القرابين
والصدقات ، وإذا كان الشافي في الحقيقة هو الله فطلب الشفاء منه بالصدقات
أولى ، والدواء والطب الالهي لا شك أنه ينفع ودواء الطبيب ربما ينفع وربما
لا ينفع بل ربما يضر.

«أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ ، نُصِبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ» .
أي ما عملوه في الدنيا عاينوه في الآخرة ، والنصب في قولهم نصبت
الشيء نصبا أي أقمته وانتصابه هنا على المصدر ، والفعل مقدر أي تنصب
نصبا لأعينهم ، والفعل المقدر خبر المبتدأ الذي هو أعمال فلما حذف الفعل
سد مصدره المنصوب مسد الخبر.

ويتنفس من خرم : والخرم ثقب الأنف وأصل الخرم : القطع والمخرم
منقطع أنف الجبل .

قوله عليه السلام : «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ
غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ» .

يعني من وافقته الدولة اعتقد الناس فيه الكمال ، والمحاسن ،
والفضائل فينسبون محاسن غيره إليه ، وإذا أدبرت الدولة عنه اعتقدوا فيه
المثالب فربما أتى بمحمدة ينسب إلى غيره ولا يظن به إلا الادبار في أنوار
العقول . لأمير المؤمنين عليه السلام :

كثير المال ليس له عوار * ولا في كل ما يأتيه عار
لأن المال يستر كل عيب * وفي الفقر المذلة والصغار
كذلك الفقر بالأحرار يزري * كما ازرت بشاربه العقار
ومما ينسب إليه فيه :

مساكن أهل الفقر حتى قبورهم * عليه تراب الذل بين المقابر

وقيل في قوله أعارته محاسن غيره، يعني أن العقلاء، والعلماء يتقربون إليه بتنبهه على عقائل^(١) الكلام، ومحاسن الأعمال فكأن الدولة أعارته محاسن غيره.

قوله: «أَعَجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ آكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعَجَزُ مِنْهُ ضَيِّعٌ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ».

يجب في اتخاذ الإخوان أن يراعى فيه اتفاق المطلب، وهو مطلب الاخوة وانفاق الأخلاق، فإن البخيل يرى بذل السخي اسرافا والسخي يرى إمساك البخيل لوما والشجاع يرى جنن الجبان ضعفا، والجبان يرى شجاعة الشجاع تهورا^(٢) فيجب في اتخاذ الإخوان والأصدقاء انفاق الأخلاق حتى تدوم الصداقة ولا يكون عارضة زائلة، عن قريب.

إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر كفران النعم كالسبب لزوالها، وانقطاعها كما أن شكرها سبب لدوامها وزيادتها قال تعالى «لأن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد^(٣)».

«أتيح: أي قدر».

ما كل مفتون يعاتب: من وقع في شدة من شدائد الدنيا نظر فيه فان كان بسوء اختياره أو بسبب راجع إليه من شهوة أو معصية، فانه يلام عليه ويعاتب، وإن كان من فعل لله أو من فعل غيره فانه يلام عليه وهو في كلا الحالين، مفتون.

«تَذِيلُ الْأُمُورِ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّى يَكُونَ الْحَنْفُ فِي التَّذْيِيرِ».

١ - العقائل جمع العقيلة وهي درة البحر.

٢ - تهور: اوقع نفسه في الملركة والمهورات: المهلك.

٣ - ابراهيم: ٧.

يعني من قدر الله هلاكه، تدبيره تدميره^(١)، قوله عليه السلام: في حديث الخضاب إنما قال ذلك والدين قلّ، فأما الآن فقد اتسع نطاقه.

«ضَرَبَ بِجِرَانِهِ، فَأَمْرُؤُومَا آخْتَارَ».

كان المجاهدون في بدو الاسلام ندبوا إلى الخضاب لثلا ينظر إليهم الأقران بعين الازدراء بسبب الشيخوخة، فكان الشيوخ يخضبون بالسواد تشبها بالشبان، وقيل: كانوا يخضبون بالحناء.

والنطاق: شقة طويلة عريضة ينجر على الأرض إذا البست وجران البعير ما يلي الصدر من العنق، وهما كنايةتان عن انتظام أمور الدين، وكما له واستقامته واستقراره، وذكر بعض الرواة أن الخضاب نوع من الرياء، وإذا كان الشيب نور الله؛ فستر نور الله أمر خارج عن الاعتدال.

وقوله فامرء: مبتدأ، وما اختار: عطف عليه والخبر محذوف أي فامرئ وما اختاره مقرونان كقوله كل رجل ووضعته.

«أَقْبِلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَشْرَاتِهِمْ، فَمَا يَغْتَرُّ مِنْهُنَّ عَائِرٌ إِلَّا وَتَدُّ اللَّهُ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ».

يهدي الله صاحب المرؤة في عواقب أموره إلى ما يحب ويرضى ويد الله عبارة عن توفيقه وتسديده.

قوله عليه السلام: «فُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ».

من عظم صغار الأمور في نفسه أو كبر صغير الناس في وهمه، وهابه ربما كان ذلك سبب حرماته، مما قدر له في الرزق أو حسن الذكر.

قوله عليه السلام: «لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ، وَإِنْ ظَالَ السَّرِيُّ».

من منع حقه مع حاجته إليه ، ولم يقدر على استيفائه ، فقد ظلم ، والمظلوم يلحقه مذلة . وفي تهذيب الأزهري : قال القتيبي (١) : أعجاز الابل مآخبرها جمع عجز وهو مركب شاق ، قال : ومعناه إن منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه ، وإن طال ولم نضجر منه مخلصين بحقنا .

ثم قال الأزهري : لم يرد عليّ عليه السلام ركوب المشقة ، ولكنه ضرب أعجاز الابل مثلا لتقدم غيره عليه في حقه وتأخيره إياه عن الامامة والتقدم فيه ، فأراد إن منعنا حقنا منها ، وأضربنا عن ذلك صبرنا على الأثرة (٢) عليها وإن طالت الأيام والسرى سير الليل .

قوله عليه السلام : «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِغْ بِهِ نَسَبُهُ» .

أي من كان عاريا عن صفات الكمال ، لم ينفعه كمال أسلافه ، بل كان ذلك أشد تأثيرا في إظهار معاييه ، وقد قلت فيمن يفتخر بفضل أبيه وليس هو الفاضل النبيه (٣) .

أغرّك يوما أن يقال ابن فاضل * وأنت بحمد الله أجهل جاهل
فان زانك الفضل الذي فيه قد بدا * فقد شأنه أن لست تحظى بطائل
وإن لم يكن ذا الجهل عنك بزائل * إليه فذاك الفضل ليس بزائل
ومن عجائب هذا الزمن من يتفوق بفضل أبيه على من هو بدرجات في

١ — والظاهر أنه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب صاحب التصانيف كغريب الحديث ومختلف الحديث والمعارف وادب الكاتب ومشكل القرآن وغيرها من الكتب الحسنة المفيدة سكن بغداد وحدث عن ابن راهويه ومات سنة ٢٧٦ .

ويمكن ان يكون حفيده أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القتيبي ولد ببغداد سنة ٢٧٠ وانتقل إلى مصر وسكنها وروى بها عن أبيه وجده ، سمع منه أبو الفتح عبد الواحد البلخي وكان ثقة ، وأذكرهما أبو سعد السمعاني في الأنساب في ذيل القتيبي .

٢ — الأثرة : الايثار ، وأثر يؤثر : إذا أعطى .

٣ — النية : الشريف .

الفضل فوق أبيه .

قوله عليه السلام : «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ ،
وَالْتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ» .

لأن الاغاثة طاعة متعدية ، وفيه فوائد منها زجر الظالم ، ونجاة المظلوم ،
وتوطين النفس ، على قهر القوة الغضبية واكتساب مودات القلوب ، وإذا
كانت الطاعة عظيمة ، كانت كفارة للمعصية العظيمة ، وقيل إنَّ كفارة
المعصية الظاهرة الطاعة الظاهرة المتعدية ، ولا طاعة في الظهور مثل اغاثة
الملهوف ، وإعانة^(١) العقل عند استيلاء الهوى عليه من باب اغاثة الملهورف .

قوله عليه السلام : «إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ فَاحْذَرْهُ» .

أي احذر أن تقع في معاصيه ، بما أنعم عليك به على التواتر من صحة
البدن وكثرة المال والأولاد ، واستقامة الأحوال ، فيكون استحقاقك للعقاب
أكد ، وروي أن الله تعالى يقول : يا بن آدم خيري عليك نازل وشرك إلي
صاعد ، أتحبب إليك بالنعم وتممقت^(٢) إلي بالمعاصي .

قوله عليه السلام : «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ
لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ» .

الاعتقاد الذي في صميم الفؤاد كالرطوبة التي في أعراق الشجرة وأصولها ،
فلا شك أنه يظهر آثارها بالأوراق والأزهار ، على أغصانها ، وفلتات اللسان
سقطاته وما يقع منه من غير تفكر وصحفة الوجه بشرة جلده .

قوله عليه السلام : «أَمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ» .

أي امش في صورة الأصحاء مع علتك ولا تضع جنبك على الفراش

١- في ض : اغاثة العقل .

٢- المقت : اشد البغض .

وذلك راجع إلى إخفاء المرض (كما قال النبي صلى الله عليه وآله : من كنوز البرّ كتمان الصدقة، والمرض، والمصيبة والفائدة الطبية في ذلك ان إخفاء المرض) معاونة للطبيعة على دفع المرض فانه نوع تجلد والتجلد يكون إغاثة الطبيعة وتقويتها ومن الأمراض أمراض تحلل^(١) الحركات الجسمانية وموادها .

قوله عليه السلام : «أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ» .

من ابتهج باطلاع الخلق على زهده، وعبادته فهو قارع باب الرياء إلا أن يكون ابتهجاه بسبب أنه أراد إخفاء طاعته، فأظهر الله حسن طاعته من غير طلب منه، وأخفى معاصيه التي خباها وهذا لطف كامل، وفضل وافر، فابتهج بأن لطف الله تعالى يظهر حسناته . وعفوه يستر سيئاته .

محصل الكلام في إظهار الزهد أن الطاعة، وترك المعاصي مما يتقرب بهما إلى رضاء الله فاذا أظهره للناس فلا يخلو من أن يكون الخلق في قلبه أكرم وأعظم من الله، ومن كان الله في قلبه أكرم وأعظم فهو يخفي الطاعة والزهد .

الحذر الحذر: أي الزمه من المعاصي .

قوله عليه السلام : «الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ» .

عنى بالايमान ما أراد الله تعالى في قوله : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، يعني معالم الايمان وتوابعه وفروعه وحليته، وما ينبغي أن يكون المؤمن عليه من الأقوال والأحوال والأعمال لما ثبت من الدليل في مظانه أن الايمان هو التصديق القلبي بجميع ما يجب التصديق به، وقدم عليه فيما عده من معالم الايمان الصبر لأنه أشد الأعمال، ولا يستغني المؤمن عنه لأن

المؤمن إما في النعمة، وإما في المحنة .

فاذا كان في النعمة، فلو لم يصبر ولم يملك نفسه حصل له البطر^(١) والطغيان كما قال تعالى : «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى^(٢)» والصبر في العافية والنعمة من علامات الصديقين، وقال تعالى في حق ثعلبة^(٣) حين لم يصبر على النعمة والعافية، فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون^(٤)، والصبر على النعمة أن لا يسكن إليها ولا يطمئن بها ويعرف أنها عارية، وأما في المحنة فلا غنى عن الصبر في الأحوال التي لا يلائم الانسان من القيام بالطاعات والاجتناب عن المعاصي وموت الأعزّة ونقص الاموال والأمراض .

قال تعالى : فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا^(٥) ولم، يرد باليقين ما يتعلق بأصل الايمان بل أراد حصول العلم بما هو فرع عليه على ما فسر به بعد والعدل ما عدل اليك وأما الى غيرك فالعدل اليك الاحتراز من الخسران والطغيان في ضعف القوة الشهوانية، والغضبية وتسلطهما فيكن الغضبية بالشهوانية والشهوانية بالغضبية وهذا هو الميزان الحقيقي .

قال تعالى : وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان^(٦)، وعنى بالشوق

١ - البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً ويتكبر عن الحق فلا يقبله .

٢ - العلق : ٦ .

٣ - هو ثعلبة بن حاطب الانصاري الاوسي شهد بدرًا وهو الذي سأل النبي صلى الله عليه وآله ان يدعو الله ان يرزقه مالا فقال : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، ثم اصبر على ذلك حتى دعا له رسول الله وصار صاحب غنم كثير الى آخر الحديث المذكور في اسد الغابة .

٤ - التوبة : ٧٦ .

٥ - الطور : ٤٨ .

٦ - الرحمان : ٩ .

الاشتياق الى ثواب الله كما فسره بعد، وقد يكون الشوق عند قوم محبة لقاء الله تعالى ومن أحسن واحد فهو محبوبه كما قال النبي صلى الله عليه وآله : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وإذا كان العاقل يحب نفسه ويحب بقاء نفسه، ويحب كمال نفسه فكذلك يحب من أوجد نفسه وأبقاه وأكمله .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في الدعاء: أسألك الشوق إلى لقاءك، والشوق في الشاهد يكون إلى ما هو شاهد، من وجه غائب من وجه كالمعشوق، فانه غائب من جهة شخصه حاضر في الخيال والشوق تقاضي الطبع حتى يكون^(١) محسوسا مشاهدا فاذا اعتبرنا حال القلب وما ارتسم^(٢) فيه من معرفة الله فذلك هو الأنس، واذا اعتبرنا حال القلب، وما لم يحصل للانسان من تفاصيل معرفة الله تعالى، ذلك وطلب المرء تحصيله فهذا هو الشوق، وهذا تمام المطلوب، وهو الذي قال تعالى في ذلك: ربنا أتمم لنا نورنا^(٣).

أما الزهد فقد مضى ذكره قبل هذا، والترقب والمراقبة معنى قول الله تعالى: ولتنظر نفس ما قدمت لغد، وفي الخبر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومراقبة الصديق أن يكون قلبه مستغرقا في ذكر الله ولا يلتفت إلى غير الله كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من أصبح وهمه هم واحد كفاه الله هم الدنيا والآخرة ومراقبة الصلحاء وأصحاب اليمين معرفتهم بأن الله تعالى مطلع عليهم ولم يساعدهم الاستغراق في سبيل الله.

١ - في ض هنا زيادة وهي: حتى ما في الخيال شاهدا في الحس يتم الإدراك فما كان متخيلا يريد ان يكون محسوسا الخ.

٢ - ارتسم الامر: امتثله.

٣ - التحريم: ٨.

بل لهم التفات إلى أنفسهم وأحوالهم وحقيقة الترقب أن ينظر إلى أفكاره وخواطره مما كان منها موافقا لرضى الله أقبل عليه بالاتمام وما كان منها مخالفا لرضا الله استحي من الله وامتنع منه وأما الفطنة فذكاء العقل وتبصرته هو اكتساب العلوم فان العقل والعلم الاولى إذا لم يقترن به العلم المكتسب يسمى أعمى وانما يخرج عن العمى إذا توصل به الى العلوم المكتسبة .

قوله عليه السلام : «وَتَأْوِيلُ الْحِكْمَةِ» .

هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا واولى الحكمة بأن يعلم قول الله ورسوله قال تعالى : ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة^(١) .

«وَمَوْعِظَةٍ أَلْبِئْرَةٍ» .

هو الاعتبار والتفكر فيما يرى مما يحدثه الله في خلفه من الزيادة والنقصان ، وتصريف الأحوال ، فيستدل بها على صانع حكيم ، وعلى فناء الدنيا وزوالها ، وأن البقاء وراءها .

«وَسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ» .

هو الاحتذاء على سيرة الأنبياء في الاستقامة واستدامة التقوى سرا وجهرا ، وقولا وعقيدة .

قوله صدر عن شرائع الحكم : لأن العالم بمعاني كلام الله ورسوله ، يكون فاصلا بين الناس بالحكومة العادلة ، والسيرة الفاضلة من جعل المرء ديدنا^(٢) لم يصبح ليله أي من صار الممارسة واللجاج عادته ، فليس لليلة حيرته صباح ، ولا بمغلاق جهالته انفتاح ، ولا لظلامه ضياء ولا لحواره^(٣) وكلامه

١- آل عمران : ١٦٤ .

٢- الديدن : الدأب والعادة ، وفي ض : من جعل الرياء ديدنا .

٣- الحوار : الجواب يقال كلمته فما رد التي حورا ، اي جوابا .

بهجة ورواء^(١) وفي المثل أصبح ليل يضرب فيمن يتوقع النجاة من البلاء ولا
ينجو قائلته امرأة امرء القيس؛ وكانت لا يطيق معه البيوتة وكان امرء القيس
فروكا^(٢).

أما ألفاظه قالد عامة: العماد، والشعبة: الغصن، وكلاهما هاهنا مجاز.
والحكمة: العلم الذي يدفع الانسان عن فعل القبيح مستعار من حكمة
اللجام.

تبصر: أي نظر وتفكر وصار ذا بصيرة.

وغائص الفهم: اضافة الصفة الى الموصوف للتأكيد، والفهم الغائص
ما يهجم على الشيء، فيطلع على ما هو عليه، كمن يغوص على الدرر
واللؤلؤ.

وغور كل شيء: قعره والشريعة: المورد، والزهرة: النور، والرساخة:
الثبوت، والشنان: البغض، وإنما ذكر الكفر والشك، وقد سئل عن الأيمان
لأنهما ضدان له وبالضد يتبين الأشياء.

والتعمق: في الكلام: التقعر والتباعد فيه.

والشقاق: المعادة، والمخاصمة الشديدة.

والانابة: الرجوع وأعضل الأمر: اشتد.

ونكص على عقبيه: أي ارتد.

كن سمحا ولا تكن مبذرا السمع: الجواد السهل والمبذر: المفرق ما له

اسرافا.

وكن مقدرًا ولا تكن مقترًا المقدر: الذي ينفق على عياله بمقدار ما

١- الرواء بالمد والضم: المنظر الحسن.

٢- الفروك: حسن المعاشرة والصحبة.

ينبغي والمقتر الذي يضيق عليه في النفقة .

فترجلوا : اي نزلوا عن مراكبهم وصاروا رجالة .

واشتدوا : عدوا ويشقون : من المشقة ويشقون من الشقاء .

ما أخسر المشقة وراءها العقاب قوله وراءها العقاب جملة من مبتدأ وخبر منصوبة المحل صفة للمشقة لأن المشقة وإن كانت فيها أداة التعريف فإنها غير موقت على وتيرة قول الشاعر .

ولقد أمر على اللثيم يسبني .

ويجوز أن تكون الجملة في حكم حال مقدرة كقولهم : مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرًا به الصيد غدا فكان التقدير هنا ما أخسر المشقة مقدرًا بعدها العقاب ومتربًا .

قوله عليه السلام : «أَخْفِظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا» .

إنما فصلها ولم يقل ثمانيا لأن أربعا منها مما يطلب ويفعل وأربعا مما يهرب عنه ويهمل .

قوله عليه السلام : «يَغْبِذُ عَنكَ أَحْوَجُ^(١) مَا تَكُونُ إِلَيْهِ» .

أحوج حال من الضمير في عنك ، وما مصدرية والأوقات مقدرة قبله ، وخبر كان محذوف سد مسده ، ما يتعلق به وهو إليه ، والتقدير أحوج أوقات كونه محتاجا إليه ، ويجوز أن يكون أحوج على هذا ظرفا لأنه في التقدير مضاف الى الظرف ، فاكسب من المضاف إليه الظرفية ، فعلى الأول يكون أحوج في المعنى من صفة المخاطب ، وعلى الثاني من صفة الوقت على طريق الاتساع .

التافه : اليسير الحقير .

١ - في ض : يقعد عنك احوج ما يكون .

المرض لا أجر فيه : للمريض بمجرد الألم^(١) العوض ، وإذا احتتمل المريض ما حمل احتسابا أثيب على ذلك .

والكفاف : من الرزق القدر الذي يكف ، ويغني عن السؤال ، وفي الدعاء المأثور ، اللهم ارزقني العفاف والكفاف ، لا كثيرا فأطغى ولا قليلا فأشقى .

بجماتها : أي بأجمعها وجملتها .

قضى : أي حكم النبي الأمي : منسوب الى أم القرى ، وهي مكة أو إلى أم أي هو على ما ولدته امه لم يتعلم من آدمي شيئا من القراءة والكتابة .
سيئة تسوءك : أي تحزن بعدها وتندم عليها خير من حسنة تورث العجب ، وقد تقدم أن العجب من المهلكات .

الانفة : الحمية العفة : تحصيل تمام حسن الخلق من كسر القوة الشهوانية ، والغضبية .

احذروا صولة الكريم : أي حملته ، الكريم لا يحتمل أذى الجوع ، والليثم بعد الشبع يظن عيبك .

مستور ما اسعدك جدك : أي ما دمت غنيا محظوظا حليف بخت بحيث لا يطعن أحد فيك ، ولا يثير دفاين عوارك فاذا زلت بك قدم صرت مرمى لملاوم ، هكذا آداب الناس .

التذمم : التحرز من الذم ؛ الظهير : المعين .

المال مادة الشهوات : يعني بالمال يحصل المشتهى فيكون سببا

للشهووات وكالمحرض على تهيجها ، وعلى طلب المشتهى .

«مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ» .

لأن اندفاع الضرر جار مجرى وصول النفع . وربما يكون أبلغ .
 اللسان سبع إن خلى عنه عقر: أي قتل أو قطع العرقوب أي من لا
 يملك لسانه فقد عرض نفسه للهلاك أو الهوان ، وعلى العاقل أن يخزن لسانه
 كما يخزن عقيانته^(١) ، فإن من قتله اللسان أضعاف من قتله السيف والسنان .
 «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ اللَّسْعَةِ»^(٢)

اي اللدغة أي مصاحبته ضرر في صورة نفع .
 فلا تبلى : أي لا تبال حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال ، كما
 حذفوا الياء من قولهم لا أدر ، والنون من لم يكن ، وكأنهم لما حذفوا لام الفعل
 التي هي الياء ، من تبالي للجزم ، وكثر استعماله حتى صار المحذوف نسيا
 منسيا جزموا اللام على توهم أن الجازم ما عمل بعد وأن الساقط ليس من
 جملة الأصل ؛ بل عمله هو هذا الانجزم ، ولما انجزم اللام سقط الألف قبله
 لألتقاء الساكنين .

المفرط : الغالي والمفرط المقصر .

«إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ» .

يعني العاقل لا يتكلم بما لا يعنيه فيقل كلامه .

من ظفربه : أي بالدهر ، يعني حصل منه مراده ، ونال المال والجاه ،
 صار في كد وعناء من حراسة ذلك ، وطلب الزيادة عليه ، والاشتغال به ومن
 حرم ذلك واستولت عليه الحاجة والفاقة فتعبه وعناه أعظم .

من نصب نفسه للناس إماما : فليبدأ بتعليم نفسه أي أقامها وكفى بهذا
 الكلام وأعظا للائمة والعلماء .

١ - العقيان : الذهب الخالص .

٢ - لدغه : لسعه .

وقول ضرار أرخى الليل سدوله : أي أرسل واسبل ستوره وهو كناية عن شدة ظلام الليل .

يتلمل مل تلمل السليم : أي يضطرب ويتردد تردد الديغ^(١) وأصل يتلمل من الملة ، وهي لرماد كأنه بمنزلة من يبيت على رماد حارّ فلا يكون على ثبات وقرار ، وسمي اللديغ سليماً على طريق التفعال أي أنه سيسلم كما سمي المهلكة مفازة أي سيفوز سالكها .

قوله عليه السلام : «يَا دُنْيَا ، إِلَيْكَ عَنِّي» :

أي ابعدني عني ولا تتزيني لي فاني لا اغتر بك ، وتعلق عني باليك لأنه من أسماء الأفعال ، فتعمل عملها .
«أَبِي تَعَرَّضْتِ» .

تعرض له أي تصدى وانبرى^(٢) له ، وتعرض أي تعرج ، أي بسبب اغتراري تصديت ، أو أراد أبي تعرجت يعني اردت ان تميلي بي عن سنن الاستقامة ، قاله على طريق الاستبعاد والاستنكار .

«أُمِّ إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ» :

أي تطلعت ، يقال النساء يتشوفن من السطوح أي ينظرن ويتناولن^(٣) ، وتشوفت الجارية تزينت أي أترينت توسلا إليّ ، وروي بالقاف من الشوق .
لا حان حينك : دعاء عليها ، أي لا قرب وقتك .

«ظَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا» :

هذا عبارة عن المفارقة الحقيقية بالكلية على طريق الاستعارة فان قيل الطلاق يؤذن بتقدم نكاح ، قلنا هذه استعارة وفي الاستعارات لا يطلب

١— لدغه : لسهه .

٢— تير الرجل : زجرة وانتهره ونبره بلسانه اغتابه ونال منه .

٣— تناول : اشرف .

الأحكام الشرعية ، على أنه قد يقع الطلاق قبل النكاح ، عند قوم من الفقهاء .
 وقوله ثلاثا : أي ثلاث تطليقات فيكون انتصابه على المصدر أو ثلاث
 مرّات ، فيكون منصوبا على الظرف ، والتطليقات الثلاث عند الامامية لا يقع
 دفعة واحدة ، وإنما يقع بثلاث دفعات ، مع شروط أخرى من أراد معرفة أحكام
 الطلاق ، وشروطها وتفصيلها . فعليه بكتابنا الموسوم بشريعة الشريعة ، وهو
 تهذيب كتاب المهذب فانها وسائر الأحكام الشرعية مستقصاة مسترفة فيه
 على غاية ما يرام من التهذيب والتخليص والترتيب .

آه وآوه : كلمة توجع والخطب في هذا الفصل وإن كان موجهها إلى
 الدنيا فانه في الحقيقة نهى للنفس عن التعرض لها ، والاعتزاز بها ، وتلك
 طريقه أنيقة^(١) في كلام العرب مشهورة يقولون لا أريتك هاهنا والمراد لا
 تحضر هاهنا فأراك فيه .

أما حديث القضاء والقدر فروي أن السائل لما قال له عليه السلام
 أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره ، قال عليه السلام :
 والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطنا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء
 وقدر .

فقال السائل : عند الله احتسب عني ما أرى لي من الأجر شيئا فقال
 له مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم ، وأنتم سائرون وفي
 منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها
 مضطرين ، فقال : فكيف القضاء والقدر ساقانا .

فقال : ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدر حتما ولو كان كذلك
 لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ، ولم تأت لائمة من الله

١ - الانق بالفتح : الفرح والسرور والشيء الانيق : المعجب .

لمذنب ولا محمداً لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن .

تلك مقالة عباد الأوثان ، وجنود الشيطان ، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه^(١) الأمة ومجوسها إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً أو كلف يسيراً لم يعص مغلوباً ولم يطع مكبرها ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً ، ولم يخلق السموات والأرض ، وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

فقال الشيخ : ما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما ، فقال : هو الأمر من الله تعالى ، والحكم ، وتلا قوله تعالى : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» فنهض الشيخ مسروراً ، وهو يقول :

أنت الامام الذي نرجو بطاعته * يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا * جزاك ربك عنا فيه إحسانا

وإنما أوردنا هذه الرواية لأن فيها كشفاً وبياناً لما في متن الكتاب وفيها أيضاً تفسير القضاء والقدر والسائل إنما وهم لأجل الاشتراك اللفظي وذلك أن القضاء في اللغة قد ورد بمعنى الخلق ، والتقدير والاتمام كقوله «وقضهن سبع سموات^(٢)» وبمعنى الالتزام والایجاب كقوله : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه^(٣)» . وبمعنى الاعلام والأخبار كقوله «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين^(٤)» ، والسائل ظن أنه أراد بالقضاء المعنى الأول ، أعني الخلق والتقدير .

هو عليه السلام لم يرد ذلك ، وإنما أراد ما فعله عليه السلام ، من جهاد

٣- الاسراء : ٢٣ .

٤- الاسراء : ٤ .

١- في ض : وهم قدرية هذه ومجوسها .

٢- فصلت : ١٢ .

العدو والمسير نحوهم ، إنما فعله بأمر الله تعالى وإخباره إياه بذلك على لسان النبي صلى الله عليه وآله ، حيث قال : إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي ، ونحو ذلك من الأخبار المشهورة كما فسرهُ هو عليه السلام وكذا القول في القدر ، فإنه بمعنى التقدير ، والتقدير قد يكون بمعنى الخلق كقوله تعالى : «وقدر فيها أقواتها^(١)» ، وبمعنى الكتاب كقوله : «قدرناها من الغابرين^(٢)» وقال الشاعر :

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر * في الصحف الأولى التي كان سطر
فهو عليه السلام أراد بالقدر أن الله تعالى كتب ذلك في اللوح
المحفوظ ، والشيخ ظن أنه أراد أن الله تعالى خلق تلك الأفعال ، فغلط من
جهة التأويل حين بينه أمير المؤمنين ، بكلام صار أصلاً لجميع كتب علماء
العدل .

ج- القضاء مشترك بين الأمر والحكم ، حقيقة وإنما يحمل على
أحدهما لقرينة ودلالة ، منفصلة وكذا القدر ، مشترك بين ما قدره الله من
القضاء وبين ما كلف به . والأول يكون بالاجبار ، والثاني بالاختيار ،
والحتم : الواجب وكذا الحاتم ، مكرها وروي بفتح الراء وكسرهما وبالفتح
بمعنى المصدر .

قوله عليه السلام : «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَأْكُؤُ
فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلْجَلُجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى
صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ» .

وروي فتخلج يقال : تخلج الشيء في صدري أي اضطرب (وتماثل)
واختلجه أي جذبهُ وانتزعه ويكون غير متعدّ والحكمة كالضالة عند المنافق لا
تسكن نفسه إلا باظهارها فان الجاهل إذا علم شيئاً صار العلم عنده كالنادر

يتعجب بنفسه ، ويكاد يعجز عن الامساك عنه حتى يظهره فاذا تكلم بالحكمة وسمعها المؤمن ازداد علم المؤمن بها ، إلى علمه فيسكن عنده ، ثم إذا احتيج إلى علمه بثه ومن أخلاق المؤمن الوقار وعادته الاضطبار .

قوله عليه السلام : « قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ إِذَا مَا يُحْسِنُهُ » .

من أشعار أنوار العقول له عليه السلام :

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء
والمعنى أن جميع ما خلقه الله إنما خلقه كاملا على وجه الحكمة
وقيمة كل شيء تبع لمقصوده ، وإذا كان المقصود من خلق العاقل العمل
الصالح ، والتقوى من القبائح ، ولا سبيل له إليها إلا بالعلم ، فكان المقصود
معرفة وعلمه فمتى ازداد علمه ازداد قيمته (وقيمة الانسان يظهر بأمرين حسن
الثناء في العباد ، وحصول الثواب في المعاد ، فبمجموعهما يظهر قيمته ،
ويقضى حقه^(١)).

قيل : إن من فاز بالعلم ، انتفع بكل ما سمعه وشاهده ، ومن كان جاهلا
استبصر بكل ما سمعه وشاهده ، ولذلك قال : البلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا^(٢) ، فالخبث من الأرض وإن طاب
بذره ، وعذب ماؤه لم ينبت إلا خبيثا والطيب من الأرض فان فسد بذره ،
وصلح ماؤه لم ينبت إلا طيبا ، ولذلك قال تعالى : يسقى بماء واحد^(٣)
ويفضل بعضها على بعض في الأكل^(٤) .

قال في صفة القرآن : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء^(٥) » ، « والذين
لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عمى^(٦) » ، ومن لم يتخصص

٦ - فصلت : ٥ .

٣ - الرعد : ٤ .

١ - في ش : خلق العالم .

٤ - الرعد : ٤ .

١ - بين الهلالين ساقط في ش .

٥ - فصلت : ٤٤ .

٢ - الاعراف : ٥٧ .

بالعلم والعمل ، فليس بانسان ولا قيمة له فان القيمة للانسان بقوله تعالى :
 «ولقد كرمنا بني آدم^(١)» ، ولو توهمنا سلب العقل عن الانسان لما كان إلا
 بهيمة مرسله أو صورة ممثلة ، ولا انتفاع بالعقل إلا بعد تحصيل العلم .
 لذلك نفى الله تعالى العقل عن أقوام لا ينتفعون به ولا إنتفاع بالعلم إلا
 بعد الاهتداء بالشرع لذلك قال تعالى : «وما خلقت الجن والانس إلا
 ليعبدون^(٢)» فلا قيمة لسرير لا يمكن الجلوس عليه ، ولا لطعام لا يمكن
 التغذي به ولا للباس لا يمكن ستر العورة ، ودفع الحرّ والبرد به ، ولا لفرس لا
 يمكن ركوبه وقطع المسافة به ، فكذلك لا قيمة لامرئ لا علم له ، ولا هداية .
 قال تعالى : «الرحمن . علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان» فابتدأ
 بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ، ولم يدخل الواو فيما
 بينهما ، وكان الوجه على متعارف الناس أن يقول : خلق الانسان ، وعلمه
 البيان ، وعلمه القرآن ، فانه إيجاد الانسان مقدم على تعليم البيان ، وتعليم
 البيان مقدم على تعليم القرآن ، لكن الله تعالى لما لم يعدّ المخلوق إنسانا ما
 لم يتخصص بالقرآن (ابتدأ بالقرآن^(٣)) ثم خلق الانسان .
 نبه على أن تعليم القرآن هو الذي جعله إنسانا على الحقيقة ، ثم قال
 علمه البيان ، نبه على أنّ البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة
 علم القرآن وترك حرف العطف ، وجعل كلّ جملة بدلا مما قبله لا عطفا ،
 والانسان لفظ المدح ، فلا يقال للكافر والجاهل إنسان ، إلا من طريق التوسع
 وكونه مستعدا للانسانية التي ذكرناها كما يقال للقطن أنه ثوب مستعدّ أن
 يتخذ منه الثوب .

١ - الاسراء : ٧٠ .

٢ - الذاريات : ٤٦ .

٣ - ساقط في ض .

قوله عليه السلام : «لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ» .

عبارة عن السفر لأن الراكب يضرب برجله إبط الابل وأراد لو سافرتم وسرتم إليها أي في طلبها ، متعبين الابل وخصّ آباطها لأنها أصول القوائم التي بها يقع السير، وقد يسند الفعل إلى بعض من حصل منه لزيادة اختصاص بذلك البعض ، كما يقال رأته عيني وسمعتة أذني وعملتة يدي ، وإن كان الفعل حصل من الكل لا من ذلك العضو فكأنه قال لو سرتم وأتعبتم آباط الابل أي أتعبتم الابل ، وخصوصا قوائمها وآباطها .

«لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ»

لأن كل مرجو سواه زائل فان ، وبفناء المرجو يفنى الرجاء المتعلق به .
«لَا إِخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ» .

لأن خوف المريض من مرضه ، لا من طبيبه ودوائه .

«لَا يَسْتَجِيبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ»

من تكلم فيما لا يعلم فانه لم يميز في ذاته بين علمه وجهله ، أو أراد أن يلبس على الناس ويبرز عندهم مجهوله في زيّ معلومه ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ، ومن قال فيما لا يعلم لا أعلم أفاده العلماء حتى علم .

«لَا يَسْتَجِيبَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ» .

قيل لبعض من يتعلم على كبر سنه : أما تستحي أن تتعلم على الكبر فقال : إذا لم استحي من الجهل على كبري ، فكيف أستحي من التعلم على كبري ، والعلم شفاء لمرض الجهل ، وطلب الشفاء حسن من الشاب والشيخ . وبالصبر : أي وأوصيكم بالصبر والصبر من الايمان أي من معالم الايمان وجلاه .

«أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ» .

أي مدحتني بأكثر مما فيَّ وعظمتني فوق ما ينبغي ، وسريرتك في ذلك يخالف علانيتك ، وعقيدتك تناقض فعل صورتك ، حيث تعتقد نقصاني وتضمّر عداوتي ، لما ظهر لي بالأمارات فكلا فعليك مخالف للمصواب بجانب سنن السداد .

قوله عليه السلام : «بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا ، وَأَكْثَرُ وِلْدَانًا» .
من سنة الله تعالى أن من قتل مظلوما وقتلت ذريته ، ثم يبقى واحد منهم ، فانه يملئ له ويمد في املائه ، حتى ربما ازداد طول إملائه على قرنه ، وأهل زمانه ، كما فعل ذلك بزین العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ، فانه خلق من صلبه ذرية طيبة مباركة ، ينوب نسله عن نسل كثير من الناس حتى لو بقي المقتولون من أهله لما وفوا في النسل بنسل هذا الواحد ، وبقية السيف من أبقاه بأن قتل غيره وتخطاه .

قوله عليه السلام : «مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أُدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ» .
أي من تعود الأخبار بما لا يعلم ، كان ذلك سبب هلاكه دينا أو دنيا ، ومقاتل الانسان مواضعه التي يقتل باصابتها .
«رَأَيْتُ الشَّيْخَ خَيْرًا مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ» .

كلام له عليه السلام ، يتمثل به والمشهد الحضور يعني أن رأي الشيخ يكون صادرا عن عقله وتجاربه ، وحضور الشاب ينبيء عن حرصه وهواه وقلة تفكره في العواقب .

فدونكم الآخر: أي خذوه والزموه .

«أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُفِقَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ»

لا فساد أعظم لعوام الناس من العلماء الذين يخالف أفعالهم أقوالهم ، فان أصحاب الظواهر أكثر ما يعتقدون دون الأقوال ، ويتمسكون بأنه لو كان

لما يقوله الوعاظ حقيقة لما كانوا أجراً منا على اختطاف الحطام (١) واحتقاب (٢) الآثام لابل غرضهم أن نلقيها فيتلقوها ونقيبها (٣) فيبتلعوها ، ومثل العالم الذي يخوف الناس الدنيا ، ويحذرهم من تبعاتها حتى يخلو عن بعضها .

ثم يرغب هو فيها ، ويشاركهم في اقتنائها كمن يضرب الكلب حتى بقي ما أكله ، ثم يأخذ فيأكله هو ولا يستبعدن هذا التمثيل فانه من متن الحديث الدنيا جيفة ؛ والناس كلابها ، ومصداق ما ذكرنا عظم مورد التهديد ، في ذلك نحو قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (٤)» .

«إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ» .

يعني من التفكير اي يضجر .

فابتغوا لها طرائف الحكم : أي مستحدثاتها وطرفها ، والطرف الكريم من الفتيان ، والانشى طرفه ، ويقال للبضاعة الكريمة طرفه ، والحكمة إصابة الحق ووضع الشيء في موضعه حتى لا يشوبه رين وأصله الاحكام وهو المنع ، ومنه حكمة الدابة لأنها يمنع الدابة من الاعوجاج ، ومنه الحاكم لأنه يمنع الظالم ، وأراد بالحكمة هاهنا الكلام النافع الذي لا يحتاج في استماعه إلى التفكير .

قوله عليه السلام : «وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ» .

أي تذاكر الناس أن الفخر الحقيقي في عبادة الله وتعتقد في نفسك ذلك ،

١ - الخطف : استلاب الشيء واخذه بسرعة وحطام الدنيا ، وما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى .

٢ - احتقب الاثم : جمعه كانه احتمله من خلفه .

٣ - كذا .

٤ - الصف : ٣ .

لا على طريق العجب والرياء، والسمعة، وقيل تباهى من البهاء، وهو الأتس أي توانس .

وكيف يقل ما يتقبل : المقبول من الأفعال هو الذي حكم لفاعله بالثواب، ورضوان الله، والممرضى أعم من المقبول، لأن الله يرضى العدل والاحسان من كل كافر، ولا يقبلها من الكفار، فالمقبول من الأفعال المحكوم لفاعله، باستحقاق الثواب، وإذا حكم بالفوز والثواب، لا يقال إنه قليل .

«إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ» .

لأن من عصى الله فقد عصى محمدا ولا يكون عدو الله ولي محمد .

واللحمة : القرابة من لا حمت الشيء بالشيء إذا ألصقته به .

قوله عليه السلام : «سَمِعَ رَجُلًا مِنْ الْحُرُورِيَّةِ» .

الحرورية هم الخوارج، سموا بذلك (لأنهم نزلوا بحرورا، وهو موضع بنهروان، وناظرهم أمير المؤمنين فرجع منهم ألفان، وقيل سماهم^(١)) بذلك أمير المؤمنين والرجل الذي كان يصلي ويتهجد هو عروة بن اذية^(٢) وكان مبغضا لعلي إلا أنه كان متعبدا فكان كالقابض على الماء .

وتهجد : أي سهر وقد يكون بمعنى نام وهو من الأضداد .

قوله عليه السلام : «نَوْمٌ عَلَيَّ بَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ» .

يعني مباح صادر من صاحب يقين، خير من عمل له صورة الخير، وهو

صادر عن شك في دينه لأن مع الشك في الدين لا يثمر العمل .

قوله عليه السلام : «أَعْقِلُوا أَلْخَبَرَ عَقْلَ رِعَايَةِ لَا عَقْلَ رِيَايَةِ» .

في الانجيل إن ناقل الأخبار من غير رعاية ودراية كأعمى يأخذ دنائير

١ - بين الهلالين ساقط في ش .

٢ - قال ابن حجر في لسان الميزان : عروة بن اذية من رؤوس الخوارج اخو مرداس ابن اذية ضعفه الجوزجاني .

وهو لا يفرق بين زيوفها^(١) ونقودها ، واشترى سلعة^(٢) ثم صب ما في كيسه فوجد الناقد أكثره زيوفا فرده . وهو لا يدرى ممن أخذه وعلى من يرده فبقى بلا نقد ولا سلعة .

قوله عليه السلام : «لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاجِلُ» .

أي الساعي إلى السلطان ، والمحل : المكر والكيد ، والسعي ، وروي الماجن ، وهو الذي لا يبالي بما يقول من هزل وهزاء^(٣) ورمقت الشيء : أي نظرت إليه .

وقوله : «اراقد أنت أم راق» .

أي أنائم أم يقظان ، وقيل : الراق : الذي يمسك الرمق ويدافع النوم الغالب .

«قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَمَلِيًّا مِنْهَا جِ الْمَسِيحِ» .

أي قطعوا علايق الدنيا عن أنفسهم ، كما فعله عيسى عليه السلام .

العشار : الذي يأخذ الضرائب ، والأعشار من السابلة .

والعريف الذي يعرف قومه فيدل عليهم من يظلمهم .

والشرطي : من قولهم : أشطر فلان نفسه لأمر أي أعلمها له ، وأعدّها ،

فالشرطي جعل لنفسه علامة يعرف به ، ثم يخصص في العرف ممن يأخذ

المال على جناية لا مال فيه شرعا (كالزنا فان فيه الحد لا أخذ المال^(٤)) .

العرطبة : الطنبورة بلغة الروم .

والكوبة : الطبل الصغير المخصر^(٥) ، عنى بهما صاحب الملاهي .

فلا تعتدوها : أي تتجاوزوها .

٤ - بين الهلالين ساقط في ش .

٥ - المخصر : الدقيق .

١ - يقال درهم زيف وزئف : أي رديئة .

٢ - السلعة : المتاع وما يتاجر به .

٣ - الهزل : اللعب وضد الجد والهزاء : الهذيان .

ولا تنتهكوها : من انتهاك الحرمة ، وهو تناولها بما لا يحل .

«وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا نِسْيَانًا، فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا» .

هذا رد على المجادلين الذين يكلفون أنفسهم معرفة ما لم يكلفهم الله تعالى به وأراد بالسكوت ، أنه لم يذكر ولم يأمر بالبحث عنه ، فلا تتكلفوها أي لا تطلبوا حكمها ، وحقيقتها .

قوله : «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ» .

وذلك لأنه يعلم ما لا يحتاج إليه ، في الدين ، وأهمل ما يحتاج إليه فيه ، أو علم بعض ما يجب عليه علمه ، ولم يعلم بعضا ، فأهلكه الجهل بالبعض ، ولم ينفعه العلم بالبعض الآخر أو فعل القبيح لغلبة شهوته ، ولم يصرفه عن فعله علمه بقبحه فكأنه جاهل قتله جهله لفقد انتفاعه بعلمه ، وقيل أراد به علما يورث العجب والخيلاء وطلب التعظيم من الناس ، قال النبي صلى الله عليه وآله : آفة العلم الخيلاء ، ومن كان هذا حاله فعلمه وبال عليه .

قوله عليه السلام : «لَقَدْ عُلقَ بِنِيَاظٍ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ إِلَى آخِرِهِ» .

النياظ : عرق علق به القلب من الوتين ، فاذا انقطع مات صاحبه ، وبضعة أي قطعة من لحم .

وسنح : أي اعترض والأسف : الحزن .

وعاله الخوف : غلبه ومنه عيل صبرى وروي غاله أي أهلكه .

وعضته الفاقة : استعارة لطيفة لتعب الفقر ، وتبعته .

وكظته البطنة : أي أجهده كثرة الأكل والكظة داء يعتري الانسان من

امتلاء الطعام .

اعلم أن مملكة القلب مملكة لها جنود مختلفة ، كما قال تعالى : وما

يعلم جنود ربك إلا هو، وخلق القلب للآخرة، وشأنه طلب السعادة العظمى، ولا يحصل للقلب معرفة الله إلا بمعرفة صنع الله تعالى، وصنعة العالم، ومعرفة عجائب العالم لا يحصل له إلا من طريق الحواس، وقوام الحواس بالقلب والمعرفة صيده، والحواس شبكته، والقلب مركبه.

والقلب مركب من العناصر، وذلك ضعيف بسبب هذا التركيب وفي خطر الهلاك من داخل بسبب الجوع والعطش، ومن خارج بسبب الآفات، واحتاج في دفع ألم الجوع والعطش، إلى عسكرين ظاهر وباطن، فالظاهر الأعضاء، والباطن القوى، فما من شيء إلا والانسان يشبهه من وجه.

فهو كالأركان لما فيه من الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وكالمعادن لما فيه من العظام والأعصاب، وكالنبات من جهة ما يتغذى وينمو وكالبهيمة من جهة ما يحس ويتخيل ويلتذ ويتألم، وكالسبع من جهة ما يجرد^(١) ويغضب وكالشيطان من جهة ما يغوي ويضل، وكالملك من جهة ما يعرف الله ويعبده وكاللوح من جهة ما جعله الله مجمع الحكم.

في التورية في بدن الانسان أربعة الآف حكمة. وفي قلبه مثل ذلك وكالقلم من جهة ما يثبت بكلامه صور الأشياء، في قلوب الناس. كما أن القلم يثبت الأشياء في القرطاس، واللوح، فالانسان بقلبه صار معدن العلم والحكمة، ووجود العقل فيه في ابتداء الأمر كوجود الماء تحت الأرض المحتاج في استقامته^(٢) الى حفر، ولما خلق الله الانسان على وجه يتحرى^(٣) ما فيه اللذات واللذات محسوسة، ومعقولة، وطلب اللذات المحسوسة أغلب على الانسان لأنها من توابع الشهوة، ولذلك قال تعالى:

١- يجرد: يسلخ والجرد: اخذ الشيء جرفا وعسفا.

٢- في ش: في الاستيفاء منه الى حفر.

٣- التحري: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.

كلا بل «تحبون العاجلة وتذرون الآخرة»^(١).

في الانجيل : العقل صديق ممنوع ، والهور عدد متبوع وقد يظهر الانسان في شعار النبات الحميد والذميم ، فيصير إما كالاترج^(٢) الذي يطيب حمله ونوره ، وعوده ، وورقه أو كالنخل ، والكرم فيما يولي من النفع ، أو كالكشوف^(٣) في عدم الخير وتعدي الشر، او كالحنظل في مرارة المذاق، وعلى هذا نبه بقوله : كلمة طيبة كشجرة طيبة^(٤).

يظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة ، فيصير كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضاره ، وفي حسن سياسته ، كما قال : وأوحى ربك إلى النحل ، أو كالخنزير في الشره ، أو كالذئب في العبث ، أو كالكلب في الحرص ، أو كالنحل في الجمع ، أو كالفارة في السرقة ، أو كالثعلب في المراوغة^(٥) أو كالقرد في المحاكاة^(٦) ، أو كالحمار في البلادة أو كالثور في الغمارة^(٧).

على هذا النحو من المشابهات دل بقوله تعالى : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم^(٨) ، ويظهر تارة في شعار الشياطين ، فيغوى ويضل وسول الباطل^(٩) في صورة الحق ، كما دل تعالى عليه بقوله :

١ - القيامة : ٢٠ .

٢ - الاترج : بضم الهمزة وسكون المثناة وضم الراء وتشديد الجيم واحدته ترنجة وهي نافع من انواع السموم وشمه بانواعه في ايام الرباء نافع وحامضه مسكن شهوة النساء وقشره في الثياب يمنع ضرر السوس .

٣ - الكشوف : نبات طفيلي لا جذر له ولا ورق انما له ازهار كروية صغيرة لونه ابيض تلتف ساقه على حاضنه وتشب فيه ، يضر على الاخص بمروج القضب .

٤ - ابراهيم : ٢٤ .

٥ - المراوغة : المكر والخديعة وثعلب رواج الكثير الخداع والمكر .

٦ - المحاكاة : التبختر .

٧ - الغمارة : الجهل .

٨ - الانعام : ٣٨ .

٩ - في ض : ويستوي الباطل في صورة الحق .

شياطين الجن والانس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا^(١)، وإنما يكون إنسانا اذا وضع كل واحدة من هذه الأشياء موضعها حسب ما يقتضيه العقل المستضيء بنور الشرع، وقد ضربوا لذات الانسان، وقواها أمثالا صوروها بها فان تمثيل ما لا يدرك إلا بالعقل متصور للحسن يقرب من الفهم.

فقالوا ذات الانسان يجري مجرى بلد أحكم بناؤه، وشيد بنيانه وحصن سورته، وخطت شوارعه وقسمت محاله، وعمرت بالسكان دوره واجريت أنهاره، وأقيمت أسواقه، واستعملت صناعه، وفيه ملك مدبر وللملك وزير وصاحب بريد، وصاحب أخبار، وخازن، وترجمان، وكاتب، وفي البلد أخبار وأشرار.

فصناعات القوى التي يقال لها الجاذبة: والماسكة، والهاضمة، والدافعة والنامية، والغاذية، والملك العقل، ودار ملكه القلب، والدماغ والوزير، القوة المفكرة ومسكنه الدماغ، وصاحب البريد القوة المخيلة وأصحاب الأخبار الحواس الخمس والخازن: القوة الحافظة، والترجمان: النطق، وآتته اللسان، والكاتب: القوة الكاتبة، وآتتها اليد وسكانها: الأخبار والأشرار.

فالأخبار، القوى التي منها: الأخلاق الجميلة، والأشرار القوى التي منها الأخلاق القبيحة، فكما أن الوالي إذا تزكى وساس الناس بسياسة الله تعالى صار ظل الله تعالى في الأرض، وجب على الكافة طاعته، كما قال «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم»^(٢)، كذلك متى كان العقل سايسا. وجبت على سائر القوى طاعته، وكما لا ينفك أشرار العالم من طلب العبث

١- الانعام: ١١٢.

٢- النساء: ٥٩.

والفساد، وتعادى الاخبار كما قال تعالى : وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها^(١).

كذلك في نفس الانسان قوى ردية من الهواء، والحسد، والشهوة وتطلب الفساد وتعادى العقل والفكر كما أنه يجب للوالي أن يتبع الحق ولا يصغي إلى الأشرار؛ كما قال : واحذرهم أن يفتنوك^(٢)، كذلك يجب للعقل أن لا يعتمد على قوى الذميمة، وكما أنه يجب على الوالي أن يسالم أعاديه إذا لم يقو عليهم كما قال تعالى : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها^(٣)، وأن لا يركن إليهم وإن سالمهم كذلك يجب للعقل أن يسالم الأشرار من قوى النفس^(٤) إلى نقض العهد وإظهار المعادة.

كما قال تعالى : فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين إلى قوله واقعدوا لهم كل مرصد، كذلك حق العقل إذ قوى على قوى النفس أن لا يراجيها وكما أن شياطين الانس والجن يضعف كيدها على من اختص بالايمان واستعاذ بالله ويقوى على من والاه، كما قال إنما سلطانه على الذين يتولونه^(٥)، كذلك يضعف كيد الهوى عن العقل، اذا تقوى بالله واستعاذ به، وقيل مثل الانسان مع قواه مثل مسافر معه، رفقاء في السفر وهو مضطر الى مصاحبته حتى ينقضي سفره كما قال الشاعر:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوله ما من صداقته بدء

١- الانعام : ١٢٣ .

٢- المائدة : ٥٩ .

٣- الانفال : ٦١ .

٤- في ض : من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها وكان الوالي اذا احسن بقوة يحتاج أن يعدل الى نقض العهد وإظهار المعادة الخ .

٥- النحل : ١٠٠ .

فواحد أمامه كأنه رقيب يحفظه، ولكنه^(١) مموه يلفق الباطل تلفيقا فيخلط الكذب بالصدق، وآخر عن يمينه زعر يحميه^(٢) عن أعاديه لكن ربما يغويه فيهيح هائجة، فلا يقمعه^(٣) النصيح كأنه نار في حطب، وآخر عن يساره؛ وهو الذي يأتيه بالمطعم والمشرب لكنه ارعن ملق قدر شبق كأنه خنزير جائع.

من حيلته أن بسط هذا الزعر على هذه الأرض حتى يزبره^(٤) زبرا، وأن يطفىء علو هذا الزعر التائه بخيلاء هذا الأزعر^(٥) الملق وأن لا تجنح إلى الباهت^(٦) المتحرص حتى يؤتبه موثقا من الله غليظا ثم يصدقه فيما ينهى إليه، فالملق المموه الباهت كناية عن الوهم، والزعر عن الغضب والملق الأزعر عن الشهوة وفي ذلك كلام طويل فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى تقرير هذا القوى وحفظها على حد الاعتدال حتى لا يؤدي الرجاء إلى ذل الطمع، والطمع إلى الحرص، واليأس إلى الأسف، والغضب إلى الغيظ، وغير ذلك من تفاصيل ما ذكرناه.

قوله عليه السلام: «نَحْنُ التَّمْرِقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي».

التمركة: الوسادة الصغيرة والطنفسة التي فوق الرجل أيضا عن أبي عبيد يعني نحن ذو التمركة أي أصحاب المجلس الوسط، والوسط من كل شيء أعد له، وفلان وسيط في قومه أي أوسطهم نسبا. وأرفعهم محلا وقال

١ - مموه عليه الامر او الخبر: زوره عليه وزخرفه ولبسه .

٢ - الزعارة سوء الخلق .

٣ - قمعه : صرفه عما يريد قمعه : قهره وذله .

٤ - في الحديث فلا عليك ان تزبره : اي تنهره وتغلظ في القول والرد .

٥ - في ض : هذا الارعن حتى يزبره .

٦ - الباهت : المتحير الباطل وهو من البهت : التحير، وحرص القصار الثوب : اذا شقه .

العرجي :

كأنني لم أكن فيهم وسيطا * ولم يك نسبتي في آل عمرو
اي نحن أصحاب الحق والحق وأهله متوسّطون، والباطل على
الطرفين، فان المبطل اما مقصر واما متجاوز كما قال أمير المؤمنين : لا ترى
الجاهل إلا مفرطا أو مفرّطا، فشبه الحق بواسطة الأشياء، فمن حق من
تخلف عن أن يبادر إليه فيلحق به، ومن حق من تجاوزه أن يرجع إليه فيقف
عنده، فلما كان أمير المؤمنين إمام الحقّ وجب على سائر الناس أن يقفوا
عنده .

قوله عليه السلام : «لَا يُصَانِعُ، وَلَا يُضَارِعُ» .

في اصحاح المصانعة : الرشوة وفي المثل من صانع بالمال لم يحتشم
من طلب الحاجة، والضراعة والخشوع والذلّ، وضارع الفقير الغني : تواضع له
لماله، والمضارعة : المشابهة، أي لا يقيم أمر الله ولا يقيم به، إلا من لا
يعطي الرشوة لا بطل الحق^(١) ولا يتواضع للظلمة لذلك، وللتقرب إليهم أو لا
يشابههم في أفعالهم، ويحتمل أن يراد بالمصانعة الارتشاء وهو أخذ الرشوة لا
إعطاؤها .

«لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَّتَ» .

تهافت الجبل سقط قطعة قطعة وتهافت الفراش في النار تساقط .

من أحبنا أهل البيت فليستعدّ للفقير جلابا .

وروي تجفafa، الجلاباب : الرداء، وقيل : الملاعة التي يشتمل بها يعني

فليعد وقاه مما يورد عليه الفقر والتقلل ورفض الدنيا من الحمل على الجزع

وقلة الصبر على شظف العيش^(٢) وخشونة حال .

١ - في ض : لا بطل حق .

٢ - الشظف بالتحريك : شدة العيش وضيقه .

قال الامام الوبري : يحتمل هذا الفقر الظاهر، ويحتمل الفقر والفاقة إلى الله تعالى . ومن وطن نفسه على مؤدتنا، وعزم على مشايعتنا فليوطن نفسه، وليحدثها باستدامة العبادة لله طول حياته فانه سيرتنا فمن تابعتنا فليستن بسنتنا ومن سنتنا الفقر والفاقة إلى الله تعالى .

قال أبو عبيد : لم يرد الفقر في الدنيا لأننا نرى فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغناء والفقر، وإنما أراد به الفقر يوم القيامة، وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة، والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة، وما يجبره من الثواب والقرب إلى الله تعالى والزلف^(١) عنده .

قال ابن قتيبة^(٢) : لم يرد إلا الفقر في الدنيا، والمعنى من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتفنع منها، وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الناس وأعراضها، وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب، لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن .

قال : ويشهد بصحة هذا التأويل ما روي عنه عليه السلام إنه رأى قوما على بابه قال : يا قنبر من هؤلاء، قال : شيعتك، فقال : ما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة، قال : وما سيماء الشيعة قال : خمص^(٣) البطون من الطوى^(٤) يبس الشفاء من الظمأ عمش العيون^(٥) من البكاء .

١ - الزلف : القرب والتقدم .

٢ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الباهلي المروزي نسبة الى جده قتيبة بن مسلم أمير خراسان في أيام عبد الملك بن مروان، وابن قتيبة من الادباء والمؤرخين له كتاب ادب الكاتب والامامة والسياسة وعيون الاخبار مات سنة ٢٧٦ .

٣ - خمص البطون يعني ضامر البطن وانهم اعفة عن اموال الناس فهم ضامرو البطون من أكلها .

٤ - طوى من الجوع فهو طاو : أي خالي البطن جائع لم يأكل .

٥ - عمشت عينه : ضعف بصرها مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات .

قال السيد الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه والوجهان جميعا حسان وإن كان قول ابن قتيبة أحسن وأنفع، ويمكن أن يكون في الخبر، وجه ثالث يشهد بصحته اللغة وهو أن أحد وجوه معنى لفظته الفقر أن يجز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه ثم يلوي عليه حبل يذلل بذلك الصعب، يقال منه فقره يفقره فقرا وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حزته وأثرت فيه فقد فقرتة تفقيرا.

منه سميت الفاقة وسيف مفقر، فيحتمل أن يكون أرادته، ومن أحبنا فيلزم نفسه وليخطمها^(١) وليقدها إلى الطاعات ويصرفها عما يميل طباعها إليه من الشهوات، وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد منها، كما يفعل ذلك بالبعير الصعب.

قال: وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر. وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفردا ولبس (يجب^(٢)) عليه العلم بمراده بعينه، فإن مراده مغيب عنه، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكمال.

«لَا قَالْ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ».

أي أنفع وأكثر فائدة وحقيقته أكثر عودا بالنفع إلى صاحبه. ولا إيمان كالحياء والصبر: أي لا لزوم الإيمان أي ليس شيء من الأفعال التي يلزم الإيمان ويجب ضمها إليه كهذين فعبر عن اللازم بالملزوم والمظاهرة المعاونة.

١ - الخطام: حبل من ليف أو شعراو كتان فيقاد به البعير.

٢ - ساقط في ش وض.

قوله عليه السلام: «إِذَا أَسْتَوَّلَى الصَّلَاحُ: الى تمام الكلام».
معناه أن الكلي في الخير والشر والصلاح والفساد يغلب الجزئي.
وقوله خزنية: أي خزري، وفضيحة أي فعل قبيح، يفتضح به وروي حوبة
أي إثم، قيل وبخط الرضى خربة.

ج— فكأنه من المخروب، وهو المشقوق أو من الخارب وهو سارق
البعير أو من الخراب.

وغرر: أي أوقع نفسه في خطر الهلاك حيث وثق بغير موثق.

قوله عليه السلام: «يَفْنَى بِبَقَائِهِ، وَتَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ».

لما كان بقاء الانسان وصحته يفضيان به إلى الفناء والسقم فكأنهما
سبب الفناء والسقم وأراد بقاء الانسان، وكونه في هذا العالم أمر عارض له
ليس أولى في حقه، وبالنظر إلى ماهيته فان الممكن لو خلى وحقيقته من
غير اعتبار المؤثر لكان العدم أولى، وأول في حقه، ما هذا حاله فهو في حيز
الفناء، وإن كان محكوما عليه بالبقاء لكونه مغمورا بالفناء من جميع
الأنحاء.

والاستدراج: الاستنزال إلى الهلاك درجه درجه حتى يتورط^(١) فيه،
وذلك أن يزداد الله تعالى على العبد نعمة فيزداد العبد طغيانا وكفرانا بسوء
إختياره، وامهاله فيزداد قربا إلى العقاب، قال تعالى: «سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون^(٢)»، وإذا لم يعاجله بالعقوبة فيتصور أنه مغفول عنه أو مغفور
له فيغتتر^(٣) بذلك.

والاملاء: الامهال والملاءة حين من الدهر وهذا مأخوذ من قوله تعالى:

١— ورط: وقع في بلية يعسر المخرج منها.

٢— الاعراف: ١٨٢.

٣— في ض: فيصير بذلك.

«إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً^(١)» «وأملي لهم إن كيدي متين^(٢)» .
 محب غال : يعني من اعتقد فيه الالهية أو النبوة .

والقالي : الغالي في العداوة .

وسم ناقع : أي بالغ ، يهوى إليها الغرّ: أي يسقط ويميل إليها الغافل ،
 من تبعها ومضرتها .

كان يقال في الجاهلية للمغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ريحانة :
 قريش ، وقيل سميت القبيلة ريحانة قريش لحظوة نساؤها عند رجالها .
 كل واعظة : أي كل قصة فعالة أو كلمة أو نفس واعظة .

والجائحة : المهلكة والداهية والمستأصلة .

طوبى : فعل من الطيب ، وروي أنها شجرة في الجنة في دار رسول الله
 صلى الله عليه وآله يتدلى في دار كلّ مؤمن منها غصن .
 وذلّ في نفسه : من الذلة لا من الذل : أي برىء من الكبر والتعزز .
 وعزل : يتعدى ولا يتعدى .

ووسعته السنة : ولم تعدها أي كانت مجال السنة المحمدية واسعة .
 بالنسبة إليه غير ضيقه فهو يكتفي بها ولا يروم التعدي عنها ويقتصر في
 الشريعة على المنطوق به ، ولا يحكم في المسكوت عنه بالرأي والقياس ، لا
 على وجهه .

«غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ» .

لأن المرأة تكره ما أباحه الله تعالى من اشتراك نساء أربع في رجل
 واحد ، والرجل يكره ما كرهه الله وحرمه من اشتراك الرجل في امرأة واحدة ،
 فالمرأة بغيرتها تسخط لما رضيه الله والرجل بغيرته يسخط لما سخط الله تعالى

١- آل عمران : ١٨٨ .

٢- الاعراف : ١٨٣ .

له والساخط لما رضيه الله راد عليه ومنكر لحسن ما أراده وذلك لا محالة كفر والساخط لما سخط لأجله موافق لرضاه تعالى مصدق لحكمه يحسن ذلك وذلك من جملة الايمان .

قوله عليه السلام : «الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ» .

يعني الدين هو الانقياد للحق والاذعان له ، والتسليم هو اليقين أي صادر عنه ولازم فكأنه هو من إشرط تعلقه به ، والتصديق هو الاقرار أي إقرار الذهن وحكمه ، والاقرار هو الأداء أي مستلزم للأداء ، وشديد الشبه بالعلة لأن من ييقن حقيقة الشيء وإن مصالحه منوطة بفعله ومفاسده مترتبة على تركه كان ذلك مقويا لداعيه إلى فعله غاية التقوية ، يعني من حق المسلم الكامل في إسلامه أن يجمع بين علم اليقين ، والعمل الخالص ليحظ رحله في المحل الأرفع ويجاور الرفيق الأعلى .

قوله عليه السلام : «عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ بَرِيءٌ خَلَقَ اللَّهُ»

دلالة الفعل على الفاعل دلالة الالتزام ، ولا يتصور خلق لا من خالق لذلك ، قال تعالى : «قل أفي الله شك فاطر السموات والأرض^(١)» .

النشأة الأولى : إيجاد الانسان من النطفة .

والنشأة الأخرى : اعادته يوم القيامة ، والابداع أعجب من الاعادة وقال

تعالى حكاية عن منكري البعث : «من يحيي العظام وهي رميم^(٢)» ثم قال :

«قال يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم^(٣)» وقال : «ولقد

علمتم النشأة الأولى ، فلولا تذكرون^(٤)» أي فهلا تعتبرون وتستدلون بالأولى

على الأخرى .

قوله عليه السلام : «مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ أَبْتُلِيَ بِالْهَمِّ ، وَلَا حَاجَةَ

لِلَّهِ فَيَمُنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ» .

١- ابراهيم : ١٠ .

٢- ايس : ٧٩ .

٣- ابراهيم : ١٠ .

٤- الواقعة : ٦٢ .

يعني من خفف على بدنه ثقل العبادات حمل الله على قلبه وزر الهموم
 كمن كان مريضاً واستبشع الدواء ابتلاه الله بالدواء ولا حاجة لله فيه يعني
 المضيق لحقوق الله، ساقط القدر عنده، فكفى عن سقوط قدره عنده بأنه لا
 حاجة له فيه، وهذا من قوله تعالى: «قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم»
 أي عبادتكم، وقيل: إنه استعارة ومثاله: لا ينفع معالجة الطبيب مريضاً لا
 يطيع الطبيب ولا يهتم بزوال مرضه، فكذلك لا ينفع لطف الله من لا يرحم نفسه.
 قوله عليه السلام: «تَوَقَّؤْا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّؤْهُ فِي آخِرِهِ».

عند الأطباء أن الصيف هو جميع الزمان الحار، والشتاء هو جميع
 الزمان البارد، فيكون زمان الربيع والخريف كل واحد منهما عند الأطباء
 أقصر من كل واحد من الصيف والشتاء، والربيع معتدل، وهو زمان الأزهار
 والصيف حار يابس لتحلل الرطوبات فيه من شدة الحرارة ولتخلخل جوهر
 الهواء ومشاكلته للطبيعة النارية والشتاء بارد رطب لضد هذه^(١) العلل،
 والخريف غير معتدل في الرطوبة واليبوسة.

والشمس قد جففت الهواء ولم يحدث بعد من العلل المرطبة، ما يقابل
 تخفيف العلة المجففة، وليس حاله بقاء الربيع على رطوبة الشتاء كحال بقاء
 الخريف على يبوسة (الصيف)، فان رطوبة الربيع يعتدل بالحر في زمان لا
 يعتدل منه يبوسة الخريف بالبرد وفي الربيع يكون ما يتخلل أكثر مما يتبخر
 الهواء الخريفي شديد اليبس مستعد جداً لقبول التسخن والاستحالة إلى
 مشاكلة النارية بتهيئته إياه لذلك. ولياليه وغدواته باردة).

أما الربيع فهو أقرب الاعتدال في الكيفيتين لأن جوه لا يقبل من
 السبب المشاكل للسبب في الخريف ما يقبله جو الخريف من التسخن

١ - في ض: بارد رطب لهذه العلل.

والتبرد والأبدان لا تحس من برد الربيع ما تحس من برد الخريف، لأن الأبدان في الربيع منتقلة من البرد إلى الحر متعودة للبرد وفي الخريف للصد، فلذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: توقوا البرد في أوله، أي في فصل الخريف وتلقوه في آخره أي في فصل الربيع وهذا غاية في أصول الطب.

قوله: «عِظْمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغَّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ».

قيل لبعض العارفين، فلان زاهد فقال: عماذا فليل عن الدنيا، فقال: لدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فما لا تزن عند الله جناح بعوضة كيف يعتبر الزهد عنها، والزهد إنما يكون عن شيء والدنيا عندي لا شيء وجرى عند بعضهم ذكر الجنة فقال: الجار ثم الدار، وقال بعضهم: الدنيا لقمة والشيطان كلب فمن رمى لقمة إلى كلب يدفع بها ضرره كيف يلتفت إلى هذه اللقمة وهذا تصغير المخلوق في عينه.

قوله عليه السلام: «أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ».

الفرط: بالتحريك الذي يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرسان والدلاء ويمدد الحياض ويستقي لهم، وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع، يقال رجل فرط وقوم فرط، وفي الحديث أنا فرطكم على الحوض أي أولكم قدوما عليه وأفرد لفظ فرط وإن كان خبر عن جمع لوقوعه على الجمع، وأفرد لفظ سابق حملا على لفظ فرط.

المقفرة: الخالية، تجرم عليه: تجنى عليه وادعى الذنب عليه.

الاستهواء: طلب الهوى أي السقوط والهبوط قال تعالى «كالذي استهوته

الشياطين في الأرض»^(١).

واستعفت الرجل بحاجته: قضيتها.

فمثلت لهم ببلائها ؛ البلاء أي صورت الدنيا لهم بلاء الآخرة بالبلاء الواقع فيها ، يعني بلاء الدنيا وسرورها يدلان على ما هو أعظم وأدوم منهما من بلاء الآخرة وسرورها .

لدوا للموت : اللام للعاقبة لا للغرض ، كما قال تعالى : «واتخذ آل فرعون ، ليكون لهم عدوا وحزنا^(١)» أي اتخذوه فآل به الأمر إلى ذلك ، أوبقها : أهلكتها .

«الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ» : القربان ما يتقرب به إلى الغير ، واعلم أن الصلاة مثل شخص وأدائها كالحواس وفرائضها كالأعضاء وروحها الخشوع والخضوع ، والمقصود من الصلاة استقامة القلب ، وتجديد ذكر الله على سبيل الهيبة والتعظيم ، قال تعالى : «وأقم الصلوة لذكري^(٢)» ومن كان قلبه حاضرا في وقت التكبير فحسب ، كان كالشخص به رمق ، فيتفكر من الأذان في نداء القيامة حيث قال يوم يسمعون الصيحة بالحق .

من القيامة في حال الوقوف في حال السؤال حيث قال : وقفوهم أنهم مسؤولون ، ومن التشهد في قوله تعالى : وترى كل أمة جاثية^(٣) ، ومن الركوع ، في قوله تعالى ناكسوا رؤسهم عند ربهم^(٤) ، ومن فرح عند سماع الأذان ابتهج عند سماع نداء القيامة .

قوله عليه السلام : «وَأَلْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ» .

صورة أعمال الحج مكتوبة في كتب الفقه وأما حقيقته فهي أن الانسان مخلوق على وجه لا يمكنه أن يصل إلى سعادته الا بترك اختياره والاجتناب عن لذاته وسفر الحج على مثال سفر الآخرة . وفي هذا السفر المقصد هو البيت وفي سفر الآخرة المقصد رب البيت ، فالوداع عند مفارقة أهله يحكي

١ - القصص : ٨ .

٢ - الجاثية : ٢٨ .

٣ - طه : ١٤ .

٤ - السجدة : ١٢ .

الوداع في سكرة الموت ، وكما أن السفر لا بد له من الزاد ، بذلك سفر الآخرة لا بد له من زاد التقوى .

كما أن الزاد الذي يتغير ويفسد ، لا يصل لسالك طريق البادية كذلك العمل المشوب بالرياء لا يصلح لسفر الآخرة ، وعند الركوب يجب أن يتذكر ركوب الجنائز ، وعند لباس ثوب الاحرام يتذكر الفقر وعند عقبات البادية يتذكر أهوال القيامة ، ويتفكر عند الالتجاء الى الحضر في أنه لا ينجوا من أهوال القيامة إلا بخفارة العمل الصالح وعند التلبية يتذكر جواب ما يسأل عنه يوم القيامة ، كمال قال تعالى : وقفوهم إنهم مسئولون ويوم يدعوكم فيستجيبون بحمده .

كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذا احرم اصفر وجهه وارتعدت فرائضه تفكرا فيما ذكرنا وفي أمثال ذلك والوقوف بعرفة يحكي الوقوف بعرضات القيامة ، واشتغال كل واحد بنفسه ، ومذلة كل أحد وإن كان ملكا مطاعا وكل ملك معه غلمان ، وخدم ، وحشم فانه ينفرد عند الوقوف بعرفات ، ويتفرق خدمه وغلمانه .

قوله عليه السلام : «وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ» .

قال تعالى : الصوم لي وانا أجزي به ، وذلك لأن الصوم إمساك خاص وهو أمر مستور لا يطلع عليه إلا الله تعالى وهو مكسر للشهوة والشهوة جند من جنود إبليس ، وزكاة المال شيء ينقص المال صورة وينميه معنى ، فالصوم ينقص القوة البدنية صورة ويزيد المعنى الحقيقي الذي هو قطع مواد الشهوات ، الصوم صومان : صوم العوام وصوم الخواص فصوم العوام حفظ البطن والفرج وصوم الخواص حفظ القلب عما دون الله ، وحفظ الأعضاء والجوارح عن معصيته وهذا الصوم هو زكاة البدن .

«وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ» .

أي حسن مصاحبته بعلمها ، وهي مجاهدة لأن فيها قهر النفس .
 «أَسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ» .

الزكاة والصدقة شكر للنعمة لأن الغني يؤدي زكاة ماله إلى الفقير شكرا لله تعالى أنه أغناه وما أحوجه إلى غيره ومن شكر استحق المزيد قال تعالى :
 لئن شكرتم لأزيدنكم^(١) .

المؤونة : يهمز ولا يهمز، قال الفراهي^(٢) مفعله من الأين وهو التعب والشدة ، وقيل مفعله من الأون وهو الخروج والعدل لا يثقل على الانسان والأون الدعة والسكينة والرفق ، وقيل هي فعولة من المون يعني امداد^(٣) أطفاف الله يتصل بالعبد على موجب ما ربط به من الاشتغال .
 «مَا عَالَ مَنِ افْتَصَدَ» .

أي ما افتقر من ترك الاسراف والتقتير^(٤) كما قاله تعالى : والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما^(٥) .
 «قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ» .

اليسار بأمرين بكثرة المال وقلة الانفاق ، فمن قل عياله قل إنفاقه ومن قل إنفاقه ما افتقر ، وقيل من قل عياله سهل عليه الانفاق ، ومن قل عياله كان عيشه هنيئا كما أن المتمول عيشه هنيئا وأكثر الفضايح يكون من قلة المال وكثرة العيال نعوذ بالله من ذلك .

١ - ابراهيم : ٨ .

٢ - الظاهر انه مسعود بن ابي بكر بن حسين ابونصر الفراهي السجستاني الاديب اللغوي ، صاحب كتاب نصاب الصبيان ، وكان معاصرا للشارح الكيذري وتوفي سنة ٦٠٠ كما في معجم المؤلفين ، وكتاب النصاب معروف واعتنى بشرحه جمع من الفضلاء .

٣ - في ض : مواد الطاف الله تعالى .

٤ - التقتير والافتقار : التضييق على الانسان في الرزق ، يقال : اقتر الله رزقه : اي ضيقه وقلله .

٥ - الفرقان : ٦٧ .

«التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ» .

قال الامام الوبري : كان العقل قسمان أحدهما المعرفة بالعقلاء الحاضرين ، وهو علم المشاهدة وما سواهم تبع لهم ، والثاني معرفة عادات العقلاء فيما يأتون ويذرون فموافقتهم في ذلك هو التودد اليهم فمجموع القسمين هو العقل واحدهما نصفه ، وقيل إنه ليس على طريق التقدير والتحديد وإنما المراد أن للتودد حظا وافرا ونفعا تاما وهذا مشهور في مذاهب العرب .

يقول : من عرف طريقا فكأنما سلك نصفه : والمراد أن معرفة الطريق ينفع في سلوكه نفعا كاملا ، وقال شريح القاضي أصبحت ونصف الناس عليّ غضبان أراد بعض الناس لأن في الناس من لا يحتاج إلى القاضي فلا يرضى عنه ولا يغضب عليه .

قوله : «مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَيَّ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ» .

قيل لأن ذلك من شدة الجزع وذلك إنما يكون من ترك الرضا بقضاء الله وذلك يحبط الثواب لا محالة لأن الرضاء بقضاء الله ركن من أركان الايمان ، وقيل إن من جزع ، ولم يصبر على المصيبة لم يكن له ثواب ، وإن كان له عوض ، فيحبط أجره الذي هو الثواب دون العوض .

«كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا وَالْظَّمَاءُ» .

ع — هو من يمسك من الطعام والشراب ، والنكاح ولا يمسك عن المعاصي ، والفواحش ، قلت : هو من لا يأتي بجميع شرائط الصوم على وجه المأمور به فلا يستحق به ثوابا وخص الظمأ دون الجوع ، لأنه أغلب على العرب^(١) بسبب حرارة الهواء وغير ذلك ؛ وأراد بالقائم المصلي .

«حَبَدًا نَوْمٌ إِلَّا كَيْاسٍ وَأَفْطَارُهُمْ» .

١ — في ض : لأنه أغلب عن العرب من الجوع بسبب .

العاقل اذا جرى على قضايا عقله ، يقال ، له : الكيس ، ومن كان كذلك لا يفعل ما يصير وبالا عليه ؛ من المباحات ، وللنوم حالة عجيبة وللاكياس اللطاف في الرؤيا ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله الرؤيا الصالحة للرجل الصالح ، وقيل إن الاكياس يثابون على النوم ، والأكل ، لأنهم ينامون ويأكلون ليتقوا بهما على الطاعة فاذا هم في عين الطاعة .

«سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ» .

أي استديموا من الله تعالى التوفيق للثبات على سنن الاستقامة بايصال النفع على عبده ويجوز أن يريد احفظوا ثواب ايمانكم يعني أن الايمان اذا قارنه الصدقة الواجبة كان ثوابه أعظم وأوفر مما إذا لم يقارنه فحرض عليه السلام على اقتناص تلك الزيادة من الثواب بالزكاة .

« آدْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْذُّعَاءِ » .

قيل من البلاء بلاء مقدر قدره الله تعالى وجه إن دعاء العبد ربه دفع عنه وإن ترك الدعاء أصابه .

«قول كميل^(١) إلى آخره» .

اخرجني إلى الجبان : الجبان والجبانة : الصحراء أصحرا : برز إلى الصحراء .

والصعداء : تنفس بصعده المتلهف والحزين .

العالم الرباني : هو رب العلم الذي يعمل بما يعلم ، وأصله من الرب كأنه يربي المتعلمين بصغار العلوم ، قبل كبارها وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسب كما في الجباني عن الأزهري ؛ وقيل هو الذي يربي العلم

١ - كميل بن زياد النخعي من كبار اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهو الراوي الدعاء المشهور بدعاء كميل الذي يقرأ في ليالي الجمعة ، وكان عاملاً أمير المؤمنين على هيت وصاحب سره عليه السلام وحقائقه ومكاشفاته فهو كامل مكمل قتله الحجاج سنة ٨٣ وله تسعون سنة .

أي يقوم باصلاحه وإتمامه عن ثعلب .

وقيل هو العالم بالحلال والحرام عن أبي عبيد، وقيل هو منسوب الى الرب على غير قياس، وهو الله تعالى، وقيل عنى بالعالم الرباني من حصل من العلوم ما يدعو من الدنيا إلى الآخرة، ومن الحرص الى القناعة ومن الغفلة إلى التقوى: وبالمتعلم من يتعلم لذلك قال الامام الوبري يعني أن كل واحد من العالم المتعلم: انما يفوز ويبين .

الهمج الرعاع اذا جمع وصفين فالعالم انما يفلح اذا جمع بين العلم والعمل والمتعلم اذا جمع الى التعلم القصد لسبيل نجاته، فاذا كان العالم غير عامل والمتعلم غير قاصد لسبيل النجاة فهما من جملة الرعاع .

الهمج: جمع همجة وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير، وأعينها، ويقال للحمقى من الناس قال الراجز.
قد هلكت جارتنا من الهمج .

قيل أي من سوء التدبير في المعاش والرعاع الاحداث والطغام .
والعلم يزكو على الاتفاق: لأن الهداية إلى الدين والابانة للناس عن تفاصيل العلوم يفتح لصاحبه أبواب العلم ويسهل عليه الوقوف على الأدلة، والوصول إلى العلوم المتفرقة، وربما يذكره ما نسي من الدلائل والمعلومات .
هاء: للتنبيه، علما جما: أي كثيرا، واللقن: السريع الفهم عنى به من يطلب العلم للدنيا .

والمستظهر بنعم الله: المعاند المجادل، وبالمناقاة لحملة الحق: المقلد الذي يقبل قولاً بلا حجة إما لغفلته وركونه إلى الدنيا وإما لضعف عزيمته وفيالة^(١) رأيه .

١ - قال رأيه: ما اصاب الحق وما امتبان له .

لا بصيرة له في أحنائه : أي لا علم له بفحواه ومضمونه .
والمنهوم بالشيء : المولع به عنى به من استغرق في اللذات الخسيسة
وارتسمت فيه الأمور الشهوانية .

والسلس : السهل ، والمغرم : الحريص .

قوله عليه السلام : «بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إماماً
ظاهراً مشهوراً، وإماماً خائفاً مغموراً» .
«لئلا تبطل حجج الله وتبيناته» .

هذا تصريح بما ذهب^(١) الامامية من وجوب الامامة في كل زمان ما
دام التكليف باقيا وأن الامام حجة الله على خلقه، ويجب وجوده على
مقتضى حكمته، وأنه إمام أن يكون ظاهراً معروفاً، فيما بين الناس : كالذين
سبقوا بالاحسان ووصلوا إلى المحل الأعلى من الجنان، وإما أن يكون خائفاً
مستوراً لكثرة الأعداء وقلة الخلق من الأولياء، كالحجة المنتظر ابن الحسن
عليهما السلام لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وكم ذا : كأنه استطالة لمدة غيبة صاحب الأمر، واستبطاء لظهور
دولته، وتبرم من امتداد دولة أعدائه أو هو استقلال لعدد أئمة الدين وعدد
أنصارهم، فإن أهل الحق في كل حين وأوان، قليلون من حيث الظاهر، وإن
كانوا في المعنى كثيرين، وضمن، هجم بهم : معنى اطلعهم فلذلك عداه
بعلى .

استوعر الشيء : وجده وعرا^(٢) وعدّه صعباً، والمترف : المتنعم
البطر^(٣) .

١ - في ش : بمذهب الامامية .

٢ - جبل وعمر : أي غليظ حزن يصعب الصعود إليه .

٣ - البطر : الطغيان عند النعمة .

« صَجِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ». .
 أي أنهم ما التفتوا إلى غير الحق وأماطوا^(١) القذى عن طريقهم واطبوا
 على الذكر والفكر، ومن واطب على ذكر مذكور أنس به ومن أنس بشيء
 غفل عما دونه ولما كان هذا وصفا لأئمة الدين بعده واتباعهم من موحدي
 فقراء آخر الزمان لذلك قال .

« آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ » .

وقال بعض أهل العصر: في وصف هؤلاء المعصومين: ومن نسج على
 منوالهم واقتدى بحسن سيرتهم وفعالهم هجم بهم فرائق^(٢) التوفيق على حافة
 الحقيقة فلذلك صاروا بطاريق^(٣) الطريقة قلوا عددا وخطرا عند الأغنياء وعلوا
 رتبة على محل الجوزاء باشر صفاه روحهم^(٤) وقلوبهم روح اليقين ففنعوا بذلك
 واستراحوا من سبال^(٥) المماذقين فهم فهموا قول الشارع إنك تدان كما تدين
 فلذلك أضحوا وميادين سباقهم الذين لا يطلعون أحدا منهم على سربال^(٦) ،
 ولا يتقمصون من كيسان سربال دأبهم خشوع وخضوع وغداؤهم جوع ويقرع
 أولئك أولئك وما أدراك ما أولئك .

قوله عليه السلام: «الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» .

١ - اماطة الاذى عن الطريق: أي تنحيته وفي حديث العقبة مط عنا ياسعد: أي أبعد؛ وفي ض: واماطوا
 الاذى عن طريقهم .

٢ - الفرائق هنا بمعنى الطرائق .

٣ - البطاريق جمع بطريق: الأمير والقائد باللغة الرومية قال الشاعر:

قد رتب الناس كل في مراتبهم فمرزبان وبطريق وطرخان

٤ - في ض: باشر صفاء قلوبهم روح اليقين .

٥ - السبال جمع السبلة بالتحريك: الشارب، والمماذقة: عدم الاخلاص في الود والمحبة .

٦ - السربال في الأول بمعنى الدرع وفي الثاني بمعنى القميص .

أي مستور، المقصد الأصلي من الانسان هو العقل ، ونتأجه من سائر العلوم والطريق للانسان إلى معرفته منتهى عقل المرء ، ومبلغ علمه هو كلامه ، ولذلك قيل تكلموا تعرفوا ، وفي المثل المرء بأصغريه أي بلسانه وقلبه والأصل هو القلب واللسان طريق إليه .

«هَلَكَ أَمْرُؤُكُمْ يَغْرِثُ قَدْرَهُ» : من لم يعرف له أنه ممكن الوجود محتاج الغير لا يعرف خالقه ، فيهلك بجهله ، من يجب عليه عرفانه ، ومن لم يعرف أنه عبد وله مولى يجب عليه طاعته ، لم يأت بطاعته مولاه ، فيهلك ، (ومن لم يعرف أنه عبد ذليل معقود بناصيته سمة الذلّ لم يقر بالذلّ بل يتقمص لباس الكبرياء فينازع الله في رذائه فيهلك^(١)) ومن لم يعرف ما محله فيما بين الناس ، وهو وضع فيما بينهم أم رفيع فيرفع فوق قدره ويعدو طوره^(٢) ويأتي بما ليس له يقتل أو يستخف به وذلك نوع هلاك .

قوله: «لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَيُرْجَى التَّوْبَةَ» . أي يؤخرها بسبب طول الأمل ، وروي يرجى من الترجية أي يدافعها ، ومن أخر التوبة فهو إما لشهوة مستولية عليه بحيث لا يمكنه الاعراض عنها ، فيصير غافلا عن أمر الآخرة ، ويكون الحجاب بينه وبين التوبة الشهوة ، وإما لأن يرى أمر الدنيا نقدا وأمر الآخرة نسيئة فيختار النقد على النسيئة وإما أن يكون دائما على عزم التوبة ، ولكن يؤخرها ويقضي كل شهوة يعرض لها ، ويقول : أفعل هذه الكبيرة وأقضى هذه الشهوة ثم أتوب .

هذا هو الذي أشار إليه أميرالمؤمنين يعني يؤخر التوبة ويأمل طول حياته ، حتى يتوب في آخر امره ، فيجمع بين الدنيا وسعادة الآخرة ، ومن حق ذلك المقصر أن يتفكر ويعرف أنه يؤخر التوبة إلى الزمان المستقبل ،

١ - بين الملايين ساقط في ش .

٢ - تعدى طوره : أي جاوز حده .

وليس له حكم على ذلك الزمان بل ربما ينقطع عمره دون ذلك الزمان ، وما حاجتك إلى التوبة غدا ، واستغناؤك عنها في يومك وإن عسرت عليك التوبة في يومك بسبب استيلاء شهواتك عليك .

فيعسر أيضا عليك غدا فإن شهواتك ملازمة لك في يومك وغدك ، ولم يخلق الله تعالى يوما من الأيام يسهل فيه على التائب توبته والاعراض عن الأمور الشهوانية ، مثال ذلك رجل كلفه السلطان قلع شجرة ، فقال : أصلها راسخ وأنا لا أقوى على قلعها ، فأصبر إلى السنة القابلة فيقال له يا ضعيف اليقين في السنة القابلة يزداد ضعفك ، ويزداد رسوخ الشجرة ، فكذلك رسوخ شجرة الشهوة كل يوم يزداد ، وقوة الانسان على قلعها يضعف .

قوله عليه السلام : «وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ» .

أي عملا مثل عملهم لأنه لا يفعل فعل غيره فحذف الموصوف ، وأقام الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

«تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ» .

أي يظن أنه يبقى في الدنيا ويتمتع بها وأن الله يعفو عنه مع ذنوبه .

ولا يغلبها على ما يستيقن : من الموت ، وعقوبة الله تعالى والوعد

والوعيد ، والحساب ، والصراط .

أسلف المعصية : قدمها ، وسوف التوبة : أخرها قائلا سوف أتوب .

وإن عرته محنة إنفرج عن شرائط الملة : أي إن أصابته بلوى اعترض

على الله ولم يرض بقضائه والاعتراض على الله بالقلب واللسان خروج عن

شرائط الملة الحنيفية ، وفي الانجيل من أصابته مصيبة في ماله ونفسه ،

وولده واستقبلها بصبر جميل لا أحاسبه يوم القيامة ، وإذا بكى وحزن لا يفوته

صواب الصابرين ، ولكن إذا اشتكى واعترض على الله واتهمه كان كما قال

أمير المؤمنين عليه السلام .

فهو بالقول مدّة ومن العمل مقلّ : أي كلّ وثوقه بالقول متى ما أمر بشيء يقول أفعّل ولا يفعل إلا القليل .

ينافس فيما يفنى : أي يرغب في الدنيا الفانية .

ويسامح فيما يبقى : أي يتساهل في الدار الآخرة التي هي الحيوان ولا تقنى بل تبقى أبدا .

يرى الغنم : أي إعطاء الحقوق الواجبة عليه الموصلة له إلى الثواب الذي لا غنيمة فوقه مغرما .

والغرم : أي فوت ذلك الثواب مغنما : بسبب انتفاعه بهذا التافه الحقيقير أياما قلائل .

ولا يبادر الفوت : أي لا يسارع إلى اعداد زاد المعاد ، قبل فوات وقته ، مداهن : أي خائن .

يستوفي ولا يوفي : أي لا يأخذ حقّ نفسه من غيره ولا يعطي حق غيره من نفسه .

يخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه .

قيل : أي يتقي للناس في طاعة الله فيضيعها ، ويطلب رضا الناس ولا يتقي عقاب الله فيقيم العدل والدين بين عباده .

ج : أي يخشى إيذاء الخلق ، فلا يؤذيه خوفا من رئيسهم المهيب ، وهو غير الله ، ولا يخاف عقاب الله في حق خلقه ، بل يظلمهم ، والأقرب أن يقال أي يخشى الخلق فيما لا يتعلق برضى الله ، فيفعله خوفا من الخلق غير معتمد بغضب الله ولا يخشى الله فيما يفعله رعاية لجنبه الخلق وإن كان مما لا يرضاه الله بل ينهى عنه ويأباه فيكون الحاصل أنه يختار رضى الناس على رضا الله .

اعلم أن ملازمة الجادة أصعب على الساري من الزيف^(١) عن المحجة وإصابة الهدف أخطر على الرامي من الصدوف^(٢)، والأبواب الداعية (إلى الشر أيسر ولو جاء من الأبواب الداعية^(٣)) إلى الخير، والمال وإن كان نفسه مرغوبا فيه فمتى أصابه الفاجر صار سببا للشر العظيم، والعلم إذا اقتناه من خلقه فاسد ودينه ضعيف، صار سببا لاغواء الخلائق وكما أن كل فرس ضاهاه^(٤) الحمار في خصائص أفعاله لم يكن كاملا، كذا الانسان متى شارك الحيوانات الأخر في أن يحرز سعيه لإصابة اللذات لم يكن محمودا. بل المحمود من الناس هو الذي صرفه همته إلى تحصيل الغرض الانسي من سعيه على أبلغ كماله، واتصال العبد برضوان الله على أربع مراتب.

أولها: رتبة المتقين وهي من علائق الخوف.

وثانيها: رتبة المحسنين وهي من علائق الرجاء.

وثالثها: رتبة الأبرار وهي من علائق الأوبة.

ورابعها: رتبة الصالحين وهي من علائق الاخلاص، والاستقامة صورة

لكل واحد من هذه المراتب، وإذا سعد العبد برضوان مولاه فصارت دنياه آخرته وفقره غناه، ونومه يقظة وقد يحصل العفة من الانسان، ومن غير أن يكون عفيفا إما بعدم البصيرة بلذة شيء ما، وإما لميل هواه بالقوة إلى شيء ما وإما لفرط الامتلاء من الاصابة شيء ما وإما لأنه خامد^(٥) الشهوة أصلا ورأسا.

١- زاغ عن الطريق: إذا عدل عنه، والمحبة، وسط الطريق سميت بذلك لأنها تقصد الحج: القصد.

٢- الصدوف بفتحين وضمين: كل بناء عظيم مرتفع تشبيها بصدف الجبل وهو ما قابلك من جانبه.

٣- بين المللين ساقط في ش، وفي ض: الداعية إلى الجنة والحال.

٤- المضاهاة: المشابهة.

٥- في ض: اما لانه جامد الشهوة.

قد يعمل أعمال الشجاعة من غير أن يكون شجاعاً إما للرغبة كالمستبصر في دينه وإما للغضب والتعصب وإما للعادة، ومن اختار من الأخلاق والأطراف أعني طرف الغلو وطرف النقصان دون الأوسط كان كما قال أمير المؤمنين: ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى إلى آخر كلامه.

قوله عليه السلام: «وَمَا أَدْبَرَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ».

أي ما فنى يشبه ما لم يوجد.

الراضي بفعل قوم كالداخل معهم فيه: الرضا أظهر شيء في الموافقة، وهو من الأفعال المختصة بالقلب، فكان أؤكد من العمل، ومن يعمل بالمعصية فله إثم العمل به، وإثم الرضا به (ومن يرضى) بمعصية غيره، فقد رضى بصدورها من ذلك الغير فلذلك كان الرضى بها كمرتكبها.

قوله عليه السلام: «أَعْتَصِمُوا بِالذَّمِّ فِي أَوْتَادِهَا».

الذمة: الحرمة، والعقد، والأمان، يعني عليكم بمراعاة العقود، والعهود بين الناس ما حافظوا عليها، كقوله: الوفاء لأهل الوفاء وفاء عند الله، والغدر لأهل الغدر وفاء عند الله، ومن لم يحافظ على عهدك فلا عهد له عليك، ولا يجب عليك الوفاء بعهده، وإذا كان كذلك فالوفاء لعهد الله أولى.

«عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ».

أشار إلى قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(١)، يعني أنّ معرفة الله ورسوله الأئمة المنصوص عليهم، من فرض الأعيان لا يسع المكلف ترك شيء من ذلك، ولا عذر له في الامتناع من تحصيله لأن ذلك من حقيقة الإيمان، ولا يقبل شيء بدونه.

«مَنْ مَلَكَ آسْتَأْتَرَ».

أي اختار لنفسه حق غيره ورجع جنبته على جنبته^(١) من عداه .
«مَنْ آسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ» .

أي انفرد ، وذلك لأنه إن عَنَّ له من الصواب وجه ، فربما يخفى عليه وجوه ، ورأيه لا يفي بكلّ الوجوه إلا بعد التأمل التام : والبحث المستقصي ، وربما لا ينتج له ذلك بالبحث أيضا ، فاذا شاور غيره وكان أقرب إلى الاطلاع على وجوه الصلاح والفساد ونتائج الجموع لا محالة أكثر من نتائج الأفراد .

قوله عليه السلام : «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ» .

الموت : انقطاع الحياة والفقير انقطاع مادة الحياة ، وهذا أشد لأن الميت إنما يتألم مرة واحدة ، والفقير يتألم كل لحظة .
«الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الْإِزْدِيَادَ» .

لأنّ المعجب يعتقد أنه كمل ، فلا يطلب الزيادة لأن الزيادة بعد الكمال ، محال .

اضاء الصبح لذي عينين .

من أمثال العرب تبين الصبح عند^(٢) العرب أول النهار يضرب لأمر ينكشف ، ويظهر كالصبح اذا تبين أبصره كل أحد .

قوله عليه السلام : «تَرَكَ الذَّنْبَ أَهْوَى مِنْ ظَلَبِ التَّوْبَةِ» .
نظيره في المثل ترك الذنب أيسر من الاعتذار .
«كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ» .

في المثل ربّ أكله تمنع أكالات ، يضرب فيمن يختار درة منقودة ليصير محروما عن درة موعودة ، ولمن يأكل طعاما يمرض منه ، ويمتنع مدة من

١- أي ض : ورجع جنابته على جنبته من عداه .

٢- في ض : تبين الصبح لذي عينين والصبح .

الطعام ، قاله الحارث بن (١) كلدة الطيب لبعض الملوك ، وقيل قاله عامر بن الظرب (٢) لأتباعه .

«مَنْ آسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا» .

الخطأ يمد ويقصر هذا هو الأصل في معرفة الصحيح من الفاسد إذا احتل المتنازع فيه ، وجوها حائرة مختلفة ، فانما يظهر الصحيح منها والفاسد بالقسمة ، ثم يبطل ما يحتمله من الأقسام بالصبر والامتحان ، فيبقى الواحد منها صحيحا ويظهر أن ما دونه فاسد ، وقال قوم : اجزاء الانفصال ، إذا كانت متناهية فاذا ابطلت واستثنيت البعض بقي البعض صحيحا وظهر فساد البعض الآخر وفي مواضع الغلط بيان ذلك مذکور .

إذا هبت أمرا فقع فيه : نظمه بعض أهل العصر .

إذا ما هبت أمرا فقع فيه * فقد ما قيل خيبته توفيه

في أبيات بعده وقال بعض العلماء : كل بلاء في الدنيا فتوقعه أعظم من الوقوع فيه ، وكل بلاء في العقبى فوقوعه على أضعاف . كان متوقعا منه .

«آلَةُ الرَّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ» .

قريب من قوله تعالى : لن تنالوا البر حتى تنفقوا (٣) .

«مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ» .

أي من أظهر جميع ما يعتقد من الحق ودعا الناس إلى جميع ما علم من الصواب جملة وتفصيلا فانه لا يسلم عن الناس ، وعن قريب يهلك لشدة معاداتهم إياه فهذا كقوله : من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس ،

١ - الحرب بن الحرث بن كلدة وهو المشهور بالطب لانه سافر الى فارس وتعلم هناك الطب واشتهر فيه ونال به

ملا وادرك الاسلام وهرمن المؤلفه قلوبهم وكان من اشراف قومه .

٢ - عامر بن الظرب من رؤساء العرب وكذا أبوه الظرب بن عمرو أيضا كان سيد قومه .

٣ - آل عمران : ٩٣ .

وقيل : للحق أي بمجادلة الحق أي من جادل الحق جهارا فهو هالك ،
وصفحة الوجه جانبه وإبداؤها كناية عن الخصومة علانية .

«فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ» .

أي بالمشورة غلبت مخاصمهم ، والمشiron الذين لهم حق المشورة
والإشارة ، والخوض في ذلك : وكبار الصحابة وجمهور بني هاشم . ما حضروا
السقيفة ، وإنما حضروا نفر قليلون ، خاطب عتيق بن عثمان وعنى بقوله :
غيرك : نفسه .

قوله : بهذا يتعلق بفعل محذوف أي كيف ملكت بهذا الأمر أي كيف
يحتج بهذا ، وكيف حال أو مصدر للفعل المقدر ، والواو في والمشiron
للحال .

تنتصل : يرتضى وروي تبادره .

والشرق ، الاغتصاص^(١) بالماء .

والمنون : المنية ، وهو من المن ، وهو القطع سميت بذلك لأنها يقطع
المدة^(٢) وينقص العدة ، ونحن أعوان المنون كل نفس يتنفس به الانسان
يقربه إلى منيته ، فكأن أنفاسه خطواته إلى موته ، وقيل : يعني نحن نتعرض
لأسبابها المهلكة فيعينها على أنفسنا بالتعرض^(٣) لها .

قالت الأطباء : أسباب الموت كثيرة ، وبعضها يحصل بواسطة الانسان
من العوارض النفسانية ، وغير ذلك وأسباب فناء الانسان أكثر من أسباب فناء
بعض النبات .

١ - غصت بالماء اغص : اذا شرقت به .

٢ - المدة : غاية الحياة وفي الحديث المؤذن يغفر له مدى صوته يعني فيبلغ الغاية في المغفرة اذا بلغ الغاية في الصوت .

٣ - في ض : بالتعريض لها .

ونصب الحتوف : أي غرض الهلكات ترمينا بسهام المصائب .

قوله عليه السلام : «إِنَّ لِقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِفْبَالًا وَإِدْبَارًا» .

قد تميل القلوب إلى أشياء يقتضيها العقل والشرع ، ولها إقبال على بعض الأشياء المحمودة وأدبار عنها إلى أشياء تجرى مجراها ، كأن تمل إلى الصلاة وتميل إلى الذكر ، وتمل الذكر وتميل إلى التفكير فإن القلب إذا أكره عمي أي أدركه العجز البشري .

لم يذهب من مالك ما وعظك : أي كأنه لم يذهب ولم ينزل من المال ما أثمر الوعظ وما وفنى ما بقيت ثمراته .

المهن : الحرفة والصناعة ، والمهنة والامتهان : الابتدال .

أتى بجان ومعه غوغا : أي أتى بصاحب جناية مع جماعة من عوام الناس وطغامهم^(١) .

إنَّ الأجل جنة حصينة : أي من علم الله تعالى أن في تأخير إمامته إلى وقت معين لطفاً له ، ولغيره من المكلفين فإنه لا يميته ولا يخلي بينه وبين من يريد قتله ، بل يفعل أظفأ ينزجر بها القاتل عن قتله ، لئلا يبطل أظفأ المكافين ، كان أجله ترس يتحصن هو به الاود : العوج .

قوله عليه السلام : «لَا يُزْهَدُ نَكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ» .

يعني أنك إن أردت بالاحسان ، ابتغاء وجه الله ، فالله يحب المحسنين وحسبك محبة الله ، وإن أردت بذلك ثناء الشاكرين فإن كفر نعمتك المنعم عليه فقد شكر نعمتك غيره وكفى بذلك شاهد اثناء من لم يشاهد البرامكة^(٢)

١ - في حديث علي عليه السلام : ياطغام الاحلام : اي من لا عقل له ولا معرفة وقيل : هم أوغاد الناس وأرذالهم .

٢ - برمك كجعفر جد يحيى بن خالد البرمكي وكان برمك مجوسياً وهو الذي قدم إلى الرصافة ومعه ابنه خالد

ولم يصل اليه منهم نعمة وصنف أخبار البرامكة وما أثر الأسخياء من لم يفرز من نعمهم بشيء سوى الأحاديث فان ضيع المنعم عليه احسانك إليه فالناس لا يضيعون والله تعالى لا يضيعه .

« كَلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ » .

من أثبت وعاء العلم جسما قال : لا يضيق المحل عن الاعواض ، ومن أثبته غير جسم قال : المحل غير جسماني وغير منقسم وإسناد الضيق والسعة إلى محل العلم الذي هو القلب مجاز وبالجملة فالانسان يجد من نفسه وفي قلبه شبه إنشراح وإنبساط عند عثوره^(١) ، وعلى ما كان يرومه^(٢) من غامض العلم وغيره ويجده على العكس من ذلك من الانقباض والانحصار إذا لم يطلع على ما كان يتوخاه^(٣) وأما معرفة كيفية ذلك وتفصيله ، فمن عجائب علم النفس وغرائب العلوم ، ولا يهتدي إلى ذلك إلا من أمدَّ بامداد أنوار العلوم الالهية .

« إِذَا لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ » .

أي تكلف الحلم ، أو شك : أي قرب .

قل من تشبه بقوم إلا أو شك أن يكون منهم .

لأن التكلف يصير عادة والعادة تصير شبه الطبيعة .

→ وكان قد تعلم في جبال كشمير ، وكان خالد بن برمك يكنى ابا العون و ابا العباس وقد حدث عن عبد الحميد الكاتب وعنه ابنه يحيى .

كان خالد احد العشرين الذين اختارهم شيعة بني العباس لاقامة دعوتهم قال برمك لابنه خالد يا بني ان الامر صائر الى بني العباس فان قدرت ان يكون لك في ذلك اثر تنال به دنيا وديننا فافعل فحفظ خالد ذلك عنه وعمل عليه واولاده يسمون البرامكة واخبارهم مشهورة مدونة في الكتب .

١ - العثور : الاطلاع على الشيء والاجتناب عن الخطاء .

٢ - يرومه : أي يقصده ويطلبه .

٣ - توخى الأمر : تعمدته وتطلبه دون سواه .

العلم : أعمّ من الفهم فان فهم الشيء علمه ، على وجه والعلم يحقّقه على جميع الوجوه .

قوله عليه السلام : «لَتَعَطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا» .

شمس الفرس شماسا : منع ظهره من الركوب ، وناقاة ضروس سيئة الخلق يعصّ حالبا لئلا يحلبها ، فيبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها على الولد ، وهذا إشارة إلى عهد القائم من ولده ، وظهور دولته وارتفاع أمره أعادنا الله في دولته وأعادنا^(١) من سخطته وجعلنا من أعوانه وأنصاره ، والمقتفين لكرائم آثاره بمعنه وسعة فضله .

«شَمَّرَ تَجْرِيداً ، وَجَدَّ تُشْمِيرًا» .

أي يخفف من الأثقال التي تبطئ المسافر إلى الآخرة وتثبطه ، ورفعها من البين لتجريد النفس عن علائق الدنيا ، وبالغ في هذا التشمير .

«وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ» .

أي أعجل تهيئة أمره في مدة إمهاله ، كيلا^(٢) يفوته الوقت .

«وَبَادَرَ عَنُ وَجَلٍ» .

أي سارع في إعداد الزاد محترزا عن مظانّ الخوف ، أو بادر مبادرة ، صادرة عن خوف .

«وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِ» .

الكرة الرجعة والموتل : الملجأ ، والأل : اللجاء أي تأمل في رجعته في وقت الالتجاء ، أو مقام الالتجاء .

والمغبة : العاقبة .

١ - في ض : واعادنا الله من سخطه .

١ - في ض : لئلا يفوته الوقت .

«الْحُلْمُ فِدَامٌ السَّفِيهِ» .

يعنى أنّ الحليم إذا حلم عن سفه السفية ، ولم يقابله بمثله ، كان ذلك مانعا للسفيه عن السفه ، فكأنه فدام^(١) يشد على فيه فمنعه من الكلام بالسفه لذلك ، قال تعالى : «وأعرض عن الجاهلين^(٢)» .
خاطر: أي أشرف على الهلاك .

الصبر يناضل الحدثان : أي هو كمن يقاتل حوادث الزمن في الرمي ويذبت عن صاحبه ما ينفد به إليه .
«عُجِبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ» .

لأن موجب العقل ومقتضاه الازدياد من الفضائل والمناقب ، والمآثر وموجب العجب الاقتصار على ما هو عليه ، فالعجب يصرف عن الازدياد ، فكان عدوا للعقل .

«أَغْضِ عَلَيَّ الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبْدَاءً» .

أي لا تطلب غاية الكمال في الأمور الدنياوية ولا انتظام أحوالك كلها فيها ، ولا أن يجري الناس كلهم على وفق إرادتك ، فإن ذلك من (حيث) عادة الدنيا وأهلها بعيدة (بل) مستحيلة ، فاذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .
«مَنْ لَانَ عُودُهُ كُنُفَتْ أَغْصَانُهُ» .

أي من سامح الناس سامحوه وازداد بتلك المسامحة ماله وجاهه ، ومن رفق بالناس ولاطفهم ، ولان جانبه كثر أعوانه منهم ، ومن طاب خلقه وحسنت سجيته ترشح ذلك إلى ظاهره فحسن ظاهره كباطنه ، وعلايته كسيرته ، «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا

١ - الفدام : ما يشد على فم الابريق والكوز من خرفة لتصفية الشراب الذي فيه .

٢ - الاعراف : ١٩٩ .

نكدًا^(١)» وأصل كشف أي غلظ .

«الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ» .

لان الخلاف يهيج القوة الغضبية ، فلا يفوز صاحب الخلاف باصابة الرأي وقيل معناه : لا رأي لمن لا يطاع ، يعني من كان غير^(٢) مطاع فوجود رأيه وعدمه سواء .

«مَنْ نَالَ آسْتَظَالَ» .

أي من نال شيئاً من حطام الدنيا وغيره يطاول على من ليس له ذلك .

«فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرَّجَالِ» .

يعني يعرف فضائل الغني إذا افتقر ، ورتائل الفقير إذا استغنى . فان في الأكثر إذا استغنى الفقير تبدلت أخلاقه وإذا افتقر الغني تغيرت أحواله وخصاله ، ويعرف طباعهم أهي كريمة أي محمودة أم لثيمة مذمومة بتغير أحوال الدنيا .

«حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ» .

يعني من حق الصديق أن يحب لصديقه كل خير فاذا حسد كانت صداقته ، ناقصة .

«أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الطَّمَعِ» .

ما أصدق أميرالمؤمنين وما أبصره بحقائق الأشياء فان أكثر اقدم العقول تزلّ في مواطن الطمع ، والطمع يمنع العقل عن الاستيلاء والتملك ، وكم من طامع خالف قضايا عقله ، حين طمع هذا في العقلاء وأما في غير العقلاء ، فلو لم يطمع العصفور في الحية لما وقع في الفخ^(٣) ، وفي قوله :

١ - الاعراف : ٥٨ .

٢ - في ش : من كان مطاعا .

٣ - الفخ : آلة يصاد بها .

تحت بروق المطامع سرّ لطيف لأن البرق نور لا يقتبس منه فكذلك الطمع رجاء فاسد، من قضايا الوهم، ولا اعتبار به، ولا فوز معه، بالمقصود.

«لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثَّقَةِ بِالظَّنِّ».

أي من كان موثوقاً به أميناً عندك، فظننت به ظنّ سوء وحكمت بذلك عليه فقد ظلمته، فإن بعض الظنّ إثم.

«مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ».

يعني تغافله عن معائب الناس، فلا تسمعها، وعن هفواتهم في حقه فلا يتتبعها.

«مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ نَوْتَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ».

لأن حياه يخفي عيوبه عن أعين الناس لأن العيب إن مما يتعلق باللسان، وسقطاته، فالحيي قليل الكلام، إيقّل ذلك منه، وإن كان مما يتعلق بالأفعال فحياؤه يمنعه من الاقدام على الحرام والآثام فيخفي ذلك منه ولا يظهر، وإن كان مما يتعلق بالنسبة والخلقة، فحياؤه يمنعه من التصدي للقدح في عرض غيره وإثارة^(١) معايبه، فلا يقابله غيره بمثله.

«بِالتَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمَوَاصِلُونَ».

أي من جعل الانصاف من عادته رغب الناس في صداقته.

«بِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ».

أي من أنعم على غيره وتواضع فتواضع له نعمة أخرى له على المنعم عليه، وذلك هو كمال الافضال، ويحتمل أن يراد أن من تواضع لله تعالى فشكر على نعمه عنده، استحق مزيد النعم وكما لها، أو المناوي: المعادي.

«الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحَسَادِ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ!»

يعني أن صحة الأجساد وسلامتها، من طريق أمن السرب نعمة ليست وراءها نعمة، فالعجب أن الحساد يحسدون فيما دونها رتبة من النعم، ولا يحسدونها فيها أي أن (الحاسد إذا رأى على غيره نعمة حسده عليها فكيف لا يحسد على عافية الناس وهي أعظم النعم وقيل أن^(١)) الحساد غافلون عن أن سلامة أجسادهم وأنفسهم من هم الحسد أعود عليهم وأنفع لهم من أن يتعبوها بالحسد.

«الظامعُ في وثاقِ الدَّلِّ» .

أي قد قيده ذلّ الطمع فهو أسير في يده .

«الْإِيْمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» .

إقرار اللسان، وعمل الجوارح وإن لم يكونا من حقيقة الايمان وماهيته التي هي التصديق القلبي، إلا أنهما لشدة تعلقهما به وفرط ملازمتها له، وتؤكد ورود الأمر بضمهما إليها جعلاً في حكم الجزء منه لا تحديداً بل تحريصاً على تحليته بهما، وتطويق^(٢) عاطله بفوائق درهما .

«مَنْ أَضْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَضْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطًا» .

أي على فوت ما يتمناه من الدنيا، ويهواه .

«مَنْ تَوَاضَعَ غَنِيًّا لِيَغْنَاهُ ذَهَبَ ثُلْثًا دِينِهِ» .

الدين هو الطاعة ومحل الطاعة إما القلب، وإما اللسان، وإما سائر الجوارح، فمن تواضع غنيا بشخصه وأطراه وحياه بلسانه لأجل غناه فقد صار شخصه ولسانه طائعين، منقادين له، وكان من حقهما أن لا ينقاد أو لا يطيعا إلا الله تعالى (أو من يأمر هو بطاعته، وبقي قلبه، وهو أحد الثلاثة فقد ذهب ثلثا الطاعة، في حق غير الله تعالى) وبقي الثلث له ولم يرد بذلك ذهاب

١- بين المللين في ش .

٢- طوقه الطوق : البسه اياه والطوق : حلي للعنق يحيط به ، والعطل : العنق وفوائق الدرر : خيارها .

الإيمان .

والحباطة : على ما تتخيله المعتزلة ، ومن نسج على منوالهم لقيام الدليل القاطع ، على بطلان التحابط ، وقيل إن تعظيم الغني لغناه ينبيء عن حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وذكر الثلثين استعارة للأكثر .
لهج قلبه بكذا أولع به وحرص عليه .

والتايط : التصق وهم لا يغبه : أي لا يأتيه ولا يعتريه^(١) وقتادون وقت بل يلازمه .

قوله عليه السلام : «الْعَدْلُ : الْإِنْصَافُ ، وَالْإِحْسَانُ : التَّفَضُّلُ» .

أراد بالانصاف الواجب وبالتفضل ، المندوب إليه .

الزهو : التكبر ولا يبني الفعل منه إلا المفعول به فرقت : أي خافت .

قوله عليه السلام : «لَدُنِّيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَاؤُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْدُومٍ» .

عراق : بضم العين جمع عرق وهو عظم أخذ عنه اللحم قال ابن السكيت : ولم يجيء شيء من الجمع على فعال إلا أحرف منها توأم ، ورباب وظؤار وفوار ورخال وعراق في جمع توأم وربى وظئر^(٢) وفرير ورخل وعرق .

والجذام : فساد شكل يعرض للأعضاء بسبب خلط محترق خبيث ينبث^(٣) في البدن ، وبهذا الخلط إذا كثرت ورم الأعضاء أولاً ثم قرحها وهذا مرض خبيث عسر العلاج ، ولا شيء أخبث من عظم خنزير بلا لحم في يد

١ - اعتراه : إذا قصده يطلب منه رفته وصلته .

٢ - الظأر : أن تعطف الناقة على غير ولدها ، والربى : التي تربي في البيت من الغنم لاجل اللبن وقيل هي الشاة القرية المهذ بالولادة وجمعها رباب بالضم ، والرخل : الانثى من اولاد الضأن .

٣ - ينبث يخرج ، والنبثية : تراب يخرج من بئر او نهر .

نصراني مستحل للخنزير مجذوم ويد المجذوم خبيثة متفرحة وهو أخس أعضاء المعلولين أخبر عليه السلام عن حساسة الدنيا وحساسة من قنع بها .
قوله عليه السلام : «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً إِلَى آخِرِهِ» .

العبادة : غاية الشكر، ويجب على أصول النعم، فمن صلى وصام ونحو ذلك لله تعالى لوجوب ذلك له، فهو عبادة وإن فعل ذلك طمعا في الجنة، وخوفا من النار، فليس ذلك بعبادة، ومن تناول الدواء لدفع المرض والألم فهو خسيس الهمة، ومن تناوله لحفظ الصحة، فهو رفيع الهمة .
التواني : التقصير، والواشي : الساعي ، والنمام .

«الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا» .

كقول النبي صلى الله عليه وآله : اتقوا الحرام في البنيان فإنه أساس الخراب .

«إِذَا أزدَحَمَ الْجَوَابُ ، خَفِيَ الصَّوَابُ» .

من تفكر في الطرق المسلوكة، ولم يميز في ذهنه ما ينتج المطلوب ويفكر فيما يلائم الجواب، وما لا يلائم خفي عليه الصواب، فاذا ركب على وجه التركيب أو حلل على وجه التحليل، فاز بالصواب، وإن كثر القياسات فربما يخفى عليه الصواب بسبب التكثير، وازدحم أي كثر.

«إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ» .

يعني أن الفقر يثمر الحرص، والحرص يثمر الشهوة، فيزداد الرغبة، فيما ليس عنده، وقيل الممنوع متبوع، والانسان حريص على ما منع، منه، فمن قدر على شيء واستولى عليه قلت شهوته، المتعلقة بذلك الشيء، وتعلقت شهوته بما ليس له، وإن كان ما عنده أحسن وأزين مما عند غيره والمرء شواق الى ما لم ينل، الشادر: النادر.

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ» .

قال الامام الوبري: هو في الفرائض والواجبات خاصة، دون النوافل لأنه مندوب عند تثاقل نفسه إلى الاقتصار على الفرائض، وقيل الانسان يحب الدعة والخفض والكسالة كما قيل إن البطالة والكسل أحلى مذاقا من غسل، فمن سلط عقله على هواه، فقد أكره نفسه على العمل الصالح، وكان ذلك من أفضل الاعمال.

قوله عليه السلام: «عَرَفْتُ اللَّهَ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ». ذلك لأن العازم يجد في نفسه الفسخ ويعلم أنه ليس من فعله، فلا بد من فاسخ، ولا فاعل يتصرف في ضمير الغير. إلا القادر الذات، وهو الله تعالى.

قوله عليه السلام: «وَصِلَّةَ الرَّحِمِ مَنَّمَاةٌ لِنَعْدِدِ». لأن الأقارب إذا تواصلوا زادت أعدادهم، وإذا تخاصموا وتحاسدوا تقاتلوا، وإذا تقاتلوا، نقصت أعدادهم. «وَتَرَكَ اللَّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ».

لأن اللائط مضيع لمادة الانسان قطعاً، ومفسد للبذر، فكأنه قاتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأن من أفسد البذر كان كمن أفسد الزرع. والحقن: الحبس والردع: الزجر والاستظهار: المعاونة. قوله عليه السلام: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُظْفًا».

قال الامام الوبري: هذا يحتمل معنيين. أحدهما أن الله تعالى يقدر عند ذلك لظفا له ينقذه من المهلكة وأراد بالخلق التقدير، والكناية في ام الكتاب. والثاني أنه تعالى يخلق عند ذلك ملكا يدعو له بالخير، والمعونة من الله تعالى، ويكون له عوناً عند المهالك بأمر الله، فيحرسه بسببه، وقيل انه

استعارة، والمراد من أعان أخاه المسلم عند اضطراره، دفع الله عند البلاء عند اضطراره، وقيل إن من وقع موقع البذل أي خلق الله له بدل ذلك السرور ملكا ذا لطف يخلصه من البلايا قال الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على الطهيان
بدل ماء زمزم .

قوله عليه السلام: «الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ» .

هذا مأخوذ من قول الله تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين^(١)» وذلك في يهود بني قينقاع، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبينهم عهد. فعزم اليهود على نقض العهد. وأخبر الله تعالى رسوله بذلك وأمره بمجازاة نقض عهدهم، ومحاربتهم فحاربهم وأزعجهم^(٢) كما ذكر في التفاسير.

قوله عليه السلام: «ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنْبِهِ» .

اليعسوب في الأصل هو أمير النحل، ثم قيل للسيد يعسوب قومه، وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام يعسوب المؤمنين لأنه قال: مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا، فكان التشبيه صائبا من الطرفين، وضرب النحلة بذنبها: لسعها بحماتها^(٣) أي ظهر مقتدى الحق وأظهر نكايته في عداه .

والقزع: قطع السحاب وأضاقها إلى الخريف لأن السحاب يكون بلا ماء، فيكون أسرع، قيل وهذا الحديث في شأن الحجة الغائب من آل محمد

١ - الانفال : ٥٨ .

٢ - ازعجه : اقامه ولا يدعه يستقر .

٣ - الحمة بالتخفيف : السم وقد يشدد .

صلى الله عليه وآله : وفي ظهوره ، وقيامه أي اذا ظهر وأظهر علاماته ووجه صولته إلى عداته^(١) أسرع إليه أصحابه ، وانصاره كاجتماع قطع السحاب الخريفي ، ويجوز أن يكون ضرب من الضرب ، بمعنى السير ويكون الذنب كناية عن الخول^(٢) والخدم والعدة والأسلحة أي سار الأمير في أمر الدين بخدمة ، وحشمه ، وعدته وأسلحته فيكون الباء كالتي في قولهم خرج زيد بسلاحه ، وفي المعنى الأول يكون كالتي من قولك ضربت بسيفه .

«هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشُحُ» .

قيل : كان الإشارة إلى صعصعة بن صوحان^(٣) ، وكان من خيار شيعة علي عليه السلام : ومن خطبائهم ، والشحشح الماهر الماضي في الكلام ، من قولهم : قطة شحشح : سريعة حادة ، وناق شحشح والشحشح : سرعة الطيران وامرأة شحشاح كأنها رجل في قوتها وحدها ، وهذا كله من معنى الشح لا من لفظه ، على مذهب البصريين ، وهو الامساك المفرط والتشدد الفاحش .

ألا ترى إلى قولهم للبخيل : شحشاح ، ومشحشح ، وروي أنه رأى واحد يخطب فقال : ما هذا الخطيب الشحشح ، فعلى الرواية الأولى هذا ابتداء ، والخطيب نعت له ، أو عطف بيان والشحشح ، خبر المبتدأ ؛ ويجوز أن يكون هو الخبر والشحشح نعته أو خبر بعد خبر .

١ - العدى : الغرباء .

٢ - الخول : حشم الرجل واتباعه ويقع على العبد والامة .

٣ - صعصعة بن صوحان العظيم القدر من اصحاب امير المؤمنين : روي عن الصادق عليه السلام انه قال كان مع امير المؤمنين من يعرف حقه الا صعصعة ، وشهد معه الجمل هو واخوه زيد وسيحان وكان الراية يوم الجمل بيده فقبل فاخذها زيد وقبل فاخذها صعصعة .

شهد ايضا الصفيين وكان اميرا على بعض الصف ، وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره ، وكان سيدا فصيحيا خطيبا دينيا قال الشعبي : كنت اتعلم منه الخطب ، قال ابن سعد كان ثمة قليل الحديث وتوفي بالكوفة في خلافة معاوية .

على الرواية الأخرى ما استفهامية، وهي مبتدأ وهذا خبره والخطيب نعت له أو عطف بيان، قيل: والشحشح الغيور والشجاع أيضا والخطيب اذا كان فيه هذان الوصفان كان كلامه أنجع ووعظه أنفع روي أن عليا عليه السلام وكل أخاه عقيلًا بالخصومة، ثم وكل بعده عبد الله بن جعفر وكان لا يحضر الخصومة، ويقول إن لها لقحما، وإن الشيطان يحضرها أي مهالك أو شدائد.

وقم الطريق: ما صعب منه وشق على سالكه قال جرير^(١).

قد خربت مصروا الضحاك إنهم * قوم إذا حاربوا في حربهم قح

وقم في الأمور رمى بنفسه فيها من غير رؤية.

قوله عليه السلام: «إِذَا بَلَغَ النَّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ».

وروي نص الحقائق فالعصبة أولى: نص كل شيء منتهاه، من نصت

الدابة اذا استخرجت أقصى ما عندها من السير، يعني إذا بلغن الغاية التي

عقلن فيها وعرفن حقائق الأمور أو قدرن فيها على الحقائق وهي الخصام

اقترحوا فيهن^(١)، فقال بعض الأولياء: أنا أحق بها وبعضهم أنا أحق،

ويجوز أن يريد إذا بلغن نهاية الصغار أي الوقت الذي ينتهي فيه صغرهن

ويدخلن في الكبر استعارة لهن اسم الحقائق من الابل.

قيل: هو من الحق بالكسر، وهو ما كان من الابل ابن ثلاث سنين وقد

دخل في الرابعة، والانشى حقه، سمي بذلك لاستحقاقه أن يحمل عليه وأن

ينتفع به، والجمع حقائق، وجمع الحقائق حقق ككتاب، وكتب وربما جمع

١- جرير بن عطية الخطفي من بني كلب بن يربوع وام جرير ام قيس بنت معبد، كان جرير من فحول

شعراء الاسلام ويشبه من شعراء الجاهلية بالاعشى. وكان من احسن الناس تشيعا، وكان من اشد الناس

هجا، ومع حسن تشيعه عفيفا بينه وبين الفرزدق الشاعر المعروف ومنافرات ومهاجاة.

٢- الاقتراح هنا بمعنى الاجتباء والاختيار.

على حقائق مثل أفال وأفائل والعصبة واحدة العصب . والأعصاب وهي أطناب المفاصل ، وعصبة الرجل بنوه ، وقرابته لأبيه سموا بذلك لأنهم عصبوا به اي أحاطوا به .

فالأب طرف والابن طرف ، والعمّ جانب والأخ جانب والجمع العصبات ، يعني إذا بلغ النساء منتهى بلوغ الغاية وكان لهن إخوة وأخوات أو أعمام مع عدم الآباء ، فإن يجعلن أمر تزويجهن إليهم أولى من أن يزوجن أنفسهن ، وان كان ذلك أيضا جائزاً .

قيل : هذا مبني على مسألة ، وهي أن الأم أن يأخذ الولد اذا كان انثى إلى سبع سنين ، ما لم يتزوج وإن كان الأب قد مات كانت الأم أحق بها ، من كل أحد الى سبع سنين أن تبلغ أي اذا بلغت المرأة حد البلوغ فالجد من الأب والعم أولى من الأم أن يأخذها وتكون عنده .

قوله عليه السلام : «إِنَّ الْإِيْمَانَ يَبْدُو لِمُظَّةٍ فِي الْقَلْبِ ، كَلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيْمَانُ أَزْدَادَتِ اللَّمُّظَةُ» .

(اللمظة هي كالنكتة من البياض من الفرس الألمظ ، وهو الذي يشرب في بياض عن أبي عبيدة ومنها قيل^(١) اللمظة : الشيء اليسير من السمن تأخذه باصبعك شبه ما يظهر في قلب المؤمن المحقق من نور اليقين وثلج الطمأنينة بسبب النظر المقضي إليه المزيل لظلم الشبه بالنكتة من البياض ، وكلما ازداد المرء تفكراً وفي مظان النظر، ولو جاء عند ترادف الأدلة ، وتضاعف الحجج ازداد نور البصيرة في قلبه استقراراً حتى ولى الريب عن مستقر يقينه إدباراً .

قد قيل : من الجائز أن يظهر الله تعالى : في قلب المؤمن نقطة بياض

وكلما ازداد المؤمن علما ويقينا وطمأنينة يزداد ذلك النور لما يعلم في الاخبار بذلك من مصالح المكلفين وألطفهم ، ولمظة : حال أو تمييز وعلى هذا لما كانت اللمظة لازما الوجود للايمان سمي اللزوم باسم اللازم لفرط التلازم .

قوله عليه السلام : «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظُّنُونُ ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ ، لِمَا مَضَى ، إِذَا قَبَضَهُ» .
هو الذي لست من قضائه على يقين ، وكذلك كل شيء لا تستيقنه قال الشماخ^(١) .

كلا يومي طوالة وصل أروى * ظنون آن مطرح الظنون
ومعنى الخبر إذا كان لك مثلا عشرون دينارا على زيد دينا ، وقد أخذها منك ووضعها على هيئتها ، من غير تصرف فيها منه ، وأنت تظن أن استردتها منه ردها إليك ، فاذا مضى عليها أحد عشر شهرا قمريا ، واستهل هلال الشهر الثاني عشر فقد وجب زكوتها عليك . وإن كانت مبالغ كثيرة ؛ ومضى عليها سنون كثيرة على ذلك فانه يجب عليك الزكاة فيها لكل سنة كان نصاب ذلك تاما فيها ، ومعنى قول الاعشى : إن العاقل لا يجعل حكم البئر التي لا ماء فيها ولا يمطر حولها بحكم نهر الفرات المعروف .

والصوب : المطر ، واللجب ، السحاب الذي له صياح من الرعد والبرق .
والياء في الفراني : للتأكيد كما في دوار ودواري أو أراد كالنهر المأخوذ من الفرات فنسبه إليه لأنه بعضه .

وطما : ارتفع والبوصى ضرب من سفر البحر وهو معرب .

١ - الشماخ بن حليف وابن المختار وابن العلا وابن ضرار وابن ابي شداد شعراء ، والمشهور منهم هو الخامس اسمه معقل وكنيته ابوسعيد والبيت في تاج العروس (طول) .

والماهر: الملاح الحاذق والصحيح أن الماهر، هو السايح .
اعذبوا عن النساء: أي امتنعوا من ذكرهنّ فانه يكسرکم عن الغرور تثبطا
قال عبید بن الابرس^(١).

وتبدلوا اليعسوب بعد أيهم * صنما فقرؤا يا جديلا وأعذبوا
وبات الفرس عذوبا اذا امتنع من الأكل والشرب ومنه العذاب لأنه
نكال يمنع^(٢) الجاني من مثل ما جنى .
قوله عليه السلام: «كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ» .
الياسر: اللاعب، بالقдах الفالج: الفائز يقال فلج على أصحابه
وفلجهم .

قوله عليه السلام: «كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ» .
أي اشتد الحرب ومنه موت أحمر، وهو مأخوذ من لون السبع كأنه سبع
إذا هوى إلى الانسان اتقينا به أي استقبلنا به العدو .
قوله عليه السلام: «حَتَّى أَتَى التَّخِيلَةَ» .
هي موضع بظاهر الكوفة على أميال منها .
قوله عليه السلام: «مَا تَكْفُونِي أَنْفُسَكُمْ» .
يعني عناية من عصيانكم أكثر من عناية من عدوانهم ، ولو لا عصيانكم
لما ابتليت بعدوانهم وروي تكفوني بحذف النون للتخفيف .
والرعايا: جمع رعية والرعاة: جمع راع والحيف: الظلم وحيف الوالي

١ — عبید بن الابرس بن عوف الاسدي كان شاعرا جاهليا قديما من المعمرين وشهد مقتل ابي امرىء القيس
قتله المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه ويقال انه لقيه وله اكثر من ثلاثمائة سنة فسأله أي قتلة تختار قال عبید :
اسقني من الراح حتى ائمل ثم اقصدني الاكحل : ففعل ذلك به ولطخ بدمه الغريين وفي ض : عبد الله بن
الابرس .

٢ — النكال : العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء .

على الرعية حملهم على ما يكرهون بذل الأموال والأرواح بغير الحق وحيث الرعية على الوالي جنائتهم وعصيانهم .

والوزع : الكف والدفع ، والوازع : الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وقال الحسن : لا بد للناس من وازع أي سلطان يكفهم ويردعهم عن الشر وذكر ابن جرير في تاريخه أن أمير المؤمنين خيم بالنخيلة وخرج بالناس ؛ فلما أمسوا انصرف الناس إلى بيوتهم ، وبقي أمير المؤمنين بالنخيلة مع أولاده وخواصه فانصرف أمير المؤمنين ضرورة إلى الكوفة .

الحرث^(١) ابن حوط وبخط الرضي بالخاء المعجمة مضمومة ذكر صاحب المنهاج يا حار أراد يا حارث فرخم وبقاه على أصله ولو ضم الراء جاز .

قوله عليه السلام : « نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ » .

أي نظرت إلى ظواهر أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسكين ببعض شرائط الاسلام فاغتررت بذلك وظننت أنهم على شيء ، وهم دونك في المنزلة ، حيث بغوا على إمام الحق وأنت معه ، وإن لم تكن على يقين ولم تنظر إلى من هو فوقك من الامام المنصوص المفترض طاعته من الله تعالى ، والمعتصمين بحبله والمتمسكين بعروة^(٢) الوثقى .

حتى تعرف بالنظر المفضى إلى الحق أن الباغي على خليفة الله في أرضه والساعي في إطفاء نوره كافر بالله العظيم ، وبما أنزل من الذكر الحكيم على رسوله وأن ولايته محك العالمين ومحنة للخلائق أجمعين .

١ - الحرث الاعور الهمداني من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وخواصه ، وهو الذي كان يكتب خطب علي سلام الله عليه كما صرح به الكليني في الكافي في باب جوامع التوحيد ، وله اخبار وروايات مذكورة في كتب الحديث والرجال والسيرة .

٢ - في ض : والمتمسكين بعروته الوثقى .

قال صاحب المعارج : يعني اقتديت بمن هو دونك في الرتبة عند الله وما اقتديت بمن هو فوقك أي اقتديت بأهل الشام وما اقتديت بصحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار حين بايعوني ، والمطابق لسؤال السائل ما ذكرت .

قوله عليه السلام : «سعد بن مالك» .

عنى به سعد بن أبي وقاص ، فانه لما قتل عثمان اشترى أغناما وانتقل إلى البادية وكان يتعيش بتلك الأغنام حتى قضى نحبه ولم يشهد بيعة علي وأما عبد الله بن عمر فالتجأ إلى أخته حفصة زوجة النبي بعد ما بايع^(١) أمير المؤمنين ولكنه ما خرج معه إلى حرب الجمل وقال : أعجزتني العبادة عن الفروسية والمحاربة فلست مع علي ولا مع أعدائه ولا احتياج له إلى نصرتي وأنا رجل ضعيف متعبد .

«صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ» .

كلام في غاية المتانة فان من ركب الأسد لا يخلو إما أن يلقيه الأسد ويرديه ، وإما أن يلقيه ويفترسه ، وصاحب السلطان إما أن يوقعه السلطان في مهلكة لا ينجو منها بسبب نظام ملكه ، وإما أن يهلكه السلطان ومع ذلك فالناس يحسدونه بسبب جاهه وماله وهو في خطر عظيم .

«أَحْسِنُوا فِي عَقَبِ غَيْرِكُمْ» .

عقب الانسان ولده ، وولد ولده ، وهو مأخوذ من قوله تعالى «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا^(٢)» فان كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء ، يعني كان حكمه شفاء لمرض الجهل .

١ - الظاهر من الروايات انه لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام وإنما قعد في بيته واعتزل عن الناس .

٢ - النساء : ٩ .

«إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً» .

أي يضل به الناس ويقعون به في الشبهات بحسن اعتقادهم فيه ، وتأثير كلامهم في نفوسهم ، ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم .
فان الكلام كالشارد .

أي كالناقة النافرة ينقفها يجدها ويظفر بها .

«أَخْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا» .

هذا من الأمثال ، أي لا تطلعه على جميع أسرارك فانه ربما يعود بغيضك فيؤذيك بافشاء سرّك ، ولا شيء أحسن من الاعتدال في الحب والبغض وغيرهما وكذا ما بعده وهذا مأخوذ من قوله تعالى : «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة»^(١) .

والهون : السكينة والوقار وهو مصدر بمعنى إسم الفاعل ، وقع موقع الحال ، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي بغضا هونا أي معتدلا سهلا ، وما للابهام .

قوله عليه السلام : «وَتَأْمَنُ عَلَيَّ نَفْسِي» .

أي لا يخاف على نفسه فقره في آخرته فلا يقدم زادا .

قوله عليه السلام : «مِنْ عَرَضِ النَّاسِ» .

أي من العامة وإنما قطعه لأنه سرق من حرز من الغنيمة ولم يكن له نصيب فيها ، وإن كان له نصيب في الغنيمة ينظر في المسروق فان كان وفق نصيبه فلا قطع عليه ، وإن كان أكثر من حقه وكان الزيادة دون النصاب ، فكمثل ، وإن كان ربع دينار ، فصاعدا أو ما قيمته ، فعليه القطع .

لو قد استوت قدماي من هذه المداحض .

أي المزالق أي لو انتظم لي الأمر، واستقام لبدلت أحكاما حكم بها من كان قبلي، وأحداثا أحدثوها لا على وفق ما ارتضيتها.

قوله عليه السلام: «مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ».

يعني اللوح المحفوظ الذي يذكر بالكتابة عليه، ما يكون حكمة وصوابا، وهو ذو ذكر محكم، متقن، فحذف المضاف، وقوله تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم»^(١) اتفق أكثر المفسرين على أن المراد به اللوح المحفوظ، وفي تفسير الثعلبي اللوح المحفوظ معلق من العرش، وهو من درة بيضاء. يعني ما كتب الله لعبد، وقد رله في اللوح المحفوظ^(٢).

لا ينافي هذا ما روي من أن صلة الرحم تزيد في العمر، وغير ذلك من الأخبار الواردة في تزايد الرزق والعمر، واندفاع المكاره عند بعض القربات، وحلول البلايا عند بعض المحظورات، لأن^(٣) ما ثبته على اللوح المحفوظ علام الغيوب، قسمان: مطلق ومشروط.

فما كان على الاطلاق فهو حتم لا تغير ولا تبدل وما كان مشروطا نحو أن يثبت فيه، أن فلانا إن وصل رحمه، فانه يعيش ضعف ما يعيش إن قطعه، فانه يقع حسب ما أثبتته تعالى، لما علم فيه من الصلاح وفي الأخبار به من اللطف، وقد قال تعالى: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^(٤).

قوله عليه السلام: «رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالثُّغْمَى».

١- آل عمران: ٥٨.

٢- في ض هنا زيادة وهي: فان ضعف العبد وقلت حيلته لا يمنعه عن ذلك وطلبه وحيلته لا يزيده على ما قدر في اللوح المحفوظ ولا ينافي الخ.

٣- في ض: لأن ما تثبته على اللوح المحفوظ.

٤- الرعد: ٣٩.

في كتاب الغريبين : الاستدراج الأخذ على عسرة ، وسنستدرجهم أي
نمهلهم ، ثم نأخذهم ، كما يرقى الراقي الدرجة فيتدرج قليلا .
« رَبِّ مُبْتَلَىٰ مَضْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلَوَىٰ » .

أي صنع ذلك البلاء به ، وفعل لأجله ولاستعقابه ، نفعا عظيما له فهو له
لا عليه ، أي ربما يكون نعمة المرء سببا لارتكابه المعاصي بواسطتها ، فيكون
نعمته وبالا عليه ، وربما يكون البلاء سببا لوصول النعماء إليه لا استقباله إياه
بالصبر والشكر وكثيرا ما ينتهي العبد عن المعاصي بسبب شدة الفقر ومن
العصمة أن لا يقدر^(١) .

« لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا » .

أي لا تتركوا العمل بما تعلمون : فتكونوا في عدم الانتفاع بالعلم بمنزلة
الجاهل .

مورد : روي بضم الميم وفتححه .

شرق بالماء : غص به ، وتنافس في كذا : رغب فيه .

قوله عليه السلام : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون
علانيتي : أي المضيئة الباصرة من العيون استعار عليه من الرياء وحب الثناء
والناس أخياف^(٢) ، فبعضهم يبتهج بالمدح ، ويغتم بالذم ، وتحبب
وتكافىء^(٣) وهو من أشرار الناس ، وبعضهم يفرح بالمدح ويغتم بالذم ولكن
لا يظهر الاغتمام ولكنه في قلبه يحب مادحه . ويبغض غائبه وهذا درجة
الصلحاء والأخيار ، وبعضهم لا يفرح بالمدح ولا يغتم بالذم ، ولا يحزن به ،
ولا يلتفت إلى المادح .

١ - في ش : ومن المعصية ان لا يقدر .

٢ - الاخياف : المختلفون يقال : هم اخوة اخياف : اي امهم واحدة والاباء شتى .

٣ - تكافأ القوم : تساوا .

لأن قلبه مشغول بالله غير ملتفت إلى مدح الناس وذمهم وهذه درجة العباد والزهاد، وبعضهم يبغض المادح ويحب العاتب (لأنه يستفيد من العاتب فوائد منها: أنه يسمع منه عيبه فينفر من عيبه ويجتهد في إصلاح نفسه .

منها أن العاتب^(١) أهدى إلى من عابه من حسناته ودعاه إلى ما فيه صلاح نفسه، ولا ينقطع علائق الدنيا عن قلب من يغير بالمدح، ومن عمل طاعة ليمدحه الناس على طاعته فانه متقرب إلى الناس لا إلى الله وهذا باب من أبواب الشرك لذلك قال أميرالمؤمنين .

تقربا إلى عبادك وتباعدا من مرضاتك .

قوله عليه السلام: «فِي عُجْرٍ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ» .

أي بقايا ليلة سوداء، وتكشر: أي تبسم، وابتسام الليل عن النهار كابتسام الشفة عن الثنايا .

إذا أضرت النوافل بالفرائض فافرضوها: أي إذا كان للاكثار من النوافل مما يكل المرء ويمله أو يضعفه حتى إذا انتهى إلى الفرض يخل ببعض شرائطه، فينبغي أن يقصر من النوافل، لتمكنه من الاتيان^(٣) بالفرض كاملاً، ويتدرج أن يشرع في الطوال من النوافل بحيث يفوت وقت الفرض، ونظائر ذلك، وقيل الامتناع من الرياء فرض فاذا كان تكثير النوافل يؤدي إلى الرياء يجب الامتناع منه .

قال فضيل بن عياض^(٤): كان الناس في الزمن الماضي لا يراؤن بما

١ - بين الهلالين ساقط في ض .

٢ - الكل بالفتح : الثقل من كل ما يتكلف .

٣ - في ض : ليتمكنه الاتيان بالفرض .

٤ - فضيل بن عياض أبو علي الأبيوردي الخراساني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، سكن مكة روى عن

يعملون من الطاعات ، والآن يراؤن بما لا يعملون ، وفي الأثر إن الله تعالى إذا صلى عبد من عباده رياء ، أو عمل طاعة رياء ، يقول للملائكة : انظروا إلى عبدي الذي يستهزئ بي ، واعلم أنّ النوافل وضعت تلافياً للخلل الواقع في الفرائض وجبراً لانكسارها ، فما دام الجبر سبباً للكسر فالأولى أن لا يكون .
قوله عليه السلام : «ليس الرؤية كالمعاينة مع الأبصار» .

عنى بالرؤية العلم ، أي لا يوجب لادراك العلم ، لا محالة إنما الذي يوجبه هو التفكير وأراد به العلم الاستدلالي ، دون المشاهد ، فكأنه قال : ليس العالم من أدرك المحسوس إنما العالم من علم ليس بمحسوس .
فقد تكذب العيون أهلها : يعني الغلط في المناظر ، فقد يرى الشيء من بعيد أصغر ومن قريب أعظم ، ويرى الكواكب في الأفق أعظم وفي وسط السماء اصغر ، وجرم الكوكب لا يزيد ولا ينقص في فلكه ، ويرى ساكن السفينة متحرّكاً والسفينة ساكنة ، ويرى الخشب والحديد في الماء معوجاً وهو مستقيم ولذلك نظائر .

ولا يغش العقل من استنصحه : عنى به البرهان العقلي .

جاهلكم مزداد مسوّف : أي مزداد من المعصية مسوّف للتوبة .

«قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّينَ» .

يعني أنّ العالم أقطع عذراً في التقصير ، وإن كان الجاهل غير معذور .

قوله عليه السلام : «مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ ظَلَمْتَنِي إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ

→

أبي عبد الله عليه السلام ، وكان في ابتداء امره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد ونسا وكان سبب توبته انه عشق جارية فبينما يرتقى الجدران اليها سمع تاليا يتلو :

الم بأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، فقال يارب قد آن فرجع ، وصار من كبار السادات وحكي ان الرشيد قال له يوما : ما ازهدك قال له الفضيل أنت ازهد مني قال : وكيف ذلك قال : لاني ازهد في الدنيا وانت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية له أخبار وقصص مات سنة ١٨٧ .

الدَّهْرُ يَوْمٌ سَوْءٌ» .

أي منح الدنيا تستعقب المحن وسراها لا يفارق الضراء، وخبأ: أي ستر ولم يزد ذلك في سبيل الله .

قوله عليه السلام: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ» .

قال الامام الوبري: معنى القدر هاهنا: ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى فانه لا طريق لنا إليه، ولا إلى مقدراته، وقال غيره: القدر ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وما دللنا على تفصيله ولي لنا أن نتكلفه ويقال: اللوح المحفوظ القدر، والكتاب القدر، كأن كل شيء قدره كتبه^(١)، وسئل ابن عباس عن القدر، فقال: هو تقدير الأشياء كلها أول مرة ثم قضائها وفصلها .

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: الناس في القدر على ثلاث منازل، من جعل للعباد في الأمر مشية، فقد ضاقت الله ومن أضاف إلى الله تعالى شيئاً هو منزّه عنه، فقد افتري على الله كذباً، ورجل قال: إن رحمت بفضيل الله، وإن عذبت، فعذل الله فذاك الذي سلم له دينه وديناه جميعاً .

قوله عليه السلام: «إِذَا أُرْذِلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ» .

هذا دليل على أن الجهالة في الرذالة ولا شرف لمن لا علم له .

قوله عليه السلام: «كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ» .

وجدت على حاشية بعض النسخ أنه أراد عثمان بن مظعون^(٢) وفي

١ - في ش: كان كل شيء بقدره الله .

٢ - عثمان بن مظعون القرشي الجمحي يكنى أبا السائب، أسلم أول الإسلام: وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب مع جماعة من المسلمين، فبلغهم أن قريشا قد أسلمت فعادوا ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرًا وكان من أشد الناس اجتهادًا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل ويتجنب الشهوات، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين توفي سنة اثنين من الهجرة .

المعارج عنى به أبا ذر الغفاري .

ج- هذا الفصل في أدب ابن^(١) المقفع منسوب إلى الحسن بن علي عليه السلام .

بَدَّ القائلين : غليهم وفاقهم .

ونقع غليل السائلين : سكن حرارة قلوبهم ، وأزال الريب من صدورهم ، بزلال علمه الذي يجدي ثلج^(٢) الصدر .

«كَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا» .

أي كان ذليلاً عند نفسه متواضعاً لم يشن^(٣) كبرياء ونخوة أو كان مختل الحال كثير العيال ، قال ابن السكيت : الضعف كثرة العيال .

فإن جاء الجد : أي الأمر الذي ينبغي فيه أن يجدد ويشمر عن ساق الجهد ، لمحاربة الأقران ، ومنازلة الشجعان ، فهو على قوة الأسد وهيئة الأفعى ووصف الليث بالغادى لأنه إذا غدا كان جائعاً فصولته أشد ، وروي عاد من العدوان أي بالغ في الظلم .

والصل : الحية التي لا ينفع فيها الرقية^(٤) والحية إذا اضيفت إلى الوادي كان أحبث وأشد تأثيراً شبهه بهما لكونه غالباً على العدو مرة باللسان وأخرى باللسان .

«لَا يُدَلِّي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا» .

١- عبد الله بن المقفع الفارسي المشهور الماهر في صنعة الانشاء والادب ، كان مجوسياً اسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور ، وهو الذي عرب كليلمة ودمنة وصنف الدرّة اليتيمة في طاعة الملوك ، وله خبر مع ابي عبد الله الصادق عليه السلام رواه الصدوق في التوحيد ، وقتل سنة ١٤٣ بأمر المنصور .

٢- ثلج الصدر ارتاحت وأطمأنت والحداء سوق الابل بالغناء ، يعني يكون علمه موجبا لرفع الريب والشكوك واطمئنان القلب وراحة الصدور .

٣- شنأ الرجل : ابغضه مع عداوة وسوء خلق وشيء شيء : اخرجته .

٤- الرقية : العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحصى والصرع وغير ذلك من الافات .

أي لا يحتج ببينة إلا خبث^(١) ينفع، فيكون قاضيا وروي .
«لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَيَّ مَا لَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِيهِ» .

أي لا يلومه وإن لم يعلم عذرا لأنه يجوز أن يكون له عذر، وهو لا يعلمه .

بدهه : فجئه نظر أيهما أقرب : مبتدأ وخبره ومحل نصب بنظر .

قوله عليه السلام : «لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَيَّ مَعْصِيَتِي لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُغْضَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ» .

(قال الامام الوبري : معناه أن النعم توجب الشكر، وتعظم المعصية سواء كان منها عقاب أو لافان حق النعمة وحكمها مراعاة الشكر وتعظيم حق موليا سواء أعقب الشكر في المستأنف^(٢) زيادة أو لا، وإذا كان هذا حكما لازما فمن حقه أن يتبع النعم ولا يضاع .

فلذلك يجب علينا شكر المنعم، وتعظيمه حقا لسالف إحسانه وإن أمنا الضرر من جهته عند التقصير وآيسنا من إفضاله في المستقبل، كذلك في حق الله تعالى إلا أن المشقة (في الشكر توجب الثواب في المستقبل، ولولا المشقة^(٣)) لكان حكمه ما ذكرنا وقيل لو لم يتناول الدواء لأجل زوال المرض لوجب أن تناول لحفظ الصحة .

قوله عليه السلام : «فِي التَّعْزِيَةِ آسَتْحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحْمُ» .

قال قوم : الانسان يبقى بنوعه يعنى يبقى نوع الانسان بالتوالد والتناسل، وما قدر الله تعالى الانسان واحد بقاء من ابتداء الدنيا الى

١ - الخبث هنا بمعنى الخصال الرذيلة والافعال المذمومة يعنى ليس له حجة لا افعاله الحسنة وفي ض : حيث ينفع .

٢ - في ض هنا حذف واسقاط .

٣ - بين الهلالين ساقط في ش .

انتهائها ، فالوالد يتصور بقاءه ، من بقاء ولده وبقائه محبوب ، فبقاء ولده الذي هو بقاءه ، من طريق بقاء النوع أيضا محبوب ، فالوالد يجزع على ولده اكثر مما يجزع على غيره لأنه يجزع فوات بقاء شخصه لأنه فناء جزء منه لأن بقاء الولد يبقى نوع الانسان .

أو صبرت جرى عليك القدر: وأنت مأجور الصبر، ثبات باعث الدين ، عند مقابلة باعث الشهوة ، وثواب الصبر يبقى ما لا نهاية له ، والجزع لا تمد أوقاته وتبقى تبعاته .

والأزر: الأثم والثقل ، واصل مأزور موزور ، فهمز للازدواج بينه وبين مأجور: كما في الحديث النبوي ، ارجعن مأزورات غير مأجورات .

قوله عليه السلام : «سَرَّكَ : يعني ولدك حين ولد سرك» .

وهو بلاء وفتنة : كما قال تعالى : إنما أموالكم وأولادكم فتنة^(١) .

وحزنك : حين مات وهو ثواب ورحمة : في قوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب^(٢) .

وأنه قبلك وبعذك لجلل : أي صغير هين قال امرؤ القيس لما قتل أبوه : ألا كل شيء سواه جلل ، والجلل يقال للأمر العظيم أيضا . وهو من الأضداد ومن أبيات أنوار العقول في مرثيته للنبي :

إنني أجل ثرى حللت به * عن أن أرى بسواه مكتنبا
ومن أبيات الحماسة :

لقد جرّ نفعاً فقد نالك إننا * أمنا على كل الرزيا من الجزع
قوله عليه السلام : «لَا تَضْحَبِ الْمَائِقَ» .

الموق حمق في غبارة والأحمق : لا يتصور نقصانه ، بل يتخيل نفسه

١ - التغابن : ١٥ .

٢ - الزمر : ١٠ .

كاملة ، ويودّ أن يكون مثله ، وقال بعض الحكماء : الأحمق يتخيل مضار في صور منافعه ، وعلى هذا يكون جماهير الناس حمقى ، لأنهم يتخيلون الدنيا ، وزخارفها وهي مضارهم في صورة منافعهم .

قوله عليه السلام : «سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب» .

ع- قد مسح المهندسون الأرض فقद्रوها أربعة وعشرين ألف ميل ، وقدروا قطرها سبعة آلاف وستمئة وستين ميلا ، وقالوا : عظم الشمس مثل جميع الأرض مائة وستة وستون مرة ، وربع وثمان ، وقطرها اثنان وأربعون ألف ميل ، وبعدها من الأرض أربعة آلاف ألف وعشرة آلاف ميل ونصف . أما سيرها فانها يقطع الفلك في ثلاثمائة يوم ، وخمسة وستين يوما وربع يوم ، وليلة الردف من يركب خلف الراكب في كل شيء تبع شيئا فهو ردفه . رسولك ترجمان عقلك : أي إذا أرسلت إلى غيرك رسولا فليكن كيسا فطنا فانه دلالة على كمال عقلك .

قوله عليه السلام : «أَلْمِشْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ» .

يعني أن الفقير رسول من الله ، وأرسله إليك ليأخذ منك ما استقرضه هو ، لأنَّ الله تعالى أمر باعطائه على سبيل الاستقراض جلّ وعلا حيث قال : وأقرضوا الله قرضا حسنا^(١) ، وأضاف الأخذ إلى نفسه حيث قال : «يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات^(٢)» ، ومنع الرسول ومنع المرسل ، واستقرضه تعالى من عبده ما ملكه لعبد آخر مع غناه عن الكل وقدرته على ما لا نهاية له غاية في الألفاظ للمعطي ليردّ أضعاف ذلك عليه أحوج ما يكون إليه ، وفي الخبر هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه .

١- المزمل : ٢٠ .

٢- التوبة : ١٠٤ .

«مَا زَنَى غَيْرُ قَطُّ» .

لأنه لا يرضى لغيره ما لا يرضى لنفسه .

«يَتَأَمُّ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكُلِ ، وَلَا يَتَأَمُّ عَلَى الْحَرَبِ» .

أي سلب المال ، وهذا إشارة إلى شدة شغف الناس بالمال وولوعهم بجمعه وحراسته ، وتفضيلهم إياه على الأولاد والأعزة والأقارب وقيل إن الرجل إذا قتل فقد قتل واحد ، وإذا سلب ماله فقد قتل عياله وأهله ، قاله تعالى : «والفتنة أشد من القتل^(١)» .

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لطلحة والزبير: يوما إنكما لتحاربان عليا وأنتما ظالمان وكان أنس حاضرا فلما كان يوم الجمل قال عليه السلام لأنس ذكر طلحة والزبير ما سمعت رسول الله يقول لهما في حقي وفي حربهما لي فمنعه أنس عن ذلك وهو قوله .

فلوى عنه : أي أميل وصرف عنه ، وقال : أنا ناسٍ لذلك ، فدعا عليه السلام عليه بالبرص ففعل .

وقوله بيضاء : تفسير للضمير في بها وانتصابه بفعل مضمر أي أعني بيضاء .

«إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالَ وَادْبَارًا» .

أي انبساطا ونشاطا إلى الطاعات ، وانقباضا وإعراضا عنها ، فينبغي أن يزداد من النوافل عند انبساطها ، ويقتصر على الفرض عند انقباضها ، ولا يكدر ولا يجهد حدًا فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

قوله عليه السلام : «نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ» .

عنى به الأمور الماضية وأخبارها .

ونخبر ما بعدكم : يعني أمور الآخرة .

وحكم ما بينكم : من الشرعيات .

قوله عليه السلام : «رُدُّوا آلَ حَجْرٍ مِنْ حَيْثُ جَاءَ» .

كقوله تعالى : «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ^(١)» ، وكقول

الحماسي :

«وداؤوا بالجنونِ مِنَ الجنونِ» .

وهذا في الشرع يحسن بشرط ترك الاعتداء ، والمجازاة على السواء وهو

مثله ، والمراد انتقم ممن ظلمك اقتداء بقول الله تعالى : «فَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ

ظَلَمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ» .

ألق دواتك : أي أصلح مدادها ، والجلفة : سنان القلم كأنه من جلف

أي قشر لأنه يبزي .

والقرمطة في الخط مقاربة السطور وفي المشي مقاربة الخط وقرمط بين

الحروف ضم بعضها إلى بعض .

وصباحة الخط : حسنة مستعارة من صباحة الوجه .

«أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ» .

أي أميرهم ومقتداهم ، أتقدمهم في أمور الدين كما يتقدم اليعسوب

النحل ، وأمهم بالخير والصلاح ، وأنهاهم عن الشر والفساد ، فلا يصدر مني

ومنهم إلا الآثار المرضية كالنحل لا يأكل إلا طيبا ولا يضع إلا طيبا وأؤدب

جناتهم بحيث يردعهم من معاودة القبائح ، كاليعسوب يخرج من مأواه ما وقع

على نجاسة من النحل ويضربه وربما يقتله .

قوله عليه السلام : «إِنَّمَا آخَتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ» .

أي اختلفنا فيما صدر عنه أي في تفسير كلماته ولم نختلف في نبوته ورسالته ، وقيل أراد اختلفنا فيمن يقوم بحفظ أمره وما اختلفنا في أمره وصحة ذلك قوله عليه السلام .

أعاني على نفسه : أي قصر في حقه فكان عوناً لي على نفسه ، فغلبته وقيل : يعني تصوّر في نفسه وتوهم أنه مغلوب وإن كان أمير المؤمنين غالب وذلك لما علم من شدة مجاهدتي وقلة إبقائي على أعداء الدين وما خصني الله به من إمداد التأييد وموادّ النصر والتسيد .

مدهشة : أي مدعاة إلى الدهش وهو الحيرة ، فان قيل : كيف أمر بالاستعاذة من الفقر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً وأحشرنى في زمرة المساكين ، قلنا : المسكين من له كفاف وبلغة^(١) فلا يحتاج إلى المخلوقين في الأغلب ولا ينظر إليه بعين الازدراء ، والفقر من لا شيء له واشتدت فاقته ، ولذلك ورد في الخبر كاد الفقر أن يكون كفراً .

سأله عن معضلة : أي عن مسألة ، سل تفقها لا تعنتا : أي سل للتعلم لا لطلب الزلة^(٢) ، والعنت : الاثم أي لا لتكلف ما يوقع في الاثم .

قوله عليه السلام : «وقد أشار عليه السلام في شيء لم يوافق رأيه» .

ع — أشار عليه عبد الله بن العباس حين انصرف من مكة حاجاً وكان أمير الموسم^(٣) من جهة عثمان بن عفان ، فلما انصرف بايع الناس علياً عليه السلام ، فبايعه عبد الله بن العباس وقال لأmir المؤمنين هذا أمر قد وقع وأنا لا آمن غوائل^(٤) الناس ، فاكتب لابن طلحة كتاب ولاية البصرة ، ولابن الزبير

١ — البلغة : ما يكفي من العيش .

٣ — يعني موسم الحج .

٢ — الزلة : الخطأ والذنب ، وزل يزل مزلّة : اذا زلق وسقط . ٤ — الغوائل : المهالك ، الشر والفساد والفتنة .

ولاية الكوفة وأكرمهما وطيب قلب طلحة والزبير.

كذلك واكتب إلى معاوية واذكر القرابة والصلة، وفوض إليه ولاية الشام حتى يبايعك، وجرى على سنتك، وطاعة الله فاتركه على حاله وإن خالفك فادعه إلى المدينة واجعل بدله آخر حتى يسكن الدهماء^(١) ولا يموج بحار الفتنة فقال أمير المؤمنين: معاذ الله أن أفسد ديني بدنيا غيري ولك يا بن عباس أن تشير عليّ إلى آخره.

قوله عليه السلام: «مرّ بالشّاميين».

الشّام حيّ من العرب بكسر الشين ويخط الرضي، بفتحها والشّام كبة تعرض في فم الجدي لثلا يرتضع وروي حارث بن شرحبيل^(٢) قوله عليه السلام.

«فَإِنَّ مَشِيَّ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي».

عنى به خدمة الرعية للوالي وذلك احتراز عن حب الجاه باستخدام الغير.

بؤسا لكم: أي شدة وانتصابه بفعل مضمّر أي قدر الله لكم، ذلك وقضى

والزم.

فسحت: وسعت، والاظهار: التغليب.

فاقتحمت بهم النار: ادخلتهموها.

قوله عليه السلام: «في محمد بن أبي بكر^(٣) إِنَّ حُزْنَنا عَلَیْهِ».

١- الدهم: العدد الكثير والفتنة المظلمة.

٢- لم نجد له ذكرا في كتب الرجال.

٣- محمد بن أبي بكر جليل القدر عظيم المنزلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من خواصه ولد في حجة الوداع واهمه اسماء بنت عميس، قدم مصر أميراً عليها من قبل علي بن أبي طالب وجمع له صلاتها وخراجها فدخل في رمضان سنة ٣٧.

أي على قتله قدر سرورهم به أي بقتله ، إلا أنهم : إلا هاهنا بمعنى لكن أو سوى ، ومحمد هذا كان ربيب أمير المؤمنين ، وقد تزوج أمير المؤمنين بأمه ومحمد طفل فرباه أمير المؤمنين .

قوله : «الْعُمْرُ الَّذِي أُعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً» .

وذلك لأن صاحب الستين ، قد جاوز عقبه الصبي والشباب ، والكهولة ، وهو في سن الشيخوخة ، وما بعد ذلك الأردل العمر .

«مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ» : لأنه مغلوب نفسه وهواه الذي هو أعدى

عدوه ، وكيف يكون ظافرا من هو في يد أعدى عداته أسير ، ومن استولى عليه الهوى لا يظفر بأحد لأن من لا يظفر بنفسه كيف يظفر بغيره ، ولو ظفر صورة لكان ظفره في الحقيقة هزيمة ، ثم إن ظفره بالاثم إذا كان يؤديه إلى ضرر عظيم فإنه لا يكون ظفرا بل ضرر .

السلطان وزعة الله : أراد بالسلطان الجنس ، وقيل : هو كالمصدر والمراد

به هاهنا الجمع .

يشأ السمعة : أي يبغض أن يسمع بما عمله الله تعالى .

ضنين بخلته : أي بخيل باظهار فقره وفاقته ، وروي بخلته بضم الخاء أي

صداقته أي لا يضيع حقها .

والعريكة : الطبيعة ، وفلان لين العريكة إذا كان سلسا .

وأصلب من الصلد : أي أشد من الحجر الصلب .

قوله عليه السلام : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : «مَظْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ

الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَظْبُوعُ» .

→

قال ابن عبد البر : كان علي يشي عليه ويفضله لأنه كانت له عبادة واجتهاد وكان على رجاله يوم صفين

قتله معاوية بن خديج ؛ قال ابن حبان : قيل : ان عمرو ابن العاص قتل بعد ان اسره ؛ وله اخبار وروايات مع

أمير المؤمنين عليه السلام .

لأن من لا قوة لخاطره، ولا تصرف لذهنه، ما نفعه ما سمع من العلوم، والحفظ لائق بالصبيان لأن^(١) أذهانهم، وخواطرهم ناقصة، وإنما الاعتبار بالأذهان والخواطر للكاملين.

وقيل مطبوع ومسموع: أي عقلي وشرعي، ولا ينفع العلم بالشرعيات، إذا لم يكن العلم بالأصول من التوحيد، والعدل، وقيل: هما العلم الضروري الذي يحصل ببداية العقول، والعلم الضروري الذي يكون بالاختيار والسرائر مبلوطة: أي مختبرة. مدخولون: ذو دخل وعيب. منقوصون: ذو نقیصة.

ومجيبهم متكلف: أي يأتي في الجواب بكلام غير صادق^(٢) عن إيقان وإتقان لقلّة بضاعته في العلم أو يجتهد في الاتيان بما ينكر^(٣) به الخصم أو يرضى به سواء كان حقا أو باطلا.

وتنكأه: تقشره^(٤) وتدميه، يستحيله: أي يحيله كاستجاب بمعنى أجاب.

بوزره: أي نهض بثقله وباء: لا يستعمل إلا في الشر.

والأسف: أشد الحزن وأسف عليه غضب.

واللاهف: المتحسر، وأكثر ما يقال هو أسف والآسف اشباع لازدواج

لاهف أو لغة.

«مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ».

١ - في ض: الذين اذهانهم.

٢ - في ض: غير صادق عن إيقان.

٣ - في ض: بما يندفع بي الخصم.

٤ - القاشرة: التي تعالج وجهها او وجه غيرها بالغمرة ليصفولونها.

أي من قاسى شدائد الأمور هلك .

قوله عليه السلام : «وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ» .

لأنه لا يقدر على أن يضبط الكثير، وهو على صيانة القليل من الخطأ أقدر، كالراعي فانه على حراسة القليل من الأغنام ورعايتها أقدر وإن كثرت ربما عاثت^(١) فيها الذئب وتخطفتها، ورعت في غير حد الراعي وقال بعض الحكماء: كلام قليل مصون عن الخطأ خير من كثير مشوب بالخطأ كما أن الذهب القليل المصون، من الغش، أنفع من الكثير المغشوش، ومن الأمثال من أكثر أهجر، والمكثار^(٢) كحاطب .

قوله عليه السلام : «لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ» .

إنما نهى عليه السلام عن ذلك لأنه كان من تهاني الجاهلية .
وبلغ أشده : أي عاش طويلا وقيل الاشد إلى أربعين سنة .
وبناء فخم : أي عظيم .

«أظَلَعَتِ الْوَرِقُ رُؤُوسَهَا» .

استعارة مليحة عن اظهار الغنى .

ذات يده : أي حاله من الغنى ، والفقير .

والاستدراج : الأخذ على الغرة^(٣) .

المعرج على الدنيا : العاطف عليها المائل إليها .

لا يروعه : لا يخوفه .

صريف الأنياب : صوت الأسنان ، وذلك استعارة لصعوبة نواذب الدهر

١ - عاث يعيث : اذا بذره وفسده واصل العيث : الفساد .

٢ - المكثار : كثير الكلام وهو الذي يتكلم بما لا يعني ، والحاطب : الذي يخلط في كلامه لأن حاطب الليل لا يبصر ما يجمع في حبله فيخلط بين الجيد والردى ، وفي ض : كحاطب الليل .

٣ - في ض : الاخذ على القدرة .

من صريف ناب البعير الهايج .

قوله عليه السلام : «عرضت آية عاداتها» :

والرواية الصحيحة ضراوة ، وضرى بالشيء : تعوذ .

قوله عليه السلام : «إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَأَبْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» .

قيل : مثاله سؤال الرعية عن الأمير بواسطة الوزير والنبي صلى الله عليه وآله يشفع إذا صلى المصلي عليه في قضاء حاجته .

الخرق : البله والحمق ، وفي الأصل ضد الرفق .

والأناة : السكون .

«الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا آرْتَحَلَ عَنْهُ» .

يعني إذا علم الانسان أن له في الأمر الفلاني نفعاً ، وصلاحاً إذا فعله ولم يفعله (قط) فإنه لا نفع له في ذلك ، ويكون علمه وجهله في فقد الانتفاع سواء ، وكذلك من علم صنعة ، ولم يأت بها قط فإنه ينسى تفاصيل ذلك بمرور السنين والأعوام ، حتى إنه ربما يصير بحيث لا يمكنه فعلها بعد ، خصوصاً في الأعمال الدقيقة .

«مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِيءٌ» .

الحطام : ما تكسر من اليبس ، شبه مال الدنيا بحقارته ، والموبىء : الذي يأتي بالوباء وهو مرض عام .

«قُلْعَتُهَا أَخْظَى مِنْ ظَمَائِيَّتِهَا» .

أي الارتحال عنها أهدى^(١) وأنفع من السكون فيها .

وبلغتها أزكى من ثروتها : أي ما يتبلغ به ، ويكتفى منها انمى وأظهر

١ — الهدى : راحة الصدور واطمئنان القلب ، وفي ض : اجدى وانفع .

من كثرة مالها .

واستشعر الشغف بها : أي جعل الولوع بالدنيا ، والحرص عليها شعاره وأضمر ذلك .

قوله عليه السلام : «أَشْجَانًا، لَهْنٌ زَفْصٌ عَلَيَّ سُوءِدَاءٍ قَلْبِيهِ» .

من غرائب البلاغة ، وسويداء القلب حبته .

والكظم : مجرى النفس .

والأبهران : عرقان متصلان بالقلب .

إن قيل أثرى ، قيل أكدى : أي لا تصفوا له الدنيا بل يختلط همه

بسروره ، وغناه بفقره .

يلسون : يقنطون ، زيادة لعباده : أي ذويا^(١) وذبالهم .

وحياشه لهم : أي جمعا وسوقا .

السهمة : النصيب ، وخفض الدعة : مثل كرى النوم .

قوله عليه السلام : «وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ» .

قيل لشيخ كان يتعلم على الكبر : أما تستحي أن تتعلم على الكبر فقال

أنا لا أستحي من الجهل على الكبر ، فكيف أستحي من العلم على الكبر .

«وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ» .

أي أنار وأضاء ، أو أخرج النور مجازا .

قوله عليه السلام : «فَقَدْ سَلِمَ وَتَرَىءَ» .

أي من المؤاخذة في العاجل والآجل .

ولن يسبقك إلى رزقك طالب .

ج — أي لن يأخذ رزقك وإن اجتهد فيه غالب على وجه الحلال

وبالاستحقاق ، وإنما يمكنه أن يأخذ على وجه الغضب والظلم .

قوله عليه السلام : «وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِيهِ ، قَامَتْ بِوَأَكِيهِ فِي آخِرِهِ»
من أشعار أنوار العقول له عليه السلام .

رب معافى شكا بعلته * ومشتك ما ينام في سهره
وآمن في عشاء ليلته * دب إليه البلاء في صحره
الكلام في وثاقك : بخط الرضي بكسر الواو وهو لغة ، والوثاق الحبل .
يرم معاشه : يصلحه .

«رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلِ» .

أنفذ بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو أنفذ ، وبالفتح مجرور الموضع
نعت لقول ، وفتح لامتناع الصرف ، ويروى أشد والمعنى ربّ قول يقوله
الانسان ، ويكون ضرره لديه أشد من حملة عدو يصول عليه ، أو ربّ قول
يسمعه من غيره ، من قذف أو هجر ، يكون أشد عليه من صولة عدو يصول
عليه ، فيكون في المعنى ضرر القول عابدا إلى القائل ، وفي الثاني إلى
المفعول له وكلا المعنيين ذكرهما ابن آدم الهروي وهذا كلام يتمثل به .
المنية ، ولا الدنية : أي احتمل الموت واختره ، ولا يحتمل ما
يشينك ^(١) ويسمك بسمة الخساسة .

والتقلل ولا التوسل : أي الزم القليل من الرزق ، واختره واقنع به ولا
يتوسل إلى الأغنياء لتنال بما عندهم ببذل عرضك ومن أشعار أنوار العقول له
عليه السلام .

واستر غناك وكن لفقرك صائنا * يضمني حشاك وأنت لا تبديه
فالحر يبخل جسمه اعدامه * وكأنه من نفسه يخفيه

١ - الشين : العيب والخسيس : الدنية والردل ، وفي ض : ويسمك بسمة الخشاشة .

«مَنْ لَمْ يُعْظَ قَاعِدًا لَمْ يُعْظَ قَائِمًا» .

أي من لم يرزق بالطلب السهل فلا ينفعه التشدد حت على الاجمال في الطلب وترك الاقبال عليه بكل الوجوه .

الغائلة : الحقد .

من أوماً إلى متفاوت خذلته الحيل : أي أن الفايث لا يستدرك ، وأراد من دبر في إصلاح أمر مختلف (لا يساعده التدابير أو أراد أن المختلف^(١)) فيه لا يمكن الاستدلال به ، والبناء عليه .

وأما كلمة التمجيد : فقد فسرهما الصادق عليه السلام على وجه آخر فقال : لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات إلا بالله .

قوله عليه السلام : «الْقَلْبُ مُضَحَفٌ الْبَصِيرِ» .

إشارة إلى القوة الحافظة التي للانسان وكون البصر جاسوسا يؤدي إليها ما يراه ليتنزح العقل من المبصرات والمحسوسات ، ما يجردها عن المواد وعلائق المواد ويصيرها ملائمه له .

قوله عليه السلام : «لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَيَّ مَنِ أَنْطَقَكَ» .

ذرب اللسان حدثه ، أي لا تتفصح عند من علمك الفصاحة ولا تكن كمعلمة امها البضاع ، وكمن قيل في حقه .

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني والأعمار ، الغافلون .

قوله عليه السلام : «لَلْأَشْعَثِ إِنْ صَبَرْتَ صَبْرًا آكَارِمًا» .

نظمه بعض الشعراء فقال :

وقال علي في التعازي لأشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة • فتوجر أم تسلو سلوا البهائم
 وقيل إن البيت الأخير لأمير المؤمنين عليه السلام وبعده :
 خلقنا رجالا للتجلد والأسى • وتلك الغواني للبكا والمآثم
 قوله عليه السلام : «بَيْنَا هُمْ حَلَّتْ إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ» .

بين يلحقه ألف الاشباع إذا إضيف الى الجمل ، حلوا جملة من مبتدأ
 وخبره مجرورة المحلّ بالاضافة ، وإذا مرفوع المحلّ بالابتداء ، وبين خبر له
 مقدم ، والتقدير وقت صباح سائقهم بين أوقات حلولهم ، والخبر في الحقيقة
 هو ما يتعلق به بين لأنه ظرف والظرف لا بد له من فعل أو شبهه لأنه مفعول فيه
 والمفعول يقتضي الفعل لا محالة ، والتقدير الحقيقي وقت الصباح ثبت أو
 كان ، أو ثابت ، أو كائن بين أوقات الحلول .

قوله عليه السلام : «إِنِ الْإِسْتِغْفَارَ دَرَجَةٌ الْعَالِيَيْنَ» .

أي منزله أعلى منازل سكان الجنان ، أو منزلة الذين علوا رتبة في
 العبادة والطاعة : على من عداهم ، ولا شك أن من أتى بالشرائط التي
 ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم استغفر ، إن لم يفق الكل وبين منزلة
 فقد شاركهم في منازلهم .

قوله عليه السلام : «تَلَقَى اللهُ أَمْلَسَ» .

أي نقي الصحيفة ، من المظالم ، والأوزار ، والأملس^(١) نقيض الدبر في
 المثل هان على الأملس ما لاقى الدبر وفي المثل أيضا ملسى لا عهدة^(٢) أي
 قد انملس ، من الأمر لا له ولا عليه .

الحلم عشيرة : أي قائم مقامهم في دفع الأذى .

١ — الاملس : اختلاط الظلام في وقت العشاء .

٢ — قال الازهري : يقال في البيع ملسى لا عهدة وقيل الملسى ان يبيع الرجل الشيء ولا يضمن عهده .

«مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ» .

ابن مبتدأ ومسكين خبر مقدم عليه ، وقد يحذف تنوين مسكين تخفيفا ، كما يحذف من قل هل الله أحد ، الله (١) .
والشرقة : الغصة (٢) .

طمح البصر إلى ، الشيء : ارتفع .

والهباب والهبيب (٣) : نيب التيس للسفاد ، وصوته عند هيجانه .

قوله عليه السلام : «فليلا مس امرأته» .

وروي فليلمس ، وذلك لأنه يدفع عن نفسه الشهوة التي هي من دواعي الشيطان ، ومن لم ينكح ، فالغالب عليه أن لا يحفظ نظره عن الحرام ، وقلبه من الوسوسة ، لذلك قال .

إن أبصار هذا الفحول طوامح .

كافرا : حال من الضمير في قاتله ، رويدا ، أي أمهلوا وارفقوا .

إنما هو سبّ بسبّ : أي إنما جزاء هذا الساب عندي ، ومن حيث المصلحة سب بدل سبه أو عفو عن ذنبه .

«كَفَّاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ سَبِيلَ غَيْبِكَ مِنْ رُشْدِكَ» .

إسناد الايضاح إلى العقل من باب إسناد الفعل إلى الآلة ..

فمهما تركتموه منهما : مهما أصله ما ما قلبت الألف الأولى هاء لتحسين اللفظ ، وماء الاولى شرطية والثانية صلة مؤكدة . وقيل : إنَّ مه بمعنى اكفف ، وما شرطية وما مبتدأ والجملة يعده خبره ؛ والضمير في تركتموه عايد إلى ما إما على التقدير الأولى ، فإلى الأولى التي هي مه ، وإما

١- في ض : كما حذف في قل هو الله احد الله الصمد .

٢- غصصت بالماء اغص غصصا : اذا شرقت به او وقف في حلقك فلم تسفه .

٣- النيب : صوت التيس عند السفاد .

على التقدير الثاني فالى الثانية .

قوله عليه السلام : « كَفَا كُفُوهُ أَهْلُهُ » .

إن أراد بالخير: نفع الغير، فالمعنى إن لم تعطوا الفقير حقه، ولم تحسنوا إليه يعطه غيركم : ويحرز الأجر فيه دونكم . أو يغنيه الله من فضله وأن أراد بالخير العموم، فالمعنى إن لم تأتوا بالطاعات، على وجوها فضله عبید لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

كذا في الشر إن لقيت من يستأهل الإساءة إليه فأعرض، وخله والأيام، وشرار الأنام، فإنه يستوفي حقه منهما وإلا فالله من ورائه محيط .

العيد : اليوم الذي يعود فيه الفرح والسرور وأصله الواو قلب الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمع بالياء أيضا للزومها في الواحد وللفرق بينه وبين أعواد الخشب ولكل امة أعياد، (فأعياد النصارى الميلاد، والقلنداس والذبح وعيد السمع، والشبار، ومرجورس وميلاد هوحنا ومرطوما وصوم ماره، مريم، والتجلي وفطر ماره مريم وآخر التجلي، ومقتل يوحنا وعيد الصليب والسباسب والسعانيين .
للنهود أعياد كثيرة أولها زائر وآخرها أوداد^(١)) وللنهود عشية الاجتماع، ويوم الاجتماع أعني اجتماع الشمس والقمر عيد لهم . وينفخ الامام في الشبور^(٢) ويحمدون الله على سلامة ذلك الشهر، وعيد العنصرة يوم واحد في التوراة .

عيد أهل الشام والعنانية يومان، وهو يوم كلم الله بني إسرائيل من طور، ويوم أمر موسى بالصعود إلى الجبل، والمكث فيه كما قال تعالى «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر^(٣)»، وعيد صوماريا، وعيد مطلى .

١ - في بين الهلالين خلط وحذف في ض .

٢ - الشبور معرب شيبور بالباء الفارسي وهو البوق بالعربية، يزمر فيه وينفخ .

٣ - الاعراف : ١٤٢ .

عند المسلمين يوم الفطر ويوم الأضحى ، ويوم الثامن عشر من ذيحجة عند طائفة منهم ، وهو أكبر الأعياد عند هؤلاء .

قوله عليه السلام : «إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً» .

يقال صفقت له بالبيع ، والبيعة صفقة أي ضربت يدي على يده ، وقد ربحت صفقتك للشري ، و صفقة رابحة و صفقة خاسرة وهو هاهنا مستعار ، والمراد أسوء الناس حالا .

ظاهر الدنيا : لذاتها المخدجة^(١) ، وباطنها : ما يندرج تحت تلك اللذات من البلوى والمحن ، ويتعقبها من التبعات والمؤاخذات^(٢) على الاستمرار الاعداء ، ما سالم الناس من الاقبال بكل الوجوه على الدنيا الدنية والاشتغال عما بعد المنية ، والاكتفاء بالجهل من العلم وبالبطالة من العمل وباللذات من الآخرة .

وسلم ما عادى الناس : على عكس ذلك .

بهم علم الكتاب : أي كانوا حملة كتاب الله وحفظته لا حفظة صورته فحسب .

بل حفظة صورته وحقيقته والمعربين عن حقائق تأويله ، ودقائق تفسيره وبه علموا أي بالقرآن عرّف أولياء الله حيث نبه على صفاتهم (ودلّ على نراحتهم ونقاء ذواتهم^(٣)) .

وبهم قام الكتاب : أي صارت أحكام الكتاب بسببهم مأخوذا بها معمولا عليها فظلت أعمدة الدين القيم بهم قائمة وآثاره فيما بين الخلائق ظاهرة دائمة ، وبه قاموا بأوامر الكتاب ونواهيه ، وبنشر جميع ذلك على

١ - خدجت الناقة : اذا القت ولدها قبل اوانه وان كان تام الخلق ، والخداع النقصان .

٢ - في ض : من التبعات والمؤاخذة على الاستمرار .

٣ - بين الهلالين ساقط في ش .

أهاليه لا يرجون إلا رضا الله وثوابه ، ولا يخافون إلا سخطه وعقابه .
«أَخْبِرْ تَقْلِيهِ» .

يقال قلاه يقليه قلبي وقلاء بالفتح ومقلية وقلية يقلاه : أبغضه والهاء
مزيدة للسكت ما من أحد إلا وهو مسخوط الفعل عند الخبرة ، واللفظ لفظ
الأمر ، والمعنى الخبر كقوله تعالى : فليمدد له الرحمن مدا ، أي مدّ الرحمن
امدا وهو كلام يتمثل به في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال العميد أبوبكر القهستاني : لو لا أن لاعتراض على السلف من
الجهالة والسرف ، لقلت القلي ثم الخبر حتى لا يكون مضيعا وقته واضعا في
غير موضعه مقته ، قلت هذا إنما أفاد لو كان للبغضة : قيل : الخبرة وجه لكن
ذلك مما لا يرتضيه العقل والشرع ، وقيل الكريم صديق كل أحد ، إلا من
أذاه والليث عدو كل أحد ، إلا من أعطاه .

«أَلْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرَّجَالِ» .

هي جمع مضمار وقد سبق تفسيره ، وهو موضع التضمير أو وقته وتضمير
الفرس أن تعلقه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت .

«مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَرَائِمِ الْيَوْمِ» .

ما للتعجب يعني من نام فاته الوقت بالنوم فلا يمكنه فعل ما كان عزم
عليه .

خلة رابعة : أي خصلة تروعك بحسنها وهذا قريب من قولهم : أطلبوا
الخير عند حسان الوجوه .

ذدعتها الحقوق : أي فرقتها .

قوله عليه السلام : «مَا مَرَّحَ أَمْرٌ مَرَّحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِيهِ مَجَّةٌ» .

لأن المزاح يذهب بمهابة المرء ، وينظر إلى صاحبه بعين الازدراء ،
والعقل يقضي بصيانة العرض عن المزاح ، فبقدر ما عرض المازح عرضة

للمهانة لمزحه لم ينتفع بعقله ، فكأنَّ القدر المانع منه من العقل ، غير حاصل له ، لفقد أثره ، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : من مزح استخف به ، ومج العقل مجاز مستعار من مج الماء .

«مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ» .

إذا نصبت ، فالواو بمعنى مع كمال قال مالك وزيدا ، وإن جررت فللعطف والنصب هو الوجه .

قوله عليه السلام : «الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ» .

يحتمل أن يريد أن ارزاق العباد إنما قسمها الملائكة المتولون لذلك ، بعد عرضهم ذلك على الله تعالى ، وحكمه بصحة تلك القسمة ، وصلاحها وإن ذلك مما لا يزداد ولا ينقص ، فلا فائدة في جدّ الطلب في اتعابه النفس كما قال عليه السلام : فان الرزق مقسوم ، وكذّ المرء لا ينفع .

يحتمل أن يريد أن الغنى الحقيقي المعتد به ، هو ما يحصل في الآخرة بعد العرض على الله في موقف الحساب ، وكذلك الفقر ، ولا اعتداد بغنى الدنيا وفقرها ، فان الفقير في الدنيا اذا عرض على الله تعالى في الآخرة وفاز برضوان الله ظهر أنه قد كان غنيا برحمة الله ، ورب فقير في صورته وقلبه مشتاق إلى الغنى ، فله ذل الفقراء في الدنيا وعقوبة الأغنياء في الآخرة .

قوله : «إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةِ تُغْرَفِ الْغَايَةِ عِنْدَ قَصَبَتِهَا»

الجلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوب لا تخرج من إصطبل واحد ، والعرب عند المسابقة ينصب قصباً في آخر الميدان ، حتى يأخذه السابق فلا يمكن النزاع في السبق ، أي لم يجز كل واحد منهم فرسه بين الخيول المجموعة للسبق يعني لم يكن كلامهم على طريقة واحدة ، بل لكل منهم أسلوب خاص في النظم والمعنى .

قال صاحب المنهاج : الحلبة : الميدان أي لم يجروا الأفراس في ميدان

واحد وعهدة هذه النقل عليه ، وسمي امرؤ القيس الضليل لأنهما كه (١) في شرب الخمر وإقدامه على أمور النساء وتهتكه ، وقال الحاكم أبو عبد الله (٢) الحافظ في تاريخ نيسابور أنه سمي ضليلا لأنه تنصر في آخر عمره .

ج — سمي ضليلا لأنه ضل عن أمر عظيم وهو ملك أبيه بسبب قبيله (٣) للشعر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله في حق امرؤ القيس هو أشعرهم وقائدهم إلى النار ، وقيل : إن العباس بن عبدالمطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء ، فقال امرؤ القيس سابقهم خسف (٤) لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر ، وقال الفرزدق : كان الشعر جزورا فنحرف فأخذ سنامها امرؤ القيس ، وأخذ طرفه (٥) بأطايب لحمها وأخذ لبيد (٦) بأمعائها وأكباده ، وبقيت عظامها وأورثها فاققسمناها نحن .

قيل : أشعر العرب امرؤ القيس حين ركب والأعشى (٧) حين رغب ،

١ — انهمك في الأمر : جد فيه ولج .

٢ — أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم النيسابوري كان واسع العلم امام الحفاظ والمحدثين جاب البلاد وسمع من جماعة كثيرة يقرب من النبي شيخ وكان اعلام عصره يقدمونه على أنفسهم ، له آثار مشهورة منها المستدرک وتاريخ نيسابور وفضائل فاطمة ومناقب الرضا توفي سنة ٤٠٥ .

٣ — كذا .

٤ — خسف البثر ؛ حفرها في صخر فنبعت بماء لا يتقطع ، وخسف الشيء خرقه فانخرق .

٥ — طرفه بن العبد بن سفيان ، كان في حسب من قومه جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم وكانت اخته عند عبد عمرو وكان سيد أهل زمانه ، وكان احدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا واجودهم ، قتل وهو ابن عشرين سنة وكان ينادم عمرو بن هند قتله الربيع بن حوثة في البحرين .

٦ — لبيد بن ربيعة من مالك العامري يكنى أبا عقيل وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وادرك لبيد الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني كلاب فاسلموا ورجعوا الى بلادهم ، ثم قدم لبيد الكوفة فاقام بها الى ان مات في خلافة معاوية وله ١٥٧ سنة .

٧ — ميمون بن قيس الاعشى وكان أعمى ويكنى ابا بصير وكان جاهليا قديما وادرك الاسلام في آخر عمره ورحل الى النبي صلى الله عليه وآله ليسلم ، فقيل له انه يجرم الخمر والزنا فقال : اتمتع منهما سنة ثم اسلم ، فمات قبل ذلك بقرية باليمامة .

والنايغة^(١) حين رهب، وقيل للبيدين أبي ربيعة من أشعر الناس، فقال الملك الضليل، فقيل: ثم من فقال الفتى القليل، عنى به طرفة فقيل ثم من فقال: أبو عقيل عنى به نفسه.

قوله عليه السلام: «أَلَا حُرِّيدَعُ هَذِهِ اللَّمَازَةُ لِأَهْلِهَا».

اللمازة: ما يبقى في الفم من الطعام، عنى بها زخارف الدنيا فانها شبه اللماظة لا اعتداد بها للعارفين.

«لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

من قوله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

قوله عليه السلام: «أَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ».

أي لا تقول ما لا تعلم، فمن قال: ما علم فقد ساوى قوله علمه ومن قال: ما لا يعلم ففي قوله فضل عن علمه.

«أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ».

إشارة إلى آداب النطق، وترك معائب الناس.

قوله عليه السلام: «رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ».

يعني يتخيل أن مدح الناس في حقه صدق، وأن الكمال الانساني لازم له فصار مفتونا بالثناء والمدح: والمدح إن كان كاذبا فمدحه استهزاء ومن مدحك بما ليس فيك يوشك أن يذمك بما ليس فيك، وإن كان صادقا؛ فمن حق العاقل أن يتهجم بما فيه من الكمال، لا بقول المدح إذ لا اثر لقوله في ذلك، وقد سبق أن حبّ الثناء من المهلكات.

١- زياد بن معاوية النايغة الذي ياتي يكنى أبا امامة، وكان النايغة احسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتا، كان شعره كلاما ليس فيه تكلف ونبغ بالشعر بعد ما احتنك وهلك قبل ان يهتز وأهل الحجاز يفضلون النايغة وزهيرا وقال الاخطل عند عبد الملك والشعبي هو أشعر مني.

«الدُّنْيَا تُخْلِقُ لِغَيْرِهَا» .

أي ليحصل فيها ، ومنها زاد الآخرة .

«لَمْ تُخْلَقْ لِتَنْفْسِهَا» .

أي ليكون نفسها هي المقصودة لمن فيها ، فيقتصرون على جمعها ومنعها ويعزمون على الإقامة فيها ولا يخطرهم السفر الذي خلقوا لأجلها ببال وسميت دنيا لدنوها ودنو من فيها من الزوال والانتقال ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ^(١) .

قوله عليه السلام : «إِنَّ لِبَنِي أُمَّيَّةٍ مِرْوَدًا» .

أي مهلة أو مرادا ومختلفا يعني أنهم ما داموا على الألفة ، واتفاق الكلمة كان لملكهم نظام فاذا وقع الاختلاف فيهم ، غلبهم أضعف الناس وأخسهم قدرا وكنى عن الأراذل بالضباع .

الغلو: الحوار إذا ^(٢) قلى أي نظم الغناء الكفاية .

بأيديهم السياط ، أي الطوال البالغة حد ما يتوقع منها في السخاء والشجاعة .

وألسنتهم السلاط : أي الفصاح .

قوله عليه السلام : «أَلْعَيْنُ وَكَأُ السَّهِ» .

وتمام الحديث فاذا نامت العينان استطلق الوكاء، الوكاء : ما يشد به رأس القربة ، والسه : الاست ، محذوف العين من سته فالنوم الغالب على السمع والبصر ينقض الضوء سواء كان مضطجعا أو قاعدا أو متكيا أو متمكنا على الارض .

جران البعير: مقدم عنقه من مذبحة إلى منحره والضرب بالجران كناية

١ - النحل : ٧٧ .

٢ - الحوار : ولد الناقة قبل ان يفصل عنها وفي الصبي والمهر ، اذا فطمه وعزله عن امه .

عن الثبوت والاستقرار.

زمن عضوض : أي يعرض فيه كقولهم ليله قائم ونهاره صائم ، ولذلك نبه بقوله .

يعرض فيه الموسر على ما في يديه : أي يغلب الامساك على الطباع حتى يصير ما في أيدي الأغنياء للفقراء بمنزلة الشيء المعضوض عليه المأكول في اليأس عنه .
ينهذي ينهض ، ويقوم بالأمر .

والاطراح : المبالغة في المدح حتى يقع في الكذب عنى به من نسبه إلى الالهية والنبوة تعالى الله وانبيائه عما يقول الجاهلون الظالمون علوا كبيرا .
قوله عليه السلام : «التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ» .

أن لا تتصوره في وهمك فان كل ما يقع الوهم عليك ، فالله بخلافه .
والعدل ان لا تتهمه : يعني باسناد القبائح اليه .
والحكم : الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وآله : الصمت حكم وقليل فاعله .

وذلل السحاب : مستعارة من الدابة الذلول وكذا صعابها ، وهي السحاب التي فيها الرعد والبرق والصاعقة ، والذلل بخلافها .
والعسف : ظلم يتعلق بالأبدان كالضرب^(١) .
والحيف : ظلم يتعلق بالمال .

قوله عليه السلام : «مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا» .

قيل إن الأمور المعقولة التي يتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط

بعد الجهل بها إنما يتوصل إليها بالقياس وهذا الحد الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول، فتارة يحصل بالحدس، والحدس فعل الذهن يستنبط بذاته الحد الأوسط، والذكاء قوة الحدس، وتارة يحصل بالتعليم ويتأدى التعليم إلى الحدس، فإن الأشياء ينتهي لا محالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس (١).

ثم ادبها إلى المتعلمين فجاز أن يقع للانسان بنفسه الحدس، وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا مفيد، وهذا يتفاوت بالكم والكيف اما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس للحدود (٢) الوسطى. وأما بالكيف فلأن بعض الناس يكون أسرع زمان حدس، ولأن هذا التفاوت ليس منحصرًا في حد بل يقبل الزيادة والنقصان دائما وينتهي في طرف النقصان إلى من لا حدس له البتة.

فيجب أن ينتهي أيضا في طرف الزيادة إلى من له حدس في أسرع وقت وأقصره، فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفا (٣) إلى أن يستعمل حدسا في كل شيء فيرتسم فيه الصور إما دفعة وإما قريبا من دفعة ارتساما لا تقليديا، فان التقليد يأتي في الأمور التي إنما يعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية، فيجب لمثله أن يعلم غيره ولمن دونه في الرتبة أن يتعلم.

قال الامام الوبري: فريضة العلم ينقسم إلى عقلي وشرعي وكلاهما ينقسم إلى فرض عين وكفاية، فأما العقلي فلا بد من منه على الأدلة فكما وجب على الجاهل أن يعلم بعقله ما يحتاج إليه يجب أيضا على العلماء أن

١ - هنا آخر النسخة في ش.

٢ - في ض: للمحدود الوسطى.

٣ - في ض: بشدة الصفا.

ينبها بألسنتهم وتصانيفهم ولذلك كثر في هذه الأمة من العلماء من هذا الجنس الدرس والتصانيف ، وصنوف المذاكرات وغير ذلك .

أما المسموعات ففيه فرض عين وكفاية وكلى القسمين في السمع يحتاج فيهما إلى هاد ومبين وواصف للمذاهب ، ودلالاتها ، وعلم الشرع لا طريق له إلا السمع ، فالمفيد في العقلية يكون منبها لا معلما ، ويجوز أن يقال في مفيد العقلية ، علمه كذا إذا وصف المعلوم والدليل ، فأما الواصف للشرع وأدلتها ، فانه يقال علمه كذا وعرفه كذا وهدها ، فهذه الأسماء حقيقة فيه ومن قال حكما باجتهاد فقله ، دليل وهداية وبيان وتعريف .

أما المعلم على الاطلاق فيقال لمن حرفته تعليم الصبيان والمؤدب من حرفته تأديبهم ، ولا يجوز إطلاق اسم المعلم على علماء الاسلام لأنه شنيع غير مشهور ، وإذا وجب تحصيل العلم على العقلاء من الوجهين المذكورين ، ولا بد في كلي القسمين من منبه أو مبلغ للسمعيات أو صاحب للفتاوى في نوازل الشرع وجب على العلماء التعريف وعلى غيرهم المعرفة .

إذا وجب التنبيه في العقلية والبيان والبلوغ في الشرعية ، جمع الله حمل ذلك في القرآن العظيم ، فانطوى على بيان العقل والشرع تقريرا بهذا الأصل ، فقال تعالى : «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء^(١)» إلى غير ذلك من الآيات فلذلك قال عليه السلام .

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا .

ولما وجب التنبيه في العقلية والبيان والبلاغ في الشرعية أودع الله تعالى جملا من العقل وتفصيله وجملا من الشرع وبعض تفصيله القرآن

العظيم، كما قال: «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين»^(١).
 هذا أوان أن يختم الكتاب وقد قضينا منه الوطر^(٢) المقصود، وبلغنا
 الغرض المنشود ووفينا بما وعدنا وشرطنا، وما وجدنا تلة^(٣) في التحقيق إلا
 علونا ولا واديا في التدقيق إلا هبطنا، جعل الله تعالى جزاء ما أصابنا من
 الكآة والوكد^(٤)، وبذل الوسع والجهد في تنقيحه وتهذيبه وترتيبه، وتشذيبه^(٥)
 وجمع ما انتشر من أطرافه ومبانيه وضبط ما شرد^(٦) من ألفاظه ومعانيه، الفوز
 برضاه والجنة والتوقي من سخطه يبلغ جنة لأنه^(٧) ذو الحول والمنة وولي
 الطول والمنة، ووافق الفراغ من تصنيفه في أواخر الشهر المبارك شعبان سنة
 ست وسبعين وخمسمائة^(٨).

* * *

تم حدائق الحقائق في فسر دقائق افصح الخلائق بعون الخالق
 والرازق في أواخر شهر الله المبارك رمضان عظم الله بركته على الانسان على
 أنملة أضعف عباد الله محمد بن أبي الحسين بن محمد القصار سنة خمس
 وأربعين وستمائة.

١ - الانعام : ٥٩ .

٢ - الوطر : الحاجة والبغية .

٣ - التلاع : مسایل الماء من علواى اسفل والتلعة ما ارتفع من الأرض .

٤ - الوكد : السعي والجهد .

٥ - التشذيب : القطع والتفريق .

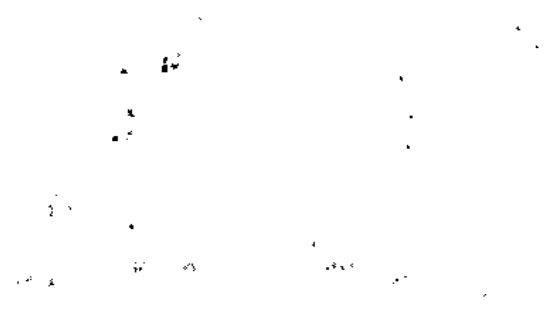
٦ - شرد البعير : اذا نفر وذهب في الارض .

٧ - في ض : من سخطه باسبع جنة انه ذو الحول وولي المنة .

٨ - في ض : وافق الفراغ من تصنيفه الامام العالم الكامل المتبحر الفاضل قطب الدين نصر الاسلام مفتخر
 العلماء مرجع الأفاضل محمد بن الحسين الكيذري البيهقي نعمده الله برضوانه في أواخر الشهر الشريف شعبان

سنة ست وسبعين وخمسمائة ٥٧٦ .







آبشارت عطارد